



دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الأكاديمية الليبية/ فرع مصراتة

مدرسة العلوم الإنسانية

قسم الدراسات الإسلامية

رسالة بعنوان:

" البدر المنير المخلص من تفسير ابن كثير "

تأليف:

أبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت 785هـ)

من أول سورة الملك إلى آخر سورة الناس

دراسة وتحقيق

مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)

في التفسير

إعداد الطالب:

البشير محمد حسن قليصة

إشراف:

أ. د. الأمين عمر أبو فارس

العام الدراسي (2016م - 2017م)

قرار لجنة المناقشة للطالب

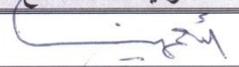
البشير محمد حسن اقليصة

للحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم (الدراسات الإسلامية)

قامت اللجنة المشكلة بقرار السيد/ رئيس الأكاديمية الليبية /فرع مصراتة رقم(99) الصادر بتاريخ 2017/02/23 م بمناقشة الرسالة المقدمة من الطالب/ البشير محمد حسن اقليصة لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية وعنوانها:

(البدر الخير المخلص من تفسير ابن كثير لؤلؤه أبي الحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني من أول سورة الملك إلى نهاية سورة الناس.دراسة وتحقيق)

وبعد مناقشة الرسالة علنياً على تمام الساعة (10:00 صباحاً) يوم الخميس الموافق 2017/05/04م بقاعة المناقشات بالأكاديمية وتقويم مستوى الرسالة العلمي والمنهج الذي اتبعه الطالب في بحثه قررت اللجنة ما يلي: قبول الرسالة ومنح الطالب: البشير محمد حسن اقليصة درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية.

أعضاء اللجنة المناقشة	الصفة	التوقيع
السيد/ د. الأمين عمر أبو فارس	مشرفاً ومقرراً	
السيد/ د. علي عبدالله بن غليون	عضواً	
السيد/ د. محمد عبدالسلام العالم	عضواً	

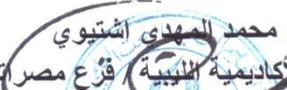
يعتمده

د. إبراهيم مفتاح الصغير
عميد مدرسة العلوم الانسانية

التوقيع: 
التاريخ: 5 / 14 / 2017 م

د. إبراهيم مفتاح الصغير
رئيس قسم الدراسات الإسلامية بالأكاديمية

التوقيع: 
التاريخ: 5 / 14 / 2017 م

د. محمد المهدي اشتبوي
رئيس الأكاديمية الليبية / فرع مصراتة
التوقيع: 
التاريخ: 5 / 14 / 2017 م

إقرار الأمانة العلمية

أنا الطالب: البشير محمد حسن قليصة المسجل بالأكاديمية الليبية/ فرع مصراتة بقسم الدراسات الإسلامية تحت رقم قيد (15180) أقر بأنني التزمت بكل إخلاص بالأمانة العلمية المتعارف عليها لإنجاز رسالتي المعنونة بـ (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) لنيل الدرجة العلمية (الماجستير) وأنني لم أقم بالنقل أو الترجمة من أية أبحاث أو كتب أو وسائل علمية تمّ نشرها داخل ليبيا أو خارجها إلا بالطريقة القانونية واتباع الأساليب العلمية في عملية النقل أو الترجمة وإسناد الأعمال لأصحابها، كما أنني أقر بعدم قيامي بنسخ هذا البحث من غيري وتكراره عنواناً أو مضموناً.

وعلى ذلك فإنني أتحمل كامل المسؤولية القانونية المترتبة على مخالفتي لذلك إن حدثت هذه المخالفة حالياً أو مستقبلاً بما في ذلك سحب الدرجة العلمية الممنوحة لي.

والله على ما أقول شهيد

الإسم: البشير محمد حسن قليصة

التوقيع:

التاريخ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا^س

﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

﴿٣﴾ مَكِيثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٤﴾

سورة الكهف الآيات (1-3)

الإهداء

إلى أحق الناس بصحبتى أبي وأمي، وإلى إخوتي وأخواتي، وإلى
العلماء الأجلاء والدعاة المخلصين الأوفياء، وطلبة العلم المثابرين الأتقياء،
وإلى كل مسلم يحب الله ورسوله، وإلى وطني الحبيب وبلدي الغالي الذي
كثرت جروحه وآلامه ليبييا.

أهدي ثواب هذا العمل ..

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أتقدم بالشكر والامتنان، إلى أقرب الناس إلى قلبي، أبي، وأمي، أطال الله
عمرهما، وأدام عليهما الصحة، والعافية.

كما أتقدم بالشكر والتقدير، إلى أستاذي الفاضل الدكتور: الأمين عمر
أبوفارس، الذي أشرف على هذه الرسالة، ولم يبخل علي بالمعلومات، والنصائح،
والتوجيهات، وكان عوناً لي في إخراج هذا العمل، بهذه الصورة، وأشكره أيضاً، على
سعة صدره، ومكارم أخلاقه، ولين جانبه، وصبره عَلَيَّ، فجزاه الله عَنِّي خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر، إلى أعضاء اللجنة الفضلاء، لقبولهم
مناقشة هذه الرسالة.

وأتقدم بالشكر أيضاً، إلى رئيس قسم الدراسات الإسلامية بالأكاديمية الليبية
- فرع مصراتة-، وأعضاء هيئة التدريس بالقسم.

والشكر موصولاً لكل من كان لي عوناً، وسنداً، وشجعني ولو بشطر كلمة.

فأسأل الله التوفيق، والسداد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله
وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

"المقدمة"

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى، ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، صلى الله عليه، وعلى آله، وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فإنه لا يخفى علينا أهمية علوم القرآن الكريم، فهي من أفضل العلوم وأشرفها، فقد عنيت بها الأمة عناية كبيرة، ولا سيما علم التفسير؛ لأنه يبين معاني كلام الله، ويظهر معجزة النبي -ﷺ-، ويبرز لنا الهداية، للسير فيها لمن أراد الوصول إلى رضوان الله وجنته، وقد خلف العلماء في هذا العلم مؤلفات كثيرة، منها: تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، وقد اشتهر بين الناس بتفسير ابن كثير، ولقي هذا التفسير قبولاً كبيراً عند أهل العلم، واشتهر بينهم، وهو من أفضل التفاسير الموجودة، ومن أشهرها، وقد اختصره عدد من العلماء من بينهم: عفيف الدين سعيد بن مسعود الكازروني، في كتاب له سماه: "البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير"، وأحمد الله الذي وفقني للوقوف على هذا المخطوط لتحقيق جزء منه، وقد وضعت لهذا العمل خطة ومنهجية أسير عليها، بحسب ما سيأتي لاحقاً:

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية هذا المختصر في عدة أمور:

1. الأهمية العلمية لتفسير ابن كثير، ومكانته بين التفسير، وثناء العلماء عليه قديماً وحديثاً.
2. المساهمة في إحياء التراث الإسلامي عامة، وبتراث عفيف الدين بن سعيد الكازروني خاصة، حتى لا يضيع كما ضاع غيره.
3. المشاركة في تحقيق جزء من هذا المخطوط، يعد مشاركة في بناء المكتبة الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع:

1. تعلق المخطوط بالقرآن الكريم.
2. أهمية تفسير ابن كثير، وانتشاره واشتهاره بين الناس، وتلقي الأمة له بالقبول.
3. الرغبة في تفسير القرآن الكريم، والنهل من هذا المعين الصافي.
4. الفائدة العلمية التي يتحصل عليها الطالب، ويستفيد منها من خلال تحقيقه للمخطوطات والبحث فيها.
5. أن هذا المخطوط لم يسبق تحقيقه من قبل على حسب ما علمت.

الدراسات السابقة:

لم أقف على أي دراسات سابقة لهذا المختصر حتى تاريخ تسجيل الرسالة.

خطة البحث:

تشمل الخطة مقدمة، ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وعملي في التحقيق.

- قسم دراسي: يختص بالتعريف بابن كثير، وتعريف بالمؤلف، والمؤلف، ووصف للمخطوط بطريقة مختصرة؛ وذلك لأنه سبقني لدراسته عدد من الطلبة، قاموا بدراسته دراسة وافية لا داعي إلى تكرارها مرة أخرى.
- قسم التحقيق: وهو من بداية سورة الملك إلى نهاية سورة الناس، والذي يبدأ في

اللوحة (519) وينتهي في اللوحة (571)، فيكون مجمل عدد اللوحات المحققة (53) لوحة.

• **الخاتمة:** وقد أجملت فيها أهم نتائج البحث.

عملي في التحقيق:

1. قمت بكتابة النص وفق القواعد الإملائية.
2. ضبطت الآيات القرآنية بالشكل مع مراعاة الرسم القرآني في كتابتها، ووضعها بين قوسين مزهرين، هكذا ﴿ ﴾، مع ذكر رقم الآية، واسم السورة، والإشارة إليها في الهامش.
3. إكمال الآية القرآنية في حال ذكر المؤلف بعضها ثم يقول الآية، وإصلاح الأخطاء في الآيات القرآنية، دون الإشارة إلى ذلك في الهامش.
4. في بعض المواضع ذكر المؤلف اسم السورة ببدايتها ولم يذكرها كما هي في المصحف، فذكرت الاسم الموافق للمصحف بين قوسين معقوفين []، دون الإشارة إلى ذلك في الهامش.
5. إصلاح الأخطاء اللغوية وتراكيب الجمل، ووضعت ذلك بين قوسين معقوفين [] وأشرت إلى ذلك في الهامش.
6. إذا استدعى الأمر زيادة حرف، أو كلمة، فُمنَّتْ بزيادتها، ووضعها بين قوسين معقوفين، وأشرت إلى ذلك في الهامش، بقولي: "زيادة يقتضيها السياق"، أو "لا يستقيم النص إلا بها"، وأيضاً عند وجود بياض في النص، أضع اللفظ المناسب بين قوسين معقوفين، وأشير إلى ذلك في الهامش، مع الرجوع إلى تفسير ابن كثير المطبوع؛ لإثبات ذلك.
7. خرجت الأحاديث النبوية الواردة في المخطوط، فإن كانت في الصحيحين، أو أحدهما، اكتفيت بذلك، وإلا، قمت بتخريجها من كتب الأحاديث الأخرى.
8. حافظت على نص الحديث المذكور في المتن، ولم أغير فيه شيئاً، فإما أن يكون موافقاً، وإلا، ذكرت ذلك في الهامش، بقولي: "واللفظ مختلف".
9. إذا ذكر المؤلف مصدره للحديث، فإني أقتصر عليه، ولا أذكر غيره، إلا لغرض

الحكم على صحة الحديث.

10. إذا تكرر الحديث في غير موضع، فإنني أكتفي بتخريجه في أول موضع له، وأشير في بقية المواضع إلى أنه قد سبق تخريجه، مع ذكر موضع التخريج.

11. قمت بعزو الأقوال إلى أصحابها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

12. عرّفتُ بالأعلام الذين ذكرهم المؤلف بقدر المستطاع، وذلك عند ذكر العلم لأول مرة، وقد استثنيت من ذلك من اشتهرت قصته في القرآن الكريم.

13. قمت بتوضيح الكلمات الغريبة.

14. عند ذكر المصدر لأول مرة أذكر اسم الكتاب كاملاً، واسم المؤلف، واسم المحقق، ورقم الطبعة، ودار النشر، فإن لم تتوفر جميعها، اكتفيت بما توفر منها، وعند ذكر الكتاب مرة أخرى، أكتفي بذكر اسمه فقط.

15. اكتفيت بدراسة مختصرة لابن كثير، والكاظمي؛ لأنه قد سبقني لها بعض الطلبة الذين ناقشوا أجزاءً من هذا المخطوط.

16. بينت نهاية كل لوحة من لوحات المخطوط، فوضعت رقم اللوحة مع الإشارة إليها: (أ)، أو (ب).

17. جعلت في نهاية التحقيق خاتمة، ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج لهذا البحث.

18. وضعت مجموعة من الفهارس ليسهل التعامل مع الرسالة، وهي:

أ. فهرس الآيات القرآنية.

ب. فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.

ج. فهرس الأبيات الشعرية.

د. فهرس الأعلام.

هـ. فهرس المصادر والمراجع.

و. فهرس الموضوعات.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني ويسد خطاي؛ لإنجاح هذا العمل، إنه ولي ذلك

والقادر عليه.

القسم الأول

الجانب الدراسي

القسم الأول

المطلب الأول: التعريف بابن كثير

- اسمه: عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي.
- مولده ونشأته - رحمه الله-: ولد بمجدل قرية في مدينة بَصْرَى سنة (701هـ) وقيل سنة (700) هـ، وكان أبوه خطيباً بها، ثم انتقل إلى دمشق سنة (706) هـ، وعاش بها.
- طلبه للعلم: أخذ الحافظ ابن كثير العلم عن كثير من العلماء الأجلاء، وسمع منهم، كابن السويدي، والقاسم بن عساكر، وابن تيمية، وغيرهم الكثير، وصاهر الحافظ المزي، فأخذ عنه، وأكثر، وقرأ عليه تهذيب الكمال، فأفتى، ودرّس، وناظر، وبرع في الفقه، والتفسير، والنحو، وعلم الرجال، وله تصانيف كثيرة: كالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، جمع بين كتاب التهذيب والميزان، وهو في خمس مجلدات، وكتاب البداية والنهاية، في أربعة وخمسين جزءاً، وكتاب الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن، جمع بين مسند الإمام أحمد، والبزار، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة، إلى الكتب الستة، وله غير ذلك الكثير.
- وفاته: توفي - رحمه الله- في شهر شعبان سنة (774) هـ⁽¹⁾.
- مختصرات ابن كثير وموضع مختصر الكازروني منها تاريخاً وأهمية: يعد مختصر الكازروني أقدم المختصرات لتفسير ابن كثير، فهو معاصر للحافظ ابن كثير، والذي دعاه للاختصار إلحاح زملائه، وإصرارهم على ذلك، لتسهيل مذاكرته لدى طلبة العلم، وعامة الناس، وقد وقفت على عدة مختصرات حديثة، أذكر منها:

(1) ينظر: ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي 238/1، تأليف: أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بلا: (ط)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 445/1، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، سنة 1972، بلا: (ط)، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني 38/1، تأليف: محمد بن علي بن الحسين الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1998م، بلا: (تح).

1. تيسير العلي القدير في اختصار تفسير ابن كثير، تأليف الشيخ: محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، وقد ذكر في ملتقى أهل الحديث أنه أقدم من مختصر أحمد شاكر.
2. مختصر تفسير القرآن العظيم، المسمى: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد محمد شاكر، سنة 1424هـ، دار الوفاء، ودار طيبة.
3. اليسير في اختصار تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: صلاح محمد عرفات، محمد عبدالله الشنقيطي، خالد فوزي عبدالحميد، إشراف الدكتور: صالح بن عبدالله بن حميد، دار الهداة، جدة، 1426هـ.

المطلب الثاني: التعريف بالكازروني

- اسمه: هو أبوالمحامد، عفيف الدين بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني⁽¹⁾.
- مولده: ولد بكازرون في ثاني عشر ربيع الأول، سنة (727) هـ، ونشأ فيها، ونسب إليها.
- وفاته: توفي - رحمه الله- سنة (785) هـ.
- آثاره العلمية: أما حياته العلمية، فلم أقف على تفاصيل كثيرة، إلا أنه كان مُحدِّثاً، وله عدة مؤلفات، منها: شرح صحيح البخاري، والمطالع المصطفوية في شرح مشارق الأنوار، للقاضي عياض، وصفاء الصدور، والمنتقى في السير، وغيرها⁽²⁾.

وكان بارزاً بين أصحابه، فلذلك طلبوا منه اختصار تفسير ابن كثير، وألحوا عليه بذلك، بقوله: " فاقترح علي بعض إخواني في طريق العلم والدين، وخلاني من أهل المعاني واليقين، أن أخلص منه مقاصده..."، وقوله: "فلم يزد هم إلا المبالغة والإلاح..."⁽³⁾، وهذا دليل على مكانته العلمية بينهم.

(1) المخطوط، اللوحة: (2/أ)

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 553/1، 1851/2، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1992م، بلا: (تح). الأعلام: 101/3، تأليف: خير الدين محمود بن محمد بن علي الزركلي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر: (2002 م)، بلا: (تح).

(3) المخطوط اللوحة: (2/أ).

المطلب الثالث: التعريف بمختصر الكازروني

اسم الكتاب ونسبته لمؤلفه:

نص المؤلف على تسمية الكتاب في المقدمة فقال: "وسميته البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير"⁽¹⁾، ونسبه المؤلف لنفسه بعد أن ذكر اسمه بقوله: "سميته البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير"⁽²⁾.

المنهج الذي اتبعه المؤلف في كتابه:

سلك الكازروني منهجاً لم يخرج فيه عن منهج شيخه ابن كثير، وهو:

1. يقوم المؤلف بذكر الآيات التي يريد تفسيرها أولاً، ثم يذكر معناها آية آية، بتفسيرها بالقرآن، أو بالحديث، أو بأقوال الصحابة والتابعين، ولم يخرج بذلك عن منهج شيخه ابن كثير.
2. حرّص المؤلف على تسمية السور على طريقة شيخه، مع الحكم على السورة هل هي مكية أم مدنية؟ وقد خالفه في عدة مواضع، قام بتسمية السور بأسماء غير متداولة.
3. عند تفسيره لبعض من آيات الأحكام، يقوم بذكر الآراء الفقهية فيها، ويتوسع أحياناً مع سرد الأدلة.
4. لا يذكر المؤلف أحياناً الآية التي يريد الاستشهاد بها كاملة، وإنما يكتفي بذكر بعضها، خلافاً لابن كثير، وذلك - والله أعلم - لغرض الاختصار.
5. في بعض الأحيان يقوم بذكر أحاديث يبين فيها فضل السورة، وأهميتها، ومكانتها، وأحياناً يبدأ بتفسير السورة مباشرة.
6. يقوم المؤلف بنسبة الأقوال إلى أصحابها، وذلك على طريقة شيخه ابن كثير، وتارة يخالفه في ذلك، ولا يذكرها، بل يكتفي بذكر القول بقوله "وقيل"، أما إن كان القول لغير واحد، فإنه يستعمل عبارات مختلفة، كقوله: وغير واحد، أو

(1) اللوحة 2/ ب من المخطوط.

(2) المصدر نفسه.

- كثيرون، أو غيره، وذلك كثير في البحث.
7. عند ذكره الحديث يقوم بحذف سنده، وذلك لغرض الاختصار، كما ذكر ذلك في المقدمة.
8. في بعض الآيات التي سبق تفسيرها، أو الأحاديث التي تم ذكرها، يشير المؤلف إلى أنه قد تم ذلك فيما سبق بالإشارة إلى اسم السورة، التي ذكر فيها النص، دون الإشارة إلى الآية، وذلك بقوله: "سبق ذكرها في سورة كذا".
9. يستشهد المؤلف في بعض المواقع بالأبيات الشعرية.
10. يقوم في بعض الأحيان ببيان معنى الكلمات لغوياً.
11. اعتنى المؤلف بالاستدلال بالأحاديث النبوية، وفي أغلبها أحاديث صحيحة.
12. في غالب الحال يقوم المؤلف بذكر من أخرج الحديث وتارة يقوم بذكر الحديث دون أن يذكر مُخرجه.
13. يكتب المؤلف تارة بذكر حديث واحد ويستدل به، وأحياناً أكثر من حديث.
14. في بعض المواقع يقوم المؤلف بنسبة الحديث إلى غير راوٍ بالمتن نفسه.
15. اعتمد المؤلف كثيراً على أقوال الصحابة، والتابعين - رضي الله عنهم -.
16. قام المؤلف بسرد بعض الإسرائيليات تبعاً لشيخه.

مصادره:

- هناك بعض المصادر قد صرح بذكرها والبعض الآخر لم يصرح بذكرها، والمصادر التي صرح بذكرها:
- تفسير ابن جرير.
 - تفسير أبي حاتم.
 - شعب الإيمان للبيهقي.
 - معالم التنزيل للبغوي.
 - الصحيحين للبخاري ومسلم.
 - مسند أحمد ابن حنبل.
 - السنن لابن ماجة.

- السنن لأبي داود.
- سنن الترمذي.
- السنن للنسائي.
- مسند أبي يعلى الموصلي.
- شعب الإيمان للبيهقي.
- دلائل النبوة للبيهقي.

المصادر التي لم يصرح بذكرها:

- تفسير مجاهد.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج.
- مسند البزار.
- تفسير القرطبي.

المطلب الرابع: التعريف بالمخطوط

اعتمدت في تحقيق هذا المخطوط على نسخة واحدة، وهي نسخة مصورة من مخطوط، بمكتبة نور عثمان بتركيا، مصنفة تحت رقم (384).

- اسم المؤلف: أبو المحامد، عفيف الدين بن سعيد بن مسعود بن محمد الكازروني.
- اسم النسخ: محمد بن الشيخ إبراهيم بن محمود الحافظ الجولمي الهجرمي.
- عدد لوحات المخطوط كاملة (582) لوحة، في كل لوحة صفحتان: (أ، ب).
- مقياس كل صفحة (9 سم × 14 سم).
- عدد الأسطر في كل صفحة (30) سطراً.
- عدد الكلمات في كل سطر (17) كلمة تقريباً.
- تاريخ النسخ سنة (928) هـ.
- نوع الخط: كتبت بالخط المشرقي، وهو خط الثلث المائل إلى النسخ أحياناً.
- عدد اللوحات التي قمت بتحقيقها (53) لوحة.
- حالة المخطوط جيدة، لا يوجد بها خرم أو ضياع.
- أرفقت مع هذا الوصف صوراً لعدة صفحات من المخطوط.

باسم ربك العظيم اي الذي انزل هذا القرآن العظيم بفسر سورة سأل سائل وهو كثر باسم الله العظيم
 سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي العذاب تعرج الملكة والروح
 والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة واصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا
 نزهة قريباً اعطيت سائل العذاب واستجهله قوله وتجاهلوا بالعذاب قبل الباء يعني من اي سائل العذاب واقع انك
 على من ينزل فقال تعالى ميتنا يمينا للملكات والملكات قال ابن عباس السائل هو النفس من المذات وقال الجاهلي دعاء ادع
 عذاب واقع يقع في الآخرة وهو قوله الملائكة انما هذا هو الحق من عند ربنا فاصبر على ما نزلنا واتصبر
 وقوله واقع للكافرين اي متعد معتد لهم وقال ابن عباس اي جاني لغيره واقع مني لا واقع له اذ اراد الله كونه واقعاً
 قال من الله ذي العذاب اي في الوجودات بين الملك والفاضلة والنعمة وقل تعارج العناء وقوله تعرج الملكة والروح
 اليه قال قتادة ما اي تعرجه والروح فقال امر صالح فخر خلق من خلق الله فنهين الناس وايضا ناسا ويحتمل ان يكون
 المراد به جبريل فيكون من باب عطف الخاص على العام ويحتمل ان يكون اسم جنس لا وادع حتى آدم فانها اذا قصت
 بها الى السجدة كما سبق ووضعت البراء الشهود في حق الروح الطيبة عند قوله ثبت الله الذين آمنوا اي قوله فيهم
 كان مقداره خمسين الف سنة في اربعة احوال احدها ان المراد بذلك تساقط ما بين العرشين العظيم الى السطحين وهن
 قارون والابن السابعة وكذلك اصناف العرش من قطر الى قطر يسيره خمسين الف سنة كما قال ابن عباس هي منسوبة من قطر
 الاربعين الى شهي امره من فوق السموات مقدار خمسين الف سنة فيهم كان مقداره الف سنة يعني بذلك ينزل الاموات
 العناء الى الارض وشهي الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقدار الف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسين الف سنة
 وقال غلط كل روضة خمسين عام وفي كل ربيعي الى ربيعي خمسين عام فذلك سنة الآفاق وفي السماء السابعة ومن العرش
 ستة وثمان الف عام فذلك قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وادع ان او حاتم والقطر الذي المراد به ماء ققاء الدنيا
 منذ خلق الله هذا العالم الى قيام الساعة كما قال مجاهد الدنيا خمسون سنة يوم قضاها الله خلق لا يجره اقل كسبي ولا يكتم بقى القول
 الثالث انه التزم الفاسدين القضا والحق وضاعرب وهو قول مجاهد كسب والقول الاصح ان المراد بذلك يوم القيمة والى
 فضاوم الجنة يتجلى الله على الكافرين مقدار خمسين الف سنة كما ذكره امير سيد هلا قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انهم كانوا
 خمسين الف سنة ما أقول هذا اليوم ضل صول الله صلى الله عليه وسلم والذى تنسب اليه انه ليضعف نحو قول اخفق عليه من ضلوا
 يسألها والقضا رواد احد لا يعرف ويقبل بناء في وفي حاشية البيهقي في ذلك اليوم غير انه لم يفرغ منه في خمسين الف سنة
 هذا الضمير بن عباس وقوله كما صبر صبرا جميلا اي صبرا جميلا على كل كرب قوما واستجملوا العذاب استعدادا ولهذا قال انهم
 يرونه ميتا اي وقبح العذاب وقبح الناعة تراه الكفرة بعيد الوقوع مستحله ونراه قريبا اي الموتى يقعدونه قريبا
 وان كان له امتداد لا يقبله الا الله لكل ما هرب منه قريبا آت يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
 ولا يزال جهم جها يبصر وهم نوى الجحيم لو يقيد من عذاب يومئذ ببينه وصاحبه
 واخيه وقصصه التي توويه ومن في الارض جميعا ثم ترجمه كلا انها التي نواعه للشوى
 تدعو من ادبر وتولى وجمع فادعى سوا العذاب واقبح الكافرين والابن عباس في قوله تدعو من ادبر وتولى
 اي كدعوا في الميت وتكون الجبال كالعهن اي كدعوا في الميت ما له كدعوا في الميت وقوله ولا يزال جهم جها يبصر
 نواعه للشوى اي كدعوا في الميت ما له كدعوا في الميت وقوله ولا يزال جهم جها يبصر نواعه للشوى
 نواعه للشوى اي كدعوا في الميت ما له كدعوا في الميت وقوله ولا يزال جهم جها يبصر نواعه للشوى

Handwritten marginal notes in Arabic script, including:
 - Top right: تفسير سورة سأل سائل وهو كثر باسم الله العظيم
 - Right side: تفسير قوله تعالى واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي العذاب
 - Bottom right: تفسير قوله تعالى تدعو من ادبر وتولى
 - Bottom left: تفسير قوله تعالى ولا يزال جهم جها يبصر
 - Middle right: تفسير قوله تعالى واقبح الكافرين
 - Middle left: تفسير قوله تعالى واقبح الكافرين

اللآلئ قبل الحجاب ما يعرف منه واه ان اوجها تراه المتيقن في ظلال وغيوب وفواكه ما يشقون
 كلوا واشربوا هنيئا بما اتيكم قالون انما كذلك يخبري المحسنين وَلَمْ يَوْمَدُ لِلْمَكْدُونِ كَلِمًا
تَسْتَعْوَأُونَ قَلِيلًا أَلَمْ تَحْمُرُّوهُمْ وَلَمْ يَوْمَدُ لِلْمَكْدُونِ وَأَدَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَبُوا الْأَبْرَارَ لَكُونُوا
لِلْمَكْدُونِ فِي أَيِّ حَرْبٍ لَعِينًا يَوْمَ يُؤْتَى يَوْمَئِذٍ السَّعْيُ الدِّينَ قَبْلَهُ بَادِرًا الرَّاجِعَاتِ وَتَرَكَ الْحَرْبَاتِ
 انهم صفة المنيه بكرهينه فحلت وصوت اي خلاف مما املكه الاقضية فيه من قول المصنف وهو ان المنيه هو الذي انما
 يشقوا اي ومن ساء ما يقع البشار حتمًا طبعه اوقيد واطلوا واشربوا هنيئا بما اتيكم قوله اي يقال له من ذلك لئلا يسهل الايمان
 شر قال تعالى حتمًا شقنا انما كذلك يخبري المحسنين اي هنا خبر ان المنيه حتمًا لعل ويل يومد المكدين وقوله كلوا واشربوا هنيئا
 اتم جهنم خطاب للمكدين يوم الدين امرهم امره بقرينة وقيد اي هذه قيله قريبه الزوال ثم قال انما يومد المكدين
 بنا ذكره كما قال تعالى فتعدهم قليلاً ثم تفتقرهم الى عذاب عظيم وقوله واد اقبل لهم اركبوا الابرار يكون اي اذا امرهم بركبوا
 اكلها وان يكونوا من الصالحين مع الحيا عند استموا من ذلك واستكبره اعنه ولهذا قال ويل يومد المكدين ثم قال انما يومد
 يوم يومد اي عاقبى كلام سيد القرآن يومئذ ومنه
 ليعلم ان الله وبأقره واه ان اوجها تراه المتيقن في ظلال وغيوب وفواكه ما يشقون
الناوهي كيه بس **الله للجم عم سقاء لون** **عن البناء العظيم الذي هم فيه**
 مختلفون كَلَّا سَيَعْلَمُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ الْمُجْمَلُونَ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَانًا وَأَخْلَقْنَا
أَزْوَاجًا وَحَمَلْنَا أَنْوَاعًا مِنْ كَلِمَاتٍ مَّا وَحَمَلْنَا الذَّلِيلَ بِأَسْمَاءٍ وَحَمَلْنَا النَّهَارَ مَتَّعًا وَمَتَّعْنَا
وَحَمَلْنَا سِرَاجًا وَحَمَلْنَا أَبْرَارًا مِنْ الْحَمِيمَاتِ مَاءً نَجًّا جَمًّا مَالٌ قَالِي سَكَنًا عَلَى الْمَشْرِيقِ وَجَمَلْنَا
 انكار الرفع فيها صريحا قوله اي من اي شيء ساء قوله من امر الية وهو البناء العظيم من المجرى على المنقطع وقيل قاده وان
 زيد البناء العظيم بعد الويت واه ما جمعه هو القرآن والظاهر الاول قوله الذي هم فيه مختلفون من الناس على وجه
 قرأت مؤمن به وبما في قوله من قوله ساء قوله كلاس جعلت ثم كلاس جعلت كلاس في قوله لهم وسيعلمون اي في قوله
 تتكلم والشافى وقيد لهم على اي وقيد ثم شرحه تعالى بين قوله العظيم على خلق الانبياء المرته والى العجيب الدالة على
 كال قوله هذا الرفع الالفين ساء اذا اي في قوله اللذان في قوله الهة فان ساءه نائية والجبال او ما اذا اي صلتها او اذا
 وتساها بها وتبناها في قوله ساءت ولم ينصرت كلاس جعلت كلاس جعلت كلاس جعلت كلاس جعلت كلاس جعلت
 ويحصل التسلسل بذلك قوله من آياه ان حلوكم من اشتكم ان قولنا لتكن الهة وقوله وحملنا نوكم ساء اي في قوله
 لعقل الراجعة بين كثر الرفع والشيء والماضي في قوله الهة كلاس جعلت في قوله القرآن وحملنا الذليل بالاء والواو
 فالكسرة وتوارد كما قال والليل اذا ساءها واه صاءه اي سكتنا وقوله وحملنا النهار ساء اي حتمنا وساءنا نوكم ساء اي
 ليعلم اننا من التعريف به والذهاب والحقى للماضي والتكثي والحجرات وقوله وبينا فوكم ساءنا اذا ساء
 المتورات السبع في السبعها وبعثها وبعثها ايضا وتبعها بالكرامك الثابت في الساعات ولهذا قال وحملنا ساءنا
 وقا حيا في الشمس الميز على جميع العالم التي يتبعهم منوها بالاهل الالفين كلمة وقوله وارزنا من الحفريات ما عطفها حال ان تباين
 الحفريات الرياح وبه حال غير واحد منى انها مشتقة من الحفريات والفتاب والمفتولات السبع هي التي تحلب بالقطر ولم يعلق بعد كما
 يقال انما منصورة اذا ذق حبيها ولم يخفى قائله القرارة وهو اختيارنا ويخرج قال قاده ومنه هي المتورات والاولى كلمة كما قال تعالى

(Marginal notes in Arabic script, including phrases like 'الناوهي كيه بس' and 'الله للجم عم سقاء لون')

القسم الثاني: تحقيق الجزء المختار من المخطوط

تفسير سورة: الملك

"وهي مكية"

عن أبي هريرة⁽¹⁾ - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن سورة في القرآن، ثلاثين آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذي بيده الملك)، رواه أهل السنن الأربع⁽²⁾⁽³⁾،

(1) هو: أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي، جليل، أكثر من روى الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه جماعة من الصحابة، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس، وغيرهم، ت: (59) هـ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب 2/ 70، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تح: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت (1412) هـ، ط: بلا، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 57/1، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق (1406)، بلا: (ط)، تذكرة الحفاظ 1/ 28، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى (1998م).

(2) هم:

- الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجة الربيعي، صاحب السنن، والتفسير، والتاريخ، ومحدث تلك الديار، ولد: سنة تسع ومائتين، قال أبو يعلى الخليلي: ابن ماجة ثقة كبير، متفق عليه، محتج به، له معرفة، ارتحل إلى العراقين، ومكة، والشام، ت (273هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ: 636/2، تهذيب التهذيب: 468/9، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى: (1984 م)، بلا: (تح)، شذرات الذهب: 164/2، معجم المؤلفين: 115/12 عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا: (تح، ط).

- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، محدث، حافظ، فقيه، حدث عن أبي عمر الضرير، ومسلم بن إبراهيم القضيبي، وغيرهم، حدث عنه الترمذي، والنسائي، وابنه أبو بكر، وغيرهم، من مصنفاته: كتاب السنن، وأمثلة لأحمد بن حنبل عن الرواة والثقات، ت (275 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 149/4، شذرات الذهب: 167/2، معجم المؤلفين: 255/4، تذكرة الحفاظ: 591/2 .

- أبو عيسى: محمد بن عيسى الترمذي، حافظ، محدث، حدث عن قتبية بن سعيد، وأبي مصعب، وإبراهيم المهدي، وغيرهم، حدث عنه مكحول بن الفضل محمد بن عنبر، وحامد بن شاکر، وغيرهم، من مصنفاته: الجامع الصحيح، والشمال في شمائل النبي - صلى الله عليه وسلم -، والعلل في الحديث، ت (279 هـ)، ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: 678/3، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: علي الجاوي، بلا: (ط)، شذرات الذهب: 327/3، تذكرة الحفاظ: 633/2، معجم المؤلفين: 104/11 .

- أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، الحافظ، المحدث، صاحب السنن، حدث عن إسحاق بن راهوية، وهشام بن عمار، ومحمد بن مساور، وغيرهم، حدث عنه أبوشير الدولابي، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو علي النيسابوري، وغيرهم، من مصنفاته: السنن الكبرى، والصغرى، والخصائص في فضل علي بن أبي طالب، ت: (353 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 32/1، تذكرة الحفاظ: 239/2، سير أعلام النبلاء: 125/14، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، بلا: (ط)، معجم المؤلفين: 244/1 .

(3) رواه ابن ماجة، باب: ثواب القرآن، حديث رقم: (3786)، سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بلا: (ط)، أبي داود في السنن باب عند الآي، حديث رقم: (1402)، سنن أبي داود، أبو داود: =

وحسنه الترمذي، وعن ابن عباس⁽¹⁾ - رضي الله عنه - قال: ضرب بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - خباءه⁽²⁾ على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك، حتى ختمها، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال يا رسول الله: ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة تبارك، حتى ختمها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (هي المانعة، هي المنجية، تتجيه من عذاب القبر)، رواه الترمذي⁽³⁾، ورؤي أيضا عن جابر⁽⁴⁾ - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْمَ ۝١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾⁽⁵⁾، و﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾⁽⁶⁾، وفي مسند عبد بن حميد⁽⁷⁾⁽⁸⁾: عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال لرجل: ألا أتحنك بحديث تفرح به؟ قال: بلى، قال: اقرأ ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾، وعلمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها

= سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا: (تح، ط)، الترمذي في الجامع الصحيح، باب فضل سورة الملك، حديث رقم: (2891)، الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي السلمي، تح: أحمد محمد شاكر (وأخرون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا: (ط)، سنن النسائي الكبرى، باب: الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك، حديث رقم: (10546)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبد القادر سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (1991م).

(1) هو: عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: ابن عم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، أمه أم الفضل بنت الحارث، ولد وبنو هاشم بالشعب، قبل الهجرة، وتوفي وهو في الطائف، وعمره إحدى وسبعون سنة، ت (68 هـ)، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: 90/4، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى: (1412 هـ)، شذرات الذهب: 294/1.

(2) الخباء من الأبنية، واحد الأخبية، وهو ما كان من وبر أو صوف، وهو على عمودين، أو ثلاث، وما فوق ذلك فهو بيت، وأصله الهمز من خبأت، إلا أن العرب تركت همزها، ينظر: لسان العرب 223/14، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت، ط: الأولى، بلا: (تح).

(3) سنن الترمذي، باب فضل سورة الملك، حديث رقم: (2890): وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(4) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجي، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وغيرهم، وروى عنه أولاده عبد الرحمن، وعقيل، ومحمد، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، وشهد بيعة الرضوان، ت (73 هـ) وقيل: (78 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 37/2، تذكرة الحفاظ: 43/1.

(5) سورة السجدة، الآيتان: 1، 2.

(6) سنن الترمذي باب فضل سورة الملك حديث رقم (2892).

(7) هو: عبد بن حميد بن نصر، الإمام الحافظ، مصنف المسند الكبير، والتفسير، وغير ذلك، فسمع من يزيد بن هارون، وعلي بن عاصم، وغيرهم، وروى عنه عمر بن بحير، وبكر بن المرزبان، وغيرهم، ت (249)، ينظر: تذكر الحفاظ: 534/2، معجم المؤلفين: 66/5.

(8) المنتخب من مسند عبد بن حميد: 206/1، حديث رقم: (603)، جاء بلفظ "ألا أطرفك"، تأليف: عبد بن حميد بن نصر، أبو محمد الكسي، تح: صبحي البدري السامرائي، و محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة القاهرة: (1988 م)، بلا: (ط).

المنجية، والمجادلة، تجادل، أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له الجنة، أن تتجيه من عذاب النار، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر، وقال رسول الله ﷺ:-
(لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي)، رواه الطبراني (1)(2) مختصراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ (٣) ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرْنَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ (٥) ﴾

مجد تعالى نفسه الكريمة، وأخبر أنه بيده الملك، أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل؛ لقهره، وحكمته، وعدله، ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، ثم قال: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾، فيه دليل على أن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق، ومعنى الآية: أوجد الخلائق من العدم، ويختبرهم أيهم أحسن عملاً، كما قال: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨)، فسمى الحال الأول، وهو العدم موتاً، وسمى هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨)، قال قتادة (4) في قوله:

(أ/520)

(1) هو: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، أبو القاسم، رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق، والحجاز واليمن، ومصر، وبلاد الجزيرة الفراتية، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة، له مصنفات عدة منها: المعجم الثلاثة الكبير، والأوسط، والصغير وغيرها، روى عن أبي زرعة الدمشقي، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، وإدريس بن جعفر العطار، وغيرهم، وروى عنه أبو نعيم الأصبهاني، وأبو سعيد النقاش، وأبو خليفة الجمحي، وغيرهم، توفي سنة (360 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 135/31، وفيات الأعيان: 407/2.

(2) المعجم الكبير، حديث رقم: (11616)، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تح: حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة الزهراء الموصل: (1983م)، بلا: (ط) .

(3) سورة البقرة، الآية 28.

(4) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي، أبو الخطاب، محدث، مفسر، عالم في العربية، من آثاره: تفسير القرآن، روى عن أنس بن مالك، وعبد الله بن سرجس، وغيرهم، وروى عنه سليمان التيمي، وشعبة، وغيرهم، ت (117هـ)، ينظر: شذرات الذهب: 153/1، تهذيب التهذيب: 315/8 .

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾: كان رسول الله - ﷺ - يقول: (إن الله أذل بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة، ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء، رواه ابن أبي حاتم (1)(2)، وقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ كما قال ابن عجلان (3)، ولم يقل أكثر عملاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ أي هو العظيم المنيع الجانب، وهو مع ذلك يغفر لمن تاب إليه وأتاب بعد ما عصاه ويرحم ويصفح، ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو منفصلات بينهما خلاء، فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره (4) ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾، أي: من اعوجاج واختلاف، بل

(1) تفسير ابن أبي حاتم 3363/10، حديث رقم (18928)، أبو محمد: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تح: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، بلا: (ط) .

(2) هو: عبد الرحمن بن أبي حاتم، محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، سمع من أبيه، وابن زرعة، وغيرهما، وروى عنه أبو الشيخ بن حيان، وغيره، عالم، محدث، فقيه، مفسر، من تصانيفه: تفسير القرآن الكريم، ت (327 هـ)، ينظر: طبقات المفسرين (62/1)، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة: (1369 هـ)، بلا (ط)، معجم المؤلفين: 170/5 .

(3) هو: محمد بن عجلان المدني، القرشي، مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة، روى عن أبيه، وأنس بن مالك، وغيرهم، وروى عنه صالح بن كيسان، وعبد الوهاب بن بخت، وغيرهم، ثقة، ت (148 هـ) و (149 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 303/9 .

(4) حدثنا هدية بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة - رضي الله عنهما -: أن نبي الله - ﷺ - حدثهم عن ليلة أسري به: (بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر مضطجعا، إذ أتاني آت، فقد قال: وسمعتة يقول فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود - وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعتة يقول: من قصه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبي، ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل، وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح، والنبي الصالح، ثم صعد، حتى إذا أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلمت، فردا، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الصالح: ثم صعد بي حتى أتى السماء =

هو مستقيم، وأصله من الفوت: وهو أن يفوت بعضه بعضاً؛ لقلّة استوائها، يعني: ليس فيه نقص، ولا خلل، ولا عيب، ولهذا قال: ﴿فَارْجِعْ أَبْصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾، أي: انظر إلى السماء، فتأملها، هل فيها عيب أو نقص أو فطور، أي: شقوقاً، وقيل: خروج، والخطاب لابن آدم، وقوله: ﴿ثُمَّ ارْجِعْ أَبْصَرَ كَرْنَيْنِ﴾، أي: مرتين، ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ

= الرابعة: فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إلى إدريس، قال: هذا إدريس، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، ثم سعد بي، حتى إذا أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد -ﷺ-، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، ثم سعد بي، حتى إذا أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، فلما تجاوزت، بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي؛ لأن غلاماً بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم سعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك، فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، قال: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح، ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الغيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة، أنت عليها وأمتك، ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت، فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني - والله - قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فأسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عني عشرة، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت، فوضع عني عشرة، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت، فقال: مثله، فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فأسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي، حتى استحييت، ولكن أرضى، وأسلم، قال: فلماجاوزت، نادى مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي).
الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ-، وسننه، وأيامه، باب: حديث الإسراء، حديث رقم (3674)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار: طوق النجاة، ط: الأولى (1422 هـ).

أَبْصَرُ خَاسِئًا ﴿١﴾، قال: ابن عباس - رضي الله عنه -: ذليلاً صغيراً، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، أي: كليل، قال مجاهد⁽¹⁾، وغيره: الحسير المنقطع من الأعيان⁽²⁾، ومعنى الآية: إنك لو كررت البصر، مهما كررت لانقلب، ورجع إليك البصر خاسئاً، عن أن يرى عيباً، أو خلا، وهو كليل، قد انقطع عن الأعيان من كثرة التكرار، ولم ير نقصاً، ولما نفى عنها النقص، بين كمالها، وزينتها، فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾، وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات، والثوابت، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ضمير المفعول عائد على جنس المصابيح: لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾، أي: جعلنا للشياطين، هذا الخزي في الدنيا، وهياناً لهم العذاب في العقبى، كما سبق في أول الصافات، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ﴿٦﴾ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمِلَآءٍ الْأَعْلَىٰ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَتَنَبَعَهُ، شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴿٣﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٦﴾ إِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ فَسَمِعُوا لَهُمْ سَهَابًا مِثْلَ نَضُوبٍ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٨﴾ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٩﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ فَأَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَحُوا فَعَجَبًا ﴿١٢﴾

يعني: وأعدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم، وبئس المآل، والمنقلب، ﴿إِذَا

(1) هو: أبو الحجاج مجاهد بن جبر، مولى مخزوم تابعي، كان أعلمهم بالتفسير، المقرئ، المفسر، أحد الأعلام الأثبات، قرأ على عبد الله بن السائب، وعبد الله بن عباس، مات بمكة، وهو ساجد، ت (103 هـ)، ينظر: طبقات الفقهاء: 69/1، إبراهيم علي بن يوسف، أبو إسحاق الشيرازي، تح: إحسان عباس، بيروت، لبنان، ط: الأولى (1970 م)، شذرات الذهب: 125/1، سير أعلام النبلاء: 449/4 .

(2) جامع البيان في تأويل القرآن: 435/17، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى: (2000م).

(3) سورة الصافات: الآيات (6 - 10).

أَلْقُوا فِيهَا سَمْعُوهَا شَهِيحًا ﴿١﴾، قال ابن جرير (1): يعني الصياح (2)، ﴿وَهِيَ تَفُورٌ﴾، أي: تغلي بهم، كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير، وقوله: ﴿تَكَادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، أي: ينفصل بعضها عن بعض، من شدة غيظها عليهم، وحنقها بهم، ﴿كَلَّمَا لَقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتَهَا﴾، سؤال توبيخ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾، أي: رسول يندركم عن الله عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، كما قال: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ (3)، ولهذا عادوا على أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله، والاعتزاز به، ولكن لم يكن لنا فهم، نعي به ما جاءت به الرسل، ولا عقل، يرشدنا إلى اتباعهم، قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، وفي مسند أحمد (4): أن رسول الله - ﷺ - قال: (لن يهلك الناس، حتى يعذروا من أنفسهم) (5)، وفي حديث آخر: (لا يدخل أحد النار، إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة) (6).

-
- (1) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، من كبار أئمة الاجتهاد، وهو من أهل طبرستان، من تصانيفه: كتاب التاريخ، وكتاب التبصرة، وكتاب التفسير، المشهور: بتفسير الطبري، ت: (310هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء 267/ 14، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان: 191/ 4، أحمد بن محمد بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا: (ط) .
- (2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: 234/8، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت (1933 م)، بلا: (تح، ط).
- (3) سورة الزمر، الآية 71.
- (4) هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، إمام في الحديث، والفقهاء، صاحب المذهب الحنبلي، له من الكتب: المسند، والجرح والتعديل، وغيرها، روى عن سفيان بن عيينة، والشافعي، وغيرهم، وروى عنه البخاري، ومسلم، والشافعي، وغيرهم، ينظر: تهذيب التهذيب: 62/1 .
- (5) مسند أحمد بن حنبل: 260/4 حديث رقم: (18315)، قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، أحمد بن حنبل تح: شعيب الأرنؤوط (وآخرون)، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية (1999م).
- (6) المصدر نفسه: 541/2 حديث رقم: (10993) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن، واللفظ مختلف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾

أخبر تعالى عن يخاف مقام ربه، فيما بينه وبينه، إذا كان غائبا عن الناس، فيكف عن المعاصي، ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد، إلا الله، بأن له مغفرة، وأجراً كبيراً، أي: تكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين: (سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)، فذكر منهم: (رجلا دعت امرأه ذات منصب، وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)⁽¹⁾، وفي مسند الحافظ البزار⁽²⁾: عن أنس⁽³⁾ - رضي الله عنه - قال: قالوا: يا رسول الله، إنا نكون عندك على حال، فإذا فارقتنا، كنا على غيره، قال: (كيف أنتم وريكم؟) قالوا: ربنا في السر والعلانية، قال: (ليس ذلكم النفاق)⁽⁴⁾، وله شاهد في الصحيح، من حديث حنظلة الأسيدي⁽⁵⁾، حيث قال: (ولكن يا حنظلة ساعة فساعة)⁽⁶⁾، ثم قال تعالى منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ

(1) صحيح البخاري: كتاب: الزكاة، باب: الصدقة باليمين، حديث رقم: (1357)، صحيح مسلم: كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: (1031).

(2) هو: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار، محدث، فقيه، من تصانيفه: مسند البزار، وشرح موطأ مالك، روى عن هذبة بن خالد، وأقرانه، قال الدارقطني: ثقة، يخطئ، ت (292 هـ)، ينظر: شذرات الذهب: 2/209، الوافي بالوفيات: 7/175، صلاح الدين خليل بن أبيك الصدي، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (2000 م)، بلا: (ط).

(3) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، صحابي، جليل، خادم رسول الله ﷺ، وحضر بدرًا، وكان صبيًا، روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم، وروى عنه الحسن، وسليمان التيمي، وأبو قلابه، وغيرهم، ت (92)، وقيل: سنة (93 هـ)، ينظر: الإصابة: 1/126، تهذيب التهذيب: 1/329.

(4) حديث رقم: (6904)، البحر الزخار، مسند البزار، أبو بكر: أحمد بن عمرو البصري البزار، بلا: (تح، ط)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

(5) هو: حنظلة بن ربيعة الأسيدي، المعروف بحنظلة الكاتب، ذكر ابن اسحاق أنه كان في وفد بني تميم، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الحسن البصري، وقتادة، وغيرهم، توفي بعد علي، واعتزل الفتنة، ينظر: الإصابة: 2/135، تهذيب التهذيب: 3/53.

(6) صحيح مسلم: كتاب: التوبة، باب: فضل دوام الذكر، والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا، حديث رقم: (2750)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار: إحياء التراث العربي، بيروت، بلا: (ط).

أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥﴾ أي: بما يخطر في القلوب، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ﴿١٦﴾، أي: لا يعلم الخالق، أي: الله مخلوقه، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ ﴿١٧﴾، أي: في علمه بما في القلوب، ﴿الْخَيْرِ﴾ ﴿١٨﴾، بما فيها من الشر والوسوسة، ثم ذكر نعمته على خلقه، في تسخيرهم لهم الأرض، وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة، لا تميد، ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياً فيها من المنافع، ومواضع الزروع، والثمار، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ﴿١٩﴾، أي: فسافروا، حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها، وأرجائها، في أنواع المكاسب، والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً، إلا إن يسره الله لكم، ولهذا قال: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ﴿٢٠﴾، أي: المرجع يوم القيامة، وقال ابن عباس، وقتادة: مناكبها: الجبال، وبه قال أبو الدرداء (1)(2).

﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿٢١﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٣﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلَ وَيَقِظْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَانُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٢٤﴾

وهذا أيضا من لطفه، ورحمته بخلقه، أنه قادر على تعذيبهم، بسبب كفر بعضهم به، وعبادتهم معه غيره، ومع هذا يحلم، ويصفح، ويؤجل، ولا يعجل، كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَتَى اللَّهُ كَانَ يَبْعَادِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٥﴾ (3)، وقال ههنا: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿٢٦﴾، أي: تذهب، وتجيئ، وتضطرب، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ﴿٢٧﴾، أي: ريحاً، فيها حصباء،

(1) هو: عامر، أو مالك، وقيل: غير ذلك، بن قيس الأنصاري الخزرجي، روى عن النبي ﷺ، وعن زيد بن ثابت، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه ابنه بلال، وزوجته أم الدرداء، توفي في خلافة عثمان سنة (32هـ)، وقيل سنة: (33هـ)، ينظر: الإصابة: 747/4.

(2) جامع البيان: 512/23.

(3) سورة فاطر، الآية: 45.

فيهلككم، كما قال: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَاكِيلًا﴾ (1)، وهكذا توعدهم ههنا، ﴿فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أي: كيف يكون إنذاري، وعاقبة من خالفه، وكذب به، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي من الأمم السالفة، والقرون الخالية، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾، أي: فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟ أي عظيمًا شديدًا أليما، ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ وَيَقِظْنَ﴾، أي: تارة يصفقن أجنحتهن في الهواء، وتارة تجمع جناحا، وتنتشر جناحا، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾، في الهواء، ﴿إِلَّا الرِّحْمَانُ﴾، أي: بما سخر لهم في الهواء، لهن من رحمته، ولطفه، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾، أي: بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقولته: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (2).

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠) ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَل لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١) ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٦) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ (٢٧)

أنكر تعالى على المشركين الذين عبدوا غيره من الأصنام، ويبتغون عندهم النصر، والرزق، فيما اعتقدوه، وأخبر أنه لا يحصل لهم ما سألوه، فقال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾، أي: ليس لهم من دونه ولي، ولا واق، ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، أي: بأن الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم، ثم قال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾، أي: من الذي إذا قطع الله رزقه عنكم رزقكم بعده؟ أي: لا أحد يعطي، ويمنع، ويخلق، ويرزق، إلا الله وحده، لا شريك له، أي: وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره، ولهذا قال: ﴿بَل لَّجُوا﴾، أي:

(1) سورة الإسراء، من الآية: 68 .

(2) سورة النحل، الآية: 79 .

استمرو في طغيانهم، وإفكهم، وضلالهم، ﴿فِ عْتَوْ وَنُفُورٍ﴾، أي: معاندة، واستكبار، ونفور على إدمارهم عن الحق، ثم قال: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ ۚ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وهذا مثل ضربه للمؤمن، والكافر، فالكافر مثله بما فيه كمثل من ﴿يَمْشِي مُكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ﴾، أي: منحنيا، لا مستويا على وجهه، أي لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب، بل تائه، حائر، ضال، أهذا أهدى، ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾، أي: منتصب القامة، ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم مُفَضَّىٰ به إلى الجنة، وأما الكافر، فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم، وفي الصحيحين: عن أنس قال: قيل يا رسول الله: كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: (الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم)⁽¹⁾، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾، أي: أنشأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾، أي: العقول، والإدراك، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، أي: ما أقل ما تستعملون هذه القوى: التي أنعم الله بها عليكم، في طاعته، وامتنال أوامره، وترك زواجره، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: خلقكم، ونشركم في أقطار الأرض، وأرجائها، مع اختلاف ألسنتكم، في لغاتكم، وألوانكم، وأشكالكم، وصوركم، ﴿وَالِيَهُ تُحْشَرُونَ﴾، أي: تجمعون بعد هذا التفرق، والشتات، فيجمعكم، كما فرقكم، ويعيدكم، كما بدأكم، ثم قال مخبرا عن الكفار، المنكرين للمعاد، المستبعبدين وقوعه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي: متى يقع هذا الذي تخبرنا من الاجتماع بعد التفرق؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن، واقع، لا محالة، فاحذروه، ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وإنما علي البلاغ، وقد أدبته إليكم، ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: لما قامت القيامة، وشاهدها الكفار، ورأوه زلفة، أي:

(1) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الفرقان، حديث رقم: (4482)، صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: يحشر الكافر على وجهه، حديث رقم: (2806)، واللفظ مختلف .

قريباً، لأن ما هو آت، فهو آت، ووقع ما كذبوا به، ساء لهم ذلك؛ لما يعلمون مآلهم هناك من الشر، أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم الموج من كل مكان، ﴿وَبَدَأْتُمْ سِنَاتٍ مَّا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (1)، ولهذا قال لهم، على وجه التقرير والتوبيخ: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾، أي: تستعجلون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٨) ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠)

يعني: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الجاحدين لنعمه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾، أي: من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾، وأبقانا، وآخر في أجلنا، ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، أي: خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من عذاب الله، إلا التوبة، والإنابة، والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب، والنكال، فسواء عذبنا الله، أو رحمنا، فلا مخلص لكم من نكاله، وعذابه الواقع بكم، ثم قال: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ﴾، أي: برب العالمين، ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، أي: في جميع أمورنا، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣) (2)، ولهذا قال: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي: منا، ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدارين، ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾، أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد، والسواعد الشداد، والغائر عكس النابع، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾، أي: نابع، سائح، جار على وجه الأرض، أي: لا يقدر على ذلك، إلا الله تعالى، فمن فضله، وكرمه، أن أنبع لكم المياه، وأجراها في سائر الأقطار، بحسب ما يحتاج إليه العباد، والله أعلم.

(1) سورة الجاثية، الآية: 33.

(2) سورة هود، الآية: 123.

تفسير سورة: ن [القلم]

"وهي مكية"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾

سبق الكلام على أول السور في أول سورة البقرة⁽¹⁾، وأن قوله: ﴿ ت ﴾ سبق كقوله: ﴿ ص ﴾، ﴿ ق ﴾، ونحو ذلك، أغنى عن إعادته، وقيل: المراد به حوت عظيم⁽²⁾، على تيار البحر المحيط، وهو حامل الأرضين السبع، كما قال ابن عباس -رضي الله عنه-، أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: وما أكتب، قال: القدر، فجرى بما كان من ذلك اليوم، إلى قيام الساعة، ثم خلق النون، فبسط الأرض على ظهره، فتحرك النون، فأثبتت بالجبال، فإنها لتفخر على الأرض، ثم قرأ: ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ رواه ابن جرير⁽³⁾، وابن أبي حاتم⁽⁴⁾، وقد ذكر البغوي⁽⁵⁾، وبعض المفسرين: أن على ظهر الحوت سمكة، سمكها السماوات والأرض، وعلى ظهرها ثور، له أربعون ألف قرون، وعلى منته الأرضون السبع، وما فيهن⁽⁶⁾، والله أعلم، والعجيب أن

(1) اللوحة (9/أ).

(2) ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهم، ينظر: جامع البيان: 435/1 .

(3) ينظر: المصدر نفسه 521/23 .

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، حديث رقم (18936)، 3364/10 .

(5) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المعروف: بابن الفراء، البغوي، الشافعي، فقيه، محدث، مفسر، من تصانيفه: معالم التنزيل في التفسير، ومصابيح السنة، والتهديب في فروع الفقه الشافعي، وغيرها، سمع من القاضي الحسين، وأبي الحسن الداودي، وغيرهم، وروى عنه محمد بن أسعد العطار، وأبو الفتوح: محمد بن محمد الطائي، وغيرهم، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: 75/7، تاج الدين: علي بن عبد الكافي السبكي، تح: د. محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط: الثانية (1413 م)، طبقات المفسرين للسيوطي: 8/1 .

(6) ينظر: معالم التنزيل: 168/8، قال في روايته: (صخرة سمكها): أما قوله: سمكة سمكها، لم أقف عليه، أبو محمد: الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة طية، سليمان مسلم الحرش، دار: طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة (1997 م).

بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث، الذي في الصحيحين: أن عبد الله بن سلام⁽¹⁾ بلغه مقدم رسول الله - ﷺ - المدينة، فأتاه فسأله عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه، أو أمه؟ فقال: "أخبرني بهن جبريل أنفا"، قال ابن سلام: فذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: "أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد، إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع⁽²⁾"، وعن ثوبان⁽³⁾: أن حبرا سأل رسول الله - ﷺ - مسائل، فكان منها: فما تحفتهم؟ يعني: أهل الجنة حين يدخلونها، قال: "زيادة كبد الحوت"، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: "ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها"، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: "من عين تسمى سلسبيلا" رواه مسلم⁽⁴⁾⁽⁵⁾، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿تَ لَوْحٌ مِّنْ نُورٍ﴾: من نور، كما روى ابن جرير مرسلا، أن رسول الله - ﷺ - قال: "﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لوح من نور، وقلم من نور، يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة"، وقيل: المراد بقوله ﴿تَ﴾: دواة، والقلم قلم، وبه قال الحسن⁽⁶⁾، وقتادة⁽⁷⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "إن الله خلق النون،

(1) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف، من ذرية يوسف النبي - ﷺ -، حليف الخزرج، كان من بني قينقاع، كان اسمه الحصين، فغيره النبي - ﷺ -، وهو الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، روى عنه أبو هريرة، وأنس بن مالك، وابناه يوسف، ومحمد، وغيرهم، أسلم أول ما قدم النبي - ﷺ - المدينة، ت (43 هـ)، ينظر: الإصابة: 4/118، سير أعلام النبلاء: 2/413 .

(2) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: كيف آخى الرسول - ﷺ - بين أصحابه، حديث رقم: (3723).

(3) هو: ثوبان بن جدد، مولى رسول الله - ﷺ -، صحابي مشهور، اشتره الرسول - ﷺ -، ثم أعتقه، فخدمه إلى أن مات، روى عن النبي - ﷺ -، وروى عنه شداد بن أوس، وجبير بن نفير، وغيرهم، ت (54 هـ)، ينظر: الإصابة: 1/413، أسد الغابة في معرفة الصحابة: 1/157، عز الدين بن الأثير، علي بن محمد الجزري، تح: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1996 م)، بلا: (ط) .

(4) صحيح مسلم، كتاب: الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل، والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما، حديث رقم (315).

(5) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، من أشهر علماء الحديث، سمع من: يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، سمع منه: الترمذي، وأبو عوانة ابن صاعده، وغيرهما، من مصنفاته: المسند الكبير، وتسمية شيوخ مالك وسفيان، وشعبة، وكتاب: أولاد الصحابة، ت (261 هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ: 2/588، شذرات الذهب: 3/270 .

(6) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري الأنصاري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، عالم فقيه ثقة، روى عن عثمان وعلي وغيرهم، وروى عنه حميد الطويل وقتادة وغيرهم، ت 110 هـ، ينظر تهذيب الأسماء واللغات 226/1، أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بلا: (ط)، تهذيب التهذيب 2/231 .

(7) ينظر: جامع البيان: 23/525 .

وهي الدواة، وخلق القلم فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ فقال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل معمول به، أو فجور، أو رزق مقسوم، أو حلال، أو حرام، ثم ألزم كل شيء من ذلك، شأنه دخوله في الدنيا، ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف؟ ثم جعل على العباد خزنة، وللكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق، وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة، يطلبون عمل ذلك اليوم، فنقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فيرجع الحفظة، فيجدونهم قد ماتوا" رواه ابن جرير⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَالْقَلَمِ﴾، الظاهر: أنه جنس القلم، الذي يكتب به، كقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾⁽²⁾، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾⁽³⁾، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمِ﴾⁽⁴⁾، فهو قسم منه تعالى، وتنبية لخلقه على ما أنعم به عليهم، من تعليم الكتابة، التي بها تتال العلوم، ولهذا قال: ﴿يَسْطُرُونَ﴾، قال ابن عباس، وغيره: أي: وما يكتبون، وقيل: وما يعملون، يعني: الملائكة، وما تكتب من عمل العباد، وقال آخرون: بل المراد: القلم، الذي أجراه الله بالقدر، حين كتب مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض، بخمسين ألف سنة، كما روى عبادة بن الصامت⁽³⁾ - رضي الله عنه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: القدر، ما كان، وما هو كائن إلى الأبد" رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي⁽⁴⁾، وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، أي: لست - والله الحمد - بمجنون، كما قد يقوله الجهلة، من قومك، المكذبون بما جئتهم من الهدى، والحق المبين، فنسبوك فيه إلى الجنون، وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، أي: بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل، الذي لا ينقطع، ولا يبديد، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم، ومعنى ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، كقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

(1) ينظر: جامع البيان: 84/22 .

(2) سورة العلق، الآيات: 3 - 5 .

(3) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى، والثانية، وبدرا، وأحدا، والمشاهد كلها مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان ممن جمع القرآن في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 624/3، أسد الغابة: 573/1 .

(4) مسند أحمد بن حنبل 317/5، حديث رقم: (22707)، السنن لأبي داود، باب: في القدر حديث رقم: (4702)، سنن الترمذي، باب: سورة ن، حديث رقم: (3319)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، غريب، وفيه عن ابن عباس.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ ﴿١﴾ (1)، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (2)، أي: غير مقطوع عنهم، وقال مجاهد: أي: غير محسوب (3)، وهو راجع إلى ذلك، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قال ابن عباس -رضي الله عنه-: " وإنك لعلی دین عظیم"، وقال قتادة: سئلت عائشة (4) - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن، كما قال سعد بن هشام (5)، سألت عائشة، فقلت أخبريني عن خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالت: أأنت، أو، أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. فقالت: خلقه القرآن . رواه مسلم (6)، وفي رواية ابن جرير: أما تقرأ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (7)، ولأبي داود، والنسائي، نحوه (8)، ومعنى هذا: أنه - عليه الصلاة والسلام - صار امتثال القرآن أمراً، ونهياً، سجية له، وخلقاً تطبعه، فمهما أمره القرآن، فعله، ومهما نهاه عنه، تركه، هذا مع ما جبله الله من الخلق العظيم، من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت في الصحيحين، عن أنس -رضي الله عنه- قال: خدمت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عشر سنين، فما قال لي قط، ولا قال لشيء فعلت: لم فعلت، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أحسن الناس

(1) سورة هود، الآية 108.

(2) سورة التين، الآية: 6.

(3) تفسير مجاهد: 569/2، مجاهد بن جبير المخزومي التابعي، تح: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتی، المنشورات العلمية بيروت، بلا: (ط).

(4) هي: عائشة بنت أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن فهر التيمي، أمها أم رومان، بنت عامر بن عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع، أو خمس سنين، تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي بنت ست، وقيل سبع سنوات ودخل بها، وهي بنت تسع، روت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعن أبيها، وعمر، وغيرهم، وروى عنها عمر، وابنه عبد الله وأبو هريرة، وغيرهم، ت: (58هـ)، ينظر: الإصابة: 16/8، الاستيعاب: 1881/4 .

(5) هو: سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني، روى عن أبيه، وعائشة، وابن عباس، وغيرهم، وروى عنه حميد بن هلال، وزرارة بن أوفى، والحسن البصري، وغيرهم، ثقة، قتل غازياً بأرض مكران (بضم الميم)، بلدة بالهند، ينظر: تهذيب التهذيب: 419/3 .

(6) صحيح مسلم، باب: جمع صلاة الليل، ومن نام عنه، أو مرض، حديث رقم (139).

(7) جامع البيان: 529/23 .

(8) السنن لأبي داود، باب: في الصلاة في الليل، حديث رقم: (1344)، المجتبى من السنن، سنن النسائي، باب: قيام الليل: 199/3، حديث رقم: (1601)، أحمد بن شعيب النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الثالثة (1986 م).

(أ/522) خلقاً، ولا مسست خزا، ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله -ﷺ-، ولا شممت مسكاً، ولا عطراً، كان أطيب من عرق رسول الله -ﷺ- (1)، وعن البراء (2) -ﷺ-: كان رسول الله -ﷺ- أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل، ولا بالقصير (3). والأحاديث في هذا كثيرة، وعن أبي هريرة -ﷺ- قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة" رواه مسلم (4)، وقوله ﴿فَسَبِّحْهُ وَبِصِّرْهُ﴾، أي: فستعلم يا محمد، ويعلم مخالفوك، ومكذبوك، يعني: يوم القيامة، من المفتون منك ومنهم؟ كقوله: ﴿سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْأَشْرِّ﴾ (٢٦) ﴿٥﴾، وكقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤) ﴿٦﴾، وقيل: أيكم المفتون، أي: المجنون وقيل: أي أولى بالشیطان، ومعنى المفتون: الذي قد افتتن عن الحق، وضل عنه، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِأَيْتِكُمُ الْمَفْتُونُ﴾؛ ليدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبِصِّرْهُ﴾، وتقديره: فستعلم، ويعلمون، أي: فستخبر، ويخبرون بأيكم المفتون، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، أي: هو تعالى يعلم أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي؟ ويعلم الحزب الضال عن الحق.

﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٨) ﴿٨﴾ وَذُورًا لِّوُدِّهِمْ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالْكَ اسْطِطِرُّ الْأَوْلِيَا ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ، عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾

(1) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق، والسخاء، وما يكره من البخل، حديث رقم: (5691)، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله -ﷺ- أحسن الناس خلقاً، حديث رقم: (2309).

(2) هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري، أبا عمارة، صحابي، جليل، استصغره النبي -ﷺ- يوم بدر، ولم يحضرها، وشهد أحداً، غزا مع النبي -ﷺ- أربع عشرة غزوة، وسافر معه ثمانية عشر سفراً، روى عن النبي -ﷺ-، وعن أبيه، وأبي بكر، وعمر، وغيرهم، وروى عنه أبو إسحاق، وغيره، ت: (72هـ)، ينظر: الإصابة: 278/1.

(3) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي -ﷺ-، حديث رقم: (3356)، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: في صفة النبي -ﷺ-، وأنه كان أحسن الناس وجهاً، حديث رقم: (2337) واللفظ مختلف.

(4) صحيح مسلم، كتاب: البر، والصلة، والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب، وغيرها، حديث رقم: (2599).

(5) سورة القمر، الآية: 26.

(6) سورة سبأ، الآية: 24.

أي: كما أنعمنا عليك، وأعطيناك الشرع المستقيم، والخلق العظيم، ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنه-: لو ترخص لهم فيرخصون⁽¹⁾، وقال مجاهد: ودُّوا لو تركن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحق⁽²⁾، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾، وذلك أن الكاذب؛ لضعفه، ومهانته، إنما يتقي بأيمانه الكاذبة، التي يجترئ بها على أسماء الله، واستعمالها في كل وقت في غير محلها، قال الحسن: أي: كل حلاف مكابر، ضعيف القلب، والمهين الضعيف⁽³⁾، وقوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ أي: كثير الغيبة، ﴿مَشَاءٍ بَنِيمٍ﴾، يعني: الذي يمشي بالنميمة بين الناس، يحرش بينهم، وينقل الحدث؛ لفساد ذات البين، وهي الحالقة، كما ثبت في الصحيحين: عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقبرين، فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما، فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر، فكان يمشي بالنميمة"، الحديث⁽⁴⁾، وعن حذيفة⁽⁵⁾ -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يدخل الجنة قتات"، رواه أحمد، وأكثر أهل الصحاح، والسنن⁽⁶⁾، والقتات: المنام، وعن أسماء بنت يزيد بن السكن⁽⁷⁾، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ألا أخبركم بخياركم؟"، قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: "الذين إذا رؤوا نكروا الله" ثم قال: "ألا أخبركم بشراركم؟"، المشاؤون

(1) جامع البيان: 533/23 .

(2) المصدر نفسه: 534/23 .

(3) ينظر: النكت والعيون: 63/6، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا: (ط)، جامع البيان: 534/23 .

(4) صحيح البخاري، كتاب: الوضوء، باب: ما جاء في غسل البول، حديث رقم: (215)، صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث رقم: (292)، واللفظ للبخاري .

(5) هو: حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، شهد أحدا، والخندق، وما بعدها، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وروى عنه جابر، وجندب، وغيرهم، استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها، حتى مات، سنة (36هـ)، ينظر: الإصابة: 44/2، تهذيب التهذيب: 193/2 .

(6) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يكره من النميمة، حديث رقم: (5709)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة، حديث رقم: (105)، مسند أحمد: 383/38، حديث رقم: (23247)، السنن لأبي داود، باب: في القتات، حديث رقم: (4873)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في المنام، حديث رقم: (2026)، سنن النسائي، باب: سورة القلم، حديث رقم: (11614) .

(7) هي: أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، تكنى أم سلمة، وهي بنت عمه معاذ بن جبل، قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم، بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرا، روت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وروى عنها شهر بن حوشب، وإسحاق بن راشد، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 498/6، أسد الغابة: 1313/1

بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العنت⁽¹⁾، رواه أحمد، وابن ماجه⁽¹⁾.

وقوله ﴿مَنَعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ﴾، أي: يمنع ما عليه، وما لديه من الخير، ﴿مُعْتَدٍ﴾، في تناول ما أحل الله بتجاوزه عن الحد المشروع، ﴿أَيْمٍ﴾، أي: تناول المحرمات، وقوله: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾، أما العتل فهو: الفظ الغليظ، الجموع، المنوع، وفي الصحيحين: عن حارثة بن وهب⁽²⁾ قال: قال رسول الله -ﷺ-: "ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله، لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عتل، جواظ، جعظري، مستكبر"⁽³⁾ قال أهل اللغة الجعظري: الفَظُّ الغَليظُ⁽⁴⁾، والجواظ: الجموع المنوع⁽⁵⁾، وعن عبد الرحمن بن غنم⁽⁶⁾ قال: سئل رسول الله -ﷺ- عن العتل الزنيم، قال: "الشديد الخلق، المصحح، الأكل، الشروب، الواجد للطعام، والشراب، الظلوم للناس، رحيب الجوف" رواه أحمد⁽⁷⁾، وعنه: قال رسول الله -ﷺ-: " لا يدخل الجنة الجواظ، الجعظري، والعتل، الزنيم"⁽⁸⁾، قال ابن عباس -رضي الله عنه-: كان رجل من قريش، له زممة، كزمنة الشاة⁽⁹⁾، ومعناه: أنه كان مشهورا بالسوء، كشهرة الشاة ذات

-
- (1) مسند أحمد: 459/6، حديث رقم: (27640)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، بشواهده، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف شهر بن حوشب، سنن ابن ماجه: باب: من لا يؤبه له، حديث رقم: (4119).
- (2) هو: حارثة بن وهب الخزاعي، صحابي، جليل، أمه أم كلثوم، بنت جرول الخزاعية، فهو أخو عبيد الله بن عمر لأمه، ينظر: الإصابة: 619/1، أسد الغابة: 288/1، تهذيب الكمال: 318/5، يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزني، تح: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى (1980 م).
- (3) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الكبير، حديث رقم: (5723)، صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم: (2853).
- (4) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، باب: جعظر، محمد بن محمد عبد الرزاق الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا: (ط)، لسان العرب، باب: جعظر .
- (5) تاج العروس من جواهر القاموس، باب: جيظ، لسان العرب، باب: جوظ .
- (6) هو: عبد الرحمن بن غنم بن كريب الأشعري، يعرف بصاحب معاذ، لملازمته له، مختلف في صحبته، فقيه، ثقة، بعثه عمر بن الخطاب، يفتقه الناس، توفي سنة (78هـ)، ينظر: الإصابة: 350/4، أسد الغابة: 211/2، تهذيب التهذيب: 225/6.
- (7) مسند أحمد: 227/4، حديث رقم: (18020)، قال شعيب الأرنؤوط، إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب واللفظ في المسند: (رحب)، من غير ياء .
- (8) مسند أحمد: 227/4، حديث رقم (18022)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب.
- (9) زمتان في الحلق تكونان علامة لها، والأصل في الماعز، ينظر: لسان العرب: مادة زم .

الزئمة، من بين أخواتها، وأما الزئمة في اللغة، فهو الدعي في القوم⁽¹⁾، قال حسان بن ثابت⁽²⁾ - رضي الله عنه - في ذم بعض كفار قريش:

وأنت زئيم نيط في آل هاشم * * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد⁽³⁾
وقال آخر⁽⁴⁾:

زئيم ليس يعرف من أبوه * * بغبي الأم نو حسب لئيم
وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: هو الدعي، الفاحش، اللئيم⁽⁵⁾، ويقال⁽⁶⁾: هو الأخنس
بن شريق⁽⁷⁾، وقيل⁽⁸⁾: هو الأسود بن عبد يغوث الزهري⁽⁹⁾، والأول الراجح، وقال ابن
جرير: هو الملحق بالقوم ليس منهم⁽¹⁰⁾، وقال عكرمة⁽¹¹⁾: هو ولد الزنا⁽¹²⁾، وقيل: هو
الذي يعرف بالشر⁽¹³⁾، وقوله: ﴿أَنَّكَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾، أي: لأن كان ذا مال، وبنين،
(522/ب)

(1) لسان العرب: مادة زئم، تاج العروس: مادة زئم .

(2) هو: حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فضل على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي - صلى الله عليه وسلم - في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 62/2

(3) ديوان حسان بن ثابت: 97/1، بلا: (تح، ط)، والبيت من بحر الطويل.

(4) لم أقف على قائله، والبيت من بحر الوافر.

(5) الدر المنثور: 248/8 .

(6) رواه عامر الشعبي، والسدي، وابن إسحاق، ينظر: النكت والعيون: 63/6، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي -: 231/18، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة، بلا: (تح، ط) .

(7) هو: أبي بن شريق بن عمرو بن ثقيف الثقفي، أبو ثعلبة، صحابي، جليل، لقب بالأخنس؛ لأنه رجع ببني زهرة من بدر، لما جاءهم الخبر، أن أبا سفيان نجا بالعرير، فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة، فسمي بذلك، ثم أسلم الأخنس، وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر، ينظر الإصابة: 38/1، أسد الغابة: 29/1 .

(8) رواية عن ابن عباس، 246/8 .

(9) هو: الأسود بن خلف بن عبد يغوث القرشي، الزهري، صحابي، جليل، أسلم يوم فتح مكة، وعبد يغوث هو خال الرسول - صلى الله عليه وسلم -، أخو أمية، أم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ولم يدرك المبعث، ينظر: الإصابة: 72/1، أسد الغابة: 52/1 .

(10) جامع البيان: 535/23 .

(11) هو: عكرمة البريري، أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس، أصله من البربر، مفسر، محدث، فقيه، ثقة، وقيل: كان يرى رأي الخوارج، توفي: سنة (104 هـ)، وقيل: (105 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 234/7 .

(12) النكت والعيون: 65/6 .

(13) قول سعيد بن جبير، جامع البيان 538/23 .

﴿ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالِ اسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴾، يعني هذا: مقابلة ما أنعم الله عليه من المال، والبنين، كَفَرَّ بآيات الله، وأَعْرَضَ عنها، وزعم أن هذا كذب، مأخوذ من أساطير الأولين، كقوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۖ ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۖ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ ﴿٢٥﴾ ﴾⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۖ ﴿٢٦﴾ ﴾⁽²⁾، وقال ههنا: ﴿ سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾، هو الأنف، أي: سيلحق به شيء، لا يفارقه أبدا، وقيل: يُسود وجهه بسمة أهل النار، ليكون له علما في الآخرة، يعرف به⁽³⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: أي: يقاتل يوم بدر، فيخطم بالسيف في القتال⁽⁴⁾، قال ابن جرير: لا يمتنع اجتماع الجميع عليه في الدارين، وهو متجه.

﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۖ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتُنُونَ ۖ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ۖ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۖ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۖ ﴿٢١﴾ أَنْ ائْتَدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَخِفُّونَ ۖ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۖ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرِينَ ۖ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۖ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۖ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْرَأَقَلُّ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۖ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۖ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا تَوَلَّيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۖ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَجُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۖ ﴿٣٣﴾ ﴾

هذا مثل ضربه الله لكفار قريش، فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم، فقابلوه بالتكذيب، والرد، والمحاربة، ولهذا قال: ﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾، وهي البستان المشتغل على أنواع الثمار، والفواكه، ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾، أي: حلفوا أيمانهم، لَيَجُنَّ ثمارها، إذا

(1) سورة المدثر، الآية: 11 - 25.

(2) سورة المدثر، الآية: 26.

(3) وهو قول عن أبي العالية، ومجاهد، تفسير القرطبي: 237/18 .

(4) جامع البيان: 541/23 .

أصبحوا، قبل أن يعلم الفقراء، والمساكين، ليوفروا ثمرها عليهم، لا يتصدقوا منه بشيء، ﴿وَلَا يَسْتَنْوْنَ﴾ أي: لم يقولوا: إن شاء الله، فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم الله في أيماهم، فقال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾، أي: أصابته آفة سماوية، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنه -: أي: كالليل الأسود⁽¹⁾، وقال السدي⁽²⁾⁽³⁾، وغيره: مثل الزرع، إذا حصد، فحرموا خير جنتهم⁽⁴⁾، ﴿فَنَادَوْا مُصْجِينَ﴾، أي: لما كان وقت الصبح، نادى بعضهم بعضاً؛ ليذهبوا إلى الجذاذ، ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾، أي: تريدون الصرام، قال مجاهد: كان حرثهم عنبا⁽⁵⁾، ﴿فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾، أي: يتاجون فيما بينهم، بحيث لا يسمع أحد كلامهم، ثم فسر الله - عالم السر والنجوى - ما كانوا يتاجون به، فقال: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾، أي: يقول بعضهم: لا تمكثوا اليوم فقيراً، يدخلها عليكم، ولا مسكيناً، قال تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْثٍ قَدِيرِينَ﴾، أي: قوة، وشدة، وحذر من المساكين، ﴿قَدِيرِينَ﴾ على صرم ثمرها، فيما يتصورون، ويرجون، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾، أي: فلما أشرفوا عليها، وقد استحالت من النضارة، والزهرة، وكثرة الثمار، إلى أن صارت سوداء مدلهمة، لا ينتفع بشيء منها، فتصوروا أنهم قد أخطأوا الطريق، ولهذا قالوا ﴿إِنَّا لَضَالُونَ﴾، أي: ضللنا الطريق، ليست هذه جنتنا، قاله ابن عباس⁽⁶⁾، ثم رجعوا عما كانوا فيه، وتيقنوا أنها هي، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، أي: بل هي هذه، ولكن نحن لا حظ لنا، ولا نصيب، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنه -، وغير واحد: أي: أعدلهم، وخيرهم⁽⁷⁾، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا أَنَّ سِجُونًا﴾، قال مجاهد، وغير واحد:

(1) الدر المنثور: 251/8 .

(2) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير، أبو محمد القرشي، مفسر، سكن الكوفة، من آثاره:

التفسير، روى عن أنس، وابن عباس، وغيرهما، وعنه: شعبة والثوري، وأبو بكر بن عياش، وغيرهما، ينظر: طبقات

المفسرين للداودي: 15/1، تهذيب التهذيب: 273/1 .

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 196/8 .

(4) ينظر: تفسير القرطبي: 239/18 .

(5) تفسير القرطبي: 240/18 .

(6) ينظر: الدر المنثور: 252/8 .

(7) جامع البيان: 550/23، النكت والعيون: 69/6 .

لولا تستثنون⁽¹⁾، وكان استثنائهم في ذلك الزمان تسبيحاً، قال ابن جرير: وهو قول القائل: إن شاء الله⁽²⁾، وقيل: هلا تسبحون الله، وتشكرونه على ما أعطاكم، وأنعم به عليكم، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُونَ ﴿٥٢﴾﴾، أي: يلوم بعضهم بعضاً، على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، من حق الجذاز، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالذنب، ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، أي: باغين، في منعنا حق المساكين، ثم رجعوا على أنفسهم، فقالوا: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، قيل: رغبوا في بدلها لهم في الدنيا، وقيل: احتسبوا ثوابها في الآخرة⁽³⁾، والله أعلم، ثم قيل: إن هؤلاء كانوا من أهل اليمن⁽⁴⁾⁽⁵⁾، من قرية يقال لها: "ضروان"⁽⁶⁾، على ستة أميال من صنعاء⁽⁷⁾، وقال سعيد بن جبير⁽⁸⁾: كانوا من الحبشة⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب، وكان أبوهم يسير فيها بسيرة حسنة، وكان ما يستغله منها، يرد فيها ما تحتاج إليه، ويدخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل،

(1) الدر المنثور: 253/8، تفسير القرطبي: 244/18 .

(2) جامع البيان: 550/23 .

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: 16/9، أبي السعود: محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا: (تح، ط)، تفسير البحر المحيط: 307/8، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت (2001 م)، بلا: (ط) .

(4) اليَمَن (بالتحريك): سميت اليمن؛ لتيامنهم إليها، وهي تقابل أرض البربر، وأرض الزنج، وبينهما عرض البحر، واليمن على ساحل بحر القلزم من الغرب، ينظر: معجم البلدان: 447/5، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت، بلا: (تح، ط)، عجائب البلدان، من خلال مخطوط خريدة العجائب، وفريدة الغرائب: 124/1، سراج الدين ابن الوردي، بلا: (تح، ط) .

(5) وهو قول سعيد بن جبير، ينظر جامع البيان: 545/23 .

(6) معجم البلدان للحموي: 456/3 .

(7) صنعاء: وهي منسوبة إلى جودة الصنعة، وكان اسمها في القديم أزال، وهي مدينة متصلة بالعمارات، كثيرة الخيرات، معتدلة الهواء، والحر، والبرد، وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً، ينظر معجم البلدان للحموي: 425/3 .

(8) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، أبو محمد، من كبار التابعين، ثقة، إمام، فقيه، روى عن ابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، وغيرهم، وروى عنه ابنه، عبد الملك، وعبد الله، ويعلى بن حكيم، وغيرهم، توفي سنة: (95 هـ) على يد الحجاج، ينظر: تهذيب التهذيب: 11/4 .

(9) الحبشة: وهي تقابل بلاد الحجاز، وبينهم البحر، وأكثر أهلها نصارى، ينظر: عجائب البلدان: 112/1 .

(10) في الأصل: قيل: من الحبشة، أما قول سعيد: إنهم من أهل اليمن، ينظر: تفسير ابن كثير: 197/8، النكت والعيون: 67/6، جامع البيان: 545/23 .

فلما مات، وورثه بنوه، قالوا: لقد كان أبونا أحق، إذ كان يصرف من هذه شيئاً على الفقراء والمساكين، ولو أنا منعناهم، لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك، عوقبوا بنقض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية - رأس المال والريح والصدقة-، فلم يبق لهم شيء، قال الله تعالى ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾، أي: هكذا، عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله، ومنع حق المسلمين، والمستحقين، وبَدَّلَ نعمة الله كفرًا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، أي: هذه عقوبة الدنيا، كما سمعتم به، وعذاب الآخرة أشق، وعن علي بن أبي طالب⁽¹⁾ -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الجذاذ بالليل، والحصاد بالليل، رواه البيهقي⁽²⁾⁽³⁾.

﴿إِنَّ لِلْمُنْفِقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النِّعِيمِ﴾ ^(٣٤) **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** ^(٣٥) **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ^(٣٦) **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ** ^(٣٧) **إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ** ^(٣٨) **أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ** ^(٣٩) **سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ** ^(٤٠) **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ^(٤١)

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النعمة، حين عصوا الله، وخالفوا أمره، بين أن لمن اتقاه، وأقره، وأطاعه، في الآخرة جنات النعيم، التي لا تقسد، ولا تفرغ، ولا ينقض نعيمها، فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾، أي: أفساوي بين

(1) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي صحابي، جليل، وابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكنيته: أبو الحسن، صهر النبي -صلى الله عليه وسلم- على ابنته فاطمة، وهو أول خليفة من بني هاشم، وهو أول الناس إسلامًا، على قول كثير من أهل العلم، أسلم وعمره عشر سنين، هاجر إلى المدينة، بعد أن كلفه الرسول -صلى الله عليه وسلم- برد الأمانات إلى أهلها، وشهد بدرًا، وأحدًا، وجميع المشاهد مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، إلا تبوك، فإن النبي خلفه على أهله، ولما آخى الرسول بين أصحابه، قال: له أنت أخي، وكان من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر - رضي الله عنه-، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وروى عنه الحسن، والحسين، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم استشهد سنة: (40 هـ)، ينظر: أسد الغابة: 789/1، الإصابة: 564/4.

(2) هو: أحمد بن الحسين بن موسى البيهقي، الإمام، الحافظ، أبوبكر، له مصنفات عدة، منها: السنن الكبرى، ومعرفة السنن والآثار، والسنن الصغير وغيرها، فقيه، محدث، زاهد، روى عن: محمد بن الحسين العلوي، والحاكم البيهقي، وأبي عبد الرحمن السلمي، روى عنه ابنه إسماعيل، وزاهر بن طاهر، وعبد الرحمن بن محمد الخواري، توفي سنة (458 هـ)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: 814.

(3) سنن البيهقي الكبرى، باب: ما جاء في النهي عن الحصاد، والجداذ بالليل، حديث رقم: (7302)، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار البازار، مكة المكرمة (1994 م)، بلا: (ط).

هؤلاء، وهؤلاء في الجزاء، كلا، ورب الأرض، والسماء، ولهذا قال: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾، أي: كيف تظنون وتتوقعون ذلك؟ ثم قال: ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا خَيْرٌ ﴾، يعني: بأيديكم كتاب منزل من السماء، تدرسونه، وتحفظونه، وتتداولونه، بنقل الخلف عن السلف، فيتضمن حكما مؤكدا، كما تدعونه، ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا خَيْرٌ ﴾، يختارون ويشتهون، ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾، أي: معكم عهود منا، ومواثيق مؤكدة، إن لكم لما تحكمون، أي: أنه سنجعل لكم ما تريدون، وتشتهون، ﴿ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾، أي: قل لهم من المتضمن المتكفل بهذا؟ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾، أي: من الأصنام، والأنداد، ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾.

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٤٢) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقَهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ نَّعِيمٍ ﴾، بين متى ذلك كائن، وواقع، فقال: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾، يعني: يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال، والבלابل، والأمور العظام، كما في الصحيحين: عن أبي سعيد (1) قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "يوم يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء، وسمعة، فيذهب؛ ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا" (2) الحديث

(1) هو: سعد بن مالك بن سنان بن الأجر الخدري، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، صحابي، جليل، استصغره النبي -ﷺ- بأحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، وهو من أفقه أحداث الصحابة، وحفظ حديثا كثيرا، روى عن النبي -ﷺ-، وعن أبي بكر، وعمر، وغيرهم، وروى عنه ابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، توفي سنة: (74 هـ)، وقيل: (64 هـ)، وقيل، غير ذلك، ينظر: الإصابة: 78/3، أسد الغابة: 1186/1 .

(2) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة القلم، حديث رقم: (4635)، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة (1987 م)، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، باب: الدين النصيحة، حديث رقم: (458)، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (1996 م)، الجمع بين الصحيحين، البخاري، ومسلم، باب: المتفق عليه من مسند أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري -ﷺ- حديث رقم: (1754)، محمد بن فتوح الحميدي، تح: نز علي حسن البواب، دار ابن حزم، بيروت، ط: الثانية (2002م)، واللفظ للبخاري .

بطوله، وقال ابن مسعود⁽¹⁾ - رضي الله عنه -: يوم يكشف عن أمر عظيم، كقول الشاعر:

شالت الحرب عن ساق⁽²⁾

وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: هو يوم كرب، وشدة، وهي أول ساعة، وأشدّها، يوم القيامة، وهو الأمر الشديد، الفظيع، من هول ذلك اليوم، وعنه أيضا: حين يكشف الأمر، وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة، وكشف الأمر عنه، رواه كله ابن جرير⁽³⁾، وقوله، ﴿خَشَعَةَ أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، أي: يوم القيامة، بجرائمهم، وكبرهم، في الدنيا، عوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، فكما دعوا إلى السجود في الدنيا، فامتنعوا منه، مع صحتهم، وسلامتهم، كذلك عوقبوا في الآخرة بعدم قدرتهم عليه، إذا تجلى الرب، فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين، ولا المنافقين، أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا، كلما أراد أن يسجد، خر على قفاه، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون، ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾، أي: يغشاهم ذل الندامة، والحسرة، ثم قال تعالى: ﴿فَدَرَبْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، أي: فدعني، والمكذبيين بالقرآن، فأنا أعلم بهم، كيف أمدهم في غيهم؟ وهذا تهديد شديد، ولهذا قال:

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾، سيأخذهم بالعذاب من حيث لا يعلمون، بل يعتقدون أن ذلك من أمر الله، كرامة لهم، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِ سَاعٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁾، ولهذا قال ههنا: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، أي: وأخرهم، وأنظرهم، وأمد لهم، وذلك من كيدي، ومكري بهم، فإن كيدي عظيم، لمن خالف أمري، وكذب رسلي، وفي الصحيحين: عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " إن الله

(1) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن سعد بن هذيل الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي، جليل، أسلم قديما، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد بعدها، ولازم النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان صاحب نعليه، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة، وكان سادس من أسلم بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعن عمر، وسعد بن معاذ - رضي الله عنهما -، وروى عنه ابنه: عبد الرحمن، وأبو عبيدة، وغيرهم، توفي قبل قتل عمر - رضي الله عنه -، وقيل سنة: (32 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: الاستيعاب: 987/3، الإصابة: 233/4.

(2) لم أقف على قائله .

(3) جامع البيان: 554/23 .

(4) سورة المؤمنون، الآيتان: 55 - 56.

ليلمي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (1)(2)، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾، سبق تفسيره في سورة الطور (3)، والمعنى في ذلك: أنك يا محمد، تدعوهم إلى الله بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك من عند الله، وهم يكذبون ما جئت به، بمجرد الجهل، والكفر، والعناد.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ تَوَلَّىٰ أَنْ تَدْرِكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لِنَيْدِ الْبَعْرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْفَلُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يعني: فاصبر، يا محمد، على أذى قومك لك، وتكذيبهم، فإن الله لك عليهم، ويجعل العاقبة لك، ولأتباعك، في الدارين، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، يعني: ذا النون، وهو يونس بن متى - عليه السلام -، حين ذهب مغاضبا على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه البحر، والتقام الحوت له، وغوره به في البحار، وسماعه يسبح البحر بما فيه للعلي القدير، فحينئذ نادى في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (4)، قال الله سبحانه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (5)، وقال ههنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنه -، وغير واحد: أي: مغموم مكروب (6)، وقد سبق في الحديث: أنه لما قال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، خرجت الكلمة تحن حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت، ضعيف معروف، من بلاد غريبة، فقال الله: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا يونس، قالوا: يا رب، عبدك لا يزال يرفع له عمل صالح،

(1) سورة هود، الآية: 102.

(2) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة هود، حديث رقم: (4409)، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: (2583)، واللفظ للبخاري .

(3) سورة الطور، الآيتان: 38 - 39، اللوحة: 480/أ

(4) سورة الأنبياء، من الآية: 87.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 88.

(6) مجاهد، وعطاء، وأبو مالك، النكت والعيون: 73/6، جامع البيان: 563/23.

ودعوة مجابة، قال: نعم، قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء، ينجيه في البلاء؟ فأمر الحوت، فألقاه بالعراء⁽¹⁾، ﴿تَوَلَّى أَنْ تَدْرِكَهُ﴾، أي: أدركه، ﴿نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، أي: حين رحمه، وتاب عليه، ﴿لَنْ يَدَّ بِالْعَرَاءِ﴾، أي: لطرخ بالفضاء من بطن الحوت، ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾، أي: يلام بالذنب، ولهذا قال: ﴿فَأَجَبَهُ رَبُّهُ﴾ أي اصطفاه ربه، ﴿فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾، وقد قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: قال رسول الله -ﷺ-: "لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى"، رواه البخاري⁽²⁾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْزُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾، أي: لينفذونك، بمعنى: يحسدونك؛ لبغضهم إياك، ويعيونك بأبصارهم، لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم، وفي الآية دليل على أن إصابة العين، وتأثيرها، حق بأمر الله، كما وردت بذلك أحاديث، منها: عن بريدة بن الحصيب⁽⁴⁾ قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لا رُقِيَةَ، إلا من عين، أو حُمَةٍ"، رواه ابن ماجة مرفوعاً، وفي الصحيحين، والترمذي⁽⁵⁾، وعن حابس التميمي⁽⁶⁾: أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول: "لا

(1) جامع الأحاديث، حديث رقم: (35989)، جلال الدين السيوطي، بلا: (تح، ط)، تفسير ابن أبي حاتم: 3228/10، جامع البيان: 109/21، والحديث عن أنس بن مالك، واللفظ مختلف.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَكُ حَدِيثٌ مُوسَى﴾، حديث رقم: (3215)، واللفظ: (لا ينبغي لعبد) وفي رواية: (ما ينبغي لأحد).

(3) هو: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، إمام المحدثين، سمع من: أبي عاصم النبيل، ومكي بن إبراهيم، وعبيد الله بن موسى، وغيرهم، سمع منه أبو العباس السراج، وأبو بكر بن خزيمة، ومسلم بن الحجاج، وغيرهم، ت (256 هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ: 2/555، شذرات الذهب: 3/255.

(4) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن أمضى الأسلمي، أبو عبد الله، صحابي، جليل، غزا مع النبي -ﷺ- ست عشرة غزوة، شهد الحديبية، وباع بيعة الرضوان، تحت الشجرة، وغزا خراسان، زمن عثمان، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه ابنه: عبد الله، وسليمان، وعبد الله بن أوس الخزاعي، وغيرهم، توفي في خلافة يزيد بن معاوية، سنة: (63 هـ)، ينظر: الاستيعاب: 1/56، أسد الغابة: 1/110، تهذيب التهذيب: 1/378.

(5) السنن لابن ماجة، باب: ما رخص فيه من العين، حديث رقم: (3513)، صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: من اكتوى، أو كوى، غيره، وفضل من لم يكتوي، حديث رقم: (5378)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم: (220)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في الرخصة في ذلك، حديث رقم: (2057).

(6) هو: حابس بن ربيعة التميمي، وليس بوالد الأقرع بن حابس، روى عن النبي -ﷺ- حديثاً واحداً، رواه عنه ابنه حية، بتحتانية ثقيلة، ينظر: الاستيعاب: 1/83، الإصابة: 1/559، تهذيب التهذيب: 2/110.

شيء في الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل" رواه أحمد، والترمذي، وغيره⁽¹⁾، وعن ابن عباس -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "العين حق، ولو كان شيء سابق القدر، سبقته العين، وإذا استغسلتم، فاغسلوا"، رواه مسلم⁽²⁾، وعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعوذ الحسن⁽³⁾، والحسين⁽⁴⁾، يقول: "أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان، وهامة، ومن كل عين لامة"، ويقول: "هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق، وإسماعيل"، رواه البخاري⁽⁵⁾، وعن أبي سعيد قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتعوذ من عين الجان، وأعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان، أخذهما، وترك ما سوى ذلك، رواه النسائي، وابن ماجه، والترمذي، وحسنه⁽⁶⁾، وعن أبي سعيد: أن جبرائيل أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد، اشتكيت فقال: "نعم" قال: [بسم الله]، أرقيتك من كل شيء يؤذيك، من شر كل حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيتك، رواه مسلم⁽⁷⁾، وفي الصحيحين: عن عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمرها أن تسترقي من العين⁽⁸⁾، وعن جابر بن عبد الله: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أكثر من يموت من أمتي،

-
- (1) مسند أحمد بن حنبل: 70/5، حديث رقم: (20680)، واللفظ له، سنن الترمذي، باب: ما جاء أن العين حق، والغسل لها، حديث رقم (2061)، قال الألباني: ضعيف، لكن قوله: العين حق، صحيح، الأدب المفرد، باب: الفأل، حديث رقم: (914)، قال الألباني: صحيح لغيره، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: الثالثة (1989 م)، التاريخ الكبير، باب: حابس، حديث رقم: (364)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تح: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بلا: (ط).
- (2) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقي، حديث رقم: (2188).
- (3) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي، حفيد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، من ابنته فاطمة، يكنى: (أبو محمد)، صحابي، جليل، ولد في السنة الثالثة للهجرة، بايعه أهل العراق، بعد وفاة والده، وبايع أهل الشام معاوية، فتنازل بالخلافة لمعاوية، وبايعه، حقنا لدماء المسلمين، توفي سنة: (49هـ)، وقيل: سنة: (50هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر الإصابة 68/2، الاستيعاب: 113/1 .
- (4) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي، حفيد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، من ابنته فاطمة أبو عبد الله، صحابي، جليل، ولد سنة أربع للهجرة، وقيل: سنة خمس، كثير الصلاة، والصيام، والحج، قتل في خلافة يزيد بن معاوية، بكريلاء، يوم عاشوراء، سنة: (61هـ)، ينظر: الإصابة: 76/2، الاستيعاب: 116/1.
- (5) صحيح البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: "يزفون"، الصافات، النسلان في المشي، حديث رقم: (3191).
- (6) سنن النسائي، باب: الاستعاذة من عين الجان، حديث رقم: (5494)، السنن لابن ماجه، باب: العين، حديث رقم: (3511)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في الرقية بالمعوذتين، حديث رقم: (2058)، قال أبو عيسى: وفي الباب عن أنس: وهو حديث حسن، غريب، واللفظ مختلف.
- (7) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقي، حديث رقم: (2186).
- (8) صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: رقية العين، حديث رقم: (5406)، صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين، والنملة، والحمة، والنظرة، حديث رقم: (2195).

بعد كتاب الله، وقضائه، وقدره، بالأنفس" رواه الحافظ، البزار، وقال: يعني: العين⁽¹⁾، وقد روى الحافظ بن المنذر⁽²⁾، المعروف بشكر، في كتاب العجائب: عن جابر أيضا: أن رسول الله -ﷺ- قال: " العين حق، لتورد الرجل القبر، والجمل القدر، وإن أكثر هلاك أمتي بالعين"⁽³⁾، وفي رواية أخرى: " قد تدخل الرجل العين في القبر، وتدخل الجمل القدر"⁽⁴⁾ رجال إسناده ثقات، وعن علي-ﷺ-: أن جبرائيل أتى النبي -ﷺ-، فوافقه مغتما، فقال: يا محمد، ما هذا الغم، الذي أراه في وجهك؟ فقال: " الحسن، والحسين، أصابتها عين"، قال: صَدِّقْ بالعين فإن العين حق، أفلا عودتكما بهؤلاء الكلمات؟ قال: "وما هن يا جبريل؟" قال: قل " اللهم ذا السلطان العظيم، ذا المن القديم، ذا الوجه الكريم، وَلِيَّ الكلمات التامات، والدعوات المستجابات، عاف الحسن، والحسين، من أنفس الجن، وأعين الإنس، فقالها النبي -ﷺ-، فقاما يلعبان بين يديه، فقال النبي -ﷺ-، "عودوا أنفسكم، ونساءكم، وأولادكم بهذا التعويد، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله"، رواه الخطيب أبو بكر البغدادي⁽⁵⁾، وابن عساكر⁽⁶⁾⁽⁷⁾، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾، أي:

-
- (1) كشف الأستار عن زوائد البزار: 403/3، باب: ما جاء في العين، حديث رقم: (3052)، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بلا: (ط)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيحين، خلا الطالب بن حبيب بن عمرو، وهو ثقة، مجمع الزوائد: 183/5، حديث رقم: (8423).
- (2) هو: محمد بن المنذر بن سعيد الهروي، ولقبه شكر، أبو عبد الرحمن الحافظ، الثقة، الرجال، سمع من محمد بن رافع، وعلي بن خشرم، وغيرهم، وروى عنه أبو الوليد، حسان بن محمد، وأبو عمرو بن مطر، وغيرهم، جمع، وصنف، وتقدم في الحديث، توفي سنة: (303 هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ: 748/2 .
- (3) السلسلة الصحيحة، حديث رقم: (1249)، محمد بن ناصر الدين الألباني، بلا: (تح، ط) .
- (4) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء: 90/7 .
- (5) هو: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الحافظ، أبو بكر الخطيب البغدادي، محدث، مؤرخ، أصولي، من تصانيفه: تاريخ بغداد، والكفاية في معرفة علم الرواية، والفقهاء، والمتفقه، وغيرها، توفي سنة: (463 هـ)، ينظر: طبقات الشافعية: 240/1، الأعلام: 172/1، خير الدين محمود بن محمد بن علي الزركلي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر: (2002 م)، بلا: (تح) .
- (6) هو: علي بن الحسن بن هبة الله، الحافظ، الكبير، ثقة الدين، أبو القاسم، ابن عساكر، واشتهر بها، محدث، مؤرخ، ثقة، من تصانيفه: المشهورة التاريخ الكبير، وفضل أصحاب الحديث، وغيرها، سمع من أبي الحسن السلمي، ويحي بن بطريق، وغيرهم، ونشر علما كثيرا، توفي سنة: (571 هـ)، ينظر: طبقات الشافعية: 13/2، سير أعلام النبلاء: 405/21 .
- (7) تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلها، من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها، من واردتها، وأهلها، تأليف: أبوبكر أحمد بن محمد قاضي شهبه، تح: د. الحافظ عبدالحليم فان، عالم الكتب، بيروت، (1407هـ)=

يزدرونه بأعينهم، ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون: إنه لمجنون، أي: لمجيبه بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، قال ابن عباس -رضي الله عنه-: أي موعظة للمؤمنين⁽¹⁾، قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية⁽²⁾.

= بلا: (ط)، 461/24، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، تح: علي شيري، دار الفكر، للطباعة والنشر، بلا: (ط)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، فصل: في الرقى المحمودة، حديث رقم: (28546)، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، تح: بكري حياتي، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة (1981 م).

(1) معالم التنزيل: 202/8.

(2) الكشف والبيان، تفسير الثعلبي: 24/10، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى (2002 م)، معالم التنزيل: 203/2.

تفسير سورة: الحاقة

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرًا وَتَعِيبًا آذُنًا وَعِيبَةً ۝١٢ ﴾

الحاقة: من أسماء يوم القيامة؛ لأنه فيها يتحقق الوعد والوعيد، والقارعة أيضا من أسمائها، كما سيأتي في سورتها⁽¹⁾، ولهذا عظم تعالى أمرها، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾، ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين، بها فقال: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾، وهي الصيحة التي أسكنتهم، والزلزلة التي أسكنتهم، قاله قتادة، وهو اختيار ابن جرير⁽²⁾، وقال مجاهد، وغيره: الطاغية: الذنوب؛ لأنها الطغيان⁽³⁾، ولهذا قرأ ابن زيد⁽⁴⁾ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَانِهَا ﴾⁽⁵⁾، وقال السدي: الطاغية: عاقر الناقة⁽⁶⁾ ﴿ وَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾، أي باردة، ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾، أي: شديدة الهبوب، قال قتادة: عنت عليهم، حتى نقبت عن أفئدتهم⁽⁷⁾، وقيل: أي: عنت عليهم بغير رحمة، ولا بركة،

(1) ينظر: تفسير سورة القارعة: اللوحة (562/ب).

(2) ينظر: جامع البيان: 571/23 .

(3) ينظر: المصدر نفسه، وأما قوله: "لأنها الطغيان"، قاله الحسن، ينظر: النكت والعيون: 75/6 .

(4) هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم، المدني، صاحب عبادة، كثير الحديث، ضعيف، روى عن أبيه وابن المنكر، وصفوان بن سليم، وغيرهم، وروى عنه ابن وهب، والوليد بن مسلم، وابن عيينة، وغيرهم، توفي سنة:

(182هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 161/6 .

(5) سورة الشمس، الآية: 11 .

(6) ينظر: النكت والعيون، 75/6 .

(7) جامع البيان: 572/23 .

فخرجت بغير حساب⁽¹⁾، ﴿سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ﴾، سلطها عليهم، ﴿سَعَّ لَيَالٍ وَثَمَنِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، أي: كوامل متتابعات مشائيم عليهم، وهكذا، عن ابن مسعود، وابن عباس، وغيرهما⁽²⁾، قال الربيع⁽³⁾، وكان أولها الجمعة وقيل: الأربعاء⁽⁴⁾، ويقال: إنها التي تسميها الناس الأعجاز، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ﴾، وقيل: لأنها تكون في عجز الشتاء، ويقال: أيام العَجُوز؛ لأن عجوزا من قوم عاد، دخلت سربا، فقتلها الريح في اليوم الثامن، حكاة البغوي⁽⁵⁾، ﴿حَاوِيَةٍ﴾ أي: ساقطة، بالية، يعني: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض، فخر ميتا على أم رأسه، فينشدخ رأسه، وتبقى جثته، كأنها قائمة النخل، إذا خرجت بلا أغصان، وقد ثبت في الصحيح: " نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلَكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ"⁽⁶⁾، وعن ابن عمر⁽⁷⁾ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: " ما فتح الله على عاد من الريح، التي أهلكوا بها، إلا موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية، فحملتهم، ومواشيهم، وأموالهم، فحملتهم بين السماء، والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد، أي: الريح، وما فيها، قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية، ومواشيهم، على أهل الحاضرة"، رواه ابن أبي

(1) وهو قول عن الضحاك، وابن عباس، وعلي، ينظر: جامع البيان: 572/23 .

(2) أما قوله: متتابعات، فهو: لابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، والفراء، ومشائيم، فهو قول: عكرمة، والربيع، ينظر: النكت والعيون: 77/6 .

(3) هو: الربيع بن أنس البكري البصري، صدوق، ثقة، روى عن أنس بن مالك، وأبي العالية، والحسن البصري، وغيرهم، وعنه أبو جعفر الرازي، وسليمان التيمي، وابن المبارك، وغيرهم، ت: (139 هـ)، وقيل: (136 هـ) في خلافة أبي جعفر، ينظر: تهذيب التهذيب: 207/3، طبقات المفسرين: 16/1، أحمد بن محمد الأندروسي، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى: (1997م).

(4) وهو قول عن يحيى بن سلام، ينظر: النكت والعيون: 75/6 .

(5) ينظر معالم التنزيل 208/8 .

(6) صحيح البخاري، كتاب: الاستسقاء، باب: قول النبي - ﷺ -: " نصرت بالصبا"، حديث رقم: (988)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: في ريح الصبا، والدبور، حديث رقم: (900).

(7) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، العدوي، أمه زينب بنت مطعون الجمحية، صحابي، جليل، ولد بعد البعثة بثلاث سنين، كثير قيام الليل، والصيام، استصغره النبي - ﷺ - يوم بدر، وفي أحد، وأجازه في الخندق، وهو من المكثرين عن الرسول - ﷺ - بالرواية، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم، وروى عنه جابر، وابن عباس، وغيرهم، ت: (72 هـ)، وقيل: (73 هـ)، ينظر: الإصابة: 181/4.

حاتم⁽¹⁾، قال مجاهد: كان للريح جناحان، وذنوب⁽²⁾. ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، أي: هل تحس منهم من أحد، من بقاياهم، أو ممن ينتسب إليهم، بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً، ثم قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾، قُرِئَ بكسر القاف، أي: ومن عنده ممن في زمانه، من أتباعه، من كفار القبط⁽³⁾، وقرأ آخرون بالفتح، أي: ومن قبله من الأمم المتشبهين به⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾، وهم الأمم المكذبون بالرسول، ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾، أي: بالفعل الخاطئة، وهي الكذب بما أنزل الله، وقيل: أي: بالمعصية، والخطايا⁽⁵⁾، ولهذا قال: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾، والمراد به: الجنس، أي: كل كذب رسول الله إليهم، كما قال: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾⁽⁶⁾، ومن كذب برسول، فقد كذب الجميع، كما قال: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁷⁾، ﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁸⁾، ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁹⁾، وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد، ولهذا قال ههنا: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾، أي: عظيمة، شديدة، مهلكة، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَاطِعًا أَلْمَاءِ﴾، أي: زاد على الحد، بإذن الله، وارتفع على الوجود، وكثر، وذلك بسبب دعوة نوح -عليه السلام- على قومه، حين كذبه، وخالفوه، فعبدوا غير الله، فاستجاب الله له، وعم أهل الأرض بالطوفان، إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته، قال علي -عليه السلام-: "لم تنزل قطرة من ماء، إلا بكيلى على يدي ملك، فلما كان يوم نوح، فإنه أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على [الخزان]"⁽¹⁰⁾

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3369/10، حديث رقم: (18960)، واللفظ مختلف .

(2) الدر المنثور: 397/1، جامع البيان: 328/5 .

(3) قرأ أبو عمرو، والكسائي، وعاصم، في رواية أبان، ينظر: السبعة في القراءات: 648/1، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط: الثالثة .

(4) قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عمارة، وحمزة، وعاصم، في غير رواية أبان، المصدر نفسه .

(5) قوله: " الكذب بما أنزل الله"، قول ابن عباس، والثاني قول مجاهد، والحسن، ينظر: جامع البيان: 576/23 .

(6) سورة ص، الآية: 14 .

(7) سورة الشعراء، الآية: 105 .

(8) سورة الشعراء، الآية: 123 .

(9) سورة الشعراء، الآية: 141 .

(10) لعل الصواب [الجال]، جامع البيان 572/23 .

فذلك قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، ولم ينزل شيء من الريح، إلا بكيل على يدي ملك، إلا يوم عاد، فإنه أذن له دون الخزان، فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿بِريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، أي: عنت على الخزان، رواه ابن جرير⁽¹⁾، ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، أي: في السفينة الجارية على وجه الماء، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾، والضمير عائد إلى الجنس؛ لدلالة العين عليه، أي: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون، على تيار الماء في البحار، كما قال: ﴿لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾⁽²⁾، ولهذا قال: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾، أي: وتفهم هذه النعمة، وتذكر أذن واعية، أي: سامعة، حافظة، قال قتادة: أي: عقلت عن الله⁽³⁾، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله، وقال الضحاك⁽⁴⁾: سمعتها أذن، ووعت⁽⁵⁾، أي: أذن من له سمع صحيح، وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم، ووعى، قال مكحول⁽⁶⁾: لما نزلت: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾، قال رسول الله ﷺ: " سألت ربي أن يجعلها أذن علي"، فكان علي -رضي الله عنه- يقول: ما سمعت من رسول الله شيئاً قط، فنسيته، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وهو مرسل، ضعيف⁽⁷⁾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾⁽¹³⁾ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿14﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ

(1) جامع البيان: 572/23.

(2) سورة الزخرف، الآية: 13 .

(3) جامع البيان: 579/23.

(4) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، ويقال: أبو محمد الخرساني، مفسر، صاحب تفسير الضحاك، روى عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه جوير بن سعيد، والحسن، ويحيى البصري، وحكيم، بن الديلم، وغيرهم، ينظر: طبقات المفسرين للداودي: 10/1، تهذيب التهذيب: 397/4 .

(5) جامع البيان: 579/23 .

(6) هو: مكحول، مولى رسول الله ﷺ، قال ابن اسحاق: وهب النبي ﷺ - لأخته الشيماء، يعني: من الرضاة، غلاماً، يقال له: مكحول، وجارية، فزوجت الغلام الجارية، فلم يزل فيهم من نسلهم بقية، والله أعلم، ينظر: الإصابة: 206/6، السيرة النبوية لابن هشام: 128/5، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعافري، أبو محمد، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (1411)، بلا (ط) .

(7) جامع بيان: 579/23، تفسير ابن أبي حاتم: 3369/10، حديث رقم: (18961).

الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةً ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

أخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك: نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق، حين يصعق من في السماوات، ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين، والبعث، والنشور، وهي هذه النفخة، وقد أكدها ههنا بأنها واحدة، لأن أمر الله لا يخالف، ولا يمانع، ولا يحتاج إلى تكرار، ولا تأكيد، ولهذا قال: ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: فمدت مد الأديم، وتبدلت الأرض غير الأرض، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، أي: قامت القيامة، ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً﴾، أي: ضعيفة، قال علي: تتشق السماء من المجرة⁽¹⁾، قال ابن عباس: متخرقة، والعرش بحدائها⁽²⁾، ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾، أي: الملائكة على أطراف السماء، ونواحيها، وحافاتهما، والملك: اسم جنس، وقال الربيع: أي: على ما [امتد ولم تشق من السماء]⁽³⁾ ينظرون إلى أهل الأرض، وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةً﴾، أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش، العظيم، والعرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة؛ لفصل القضاء، والله أعلم، وفي الحديث عن العباس⁽⁴⁾ -رضي الله عنه-: في ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أوعال⁽⁵⁾، وعن عبد

(1) النكت: والعيون 81/6 .

(2) تفسير ابن أبي حاتم: 3370/10، حديث رقم : (18964).

(3) لعل الصواب: [على ما استدق منها]، ينظر النكت والعيون 81/6 .

(4) هو: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن مرة، صحابي، جليل، عم رسول الله -ﷺ-، يكنى أبا الفضل، وأمه ننتيلة بنت جناب بن كليب بن قاسط، أول عربية كست البيت الحرير، والديباج، وأصناف الكسوة، وكان العباس في الجاهلية رئيسا في قريش، وإليه كانت إمارة المسجد الحرام، والسقاية في الجاهلية، شهد مع الرسول -ﷺ- بيعة العقبة، وكان وقتها مشركا، وأسر يوم بدر، وفدى نفسه، وابني أخويه، وكان يريد الهجرة، ولكن الرسول -ﷺ- منعه من ذلك؛ ليكون آخر المهاجرين، وشهد فتح مكة، وحنين، وكان ذا رأي سديد، وعقل غزير، استسقى عمر بن الخطاب به عام الرمادة، فسقاهم الله، وأخصب الأرض، وقال عمر: هذا، والله الوسيلة إلى الله، والمكان منه، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه عبد الله بن الحارث، وعامر بن سعد، والأحنف، وغيرهم، توفي: سنة: (32هـ)، وصلى عليه عثمان، ينظر: أسد الغابة: 575/1، الإصابة: 631/3 .

(5) الكشف والبيان، تفسير الثعلبي: 29/10 .

الله بن عمرو⁽¹⁾ - رضي الله عنهما - قال: حملة العرش ثمانية، ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام، رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾، وعن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ -: " أنن لي أن أحدثكم عن ملك، من حملة العرش، بعد ما بين شحمة أذنه إلى عنقه سبعمائة عام"، رواه ابن أبي حاتم، ولأبي داود نحوه⁽³⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن، والشياطين، والملائكة، رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾، أي: تعرضون على عالم السر، والنجوى، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر، والسرائر، والضمائر، ولهذا قال: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وقال عمر بن الخطاب⁽⁵⁾ - رضي الله عنه -: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدا، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾"،

(1) هو: عبد الله بن عمرو بن وائل بن هاشم القرشي، السهمي، صحابي، جليل، يكنى أبا محمد، وقيل: (أبو عبدالرحمن)، أمه ربيعة بنت منبه بن الحجاج السهمي، وكان أصغر من أبيه بانتتني عشرة سنة، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلا، عالما، قرأ القرآن، واستأذن النبي - ﷺ - في أن يكتب عنه، فأذن له، حفظ عن النبي - ﷺ - ألف مثل، وكان كثير قراءة القرآن، كثير الصلاة، والصيام، شهد مع أبيه فتح الشام وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضا صفين، روى عن النبي - ﷺ -، وعن عمر وأبي الدرداء، وغيرهم، وروى عنه ابن عمر، وأبو أمامة، والمسور، وغيرهم، توفي سنة: (63هـ)، وقيل: (65هـ)، ينظر: أسد الغابة: 657/1، الإصابة: 192/4 .

(2) تفسير ابن أبي حاتم: 3370/10 حديث رقم: (18966).

(3) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3264/10، حديث رقم: (18422)،: 3370/10، حديث رقم: (18967)، سنن أبي داود باب: في الجهمية، والمعتزلة، حديث رقم: (4727)، واللفظ مختلف، قال الألباني: حديث صحيح .

(4) لم أقف عليه من رواية أبي حاتم، ولعله سهو من المؤلف، أو الناسخ، وفي الأصل: قال الضحاك عن ابن عباس، ينظر: تفسير ابن كثير: 212/8 .

(5) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي، العدوي، الخليفة الثاني، أمير المؤمنين، وأمه حننمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وكان عند المبعث شديدا على المسلمين، ثم أسلم، فكان إسلامه فتحا على المسلمين، وفرجا لهم من الضيق، وكان إسلامه في السنة السادسة، وهو تمام الأربعين من المسلمين يوم أسلم، وكان يلقب بالفاروق، هاجر جهرا، على خلاف باقي المهاجرين، شهد بدر، وأحدا، والخندق، وكل المشاهد، فتح في زمنه مصر، والعراق، والشام، والجزيرة، وديار بكر، وأرمينية، وأذربيجان، وبلاد فارس، وغيرها، روى عن النبي - ﷺ -، وعن أبي بكر، وأبي بن كعب، وروى عنه أولاده: عبد الله، وعاصم، وحفصة، وغيرهم، توفي سنة: (23هـ)، ينظر: أسد الغابة: 814/1، الإصابة: 588/4، تهذيب التهذيب: 385/7.

رواه ابن أبي الدنيا⁽¹⁾⁽²⁾، وعن أبي موسى⁽³⁾ قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان، فجدال، ومعاذير، وأما العرضة الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله"، رواه أحمد، وابن ماجه⁽⁴⁾.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَوْفَىٰ وَأَكْنِيهَ ۗ ﴾ (١٩) ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ ۗ ﴾ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿ ٢١ ﴾ فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ ﴿ ٢٢ ﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿ ٢٣ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿ ٢٤ ﴾

أخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿ هَٰؤُلَاءِ أَوْفَىٰ وَأَكْنِيهَ ﴾ أي: خذوا اقرءوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير، وحسنات محضة، قال ابن زيد: أي: هؤم اقرءوا، وأم زائدة، والظاهر: أنه يعني: هاكم، وقال أبو عثمان⁽⁵⁾: " المؤمن يعطي كتابه في ستر من الله، فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة، تغير لونه، حتى يمر بحسناته، فيقرأها فيرجع إليه

- (1) ينظر: مسند أمير المؤمنين، أبي حفص، عمر بن الخطاب -ﷺ-، وأقواله على أبواب العلم: 618/2، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي، الدمشقي، تح: عبد المعطي قلنجي، دار الوفاء المنصورة، ط: الأولى (1991م)، سلسلة الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة: 346/3، حديث رقم: (1201)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض ط: الأولى (1992م)، قال الألباني: موقوف.
- (2) هو: عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن سفيان بن قيس القرشي، الأموي، مولاهم أبو بكر بن أبي الدنيا البغدادي، الحافظ، صدوق، روى عن أبيه أحمد بن إبراهيم الموصللي، وأحمد إبراهيم الدورقي، وروى غيرهم، وعنه: ابن ماجه في التفسير، وإبراهيم بن الجنيد، وغيرهم، ت: (281هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 12/6 .
- (3) هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حرب بن الأشعري، أبو موسى الأشعري، صحابي، جليل، مشهور باسمه وكنيته معاً، وأمه ظبية بنت وهب، أسلمت، وماتت بالمدينة، هاجر إلى أرض الحبشة، وقيل: إنه لم يهاجر للحبشة، وكان عامل الرسول -ﷺ- على زبيد، وعدن، واستعمله عمر على البصرة، وكان حسن الصوت بالقرآن، روى عن النبي -ﷺ-، وعن الخلفاء الأربعة، وغيرهم، وروى عنه أولاده موسى، وإبراهيم، وأبو بردة، وأبو بكر، وامرأته أم عبد الله، ومن الصحابة، أبو سعيد، وأنس، وغيرهم، ينظر: أسد الغابة: 664/1، الإصابة: 211/4.
- (4) مسند أحمد: 414/4، حديث رقم: (19730)، سنن ابن ماجه، باب: ذكر البعث، حديث رقم: (4277)، م قال شعيب الأرئوط: ضعيف؛ لانقطاعه، واللفظ مختلف.
- (5) هو: عبد الرحمن بن مل - بفتح الميم، ويجوز ضمها وكسرهما، وبعدها لام ثقيلة - بن عمرو بن عدي النهدي، أبو عثمان، مشهور بكنيته، أسلم على عهد رسول الله -ﷺ-، وأدى إليه صدقات، ولم يره، وغزا في عهد عمر جلولا، والقادسية، وهو معدود في كبار التابعين، روى عن عمر، وابن مسعود، وغيرهم، وعنه: قتادة، وسليمان التيمي، وغيرهم، ت: (95هـ)، وقيل: (100هـ)، وقيل: بعدها، ينظر: أسد الغابة: 1213/1، الإصابة: 108/5 .

لونه، ثم ينظر، فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، فعند ذلك يقول: هاؤم اقرءوا كتابيه" رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وقد سبق في حديث النجوى الصحيح: أن رسول الله -ﷺ- قال: "يدني العبد يوم القيامة، فيقرره بذنوبه كلها، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر، والمنافق، فيقول الأَشهاد: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾⁽²⁾⁽³⁾ وقوله: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾، أي: قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن، لا محالة، كما قال: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾، أي: مرضية، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾، أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها، عن أبي أمامة⁽⁵⁾ قال: سألت رجل رسول الله -ﷺ-: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: " نعم، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا، [إلى أهل الدرجة السفلى]"⁽⁶⁾، فيحيونهم، ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى، أن يصعدوا إلى الأعلى، تقصر أعمالهم"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁷⁾، وقوله: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾، أي: قريبة التناول، يقطفها أحد، وهو مضطجع على سرير، وعن سلمان⁽⁸⁾ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: " لا يدخل الجنة أحد، إلا بجواز: بسم

(1) ينظر: تفسير ابن كثير: 214/8 .

(2) سورة هود، من الآية 18.

(3) صحيح البخاري، كتاب: المظالم، باب: قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾، حديث رقم: (2309)، صحيح مسلم، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، حديث رقم: (2768)، واللفظ مختلف .

(4) سورة البقرة، الآية: 46 .

(5) هو: صُدِّي - بالتصغير - بن عجلان بن الحارث الباهلي، أبو أمامة، مشهور بكنيته، صحابي، جليل، روى عن النبي -ﷺ-، وعن عمر، وعثمان، وغيرهم، وروى عنه أبو سلام الأسود، ومحمد بن زياد الألهاني، وشرحبيل بن مسلم، وغيرهم، ت: (86هـ)، وقيل: (81هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: أسد الغابة: 516/1، الإصابة: 420/3 .

(6) زيادة موجودة عند أبي حاتم، وفي الأصل ويقتضيها السياق .

(7) تفسير ابن أبي حاتم، حديث رقم: (18973)، 3371/10، قال الهيثمي: وفيه بشر بن نمير، وهو متروك، مجمع الزوائد: 496/10، حديث رقم: (8016).

(8) هو: سلمان الفارسي، أبو عبد الله، ويعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله -ﷺ-، وسئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام، أصله من فارس، وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن مودخشان بن مورسلان بن سهرك، ولد أب الملك، شهد الخندق، وما بعدها، وأخى الرسول بينه، وبين أبي الدرداء، وهو الذي أشار على الرسول -ﷺ- بحفر الخندق، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه ابن عباس، وأنس، وعقبة، وغيرهم، توفي سنة: (35هـ)، وقيل: (36هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: أسد الغابة: 462/1 .

الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان، ابن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية"، رواه الطبراني⁽¹⁾، وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، أي: يقال لهم ذلك؛ تفضلا عليهم، وامتنانا، وإحسانا، وإلا، فقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله -ﷺ- قال: " اعملوا، وسددوا، وقاربوا، واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة" قالوا: ولا أنت، يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"⁽²⁾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ﴾ (٢٥) ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ﴾ (٢٦) ﴿يَلَيَّتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٩) ﴿خَذُوهُ فَعُوهُ﴾ (٣٠) ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ (٣١) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣٤) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ﴾ (٣٦) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٧)

وهذا إخبار عن حال الأشقياء، إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ، يندم غاية الندم، ﴿فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ﴾، أي: بشمالي، لما يرى فيه من قبائح أعماله، ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ يَلَيَّتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾، قال الضحاك، وغيره: يعني: موتة لا حياة بعدها⁽³⁾، مع أنه لم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه⁽⁴⁾، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ أي لم يدفع عني مالي، ولا جاهي، عذاب الله، وبأسه، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾، أي: فات، وضل عني حجتي، بل خلص الأمر إليّ وحدي، فلا معين، ولا مجير، فعند ذلك يقول الله ﴿خَذُوهُ فَعُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾، أي: يأمر الزبانية أن تأخذه عنفا من المحشر، فتغله، أي: تضع الأغلال في عنقه، ثم تورده إلى جهنم، فيغمره فيها، قال عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: " إذا قال الله خذوه، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك

(1) المعجم الكبير: 272/6 ، حديث رقم: (6191)، ينظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، 928/2، حديث رقم: (1547)، قال المؤلف: هذا حديث لا يصح عن رسول الله -ﷺ-، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، (1403هـ).

(2) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: (6102)، صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، حديث رقم: (2816).

(3) قاله الضحاك، ينظر: النكت والعيون: 84/6 .

(4) قول قتادة، ينظر: النكت والعيون: 45/6 .

منهم ليقول هكذا، فيلقى سبعين ألفا في النار" رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وقال فضيل بن عياض⁽²⁾: " ابتدره سبعون ألف ملك، أيهم يجعل الغل في عنقه، ثم يدخلوه، فيغمروه في جهنم"⁽³⁾ قوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، قال كعب الأحبار⁽⁴⁾: كل حلقة منها كقدر حديد الدنيا، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾، أي: يسلك، وتدخل في إسته، ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها، كما ينظم الجراد في العود حين يشوى⁽⁵⁾ وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: " لو أن رضرضة⁽⁶⁾ مثل هذه، وأشار إلى جمجمة، أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمس مائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة، لسارت أربعين خريفا، الليل، والنهار، قبل أن تبلغ قعرها، أو أصلها"، رواه أحمد، والترمذي، وحسنه⁽⁷⁾، وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحِضُّ﴾، أي: لا يحث، ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته، وعبادته، ولا ينفع خلقه، ولا يؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه، ولا يشركوا به، وللعباد بعضهم على بعض من الإحسان، والمعاونة على البر والتقوى، وقوله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾، أي: قريب، يشفعه، ويحميه، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾، هو صديد أهل النار، مأخوذ من

(1) ينظر: تفسير ابن كثير: 216/8، هو عن المنهال بن عمرو.

(2) هو: فضيل بن عياض بن مسعود بشر التميمي الخراساني، رجل صالح، ثقة، متعبد، كثير الحديث، روى عن الأعمش، ومنصور، وعبيد الله بن عمر، وغيرهم، وروى عنه الثوري، وابن عيينة، وابن المبارك، وغيرهم، ت:

(187هـ)، وقيل: (186هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 264/8 .

(3) تفسير ابن كثير: 216/8، مختصر ابن كثير للصابوني: 93/8 .

(4) هو: كعب بن ماتع الحميري، يكنى أبا إسحاق، ويعرف بكعب الأحبار، أدرك عهد النبي -ﷺ-، ولم يره، والراجح أن إسلامه كان في زمن عمر، كان عالما بالتوراة، يحدث بها، روى عن النبي -ﷺ- مرسلا وعن عمر، وصهيب، وعائشة، وروى عنه ابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس، وغيرهم، توفي سنة: (32هـ)، وقيل: (34هـ)، ينظر: أسد الغابة: 938/1، الإصابة: 647/5 .

(5) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: 274/8 .

(6) الرضرضة: قطعة الحجارة، ينظر: لسان العرب، مادة ررض: 154/7 .

(7) مسند أحمد: 197/2، حديث رقم: (6856)، سنن الترمذي، الباب: السادس، حديث رقم: (2588)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، صحيح.

الغسل، كأنهم غسله جروحهم، وقروحهم، وهو شر طعام أهل النار، وقيل: هو شجر في جهنم، كأنه الزقوم⁽¹⁾.

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ۝ ٤٢ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ٤٣ ﴾

أقسم تعالى لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته، الدالة على كماله في أسمائه، وصفاته، وما غاب عنهم، مما لا يشاهدونه من المغيبات، أن القرآن كلامه، ووحيه، وتنزيله على عبده، ورسوله، الذي اصطفاه؛ لتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، فقال: ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾، يعني محمداً - ﷺ -، إضافة إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ من المرسل، ولهذا أضافه في سورة التكويد إلى الرسول الملكي، ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ ٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ ٢١ ﴾⁽²⁾، وهذا جبريل - عليه السلام -، ثم قال: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝ ٢٢ ﴾⁽³⁾ يعني: محمداً، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝ ٢٣ ﴾⁽⁴⁾، يعني: أن محمداً رأى جبريل على صورته، التي خلقه الله عليها، ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ ٢٤ ﴾⁽⁵⁾، أي: بمتهم، ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ ٢٥ ﴾⁽⁶⁾، وهكذا، قال ههنا: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾، المراد بالقليل: نفي إيمانهم أصلاً، وكذا، الحكم فيما بعده، ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾، فأضافه تارة إلى قول الرسول الملكي، وتارة إلى الرسول البشري؛ لأن كلا منهما مبلغ من الله ما استأمنه منه عليه، من وحي كلامه، ولهذا قال: ﴿ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "خرجت، أتعرض رسول الله - ﷺ -، قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، قال فقلت: هذا، والله شاعر، كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾، قال:

(1) هو جمع بين قول الضحاك وابن عباس، ينظر: الدر المنثور: 362/5 .

(2) سورة التكويد، الآيات: 19 - 21 .

(3) سورة التكويد، الآية: 22 .

(4) سورة التكويد، الآية: 23 .

(5) سورة التكويد، الآية: 24 .

(6) سورة التكويد، الآية: 25 .

فقلت: كاهن، قال: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ (٤٢) نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع⁽¹⁾، وهذا من جملة أسباب إسلامه.

﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُهُ لِّلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

يعني: لو كان محمدا، كما تزعمون مفتريا في الرسالة، أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قيل: معناه: لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: أي: لأخذنا بيمينه، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس -رضي الله عنه- وغيره: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي علق القلب به⁽²⁾، وقيل: هو القلب، ومراقه، وما يليه⁽³⁾، وقوله: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، أي: فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه، إذا أردنا به شيئا من ذلك، والمعنى في هذا بل هو صادق، بار، راشد؛ لأن الله تعالى مقرر له بما يبلغه عنه، مؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات، ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُهُ لِّلْمُنْفِقِينَ﴾، يعني: القرآن، كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ لَأَكْفُرْنَا بِهِ وَنَحْنُ عَلَىٰ غَيْرِ بَلٍّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤)⁽⁴⁾، كما قال ههنا: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾، أي: مع هذا البيان، والوضوح، سيوجد منكم من يكذب بالقرآن، ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي: وإن التكذيب لحسرة، وندامة على الكافرين يوم القيامة،

(1) مسند أحمد بن حنبل: 17/1، حديث رقم (107)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لانقطاعه، أسد الغابة: 815/1، الإصابة: 590/4، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: 145/1، تأليف: يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد، تح: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط: الأولى (2000م)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(2) وهو أيضا عن: سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 593/23.

(3) وهو قول عن: محمد بن كعب، ينظر: النكت والعيون: 87/6.

(4) سورة فصلت، الآية: 44.

قاله ابن جرير⁽¹⁾، ويحتمل عود الضمير إلى القرآن، أي: أن القرآن، والإيمان به، لحسرة في نفس الأمر على الكافرين، كما قال: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾⁽²⁾، ولهذا قال ههنا: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ﴾، أي: الخبر الصدق الحق، الذي لا مرية فيه، ولا شك، ثم قال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، أي: الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

(526/أ)

(1) جامع البيان: 594/23 .

(2) سورة الشعراء، الآيتان: 200، 201 .

تفسير سورة: سأل سائل [المعارج]

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ ۙ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۙ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۙ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۙ (٤) فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ۙ (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۙ (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۙ (٧)﴾

أي: طلب سائل العذاب، واستعجله، كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧) (1)، قيل: الباء بمعنى عن، أي: سأل عن عذاب واقع نازل، على من ينزل؟ (2) فقال تعالى، مبينا، مجيبا له: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: السائل هو النضر بن الحارث (3) (4)، وقال مجاهد: أي: دعا داع بعذاب واقع، يقع في الآخرة، وهو قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم (5)، وقوله: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدَّلَ اللَّهُ دِينَهُ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾ (٣) (6)، يعني: لا دافع له، إذا أراد الله كونه، ولهذا قال: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي: ذي الدرجات، يعني: العلو، والفواضل، والنعم، وقيل: معارج السماء،

(1) سورة الحج، الآية: 47 .

(2) وهو قول عن: الحسن، وقتادة، ينظر: معالم التنزيل: 216/8 .

(3) هو: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش، ووجهها، وشياطينها، له اطلاع على كتب الفرس، وغيرها، وهو ابن خال النبي -ﷺ-، أذى رسول الله -ﷺ-، أسر يوم بدر، ثم قتل، ينظر: نسب قريش: 82/1، تأليف: مصعب الزبيدي، بلا: (تح، ط)، الكامل في التاريخ: 594/1، تأليف: علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ)، بلا: (ط) .

(4) تفسير ابن أبي حاتم: 3373/10 .

(5) جامع البيان: 596/23 .

(6) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3373/10 .

وقوله: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، قال قتادة: أي: تصعد⁽¹⁾، وأما الروح، فقال أبو صالح⁽²⁾: هم خلق من خلق الله، يشبهون الناس، وليسوا أناساً، ويحتمل أن يكون المراد به: جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم⁽³⁾، فإنها إذا قبضت، يصعد بها إلى السماء، كما سبق في حديث البراء المشهور في قبض الروح الطيبة⁽⁴⁾، عند قوله: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

(1) جامع البيان: 168/20 .

(2) هو: عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني، مولاهم، أبو صالح المصري، كاتب الليث، اختلف في توثيقه، روى عن معاوية بن صالح الحضرمي، وموسى بن علي بن رياح، والليث بن سعد، وابن وهب، وغيرهم، وروى عنه شيخاه الليث/ وابن وهب/ وغيرهم، ت: (222هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 225 .

(3) النكت والعيون: 90/6 .

(4) حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، قال: خرجنا مع النبي -ﷺ- في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله -ﷺ-، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: " استعيزوا بالله من عذاب القبر" مرتين، أو ثلاثاً، ثم قال: إن العبد المؤمن، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت -ﷻ-، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج، تسيل، كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك، وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني: بها، على ملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه، التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله -ﷻ-: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله -ﷺ-، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به، وصدقت، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي، ومالي، قال: وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله، وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها، كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة، وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملائكة =

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١﴾، وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فيه أربعة أقوال :

﴿أحدها: أن المراد بذلك: مسافة ما بين العرش العظيم، إلى السافلين، وهي قرار الأرض السابعة، وكذلك، اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: "هي منتهى أمره، من أسفل الأرضين، إلى منتهى أمره من فوق السماوات، مقدار خمسين ألف سنة، ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾﴾ (2)، يعني بذلك: ينزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومنتهى الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقدار ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وقال غلظ كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمس مائة عام، فذلك سبعة آلاف عام، وبين السماء السابعة، وبين العرش، ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾"، رواه ابن أبي حاتم (3).

﴿والقول الثاني: المراد به: مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم، إلى قيام

= الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأفصح أسمائه، التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، فيقول الله -ﷻ: -: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ﴾، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه؟ لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة، ينظر: اللوحة (223/أ) من المخطوط، مسند أحمد: 287/4، حديث رقم: (18557) واللفظ لأحمد، وله شاهد في حديث أبي هريرة، سنن ابن ماجه، حديث رقم: (4262)، باب: ذكر الموت والاستعداد، سنن أبي داود، حديث رقم: (4753)، باب: المسألة في القبر، وعذاب القبر، قال الألباني: حديث صحيح.

(1) سورة إبراهيم، الآية: 27 .

(2) سورة السجدة، الآية: 5 .

(3) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3373/10، حديث رقم: (18987).

الساعة، كما قال مجاهد: " الدنيا عمرها خمسون [ألف]⁽¹⁾ سنة، يوم سماها الله تعالى، لا يدري أحدكم كم مضى؟ ولا كم بقي؟⁽²⁾.

✽ القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهذا غريب، وهو قول محمد بن كعب⁽³⁾⁽⁴⁾.

✽ والقول الرابع: والمراد بذلك: يوم القيامة، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة⁽⁵⁾، كما روى أبو سعيد، قال: قيل لرسول الله - ﷺ -: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم، فقال: رسول الله - ﷺ -: "والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة، يصلحها في الدنيا" رواه أحمد، وابن جرير⁽⁶⁾، وقيل: معناه: لو ولي محاسبة العباد ذلك اليوم غير الله، لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، وهذا أيضا عن ابن عباس - رضي الله عنهما -⁽⁷⁾، وقوله: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾، أي: اصبر يا محمد، على تكذيب قومك، واستعجالهم العذاب استعبادا، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾، أي: وقوع العذاب، وقيام الساعة، يراه الكفرة بعيد الوقوع، مستحيله ﴿وَنَزَلَهُ قَرِيبًا﴾، أي: المؤمنون، يعتقدونه قريبا، وإن كان له أمد، لا يعلمه إلا الله، لكن كل ما هو آت، فهو قريب آت.

(1) زيادة يستدعيها السياق، ولعلها سقطت سهوا .

(2) الدر المنثور 279/8 .

(3) هو قول غريب جدا، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 222/8، بحر العلوم (تفسير السمرقندي): 471/3، تأليف: نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تح: د. محمود مطرجي، بلا: (ط)، دار الفكر، بيروت .

(4) هو: محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله المدني، سكن الكوفة، ثم المدينة، ثقة، كثير الحديث، عالم بالقرآن، ورع، روى عن العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود وغيرهم، وروى عنه أخوه عثمان، وابن عجلان، ومحمد بن المنكدر، وغيرهم، سقط عليه سقف المسجد، فتوفي فيه، سنة: (108هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 373/9 .

(5) الكشف والبيان: 36/10 .

(6) مسند أحمد بن حنبل: 75/3، حديث رقم: (11735) قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ينظر: جامع البيان: 602/23، مشكاة المصابيح، باب: الحساب والقصاص، والميزان، حديث رقم: (5564)، قال: حديث ضعيف، تأليف: محمد عبد الله الخطيب التبريزي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط: الثالثة (1985م)، المكتب الإسلامي، بيروت.

(7) الدر المنثور: 538/6 .

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ ٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ ٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ ١٠ يَبْصُرُونَهُمْ ۝
يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَيْبِهِ ۝ ١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُهَا ۝ ١٣ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ ١٤ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ ۝ ١٥ نَزَاعَةَ اللَّشْوَىٰ ۝ ١٦ نَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝ ١٨﴾

يعني: العذاب واقع بالكافرين، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾، قال ابن عباس - رضي
الله عنهما - وغير واحد: أي: كزُرْدِي الزيت (1)(2)، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ ، أي:
كالصوف، قاله مجاهد، وغيره (3)، وقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، أي: قريب قريبه، عن
حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره، قال ابن عباس - رضي الله
عنهما -: يعرف بعضهم بعضا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك (4)،
كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ ٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ ٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ ٣٦﴾ (5)، وغيره من الآيات،
وقوله: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمِ﴾، أي: يتمنى المشرك ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَيْبِهِ وَصَاحِبَتِهِ﴾،
أي: زوجته، ﴿وَأَخِيهِ ۝ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُهَا﴾، أي: عشيرته وقبيلته التي يظل منهم،
وتضمنه، ويأوي إليها، ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، يعني: يود لو يفتدي بهم جميعا، ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾
﴿ذَلِكَ الْفِدَاءُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾، ﴿كَلَّا﴾، أي: لا يقبل منه فداء، ولو جاء بأهل الأرض
جميعا، وبأعز ما يجده من مال، ولو بملء الأرض ذهبا، أو من ولده، وأقاربه، فإنه لا
ينجيه من عذاب الله شيء، قال مالك (6): فصيلته، أي: أمه (7)، وقوله: ﴿إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ﴾،

(526/ب)

(1) ينظر: النكت والعيون: 92/6 .

(2) الزُرْدِي: ما بقي في أسفله، ينظر لسان العرب: مادة: درد .

(3) وهو قول عن: مجاهد، وقتادة، والحسن، ينظر: جامع البيان: 604/23 .

(4) ينظر: المصدر نفسه: 605/23 .

(5) سورة عبس، الآيات: 34 - 36 .

(6) هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله المدني، الفقيه، أحد أعلام الإسلام، إمام دار
الهجرة، كان ثقة، مأمونا، ثبتا، ورعا، فقيها، عالما، حجة، قال الشافعي: إذا جاء الأثر، فمالك النجم، وقال
البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع، عن ابن عمر، كان لا يروي إلا عن ثقة، قال: ما أفتيت حتى شهد لي
سبعون أني أهل لذلك، روى عن عامر بن عبيد الله بن الزبير، وزيد بن أسلم، والزهري وغيرهم، وروى عنه يحيى بن
سعيد الأنصاري، والزهري، والأوزاعي، وغيرهم، ينظر: تهذيب التهذيب: 5/10، طبقات الفقهاء: 67/1 .

(7) النكت والعيون: 92/6 .

يصف النار، وشدة حرها، لظى: اسم من أسماء جهنم⁽¹⁾، وقيل: هي الدرك الثانية؛ لأنها تتلظى، أي: تتلهب⁽²⁾، ﴿نَزَاعَةَ لَشَوَى﴾، أي: أطراف اليدين، والرجلين، وجلود الرأس، وسائر الجلود من اللحم، والعظم، وسائر أجزاء البدن، قال الحسن: تحرق كل شيء فيه، ويبقى فؤاده، ويصيح⁽³⁾، وقال ابن زيد: الشوى: الآراب العظام، أي: تقطع عظامهم، وتبدل جلودهم⁽⁴⁾، وقوله: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرُ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾، أي: تدعوا النار إليها من أدبر عن الإيمان، وتولى عن الحق وهم أهل النار، الذين كذبوا بقلوبهم، وتركوا العمل بجوارحهم، تدعوهم إليها يوم القيامة، بلسان طلق من بين أهل المحشر، ثم تلتقطهم، كما يلتقط الطير الحب، ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾، أي: جمع المال بعضه على بعض، فجعله في الوعاء، وأوكاه، ومنع حق الله منه، مما وجب عليه من النفقات، ومن إخراج الزكوات، وقد ورد في الصحيح: "فلا توعي فيوعي الله عليك"⁽⁵⁾، قال قتادة: يعني كان جموعا، منوعا⁽⁶⁾، وقال الحسن: يا ابن آدم، سمعت وعيد الله، ثم أوعيت الدنيا⁽⁷⁾.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنِنُوا ۝٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾

(1) ينظر: لسان العرب: باب لظى .

(2) ينظر: معالم التنزيل: 222/8 .

(3) جامع البيان: 609/23 .

(4) ينظر: المصدر نفسه: 609/23 .

(5) صحيح البخاري، كتاب: الهبة، وفضلها، باب: هبة المرأة لغير زوجها، وعنتها، إذا كان لها زوج، فهو جائز، إذا لم تكن سفيهة، فإذا كانت سفيهة، لم يجوز، حديث رقم: (2451)، صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء، حديث رقم: (1029).

(6) النكت والعيون: 94/6 .

(7) ينظر: المصدر نفسه: 94/6 .

أخبر تعالى عن الإنسان، وما هو مجبول عليه، من الأخلاق الدنية، بقوله: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾، ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾، أي: إذا أصابه الضر، فزع، وجزع، وانخلع قلبه، من شدة الرعب، وأيس أن يجعل له بعد ذلك خير، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ أي: إذا حصلت عنده نعمة من الله، بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "شر ما في الرجل شح هالع، وجبن خالع" رواه أحمد، وأبو داود⁽¹⁾، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾، أي: الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم، مذموم، إلا من عصمه الله، ووقفه، وهداه إلى الخير، ويسر له أسبابه، وهم المصلون، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، قيل: معناه: يحافظون على أوقاتها، وواجباتها، وهذا عن ابن مسعود⁽²⁾ -رضي الله عنه-، وقيل: المراد ههنا: السكون والخشوع⁽³⁾، لقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ^(٢)، ومنه: الماء الدائم، أي: الساكن الراكد، وقيل: المراد به: الذين إذا عملوا عملاً، داوموا عليه، وأثبتوه، كما في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أحب الأعمال إلى الله أدومها، وإن قل"⁽⁵⁾، وفي لفظ: "ما داوم عليه صاحبه"⁽⁶⁾ قالت: وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إذا عمل عملاً، داوم عليه⁽⁷⁾، وقال قتادة: ذكر لنا أن "دانيال"⁽⁸⁾ نعت أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يصلون صلاة، لو

(1) مسند أحمد بن حنبل: 320/2، حديث رقم: (8246)، سنن أبي داود، باب: في الجرأة، والجبن، حديث رقم: (2511)، قال الألباني: صحيح، وفي النص: [رجل] من دون (ال) المَعْرِفَة.

(2) النكت والعيون: 95/6 .

(3) وهو قول عن ابن وهب، ينظر: جامع البيان: 612/23 .

(4) سورة المؤمنون، الآيتان: 1، 2 .

(5) صحيح البخاري، كتاب: اللباس، باب: الجلوس على الحصير، ونحوه، حديث رقم: (5523)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وغيرها، باب: فضيلة العمل الدائم، من قيام الليل، وغيره، حديث رقم: (783)، واللفظ لمسلم.

(6) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله أدومه، حديث رقم: (43)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: أمر من نعت في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد، حتى يذهب عنه ذلك، حديث رقم: (785).

(7) صحيح مسلم، باب: فضيلة العمل الدائم، من قيام الليل، وغيره .

(8) هو: نبي من بني إسرائيل، بين موسى وعيسى -عليهما السلام-، سباه بختنصر مع العزيز، ثم نزل من بختنصر خير منزل، فجعله قاضياً، قبره بناحية السوس، وجده أبو موسى الأشعري، فأخرجه، وكفنه، وصلى عليه، ودفنه، ينظر: أعلام النبوة، تأليف: أبو الحسن: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، (1987م).

صلاها قوم نوح، ما غرقوا، أو قوم عاد، ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود، ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة، فإنها خلق للمؤمن حسن⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾، أي: نصيب مقرر لذوي الحاجات، كما سبق في سورة الذاريات⁽²⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ﴾، أي: يوقنون بالميعاد، والحساب، والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب، ويخاف العقاب، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون، وجلون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾، أي: لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره، إلا بأمان منه تعالى، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاحِهِمْ حَافِظُونَ﴾، أي: يكفونها عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله، ولهذا قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، أي: من الإماء، ﴿فَاتَّبَعْتَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمِنْ أُمَّتِكَ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، وقد سبق تفسيرها في أول سورة: "قد أفلح المؤمنون"⁽³⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، أي: إذا أوتمنوا، لم يخونوا، وإذا عاهدوا، لم يهدروا، وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين، كما ورد به الحديث في الصحيح: "آية المنافق ثلاث، إذا حدث، كذب، وإذا وعد، أخلف، وإذا ائتمن، خان"⁽⁴⁾، وفي رواية: "إذا حدث، كذب، وإذا عاهد، غدر، وإذا خاصم، فجر"⁽⁵⁾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾، أي: محافظون عليها، لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها، ولا يكتمونها، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَايُودِ الَّذِي أَوْثَمَنَ أَمْنَتَهُ. وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ رِبَءٌ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾⁽⁶⁾، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، أي: على مواقيتها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، فافتتح

(1) جامع البيان: 612/23 .

(2) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة: (477/أ).

(3) ينظر: المصدر نفسه: (320/أ).

(4) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، حديث رقم: (34)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب:

بيان خصال المنافق، حديث رقم: (58).

(5) المصدران السابقان نفسهما .

(6) سورة البقرة، الآية: 283 .

الكلام بذكر الصلاة، واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها، والتتويه بشرفها، كما سبق في سورة: "قد أفلح المؤمنون"، سواء⁽¹⁾، ولذلك، قال هناك: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽²⁾، وقال ههنا: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾، أي: مكرمون بأنواع الملاذ، والمسار، والمبار.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾⁽³⁶⁾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ⁽³⁷⁾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ⁽³⁸⁾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ⁽³⁹⁾ فَلَا أَسْمَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ⁽⁴⁰⁾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ⁽⁴¹⁾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ⁽⁴²⁾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبِ يُوفُوزُونَ⁽⁴³⁾ خَشَعَةَ أَبْصَارِهِمْ تَرَهُهُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ⁽⁴⁴⁾

أنكر تعالى على الكفار، الذين كانوا في زمن النبي -ﷺ-، وهم مشاهدون له، ولما أرسله الله به من الهدى، وأيده من المعجزات الباهرات، ثم هم مع هذا كله فارون منه، متفرقون عنه، شاردين يمينا، وشمالا، فرقا فرقا، وشيعا شيعا، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾⁽⁴⁹⁾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ⁽⁵⁰⁾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ⁽⁵¹⁾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً⁽⁵²⁾ ﴿3﴾، وهذه مثلها، فإنه قال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾، أي: ما لهؤلاء الكفار، الذين عندك، يا محمد، مسرعين، نافرين منك، كما قال الحسن: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، أي: منطلقين، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾، أي: متفرقين، واحدها عزة، وهو حال، أي: في حال تفرقهم، واختلافهم، كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: " فهم مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب"⁽⁴⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، أي: ينظرون⁽⁵⁾، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾، معرضين، يستهزئون به، يقولون: ما قال هذا

(1) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة: (320/أ).

(2) سورة المؤمنون، الآيتان: 10، 11 .

(3) سورة المدثر، الآيات: 49، 50، 51، 52 .

(4) ينظر: الرد على الزنادقة، والجهمية 1/6، تأليف: أحمد بن حنبل الشيباني، تح: محمد حسن راشد، المطبعة

السلفية، القاهرة (1339هـ)، بلا: (ط) .

(5) قول ابن عباس، جامع البيان: 619/23 .

الرجل؟⁽¹⁾، وعن جابر بن سمرة⁽²⁾: أن رسول الله -ﷺ- خرج عليهم، وهم حلق، فقال: "مالي أراكم عزين؟" رواه مسلم، وبعض أهل السنن⁽³⁾، وقوله: ﴿أَيْطَعُ كُلُّ أَمْرِي مَنَّهُمْ﴾، أي: أيطع هؤلاء، والحالة هذه، من نفارهم عن الحق، أن يدخلوا جنات النعيم؟ كلا، بل مأواهم نار الجحيم، ثم قال تعالى، مقررا لوقوع المعاد، والعذاب بهم، مستدلا عليهم بالبداء، التي الإعادة أهون منها، وهم معترفون بها، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾، أي: المني الضعيف، كما قال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾⁽⁵⁾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ⁽⁶⁾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ⁽⁷⁾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ⁽⁸⁾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ⁽⁹⁾ فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ⁽¹⁰⁾﴾⁽⁵⁾، ثم قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أي: الذي خلق السماوات والأرض، وجعل مشرقا، ومغربا، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها، وتغيب من مغاربها، يعني ليس الأمر كما تزعمون، أن لا معاد، ولا حساب، ولا بعث، ولا نشور، بل كل ذلك واقع، وكائن، لا محالة، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم؛ ليدل على أن المقسم عليه نفي، وهو مضمون الكلام، وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى، ما هو أبلغ من إقامة القيامة وهو خلق السماوات والأرض، وتسخير ما فيها من المخلوقات بأجناسها، وأنواعها، كما قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁶⁾، وغيره من الآيات، وقال ههنا: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ عَلَى

(1) قول الحسن، جامع البيان: 620/23 .

(2) هو: جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري، صحابي، جليل، حليف بني زهرة، وأمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد بن أبي وقاص، يكنى بأبي خالد، وقيل: أبو عبد الله، روى عن النبي -ﷺ-، وعن أبيه، وخاله سعد بن أبي وقاص، وعمر، وعلي، وغيرهم، وروى عنه سماك بن حرب، وتميم بن طرفة، وجعفر بن أبي ثور، وغيرهم، ينظر: أسد الغابة: 160/1، تهذيب التهذيب: 35/2 .

(3) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول، والترصص فيها، والأمر بالاجتماع، حديث رقم: (430)، مسند أحمد بن حنبل: 93/5، حديث رقم: (20904)، السنن لأبي داود، باب: في التلحق، حديث رقم: (4823)، السنن الكبرى للنسائي، باب: سورة المعارج، حديث رقم: (11622).

(4) سورة المرسلات، الآية: 20 .

(5) سورة الطارق، الآيات: 5-10 .

(6) سورة غافر، الآية: 57 .

أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴿٤﴾، أي: يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه، فإن قدرته صالحة لذلك، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، أي: بعاجزين، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ﴿٣﴾ بلى قدرين على أن نُسَوَّى بِنَانِهِ ﴿٤﴾ (1)، واختار ابن جرير: على أن نبدل خيرا منكم، أي: أمة تطيعنا، ولا تعصينا (2)، وجعلها كقوله: ﴿هَآأَنَتُمْ هَآؤَلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْعَنِي وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنَّ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ ﴿٣٨﴾ (3)، والأول أظهر؛ لدلالات الآيات الآخرة عليه، ثم قال تعالى: ﴿فَذَرَّهُمْ﴾، أي: دعهم يا محمد، ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾، في تكذيبهم، وكفرهم، وعنادهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي بُوعِدُونَ﴾، أي: فسيعلمون غيب ذلك، ويذوقون وبالاه، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: يقومون من القبور، إذا دعاهم الرب لموقف الحساب، ينهضون، ﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾، أي: إلى شيء منصوب، كعلم، وراية، يسعون إليها، وقراءة الجمهور: بفتح النون، وسكون الصاد، على أنه مصدر، بمعنى: منصوب، وقراءة الحسن: بضم النون، والصاد، وهو الضم (4)، أي: كأنهم في إسراعهم إلى الموقف، كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النُّصُبِ، إذا عاينوه، يوفضون، يبتدرون أيهم يستلمه أول، قاله مجاهد، وغير واحد (5)، وقوله: ﴿خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾، أي: خاضعة، ﴿تَرَهُّفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾، أي: تغشاهم، هو أن في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة، و﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، يعني: يوم القيامة.

(1) سورة القيامة، الآيتان: 3، 4 .

(2) جامع البيان: 622/23 .

(3) سورة محمد، الآية: 38 .

(4) قراءة الضم قرأ بها حفص، وابن عامر، أيضا، ينظر: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: 373/1،

تأليف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادى للتوزيع، ط: الرابعة (1992م)، بلا:

(تح)، شرح طيبة النشر في القراءات: 321/1، تأليف: شمس الدين، أبو الخير، ابن الجزري، محمد بن محمد

بن يوسف، تعليق الشيخ: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة (2000م)، بلا (تح) .

(5) وهو أيضا عن: الحسن، والضحاك، ويحيى بن أبي كثير، ينظر: جامع البيان: 625 .

تفسير سورة: نوح - عليه السلام

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

أخبر تعالى عن نوح - عليه السلام - أنه أرسله إلى قومه، أمرا له أن ينذرهم بأس الله، قبل حلوله بهم، فإن تابوا، وأنبأوا، رفع عنهم، ولهذا قال: ﴿أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾، أي: بين النذارة، ظاهر الأمر، واضحه، ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ﴾، أي: اتركوا محارمه، واجتنبوا مآثمه، ﴿وَأَطِيعُوا﴾، فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: إذا فعلتم ما أمركم به، وصدقتم ما أرسلت به إليكم، غفر الله لكم ذنوبكم، وقيل: (من) ههنا زائدة⁽¹⁾، ويقبل ذلك في الإثبات، كقول بعضهم: قد كان من مطر، وقيل: إنها بمعنى: عن، أي: يغفر لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير⁽²⁾، وقيل: إنها للتبويض⁽³⁾، أي: يغفر لكم الذنوب العظام، التي أوعدكم على ارتكابها الانتقام، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: يمد في أعماركم، ويدراً عنكم العذاب، الذي إن لم تتزجروا عما نهاكم عنه، أوقعه بكم، وفيه: أن الطاعة، والبر، والصلة، يزداد بها في العمر، كما ورد به الحديث: "صلة الرحم تزيد في العمر"⁽⁴⁾ وقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: بادروا إلى الطاعة،

(1) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: 299/18 .

(2) جامع البيان: 630/23 .

(3) قاله ابن عطية، ينظر: البحر المديد، تفسير ابن عجيبة: 213/8، تأليف: محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني،

الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية (2002م)، بلا: (تح) .

(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: 230/3 حديث رقم: (3442)، تأليف: أبو بكر أحمد الحسين البيهقي، تح: محمد

السعيد بسبوني زغول، دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى (1410هـ)، والألباني في السلسلة الصحيحة: 704/4.

قبل حلول النعمة، فإنه، إذا أمر تعالى أمرا، يكون ذلك، لا يرد، ولا يمانع، فإنه العظيم، الذي قد قهر كل شيء .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾

أخبر تعالى عن نبيه نوح -عليه السلام- أنه اشتكى إلى ربه ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة، التي هي ألف سنة، إلا خمسين عاما، وما بين لقومه، ووضح لهم، ودعاهم إلى سبيل الرشد، فقال ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾، أي: لم أترك دعاءهم، لا في ليل، ولا في نهار؛ امتثالا لأمرك، وانقيادا لطاعتك، ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴾، أي: كلما دعوتهم؛ ليقربوا من الحق، أعرضوا عنه، وفروا منه، ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾، أي: سدوا آذانهم بالأصابع؛ لئلا يستمعوا ما أَدعُوهم إليه، ﴿ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾، أي: غطوا رؤوسهم، وتكروا؛ لئلا يعرفهم، ولا يسمعو ما يقول، ﴿ وَأَصْرُوا ﴾، أي: استمروا على ما هم فيه من الشك، والكفر العظيم، ﴿ وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾، أي: استكبروا على اتباع الحق، والانقياد له؛ عنادا، وتمردا، ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾، أي: جهرة بين الناس، ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ ﴾، أي: كلما ظاهرا بصوت عال، ﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾، أي: فيما بيني وبينهم، فنوع عليهم الدعوة؛ لتكون أنجح فيهم، ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾، عما أنتم فيه، وتوبوا إليه من قريب، فإنه، من تاب إليه، تاب عليه، مِنْ أَيِّ كُفْرٍ وَذَنْبٍ، ولهذا قال: ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾، أي: متواصلة الأمطار، يتبع بعضها بعضا،

ولهذا، يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء؛ لأجل هذه الآية، وقد روي: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- صعد المنبر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار، وقرأ هذه الآية، وسائر آيات الاستغفار، ثم قال: طلبت الغيث بمجاديح السماء⁽¹⁾، التي يستنزل بها المطر⁽²⁾، وقوله: ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، أي: إذا أنبتكم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه، لأكثر الرزق عليكم، وسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأدرّ لكم الضرع، وأعطاكم الأموال، والأولاد، وقواكم بذلك، وجعل لكم جنات، فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية منها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، وعدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، فقال: ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْحَمُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، أي: مالكم لا تعظمون الله حق عظمته، ولا تخافون بأسه، ونقمته، قاله ابن عباس⁽³⁾ - رضي الله عنهما - ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، قيل: أي من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، قاله ابن عباس، وغير واحد⁽⁴⁾، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، أي: واحدة فوق واحدة، وهل هذا متلقًى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس، مما علم من التسيير والكسوفات؟ فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا، فأدناها القمر في سماء الدنيا، وهو يكسف ما فوقه، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة، وأما بقية الكواكب، وهي الثوابت، ففي فلك ثامن، يسمونه: فلك الثوابت، والمتشرعون منهم يقولون: هو الكرسي، والفلك التاسع، وهو الأطلس، والأثير عندهم: الذي حركته على خلاف حركات سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات، وهي من المغرب إلى المشرق، وسائر الأفلاك عكسه، من المشرق إلى المغرب، ومعها يدور سائر الكواكب تبعا، ولكن للسيارة حركة متعاكسة، بحركة أفلاكها، فإنها تسير من المغرب إلى

(1) مجاديح السماء: أنوارها، وواحدتها: مجداح، ينظر: لسان العرب، مادة: جدح .

(2) مسند أمير المؤمنين، أبي حفص: عمر بن الخطاب: 222/1، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام: 880/2، رواه البيهقي، بإسناد صحيح، لكنه مرسل، تأليف: أبو زكرياء: محي الدين، يحيى بن شرف النووي، تح: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، بيروت ط: الأولى.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير: 3375/10 .

(4) وهو أيضا عن: الحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 535/23 .

المشرق، فكل يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها، وإن كان حركة الجميع في السرعة متناسبة، هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام، على اختلاف منهم في مواضع كثيرة، لسنا بصدد بيانها، وإنما المقصود أنه سبحانه ﴿خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، أي: فاوت بينهما في الاستتارة، فجعل كل واحد منهما مثلاً على حدة؛ ليعرف الليل، والنهار، بمطلع الشمس، ومغيبها، وقدر للقمر منازل، وبروجا، وفاوت نوره، فتارة، يزداد حتى يتناهي، ثم يشرع في النقص، حتى يستتر؛ ليدل على مضي الشهور، والأعوام، كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (1)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، هذا اسم مصدر، والآيتان به ههنا أحسن، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾، أي: إذا متم، ثم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، أي: يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، أي: بسطها، ومدها، وقررها، وثبتها بالجبال الراسيات، والشم الشامخات، ﴿لِتَسْكُنُوا مِنْهَا سُبُلًا مُخْتَلِفًا﴾، أي: خلقها لكم؛ لتستقروا عليها، وتسلخوا فيها أين شئتم، من نواحيها، وأرجائها، وأقطارها، وكل هذا مما ينبئهم [به] (2) نوح -عليه السلام-، على قدرة الله، وعظمته في خلق السماوات والأرض، ونعمه عليهم، فيما جعل لهم من المنافع السماوية، والأرضية، فهو الخالق الرازق، خلق السماء بناء، والأرض مهادا، ووسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يُعْبَدَ، وَيُوحَدَ، وَلَا يُشْرَكَ بِهِ أَحَدٌ، لأنه لا نظير له، ولا ند، وهو العلي الكبير .

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَا لَزِدَهُ مَالًا، وَوَلَدَهُ إِذَا خَسَارًا ﴿٢٣﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرَأًا كُبَرَاءًا ﴿٢٤﴾﴾
 وَقَالُوا لَا نَنْدُرُكَ الْهَتَكُ وَلَا نَنْدُرَنَّ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾

(1) سورة يونس، الآية: 5 .

(2) زيادة يقتضيها السياق .

أخبر تعالى عن نبيه نوح - عليه السلام - أنه أنهى إليه، وهو العليم، الذي لا يخفى عليه شيء، إنه مع ما سبق من البيان، والدعوة المتنوعة، ترغيباً، وترهيباً، عصوه، وكذبوه، واتبعوا أبناء الدنيا، ممن غفل عن أمر الله، ومُتّع بأموال، وأولاد، استدراجاً، وإنظاراً، لا إكراماً، وإعزازاً، ولهذا قال: ﴿وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾، قرئ: "ولده بالضم، والفتح⁽¹⁾" وكلاهما متقارب، ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾، أي: عظيماً⁽²⁾، وقال ابن جرير: أي كبيراً⁽³⁾، والعرب تقول: أمر عجيب، وعجّاب، وعجّاب، وبالتخفيف، والتشديد، بمعنى واحد، ويعني: ﴿وَمَكْرُوا﴾، باتباعهم في تسويلهم أنهم على الحق، والهدى، كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾⁽⁴⁾، ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُمُ﴾، أي: لا تترك عبادتها، ﴿وَلَا نَذَرُنَّ وِدًّا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، هذه أسماء أصنامهم، التي كانوا يعبدونها من دون الله، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح، في العرب بعد، أما ود، فكانت لكلب، بدومة الجندل، وأما سواع، فكانت لهذيل، وأما يغووث، فكانت لمراد، ثم لبني غطيف، بالجوف، عند سبأ، وأما يعوق، فكانت لهمدان، وأما نسر، فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع⁽⁵⁾، أسماء رجال صالحين، من قوم نوح، فلما أهلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتتنسخ العلم، عبت"، رواه البخاري⁽⁶⁾، وعن غير واحد نحوه⁽⁷⁾، وقيل: كانوا قوماً صالحين،

(1) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: "وولده" (ساكنة اللام مضمومة الواو)، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، "وولده" بفتح اللام، ينظر: السبعة في القراءات: 652/1 .

(2) وهو قول مجاهد، ينظر: جامع البيان: 638/23 .

(3) ينظر: المصدر نفسه .

(4) سورة سبأ، من الآية: 33 .

(5) كان ود لبني كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكان منصوباً بدومة الجندل، وكان سواع لبني هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكان منصوباً بمكان يقال له رهاط: وكان يغووث لبني أنعم من طيء، وكان يعوق منصوباً بأرض همدان من اليمن، لبني خيوان، بطن من همدان، وكان نسر منصوباً بأرض حمير، لقبيلة يقال لهم: ذو الكلاع، ينظر: البداية والنهاية: 195/3 .

(6) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: ولا تذرن ودا، ولا سواعا، ولا يغووث، ويعوق، حديث رقم: (4636).

(7) عن: ابن جرير، وقاتدة، والضحاك، ومحمد بن قيس، ينظر: جامع البيان: 639/23 .

بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع، يقتدون بهم، فلما ماتوا، قال أتباعهم: لو صورناهم، لكان أشوق لنا إلى العبادة، إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون، دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، فيسقون المطر بها، فعبدوهم، رواه ابن جرير⁽¹⁾.

وابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك، وذكر ابن عساكر في التاريخ في ترجمة شيث⁽²⁾: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "ولد لآدم أربعون ولدا، عشرون غلاما، وعشرون جارية، وكان ممن عاش: قابيل، وهابيل، وصالح، وعبدالرحمن، الذي كان اسمه (عبد الحرث، وود)، وكان ود، يقال له: شيث، ويقال له: هبة الله، وكان إخوته قد سودوه، وولد سواع، ويغوث، ويعوق، ونسر"⁽³⁾ وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، يعني: الأصنام، التي اتخذوها، أضلوا بها خلقا كثيرا، فإنه استمر عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب، والعجم، وسائر صنوف بني آدم، وقال الخليل في دعائه: ﴿وَأَجْنَبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، دعاء منه على قومه؛ لتمردهم وكفرهم، وعنادهم، كما دعا موسى -عليه السلام- على فرعون، وملئه، في قوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدِّدْ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ﴾⁽⁵⁾، وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه.

﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾^(٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكُفْرِينَ دَيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾، وقرئ: مما خطاياهم⁽⁶⁾، ﴿أُغْرِقُوا﴾، أي: من

(1) ينظر: جامع البيان: 639/23 .

(2) هو: شيث بن آدم -عليه السلام-، برع بالحكمة وفقه في علم النجوم بما أخذه عن أبيه آدم، وهو الذي تولى الأمر بعد آدم، واختلف أهل العلم في نبوته، ولد بعد: (130) سنة من عمر أبيه، أي: بعد قتل هابيل، بخمس سنين، ومات، وله: (912) سنة، ينظر: الكامل في التاريخ: 43/1، أعلام النبوة للماوردي: 54/1 .

(3) ينظر: الدر المنثور: 55/3 .

(4) سورة إبراهيم، من الآيتين: 35، 36 .

(5) سورة يونس، من الآية: 88 .

(6) قرأ أبو عمرو وحده: "مما خطاياهم"، والباقون: "مما خطيئتهم"، ينظر: السبعة في القراءات: 653/1 .

كثرة ذنوبهم، وعتوهم، وإصرارهم على كفرهم، ﴿أَغْرِقُوا فَاَدْخُلُوا نَارًا﴾، أي: نقلوا من تيار البحار، سورة النار، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، أي: لم يكن لهم معين، ولا مغيث، ولا مجير، ينقذهم من عذاب الله، كقوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾⁽¹⁾، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، أي: لا تترك على وجه الأرض من الكافرين أحدا، يدب في الأرض، ولا ذا دار، فاستجاب الله دعاءه، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكفار، حتى ولد نوح لصلبه، الذي اعتزل من أبيه، وقال: ﴿سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾⁽²⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - "لو رحم الله من قوم نوح أحدا، لرحم امرأة، لما رأت الماء، حملت ولدها، ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء، صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها، وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها، رفعت ولدها بيدها، فلو رحم الله منهم أحدا، لرحم هذه المرأة"، رواه ابن أبي حاتم، حديث غريب⁽³⁾، ونجاهم الله أصحاب السفينة، الذين آمنوا مع نوح، وهم الذين أمر الله بحملهم معه، وقوله: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾، أي: إن أبقيت منهم أحدا، أضلوا عبادك، الذين تخلفهم بعدهم، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا﴾، أي: فاجرا في الأعمال، كافِر القلب، وذلك لخبرته بهم، ومكثه بين أظهرهم ألف سنة، إلا خمسين عاما، ثم قال: ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾، قال الضحاك: يعني: مسجدي⁽⁴⁾، ولا مانع من حملها على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله، وهو مؤمن، وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: "لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، يعم الأحياء

(529/أ)

(1) سورة هود، من الآية: 43 .

(2) سورة هود، من الآية: 43 .

(3) تفسير ابن أبي حاتم: 3376/10، حديث رقم: (18998)، روى نحوه الهيثمي وقال: فيه موسى بن يعقوب الزمعي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه ابن المديني وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد 367/8، حديث رقم: (13758).

(4) تفسير الضحاك: 900/2، جمع ودراسة وتحقيق د. محمد شكري، أحمد الزاويتي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط: الأولى: (1999م)، النكت والعيون: 106/6 .

(5) مسند أحمد: 38/3، حديث رقم: (11355)، سنن أبي داود، باب: من يأمر أن يجالس، حديث رقم: (4832)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في صحبة المؤمن، حديث رقم: (2395)، قال أبو عيسى: حديث غريب .

منهم، والأموات، ولهذا يستحب هذا في الدعاء، اقتداءً بنوح -عليه السلام-، وبما جاء في الأدعية المشروعة، وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾، إلا هلاكاً، كما قاله السدي⁽¹⁾، وقال مجاهد: أي: إلا خساراً في الدارين⁽²⁾.

(1) ينظر: تفسير السدي الكبير: 462، للإمام إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، جمع وإعداد: د. محمد عطا أحمد يوسف، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ط: الأولى: (1993م)، بلا: (تح)، النكت والعيون: 106/6.

(2) جامع البيان: 643/23 .

تفسير سورة: الجن

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ
وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ
شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

أمر تعالى رسوله أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فأمنوا به، وانقادوا له، فقال: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾، أي: بليغا، يُعجب منه؛ لبلاغته، ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، أي: إلى السداد، والصواب، بأقسامه، من الإيمان، والتوحيد، ﴿فَأَمَّنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، هذا شبيهه بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ﴾ (1)، وقد سبق بعض الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته (2)، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، أي: أمر ربنا، وفعله، وقدرته، ونعمته على خلقه، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - (3)، وقال قتادة: أي: تعالى جلاله، وعظمته، وأمره (4)، يقال: جد الرجل، أي: عظم، وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، أي: تعالى الله عن اتخاذ صاحبة، والولد، نَزَّةُ الْجِنِّ الرَّبِّ تَعَالَى، حين أسلموا، وآمنوا بالقرآن، عن اتخاذ صاحبة، والولد، ثم قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، قال: مجاهد، وغيره: يعني: إبليس (5)، والشطط: الجور (6)، وقال ابن زيد: ظلما

(1) سورة الأحقاف، من الآية: 29 .

(2) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة: (460 / أ).

(3) ينظر: جامع البيان: 648/23 .

(4) المصدر نفسه: 649/23 .

(5) وهو أيضا عن: قتادة، (وأبو بردة) بن أبي موسى الأشعري عن أبيه، عن النبي - ﷺ -، ينظر: النكت

والعيون: 110/6 .

(6) ينظر: لسان العرب، مادة: شطط.

كثيراً⁽¹⁾، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: "سفيها"، جنس كل من زعم أن الله صاحبة، أو ولدا، يعني: كان يقول قبل إسلامه على الله شططا، أي: باطلا وزورا، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أي: ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالون الكذب على الله، في نسبة صاحبة، والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن، [أو]⁽²⁾ آمنا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي إذا نزلوا واديا، أو مكانا موحشا من البراري، وغيرها، كما كانت عادة أهل الجاهلية، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم شيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير، وذمامه، فلما رأت الجن، أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم رهقا، أي: طغيانا وعُتُوًا، والرهق في كلام العرب: الإثم، وقيل: أي: خوفا، وذعرا⁽³⁾، حتى يبقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذاً بهم، وقال عكرمة: كان الجن يفرقون من الإنس، كما يفرق الإنس، منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديا، هرب الجن، فيقول سيدهم تعوذوا بأهل هذا الوادي، فقالت الجن: نراهم يفرقون منا، كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس، فأصابوهم بالخبل، والجنون⁽⁴⁾، قال ابن أبي السائب الأنصاري⁽⁵⁾: "خرجت مع أبي إلى المدينة، في حاجة، وذلك أول ما نُكِرَ رسول الله ﷺ - بمكة، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل، جاء ذئب، وأخذ حملا من الغنم، فوثب الراعي، فقال: يا عامر الوادي، نحن جارك، فنادى منادٍ: لا نراه، يقول: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشدد، حتى دخل في الغنم، لم تصبه كدما، فأنزل الله تعالى على رسوله هذه الآية" رواه ابن أبي حاتم⁽⁶⁾، قال أبو العالية⁽⁷⁾، وغير

(1) ينظر: جامع البيان: 654/23 .

(2) زيادة يستدعيها السياق .

(3) ينظر: لسان العرب، مادة: رهق .

(4) تفسير ابن أبي حاتم: 3377/10، حديث رقم: (19000).

(5) هو: كردم بن أبي السائب الأنصاري، وقيل: كردم بن أبي السنابل، اختلف في صحبته، قال البخاري، وابن السكن: له صحبة، وقال ابن حبان: يقال: له صحبة، ثم أعاده في التابعين، فقال يروي المراسيل، ينظر: الإصابة:

577/5، أسد الغابة: 930/1 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم: 3377/10 حديث رقم: (19002).

(7) هو: رُقَيْعُ بن مهران، بالتصغير، أبو العالية الريحاني، بالتحانية البصري، مشهور في التابعين، أدرك الجاهلية، =

واحد: ولعل هذا الذئب الذي أخذ الحمل كان جنياً، فعل ذلك حتى يهرب الإنسي، ويخاف منه، ثم رده؛ ليضله، ويهينه⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾، أي: يا معشر الكفار من الإنس، ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾، أي: بعد الموت للحشر⁽²⁾، وقيل: أي: بعد هذه المدة رسولا نبيا⁽³⁾.

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۝٩

فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحْدِلُهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۝١٠ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدٍ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١١

أخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا - ﷺ -، وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها، التي كانت تقعدها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئا من القرآن، فيلقوه على السنة الكهنة، فيلتبس الأمر، ويختلط، ولا يُدرى من الصادق، فكان هذا من لطف الله بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قالت الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۝٩ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحْدِلُهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۝١٠، أي: من يروم أن يسترقي السمع اليوم، يجد له شهابا مرصدا له، لا يتخطاه، ولا يتعداه، بل يمحقه، ويهلكه، ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدٍ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١١﴾، أي: خيرا، وسلامة، وهذا من أدبهم في العبارة، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله تعالى، وقد ورد في الصحيح: "والشر ليس إليك"⁽⁴⁾، وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، ولكن لم يكن بكثير، بل في الأحيان بعد الأحيان، كما في حديث العباس - رضي الله عنه -: "بينما نحن جلوس مع رسول الله - ﷺ - إذ رُمي بنجم استنار، فقال: "ما كنتم تقولون في هذا؟" فقلنا: كنا نقول: يولد عظيم،

= وأسلم بعد وفاة النبي - ﷺ -، بسنتين، ثقة من كبار التابعين، روى عن: علي، وابن مسعود، وأبي موسى، وغيرهم، روى عنه: خالد الحذاء، وداود بن أبي هند، والربيع بن أنس، وغيرهم، توفي سنة: (90 هـ)، وقيل: (93 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 246/3 .

(1) وهو أيضاً عن: عبيد بن عمير، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، ينظر: تفسير القرآن العظيم: 240/8 .

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 11/19 .

(3) وهو قول عن: ابن جرير، والكلبي، ينظر: جامع البيان: 657/23 .

(4) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل، وقيامه، حديث رقم: (771).

بِمَوْتِ عَظِيمٍ، فَقَالَ: " لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (1)، وَسَبَقَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ تَمَامَهُ (2)، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى تَطَلُّبِ السَّبَبِ، فَأَخَذُوا يَضْرِبُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ، وَمِغَارِبَهَا، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقْرَأُ بِأَصْحَابِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَعَرَفُوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي حَفِظَتْ مِنْ أَجَلِهِ السَّمَاءُ، فَأَمِنَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، وَتَمَرَّدَ فِي طَغْيَانِهِ مِنْ بَقِيَّةِ، كَمَا سَبَقَ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ (3)، عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (4)، وَلَا شَكَّ، أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ الْأَمْرُ، وَهُوَ كَثْرَةُ الشَّهْبِ فِي السَّمَاءِ، وَالرَّمِي [بِهَا] (5)، أَهَالُ [ذَلِكَ] (6) الْإِنْسِ، وَالْجِنِّ، وَانزَعَجُوا لَهُ، وَارْتَاعُوا لِذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لِحَرَابِ الْعَالَمِ، كَمَا قَالَ السُّدِّيُّ: لَمْ تَكُنِ السَّمَاءُ تَحْرُسُ، إِلَّا أَنَّ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ نَبِيٌّ، أَوْ دِينٌ لِلَّهِ ظَاهِرٌ، وَكَانَتْ الشَّيَاطِينُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ - قَدْ اتَّخَذَتْ الْمَقَاعِدَ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَسْتَمِعُونَ مَا يَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ مِنْ أَمْرٍ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا، رَجَمُوا لَيْلَةَ مِنَ اللَّيَالِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أَهْلُ الطَّائِفِ، فَقَالُوا: هَلَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ، لَمَّا يَرُونَ مِنْ شِدَّةِ النَّارِ فِي السَّمَاءِ، وَاخْتِلَافِ الشَّهْبِ، فَجَعَلُوا يَعْتَقُونَ أَرْقَاءَهُمْ، وَيَسْبِيُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَمِيرٍ (7): وَيَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الطَّائِفِ (8)، أَمْسَكُوا عَنْ أَمْوَالِكُمْ، وَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَالِمِ النُّجُومِ، فَإِنَّ رَأْيَتِمُوهَا مُسْتَقَرَّةٌ فِي أَمْكَنتِهَا، فَلَمْ يَهْلِكْ أَهْلُ السَّمَاءِ، إِنَّمَا هَذَا مِنْ أَجْلِ ابْنِ كَبْشَةَ، يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ -، وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْهَا، فَقَدْ هَلَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ، فَانظُرُوا، فَارَوْهَا،

(1) مسند أحمد: 218/1، حديث رقم: (1882)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، خلق أفعال العباد، باب: ما كان النبي ﷺ - يستعيز بكلمات الله، لا بكلام غيره، واللفظ مختلف، وهو عن ابن عباس، حديث رقم: (469)، تأليف: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري الجعفي، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف: الرياض، بلا: (ط).

(2) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة: (400/أ).

(3) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة: (460/أ).

(4) سورة الأحقاف، الآية: 29 .

(5) ثابتة في الأصل، ولا يصح الكلام إلا بها، 241/8.

(6) ثابتة في الأصل، ولا يصح الكلام إلا بها، 241/8.

(7) هو: عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، صحابي، جليل، كان من وجهاء ثقيف، أسلم في الوفد الذي بعثته ثقيف للرسل ﷺ -، ينظر: أسد الغابة 722/1، الإصابة 252/5 .

(8) وهي في الإقليم الثاني، وعرضها إحدى وعشرون درجة، وهي مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط إلى مكة، وهي بلاد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، وهي ذات مزارع، ونخل، وفواكه، ينظر: معجم البلدان: 8/4.

فكفوا عن أموالهم، ففرغت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمر ربهم، فقال: انتوني من كل أرض بقبضة من تراب، أشمها، فأتوه، فشم، فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين، فقدموا مكة، فوجدوا نبي الله ﷺ - قائما، يصلي في المسجد الحرام، يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصا على القرآن، حتى كادت كلالهم تصيبه، ثم أسلموا، فأنزل الله أمره على نبيه ﷺ - (1).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِيَّاكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّنُذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَنْتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ آمِنِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

أخبر تعالى عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ ﴾، أي: غير ذلك، ﴿ كُنَّا طَرِيقَ قَدَا ﴾، أي: طرائق متعددة، مختلفة، وآراء متفرقة، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "أي: منا المؤمن، ومنا الكافر" (2) قال أبو معاوية (3): سمعت الأعمش (4) يقول: تروح علينا جني، فقلت: ما أحب الطعام

(1) ينظر: تفسير السدي الكبير: 464.

(2) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3377/10، حديث رقم: (19003).

(3) هو: محمد بن حازم التميمي السعدي الكوفي، أبو معاوية الضرير، عمي صغيرا، كان يرى الإرجاء، روى عن: عاصم الأحول، وأبي مالك الأشجعي، والأعمش، وغيرهم، وروى عنه ابن جريج، ويحيى القطان، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ت: (195هـ)؛ وقيل: (194هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 120/9، تذكرة الحفاظ: 115/1 .

(4) هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي الأعمش، تابعي مشهور، ولد بالكوفة، ثقة، ثبت، قارئ للقرآن، حافظ للحديث، عالم بالفرائض، وغيرها، روى عن: إبراهيم النخعي، وزيد بن وهب، وأبي وائل، وغيرهم، وروى عنه أبو إسحاق السبعي، وسليمان التيمي، وابن المبارك، وغيرهم، ت: (148هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 195/4، تذكرة الحفاظ: 116/1 .

إليكم؟ قال: الأرز، فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم، ترفع، ولم أر أحدا، فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم، فقلت: فما الراضة فيكم؟ قال: شرنا. رواه ابن النجاد⁽¹⁾ في أماليه، بإسناد جيد⁽²⁾، وذكر ابن عساكر عن عباس بن أحمد الدمشقي⁽³⁾ أنه قال: سمعت بعض الجن، وأنا في منزلي، بالليل ينشد:

قلوب براها الحب مني تعلقت * * * مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها * * * معلقة بالله دون الخلائق⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾، يُعْلِمُ أَنْ قُدْرَةَ اللَّهِ حَاكِمَةٌ عَلَيْنَا، وَأَنَا لَا نَعْجِزُهُ فِي الْأَرْضِ، وَلَوْ أَمَعْنَا فِي الْهَرَبِ، فَإِنَّهُ عَلَيْنَا قَادِرٌ، لَا يَعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنَّا، ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَأَمْنَا بِهِ﴾ يَفْتَخِرُونَ بِذَلِكَ، وَهُوَ مَفْخَرٌ لَهُمْ، وَشَرَفٌ رَفِيعٌ، وَصِفَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا﴾، قَالَ قِتَادَةٌ، وَغَيْرُهُ: أَيُّ: فَلَا يَخَافُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، أَوْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ غَيْرَ سَيِّئَاتِهِ⁽⁵⁾، ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾، أَيُّ: مِنَّا الْمُسْلِمُ، وَمِنَّا الْقَاسِطُ، وَهُوَ الْجَائِرُ عَنِ الْحَقِّ، النَّاكِبُ عَنْهُ، بِخِلَافِ الْمَقْسُطِ، فَإِنَّهُ الْعَادِلُ⁽⁶⁾، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، أَيُّ: طَلَبُوا لِأَنْفُسِهِمُ النِّجَاةَ، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(١٥)، أَيُّ: وَقُودًا يَسْعُرُ بِهِمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُّوْا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١٦) لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ، فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

(1) هو: أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن الحنبلي، المعروف بالنجاد، سمع: أبا داود، وابن أبي الدنيا، وهلال بن العلاء، وغيرهم، سمع منه: الدارقطني، والحاكم، وابن مندة، وغيرهم، وصنف كتابا كبيرا في الحديث، توفي سنة: (348 هـ)، ينظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: 70/1، المعين في طبقات المحدثين: 28/1، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، الأردن، ط: (الأولى): (1404هـ).

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: 22/1، البلدانيات: 176/1، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تح: حسام بن محمد القطان، دار العطاء، السعودية: (2001م)، بلا: (ط).

(3) هو: العباس بن أحمد الدمشقي، وروى عنه أبو القاسم منصور بن أحمد بن جعفر الحربي، وأبو الحسن أحمد بن محمد، وغيرهم، ينظر: تاريخ مدينة دمشق: 243/26.

(4) ينظر: المصدر نفسه 243/26.

(5) وهو أيضا عن: ابن عباس، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 660/23.

(6) ينظر: لسان العرب، مادة: قسط.

✽ أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، واستمروا عليها، لأسقيناهم ماءً كثيرا، والمراد به: سعة الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾⁽¹⁾، فيكون معنى ﴿لَنَفِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنخبرهم، كما قال زيد بن أسلم⁽²⁾: لنفتنهم، أي: لنبتليهم، من يستمر على الهداية، ممن يرتد إلى الغواية⁽³⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني بالاستقامة: الطاعة⁽⁴⁾، وقال مجاهد، وغير واحد: الإسلام، وطريقة الحق⁽⁵⁾، وقال قتادة: يعني: لو آمنوا كلهم، لأوسعنا عليهم من الدنيا⁽⁶⁾، وقال مقاتل⁽⁷⁾: نزلت في كفار قريش، حين منعوا القطر سبع سنين⁽⁸⁾.

✽ والقول الثاني: أن لو استقاموا على طريقة الضلالة، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾، أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا، كما قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾⁽⁹⁾، وهذا قول أبي

(1) سورة المائدة، من الآية: 66 .

(2) هو: زيد بن أسلم العدوي، أبو أسامة، ويقال: أبو عبد الله المدني، فقيه، عالم بتفسير القرآن، وله تفسير، يرويه عنه ابنه عبد الرحمن، روى عن أبيه، وابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه أولاده الثلاثة، أسامة وعبد الله، وعبد الرحمن، ومالك، وابن عجلان، وغيرهم، ت: (136هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 342/3، تنكرة الحفاظ: 99/1، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: زكريا عميرات، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: (1998م).

(3) وهو قول عن سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والحسن، ينظر: معالم التنزيل: 241/8 .

(4) جامع البيان: 662/23 .

(5) وهو أيضا عن ابن حميد، وسعيد بن جبير، ينظر: المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه: 662/23 .

(7) هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخرساني، أبو الحسن البلخي، متروك الحديث، وله تصانيف منها: التفسير الكبير، ونوادر التفسير، والرد على القدرية، وغيرها، روى عن الزهري، والضحاك، ومجاهد، وغيرهم، وروى عنه سعد بن الصلت، وإسماعيل بن عياش، ويحيى بن شبل، وغيرهم، ت: (150هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 249/10، الأعلام للزركلي: 281/7 .

(8) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 407/3، تأليف: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت: (2003م)، بلا: (ط) .

(9) سورة الأنعام، الآية: 44 .

مجلز بن حميد⁽¹⁾، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبخاري⁽²⁾، عن جماعة⁽³⁾، وله وجه، ويتأيد بقوله: ﴿لَتَفْنِيَهُمْ فِيهِ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، أي: عذابا شديدا، موجعا مؤلما، قاله ابن عباس، وغير واحد⁽⁴⁾، وقيل: مشقة لا راحة معها⁽⁵⁾، وعن ابن عباس أيضا: جبل في جهنم⁽⁶⁾، وقيل: بئر فيها⁽⁷⁾.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضَعُ نَارًا وَقُلْ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

أمر تعالى عباده أن يوحدوه في مجال عبادته، ولا يدعى معه أحد، ولا يشرك به، كما قال قتادة في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم⁽⁸⁾، وبيعهم⁽⁹⁾، أشركوا بالله، فأمر الله نبيه - ﷺ - أن يوحدوه وحده⁽¹⁰⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد، إلا المسجد الحرام، ومسجد إيليا ببيت المقدس⁽¹¹⁾، وقال الأعمش: قالت الجن: يا رسول الله، ائذن لنا، فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله هذه

(1) هو: لاحق بن حميد بن سعيد، ويقال: شعبة بن خالد بن كثير السدوسي، أبو مجلز، البصري، الأعمش، تابعي، ثقة، روى عن أبي موسى الأشعري، والحسن بن علي ومعاوية، وغيرهم، وروى عنه قتادة وأنس بن سيرين، وعاصم الأحول، وغيرهم، ت: (101هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 151/11 .

(2) ينظر: جامع البيان: 663/23 .

(3) الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كيسان، ينظر: معالم التنزيل: 241/8 .

(4) وهو قول عن الحسن، ومجاهد، ينظر جامع البيان: 664/23 .

(5) قاله: قتادة، ينظر: المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

(7) قاله: أبو سعيد، ينظر: النكت والعيون: 118/6 .

(8) جمع كنيسة، وهي معبد اليهود، ينظر: لسان العرب، مادة: كنس .

(9) جمع بيعة، والبيعة بالكسر: كنيسة النصارى، وقيل: كنيسة اليهود، ينظر: المصدر نفسه، مادة: بيع .

(10) ينظر: جامع البيان: 665/23 .

(11) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، 3378/10، حديث رقم: (19006).

الآية، أي: صلوا، لا تخالطوا الناس⁽¹⁾، وقال سعيد بن جبير: نزلت في أعضاء السجود، أي: هي لله، فلا تسجدوا بها لغيره⁽²⁾، كما في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال رسول الله - ﷺ -: "أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين"⁽³⁾، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما سمعوا - يعني الجن - النبي - ﷺ -، يتلو القرآن، كادوا يركبونه من الحرص عليه، ودنوا منه، فلم يعلم بهم، حتى أتاه الرسول، فجعل يُقرئُه: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾⁽⁴⁾، يستمعون القرآن، وعنه أيضا: أنهم لما رأوا محمدا - ﷺ - يصلي، وأصحابه يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، فعجبوا من طواعية أصحابه له، فقالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾⁽⁵⁾، أي: يركب بعضهم بعضا، وأصل اللبد: الجماعات بعضها فوق بعض، وتلبد الشعر: إذا تراكم⁽⁶⁾، قال قتادة: تلبدت الإنس، والجن، على هذا الأمر، ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره، ويمضيه، ويظهره على من ناواه، وهذا أيضا عن ابن عباس، وبعض أتباعه، واختاره ابن جرير، وهو الأظهر⁽⁷⁾، لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾: أي: قال لهم الرسول، لما آذوه، وخالفوه، وتظاهروا عليه؛ ليبطلوا ما جاء به من الحق، واجتمعوا على عداوته: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ وحده، لا شريك له، وأستجير به، وأتوكل عليه، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾، أي: أنا بشر مثلكم، وعبد من عباد الله، ليس لي من الأمر شيء، في هدايتكم، ولا في غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله، ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد، أي: لو عصيته،

(1) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3378/10، حديث رقم: (19007).

(2) ينظر: معالم التنزيل: 242/8 .

(3) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب: السجود على الأنف، حديث رقم: (779)، صحيح مسلم، كتاب:

الصلاة، باب: أعضاء السجود، والنهي عن كف الشعر، والثوب، وعقص الرأس في الصلاة، حديث رقم:

(490)، واللفظ مختلف.

(4) ينظر: جامع البيان: 666/23 .

(5) ينظر: المصدر نفسه: 667/23 .

(6) ينظر: لسان العرب، مادة: لبد .

(7) وهو أيضا عن: ابن زيد، وابن وهب، والحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ينظر: جامع البيان: 667/23 .

فإنه لا يقدر أحد على إنقاضي من عذابه، ولن أجد من دونه ملتجداً، أي: ملجأً، وملاذاً، ولا نصيراً، ولا ولياً، وقوله: ﴿إِلَّا بَلَّغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾، قال بعضهم: وهو مستثنى من قوله: (لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً)، ويحتمل أن يكون مستثنى من قوله: ﴿لَن يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾، أي: لن يجيرني، ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة، التي أوجب أداءها عليّ، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (1)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي: أنا أبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك، فله نار جهنم، جزاء على ذلك باقين فيها، لا خروج عنها أبداً، وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾، أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن، والإنس، ما يوعدون يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ يومئذ ﴿مَنْ أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾، يعني: هم، أو المؤمنون، الموحدون لله، أي: بل المشركون، لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عدداً من جنود الله تعالى.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

أمر تعالى رسوله -ﷺ- أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري، أقرب هو أم بعيد؟ فقال: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾، أي: ما أدري، ﴿أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾، أي: مدة طويلة، وقد كان -عليه الصلاة والسلام- يُسأل عن وقت الساعة، فلا يجيب عنها، ولما تَبَدَّى له جبريل في صورة أعرابيٍّ، وسأله عن الساعة، قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" (2)، وعن أبي سعيد -رضي الله عنه- عن

(1) سورة المائدة، الآية: 67 .

(2) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي -ﷺ- عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، حديث رقم: (50)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان، والإسلام، والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله - سبحانه وتعالى -، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، حديث رقم: (8).

النبي - ﷺ - قال: "يا بني آدم، إن كنتم تعقلون، فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده، إن ما توعدون، لآت"، رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وعن أبي ثعلبة الخشني⁽²⁾ قال: قال رسول الله - ﷺ -: "لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم"، تفرد به أبو داود⁽³⁾، وفي رواية أخرى، له عن سعد بن أبي وقاص⁽⁴⁾ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها، أن يؤخرهم نصف يوم" قيل: لسعدٍ كم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام⁽⁵⁾، وقوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾، هذا كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾⁽⁶⁾، أي: أنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه، إلا بما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾، وهذا يعم الرسول الملكي، والبشري، ثم قال: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، أي: يختصه بمزيد معقبات من الملائكة، يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، واختلفوا في مرجع الضمير الذي في ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾، فقيل: إنه عائد إلى النبي - ﷺ -⁽⁷⁾، قال ابن جرير: في هذه الآية أربعة حفظة من الملائكة، مع جبريل، ليعلم محمد - عليه الصلاة والسلام - ﴿أَن قَدْ

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 4/1390، حديث رقم: (7907)، سلسلة الأحاديث الضعيفة، وأثرها السيء في الأمة، حديث رقم: (4977)، قال الألباني: حديث ضعيف .

(2) هو: أبو ثعلبة الخشني، صحابي، مشهور، معروف بكنته، واختلف في اسمه اختلافا كثيرا، وكذا في اسم أبيه، فقيل: جُرْهُم (بضم الجيم والهاء)، وقيل: جُرْثَم، وقيل: غير ذلك، كان ممن بايع تحت الشجرة، ولم يقاتل في صفين مع أحد الفريقين، روى عن النبي - ﷺ -، وروى عنه سعيد بن المسيب، وأبو قلابة، ومكحول، وغيرهم، توفي في بداية خلافة معاوية، وقيل سنة: (75هـ)، ينظر: أسد الغابة: 1/1149، الإصابة: 7/58 .

(3) سنن أبي داود، باب: قيام الساعة، حديث رقم: (4349)، قال الألباني: حديث صحيح .

(4) هو: سعد بن مالك بن أهيب، ويقال: بن وهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق بن أبي وقاص، أحد العشرة سادات الصحابة، وآخرهم موتا، وهو أحد الستة، أهل الشورى، أول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد بدرًا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها، روى عن النبي - ﷺ -، وروى عنه عائشة، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، ت: (51هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: أسد الغابة: 1/438، الإصابة: 3/73 .

(5) سنن أبي داود، باب: قيام الساعة، حديث رقم: (4350)، قال الألباني: حديث صحيح .

(6) سورة البقرة، الآية: 255.

(7) وهو قول: ابن جرير، وابن عباس، وقتادة، وسعيد بن جببر، ينظر: جامع البيان: 23/673 .

أَبْلَغُوا رَسَلَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١﴾، وهكذا رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وقال قتادة: أي: ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها، ودفعت عنها، واختاره ابن جرير⁽²⁾، وقيل: غير ذلك، كما روى العوفي⁽³⁾ عن ابن عباس، قال: هي معقبات من الملائكة، يحفظون النبي من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل إليهم⁽⁴⁾ وذلك حين يقول ﴿لِيَعْلَمَ﴾ أهل الشرك ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسَلَتِ﴾ [ربهم]⁽⁵⁾، وكذا، مجاهد، فقال: ليعلم من كذب الرسل ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسَلَتِ﴾، والأول أقوى⁽⁶⁾، وقال البغوي: قرأ يعقوب⁽⁷⁾: ﴿لِيُعْلَمَ﴾ بالضم، أي: ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا⁽⁸⁾، ويحتمل أن يكون الضمير عائدا إلى الله -عز وجل-، وهو قول حكاة ابن الجوزي⁽⁹⁾، في زاد المسير⁽¹⁰⁾، ويكون المعنى في ذلك: أنه يحفظ رسله بملائكته؛ ليتمكنوا من أداء رسالته، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي الكريم، ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسَلَتِ رَبِّهِمْ﴾،

(1) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3378/10، حديث رقم: (1909)، جامع البيان: 673/23 .

(2) ينظر: جامع البيان: 673/23 .

(3) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي، أبو الحسن، كان يعد من شيعة الكوفة، وهو ضعيف الحديث، روى عن: أبي سعيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وغيرهم، وروى عنه ابنه، الحسن، وعمر، والأعمش، وغيرهم، ت: (111هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 200/7 .

(4) ينظر: جامع البيان: 672/23 .

(5) زيادة يقتضيها السياق، ثابتة في الأصل.

(6) ينظر: جامع البيان: 673/23 .

(7) هو: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، قارئ أهل المدينة، وقد أقام بها، ثقة مأمون، أخذ عنه القراءة الكسائي، وسليمان، وداود الهاشمي، والدوري، قرأ القرآن على شيبه بن ناصح، ثم على نافع، روى عن عبد الله بن دينار، والعلاء بن عبد الرحمن، وغيرهما، وروى عنه قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر، وغيرهما، ت: (180هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ: 184/1، البداية والنهاية: 604/13، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والقراءات، بدار هجر للطباعة، ط: (الأولى): (1997م).

(8) معالم التنزيل: 245/8 .

(9) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري، أبو الفرج، ابن الجوزي، اشتهر بالوعظ، وخبر كثيرا من العلوم، صاحب التصانيف المشهورة في التفسير، والحديث، والفقه، وغيرها، له زاد المسير، وجامع المسانيد، وغيرها، ت: (597هـ)، ينظر: البداية والنهاية: 706/16، طبقات المفسرين للسيوطي: 61/1 .

(10) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: 386/8، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، بلا: (تح).

ويكون ذلك كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبَتِهِ﴾ (1)، وكقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (11) (2)، إلى غير ذلك، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً، لا محالة، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَإِحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، أي: علم ما عند الرسل، فلم يخف عليه شيء، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، أي: أحصى ما خلق، وعرف عدده، لم يغرب عن علمه شيء، حتى مثاقيل الذر، والخردل، ونُصِبَ (عدداً) على الحال، أو المصدر، والله أعلم .

(1) سورة البقرة، من الآية: 143.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 11.

تفسير سورة: المزمل

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

عن جابر - رضي الله عنه - قال: اجتمعت قريش في دار الندوة، فقالوا: سموا هذا الرجل أسماء تصدوا الناس عنه، فقالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، فتفرق المشركون على ذلك، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم -، فترمل في ثيابه، وتدثر فيها⁽¹⁾، فأتاه جبريل، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﴿١﴾﴾ ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ ﴿١﴾﴾⁽²⁾، تفرد به الحافظ أبو بكر البزار⁽³⁾، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزَدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾

أمر تعالى رسوله أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل، وينهض إلى القيام لربه، كما قال: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾⁽⁴⁾، وكذلك، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ممتثلا بما أمره الله تعالى، من قيام الليل، وكان واجبا عليه وحده، كما قال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾⁽⁵⁾، وههنا بين له مقدار ما يقوم، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: يا أيها النائم⁽⁶⁾، وقال قتادة:

(1) هو: التلفف بالثوب، ينظر: لسان العرب، مادة: زمل .

(2) سورة المدثر، الآية: 1 .

(3) كشف الأستار عن زوائد البزار، كتاب التفسير، باب: ابتداء السور ببسم الله الرحمن الرحيم، 77/3، حديث رقم: (2276).

(4) سورة السجدة، الآية: 16 .

(5) سورة الإسراء، الآية: 79 .

(6) ينظر: تفسير ابن كثير: 249/8 .

المزمل في ثيابه⁽¹⁾، وكان متزماً بقطفية⁽²⁾⁽³⁾، وعن ابن عباس رضي الله عنهما:-
يا محمد، زُمَّتِ الْقُرْآنَ⁽⁴⁾، وقوله: ﴿نِصْفَهُ﴾، بدل من الليل، ﴿أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدَ
عَلَيْهِ﴾، أي: أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة، أو نقصان قليل، لا حرج عليك
في ذلك، وقوله: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم
القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ عليه الصلاة والسلام، قالت عائشة - رضي الله عنها:-
"كان يقرأ السورة، فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها"⁽⁵⁾، وفي البخاري: عن
أنس: أنه سئل عن قراءة رسول الله - ﷺ -، فقال: "كانت مدّاً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يَمُدُّ "ببسم الله" ويمد "بالرحمن" ويمد "بالرحيم"⁽⁶⁾، وعن أم سلمة⁽⁷⁾:
أنها سئلت عن قراءة رسول الله - ﷺ - فقالت: "كان يُقَطِّعُ قراءته، آيةً آيةً" رواه أحمد،
وأبو داود، والترمذي⁽⁸⁾، وقال - عليه الصلاة والسلام -: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ،
وارتق، ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"، رواه أحمد،
وأبو داود، والترمذي، والنسائي⁽⁹⁾، وعن ابن مسعود - رضي الله عنهما - أنه قال: "لا
تنتروه نثر الرمل، ولا تهذوه هذو الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن

(1) النكت والعيون: 125/6 .

(2) وهو قول إبراهيم النخعي، ينظر: النكت والعيون: 125/6 .

(3) القطفية: كساء له خمل، وهي: ثوب ينام به، ينظر: لسان العرب، مادة: قطف، ومادة: نوم .

(4) ينظر: الدر المنثور: 313/8، النكت والعيون: 125/6 .

(5) هذا الحديث عن أم المؤمنين حفصة، ولم أقف عليه عن عائشة، ينظر: صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها،
باب: جواز النافلة قائماً، وقاعداً، وفعل بعض الركعة قائماً، وبعضها قاعداً، حديث رقم: (733).

(6) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصلاة، باب: مد القراءة، حديث رقم: (4759).

(7) هي: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومية، أم المؤمنين، اسمها هند، وقيل: رملة، وأبوها
يلقب زاد الركب، كانت زوج ابن عمها، أبي سلمة بن عبد الأسد، أسلمت معه، وهاجرا إلى الحبشة، فمات عنها،
فتزوجها النبي - ﷺ -، وهي التي أشارت على النبي - ﷺ - يوم الحديبية، روت عن النبي - ﷺ -، وأبي سلمة، وفاطمة
الزهراء، وغيرهم، وروى عنها ابناها عمر، وزينب، وأخوها عامر، وغيرهم، ت: (59هـ)، وقيل: (61هـ)، وقيل: غير
ذلك، ينظر: الإصابة: 221/8، أسد الغابة: 1441/1 .

(8) مسند أحمد: 206/44، حديث رقم: (26583)، سنن أبي داود، كتاب: الحروف والقراءات، حديث رقم: (4001)، سنن
الترمذي، باب: ما جاء كيف كان قراءة النبي - ﷺ -، حديث رقم (2923)، ولفظ الترمذي مختلف، قال الترمذي حديث حسن
صحيح.

(9) مسند أحمد: 403/11، حديث رقم: (6799)، سنن أبي داود، باب: استحباب الترتيل في القراءة، حديث رقم: (1464)،
سنن الترمذي، كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله - ﷺ -، سنن النسائي الكبرى، باب: الترتيل، حديث رقم: (8056)،
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

هَمْ أَحَدِكُمْ آخَرَ السُّورَةَ"، رواه البغوي⁽¹⁾، وقوله: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، قال الحسن، وقتادة: أي: العمل به⁽²⁾، وقيل: ثقيلًا، وقت نزوله؛ لعظمته⁽³⁾، كما قال زيد بن ثابت⁽⁴⁾ - رضي الله عنه - "أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وفخذه على فخذي، فكادت تَرُضُّ فخذي"⁽⁵⁾، وعن عبد الله بن عمرو قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: يا رسول الله، هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أسمع صَلَاصِلَ، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي، إلا ظننت أن نفسي تغيظ"، يعني: كادت تزهق، تقرد به أحمد⁽⁶⁾، وعن عائشة: أن الحارث بن هشام⁽⁷⁾ سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف يأتيك الوحي؟ فقال: "أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً، يكلمني فأعي ما يقول"، قالت عائشة - رضي الله عنها -: "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً"، رواه البخاري⁽⁸⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "إن كان لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، وهو على راحلته، فتضربُ بِجِرَانِهَا"، رواه أحمد⁽⁹⁾،

(1) ينظر: معالم التنزيل: 251/8 .

(2) ينظر: النكت والعيون: 126/6 .

(3) وهو قول عائشة، وعروة بن الزبير، ينظر: المصدر نفسه.

(4) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، وقيل: أبو ثابت، صحابي، جليل، استصغره النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر، واختُلف في أحد، وشهد الخندق، وكانت معه راية بني النجار، يوم تبوك، كتب الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو من علماء الصحابة، وجمع القرآن في عهد أبي بكر، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه أبو هريرة، وأبو سعيد، وابن عمر، وغيرهم، ت: (42هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: الإصابة: 592/2، أسد الغابة: 393/1 .

(5) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: لا يستوي القاعدون من المؤمنين .. والمجاهدون في سبيل الله، واللفظ مختلف .

(6) مسند أحمد: 222/2، حديث رقم: (7071)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(7) هو: الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله القرشي، المخزومي، أخو أبي جهل، لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد، صحابي، جليل، شهد بدرا مع المشركين، فانهزم، فعيده حسان بن ثابت بأبيات، أسلم يوم الفتح، وخرج في زمن عمر بأهله إلى الشام، توفي في طاعون عمواس، سنة: (17هـ)، وقيل: استشهد في اليرموك، سنة: (15هـ)، ينظر: الإصابة: 605/1، أسد الغابة: 222/1 .

(8) صحيح البخاري، كتاب: بدئ الوحي، باب: كيف كان بدئ الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، حديث رقم: (2)، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: عرق النبي - صلى الله عليه وسلم - في البرد، وحين يأتيه الوحي، حديث رقم: (2333)، واللفظ للبخاري.

(9) مسند أحمد 118/6، حديث رقم: (24868)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا سند حسن.

والجِرَان: باطن العنق⁽¹⁾، واختار ابن جرير: أنه ثقيل من الوجهين معا⁽²⁾، كما قال ابن زيد: كما ثقل في الدنيا، ثقل يوم القيامة في الموازين⁽³⁾، وقوله ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾، قال ابن عباس: نشأ: قام بالحبشة، والليل كله ناشئة، وبه قال عمر، وابن الزبير⁽⁴⁾، وغير واحد⁽⁵⁾، وعن مجاهد: بعد العشاء⁽⁶⁾، قالوا: والمراد بناشئة الليل: أوقاته، وساعاته، وكل ساعة منه تسمى: ناشئة⁽⁷⁾، والمقصود: أن قيام الليل هي أشد مواطأة بين القلب، واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾، أي: أجمع للخاطر في أداء التلاوة، وتفهّمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغظ الأصوات، وأوقات المعاش، وقال أنس: أي: أصوب قراءة⁽⁸⁾، يعني: أبين قولاً (531/ب) بالقرآن، وأتم إخلاصاً، وأكثر بركة، وأبلغ ثواباً، ولهذا قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾، قالوا: أي: فراغاً طويلاً، ومتقلّباً⁽⁹⁾، وقال السدي: تطوعاً كثيراً⁽¹⁰⁾، وقال ابن زيد: إن لك في النهار فراغاً لحوائجك، فأفرغ لدينك الليل، وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة، ثم إن الله - تعالى - منّ على عباده فخففها، ووضعها⁽¹¹⁾، وقرأ: ﴿قُرْآنَ اللَّيْلِ إِلَّا

(1) لسان العرب، مادة: جرن .

(2) ينظر: جامع البيان: 682/23 .

(3) ينظر: المصدر نفسه .

(4) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، صحابي، جليل، وهو أول مولود، ولد للمهاجرين بعد الهجرة، شهد اليرموك، وفتح أفريقية، وكان البشير بالفتح إلى عثمان، وشهد الدار، وكان يقاتل عن عثمان، وشهد الجمل مع عائشة، واعتزل الحروب بعدها، وباع معاوية، بويع بالخلافة سنة (64هـ)، عقب وفاة يزيد بن معاوية، توفي في حربه ضد الحجاج، في زمن عبد الملك بن مروان، سنة: (73هـ)، روى عن النبي - ﷺ -، وعن أبيه، وأبي بكر، وعمر، وغيرهم، وروى عنه أخوه عروة، وعطاء، وطاوس، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 89/4، أسد الغابة: 609/1 .

(5) وهو أيضاً عن سعيد بن جبیر، وعكرمة، وأبي نجیح، ومجاهد، وابن زيد، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 682/23 .

(6) ينظر: النكت والعيون: 127/6، جامع البيان: 682/23 .

(7) وهو قول ابن زيد، ومجاهد، والحسن، ينظر: جامع البيان: 683/23 .

(8) ينظر: المصدر نفسه: 685/23 .

(9) وهو قول عن ابن عباس، وقتادة، وأبا معاذ، واختاره ابن جرير، ينظر: المصدر نفسه: 686/23 .

(10) ينظر: تفسير السدي الكبير: 465، تفسير ابن كثير: 252/8 .

(11) جامع البيان: 686/23 .

قِيلًا ﴿١﴾، الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَيَصِفُّهُ، وَتُلْتَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاخَرُونَ يُقِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ وقال ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٦) (1)، وهذا الذي قاله كما قال، والدليل عليه أن سعد بن هشام سأل ابن عباس عن الوتر، فقال: ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله - ﷺ -، قال: نعم، قال: أنت عائشة، فسألها، ثم ارجع إليّ، فأخبرني بردها عليك، قال: فأتيتها، فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئني عن خلق رسول الله - ﷺ -، قالت: أأست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: كان خلقه القرآن، ثم قلت: يا أم المؤمنين، أنبئني عن قيام رسول الله - ﷺ -، قالت: أأست تقرأ سورة: "يا أيها المزمل"، قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله - ﷺ - وأصحابه حولا، حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهرا، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعا، من بعد فريضة، الحديث بطوله رواه أحمد، وروى مسلم في صحيحه بنحوه (2)، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "أول ما نزل أول المزمل، كانوا

(1) سورة الإسراء، الآية: 79 .

(2) حدثنا يحيى، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، أنه طلق امرأته، ثم ارتحل إلى المدينة؛ ليبيع عقارا له بها، ويجعله في السلاح، والكراع، ثم يجاهد الروم، حتى يموت، فلقي رهطا من قومه، فحدثوه أن رهطا من قومه ستة، أرادوا ذلك على عهد رسول الله - ﷺ -، فقال: "أليس لكم في أسوة حسنة؟" فنهاهم عن ذلك، فأشهدهم على رجعتها، ثم رجع إلينا، فأخبرنا أنه أتى ابن عباس، فسأله عن الوتر، فقال: ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله - ﷺ -؟ قال: نعم، قال: أنت عائشة، فأسألها، ثم ارجع إليّ فأخبرني بردها عليك، قال: فأتيت على حكيم بن أفلح، فاستلحفته إليها، فقال: ما أنا بقاربها، إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا، فأبت فيهما إلا مُضِيًّا، فأقسمت عليه، فجاء معي، فدخلنا عليها، فقالت: حكيم، وعرفته، قال: نعم، أو بلى، قالت من هذا معك؟ قال: سعد بن هشام، قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر، قال: فترحمت عليه، وقالت: نعم المرء كان عامر، قلت: يا أم المؤمنين، أنبئني عن خلق رسول الله - ﷺ -؟ قالت: أأست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله - ﷺ - كان القرآن، فهمت أن أقوم، ثم بدا لي قيام رسول الله - ﷺ -، قلت: يا أم المؤمنين، أنبئني عن قيام رسول الله - ﷺ -؟ فقالت: أأست تقرأ هذه السورة: ﴿تَايِبًا لِّلرِّمْلِ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله - ﷻ - افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله - ﷺ - وأصحابه حولا، حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله - ﷻ - خاتمها في السماء اثني عشر شهرا، ثم أنزل الله - ﷻ - التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام رسول الله - ﷻ - تطوعا، من بعد فريضته، فهمت أن أقوم، ثم بدا لي وتر رسول الله - ﷻ -، قلت: يا أم المؤمنين، أنبئني =

يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها، وآخرها قريب من سنة،
أوقال: "كان بينهما سنة"، هكذا، رواه ابن جرير⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته، إذا تفرغت من أشغالك، وما
تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾⁽²⁾، أي: إذا فرغت من
مهماتك، فانصب في عبادته؛ لتكون فارغ البال، هذا معنى ما قال ابن زيد⁽³⁾، وقال
ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، أي: أخلص له
العبادة⁽⁴⁾، وقال الحسن: اجتهد، وأبتل إليه نفسك⁽⁵⁾، وقال ابن جرير: يقال للعابد:
متبتل، ومنه الحديث المروي: "نهى عن التبتل"⁽⁶⁾، يعني: الانقطاع إلى العبادة، وترك
التزويج، وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾، كما قال في آية أخرى:
﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾⁽⁷⁾، وغيرها من الآيات البينات، التي فيها الأمر بإفراد العبادة،

= عن وتر رسول الله - ﷺ -؟ قالت: كنا نعد له سواكه، وطهوره، فيبعثه الله - ﷻ - لما شاء أن يبعثه من الليل،
فيتسوك، ثم يتوضأ، ثم يصلي ثماني ركعات، لا يجلس فيهن، إلا عند الثامنة، فيجلس، ويذكر ربه - ﷻ -،
ويدعو، ويستغفر، ثم ينهض، ولا يسلم ثم يصلي التاسعة، فيقعد، فيحمد ربه، ويذكره، ويدعو، ثم يسلم تسليمًا،
يسمعنا، ثم يصلي ركعتين، وهو جالس، بعدما يسلم، فتلك إحدى عشرة ركعة، يا بني، فلما أسن رسول الله - ﷺ -،
وأخذ اللحم، أوتر بسبع، ثم صلى ركعتين، وهو جالس، بعدما يسلم، فتلك تسع يا بني، وكان نبي الله - ﷺ - إذا
صلى صلاة، أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم، أو وجع، أو مرض، صلى من النهار اثنتي
عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله - ﷺ - قرأ القرآن كله في ليلة، ولا قام ليلة، حتى أصبح، ولا صام شهرًا كاملاً غير
رمضان، فأتيت ابن عباس، فحدثته بحديثها، فقال: صدقت، أما لو كنت أدخل عليها، لأتيتها، حتى تشافهني
مشافهة. مسند أحمد 53/6، حديث رقم: (24314)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع
صلاة الليل، ومن نام عنه، أو مرض، حديث رقم: (746).

(1) ينظر: جامع البيان: 678/23، واللفظ مختلف .

(2) سورة الشرح، الآية: 7 .

(3) جامع البيان: 689/23 .

(4) وهو أيضا عن مجاهد، وابن حميد، وأبي يحيى المكي، وقاتدة، والضحاك، ينظر: المصدر نفسه: 688/23 .

(5) ينظر: المصدر نفسه.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 687/23، سنن الترمذي، باب: ما جاء في النهي عن التبتل، حديث رقم: (1082)، قال

أبو عيسى: حديث حسن، غريب، وبنحوه ينظر: صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من التبتل،

والخصاء، حديث رقم: (4786)، صحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد

مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن، والصوم، حديث رقم: (1402).

(7) سورة هود، من الآية: 123 .

والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه.

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَحَجِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيْفَ تَنْفِقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝١٧ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝١٨ ﴾

أمر تعالى رسوله - عليه الصلاة والسلام- بالصبر على ما يقوله المكذبون، من سفهاء مكة، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وهو الذي لا عتاب معه، ثم قال له، متوعدا لكفار قومه، ومتهددا: ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْمَةِ ﴾، أي: ذرني، والمكذبين، المترفين، أصحاب الأموال، فإنهم أقدر على الطاعة من غيرهم، وهم يطلبون من الحقوق، بما ليس عند غيرهم، ﴿ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا ﴾، أي: رويدا، فلم يكن إلا يسيرا، حتى قتلوا ببدر، كما قال: ﴿ نُمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْتُهُم إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤ ﴾⁽¹⁾، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا ﴾، وهي القيود، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغير واحد⁽²⁾، ﴿ وَحَجِيمًا ﴾، وهي السعير المضطربة، ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: أن يأخذ في الحلق، فلا يدخل، ولا يخرج⁽³⁾، وهو الزقوم⁽⁴⁾، والضرع: ﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾، أي: تنزل، ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا ﴾، أي: تصير ككتبان الرمل، بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفا، فلا يبقى منها شيء، إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعا، صفصفا، لا ترى فيها عوجا، أي: واديا، ولا أمتا، أي: رابية، يعني: لا شيء منخفض، ولا شيء مرتفع، ثم قال مخاطبا كفار

(1) سورة لقمان، الآية: 24 .

(2) وهو أيضا عن: عكرمة، ومجاهد، وحماد، وابن حميد، وقتادة، والحسن، وسفيان، وابن المبارك، والثوري، ينظر: جامع البيان: 690/23، ولم أقف على نسبة هذا القول لابن عباس، إلا في تفسير ابن كثير 256/8.

(3) ينظر: النكت والعيون: 130/6 .

(4) هذا القول لمجاهد، والحسن، ينظر: جامع البيان: 691/23 .

قريش، والمراد: سائر الناس: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾، أي: بأعمالكم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغير واحد، أي: أخذاً شديداً⁽¹⁾ يعني: فاحذروا أنتم، أن تكذبوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله، أخذ عزيز مقتدر، وقوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، يحتمل أن يكون يوماً معمولاً، لنتقوا كما حكاه ابن جرير، عن قراءة ابن مسعود: " فكيف تخافون أيها الناس يوماً، يجعل الولدان شيباً، إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به"⁽²⁾، ويحتمل أن يكون " لكفرتم"⁽³⁾، فعلى الأول: أي: كيف يحصل لكم أمان، من يوم هذا الفزع العظيم، إن كفرتم، وعلى الثاني: كيف يحصل لكم تقوى، إن كفرتم يوم القيامة، وجدتموه، وكلاهما حسن، والأول أولى، والله أعلم، والمعنى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، من شدة أهواله، وزلازله، وبلابله، وذلك حين يقول الله لأدم: ابعث بعث النار، فيقول: من كم كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة، كما سبق الحديث بتمامه، في أول سورة الحج⁽⁴⁾، وقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾، قال الحسن، وقتادة: أي منشق بسببه، من شدته، وهوله⁽⁵⁾، ومنهم من يعيد الضمير على الله⁽⁶⁾، وليس بقوي؛ لأنه لم يجر له ذكر ههنا، وقوله ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾، أي: كان وعد هذا اليوم واقعا، لا محالة، كائنا لا محيد عنه.

(532/أ)

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَنَّابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأْ وَرَأَىٰ تَنسُرَ

(1) وهو أيضا عن الحسن، ومجاهد، وقتادة، ينظر: جامع البيان: 693/23 .

(2) ينظر: المصدر نفسه: 694/23 .

(3) وهو قول قتادة، ينظر: المصدر نفسه .

(4) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة (311/أ)، صحيح البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج،

حديث رقم: (3170)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قوله: يقول الله لأدم: أخرج بعث النار، من كل

ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، حديث رقم: (222)، واللفظ مختلف .

(5) جامع البيان: 695/23 .

(6) وهو قول عن مجاهد، ينظر: الدر المنثور: 322/8 .

مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَهُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ مَجْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، السورة، ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾، أي: عظة، يتذكر بها أولوا الألباب، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، أي: فمن شاء الله هدايته، اتخذ إلى الإيمان بربه، وطاعته سبيلا، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَافِيَةً مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾، أي: تارة هكذا، وتارة هكذا وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرين على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم، ولهذا ﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، أي: تارة يعتدلان، وتارة يتفاوتان، ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ﴾، أي لن تطيقوا الفرض، الذي أوجبه عليكم، ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾، من عليكم بالعمو، والتخفيف، ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، أي: من غير تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة، واستدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية، أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، بل لو قرأ غيرها من القرآن، ولو بأية، أجزاءه⁽¹⁾، واعتضدوا بحديث الصحيحين أيضا: " ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن"⁽²⁾، وأجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت في الصحيحين أيضا: أن رسول الله -ﷺ- قال: " لا صلاة، لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"⁽³⁾، وبما في مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -ﷺ- قال: " كل صلاة، لا يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج، غير تمام"⁽⁴⁾ وقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾، أي: علم

(1) ينظر: المبسوط للسرخسي: 33/1، تأليف: شمس الدين محمد بن أبي سهل السرخسي، تح: خليل محي الدين الميس، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت: (2000م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت: (1982م)، بلا: (تح، ط).

(2) صحيح البخاري، كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام، والمأموم، في الصلوات كلها، في الحضر، والسفر، وما يجهر فيها، وما يخافت، حديث رقم: (724)، صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة، في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها، قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث رقم: (397).

(3) المصدران السابقان نفسهما، البخاري، حديث رقم: (723)، ومسلم، حديث رقم: (394).

(4) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة، في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها، قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث رقم: (395).

أن سيكون من هذه الأمة ذوا أعدار، أي: في ترك قيام الليل، من مرضى، لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض، يبتغون من فضل الله، من المكاسب، والمتاجر، وآخرين مشغولين بما الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية، بل السورة مكية كلها، ولم يكن القتال شرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة؛ لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلية، ولهذا قال: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَتَّسِرَ مِنْهُ﴾، أي: قوموا بما تيسر عليكم منه، وعن أبي رجاء⁽¹⁾ قال: قلت للحسن، يا أبا سعيد، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله على ظهر قلبه، ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذلك، قال الله تعالى للعبد الصالح: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾⁽²⁾، ﴿وَعَلَّمْتُمْ مَالَكُمْ تَعْمَوُا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤَكُمْ﴾⁽³⁾، قلت: يا أبا سعيد، قال الله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَتَّسِرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال: نعم، ولو خمس آيات⁽⁴⁾، وهذا ظاهر من مذهب الحسن، أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا، ولو بشيء منه في الليل، ولهذا جاء في الصحيحين: أن رسول الله - ﷺ - سُئِلَ عن رجل نام، حتى أصبح، فقال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنه"⁽⁵⁾، قيل: معناه: نام عن المكتوبة، وقيل: نام عن قيام الليل، وفي السنن: "أوتروا يا أهل القرآن"⁽⁶⁾ وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، أي: أقيموا صلاتكم (532/ب)

الواجبة عليكم، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾، المفروضة، وهذا يدل على أن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصاب، والمخرج، لم يبين إلا في المدينة، والله أعلم، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد

(1) هو: محمد بن سيف الأزدي الحداني، أبو رجاء، البصري، ثقة، أدرك أنسأ، وحدث عن الحسن، وابن سيرين، وعكرمة، وغيرهم، وروى عنه شعبة، وسعيد بن عروبة، ويزيد بن زريع، وغيرهم، ينظر: تهذيب التهذيب: 192/9.

(2) سورة يوسف، من الآية: 68.

(3) سورة الأنعام، من الآية: 91.

(4) ينظر: جامع البيان: 192/23، واللفظ: (ولو خمسين آية).

(5) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، حديث رقم: (3097)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: ما روي في من نام الليل أجمع، حتى أصبح، حديث رقم: (774).

(6) السنن لابن ماجه، باب: ما جاء في الوتر، حديث رقم: (1170)، سنن أبي داود باب استحباب الوتر، حديث رقم: 1416، سنن الترمذي، باب ما جاء في الوتر بسبع حديث رقم: (453)، سنن النسائي الكبرى، باب: الأمر بالوتر، حديث رقم 440، وقال أبو عيسى: حديث حسن .

أوجبه على المسلمين أولاً، من قيام الليل⁽¹⁾، وقد ثبت في الصحيحين: أن رسول الله -ﷺ- قال لذلك الرجل حين سأل عن الإسلام: "خمس صلوات في اليوم والليلة"، فقال: هل علي غيرهن؟ قال: "لا، إلا أن تطوع"⁽²⁾، وقوله: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، يعني: من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك حُسْنَ الجزاء، وأوفِّره، كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: جميع ما تقدمونه من أيديكم، فهو لكم حاصل، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-: "أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟"، قالوا: يا رسول الله، ما منا من أحد، إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: "اعلموا ما تقولون" قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله، قال: "ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله"، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: "إنما مال أحدكم ما قدم، ومال وارثه ما آخر"، رواه البخاري والنسائي⁽⁴⁾، ثم قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أي: أكثروا من ذكره، واستغفاره في أموركم كلها، فإنه غفور رحيم لمن استغفر.

(1) وهو أيضا عن عكرمة، والحسن، وقتادة، ينظر: جامع البيان: 699/23 .

(2) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام، حديث رقم: (46)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الصلوات، التي هي أحد أركان الإسلام، حديث رقم: (11).

(3) سورة البقرة، الآية: 245 .

(4) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: ما قدم من ماله، فهو له، حديث رقم: (6027)، المجتبي من السنن، باب الكراهية في تأخير الوصية، حديث رقم: (3612).

تفسير سورة: المدثر

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴿٣﴾ وَتَبَاكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ

﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقْوَارِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ سِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

في صحيح البخاري عن جابر - رضي الله عنه - : أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وخالفه الجمهور، فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾⁽¹⁾، كما سيأتي في سورتته⁽²⁾، فقال جابر - رضي الله عنه - : حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "جاورت بحراء، فلما قضيت جوازي، هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني، فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي، فلم أر شيئا، ونظرت أمامي، فلم أر شيئا، ونظرت خلفي، فلم أر شيئا، فرفعت رأسي، فرأيت شيئا، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء باردا، فدثروني، وصبوا علي ماء باردا، قال: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ﴾"، هذا سياق البخاري⁽³⁾، وفي الصحيحين أيضا عن جابر - رضي الله عنه - : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يحدث عن فترة الوحي: "فبينما أنا أمشي، سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجنثت منه؛ رعباً، حتى هويت إلى الأرض، فجنثت إلى أهلي، فقلت: زملوني، زملوني، فزملوني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ وَتَبَاكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾"، قال أبو سلمة⁽⁴⁾: والرجز: الأوثان، ثم حمي الوحي، وتتابع، هذا

(1) سورة العلق، الآية: 1 .

(2) المخطوط نفسه، اللوحة: (558 / أ).

(3) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المدثر، حديث رقم: (4638).

(4) هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل وقيل: اسمه كنيته، ثقة، فقيه، كثير الحديث، روى عن أبيه، وعثمان بن عفان، وأبي الدرداء، وغيرهم، وروى عنه ابنه عمر، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، وعبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن، والزهري، وغيرهم، توفي سنة: (94 هـ)، وقيل: (104 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 127/12 .

السياق هو المحفوظ فيهما⁽¹⁾، وهو يقتضي: أنه قد نزل الوحي قبل هذا؛ لقوله: " فإذا الملك الذي جاء بحراء"، هو جبريل، حين أتاه بقوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي﴾، إلى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد ذلك، ووجه الجمع: أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "إن الوليد بن المغيرة⁽²⁾ صنع لقريش طعاما، فلما أكلوا، قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي - ﷺ -، فحزن، وقنع رأسه، وتدثر، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، إلى قوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾، رواه الطبراني⁽³⁾، وقوله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، أي: شمر عن ساق العزم، وبهذا حصل الإرسال، كما حصل بالأول النبوة، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، أي: عظمه عما يقول المشركون، ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾، سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن هذه الآية، فقال: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي⁽⁴⁾:

إني بحمد الله لا ثوب فاجر * * لبست، ولا من غدره أتقن⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

(1) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: وثيابك فطهر، حديث رقم: (4641)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -، حديث رقم: (161).

(2) هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش وزنادقتها، وهو أول من بدأ بهدم الكعبة، عندما أرادت قريش إعادة بنائها، وكان يكسوا البيت الحرام وحده، وهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 145/1، الأعلام للزركلي: 122/8.

(3) المعجم الكبير للطبراني: 125/11، حديث رقم: (11250) باب: أحاديث عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب، مجمع الزوائد: قال الهيثمي: وفيه إبراهيم بن يزيد، وهو متروك.

(4) هو غيلان بن سلمة بن متعب بن مالك بن ثقيف الثقفي، وسمي: (أبو عمرو)، سكن الطائف، وأسلم بعد فتح الطائف، وكان شاعرا، أحد وجوه ثقيف، روى عن النبي - ﷺ -، وروى عنه ابن عباس، وعمر، وبشير بن عاصم، أسلم، وتحتة عشر نسوة، فأمره النبي - ﷺ - أن يختار منهن أربعا، توفي في آخر خلافة عمر، ينظر: الإصابة: 330/5، أسد الغابة: 891/1 .

(5) صاحب هذا البيت: أوفى بن مطر المازني، ينظر: المحبر: 348/1، تأليف: محمد بن حبيب البغدادي، بلا: (تح: ط)، اشتهر هذا البيت عن غيلان بن سلمة الثقفي، وبعض المؤلفين لم ينسبه إلى قائل .

(6) جامع البيان: 703/23 .

وعنه أيضا: أي: نق الثياب، فظهر من الذنوب، والآثام⁽¹⁾، وقال مجاهد: أي: نفسك، فظهر، يعني: عملك فأصلح، وفي رواية لست بكاهن، ولا ساحر، فأعرض عما قالوا⁽²⁾، وقال قتادة، وغيره: طهرها عن المعاصي، ولا تلبسها على معصية⁽³⁾ كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه * * فكل رداء يرتديه جميل⁽⁴⁾.

وقيل: أي: غسلها بالماء⁽⁵⁾، قال ابن زيد: وكان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر، ويظهر ثيابه، وهو اختيار ابن جرير⁽⁶⁾، وقد تشمل الآية جميع ذلك، مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه، كما قال امرؤ القيس⁽⁷⁾:

أفاطم مهلا بعض هذا التذلل * * وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملني
وإن كنت قد ساءتني خليقة * * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل⁽⁸⁾

وقيل: خُلِّقَ فَحَسِّنْ⁽⁹⁾، وقوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، أي: الأصنام، والأوثان، فاترك، وابتعد عنها⁽¹⁰⁾، وقيل: اترك المعصية⁽¹¹⁾، ولا يلزم تلبسه بشيء منها، كقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾⁽¹²⁾، وقال موسى لأخيه: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ

(1) ينظر: جامع البيان 703/23 .

(2) ينظر: المصدر نفسه 705/23 .

(3) ينظر: المصدر نفسه 704/23 .

(4) صاحب البيت: وفاء السَّمُوْأَل بن عادياء اليهودي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 132/1، تأليف: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، دار المعارف، بيروت: (1965م).

(5) وهو قول ابن سيرين، جامع البيان: 705/23 .

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) هو: امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، من أهل نجد من الطبقة الأولى، وكان قد طرده أبوه، ثم أرجعه، مات والده مقتولا، فأخذ بتأريه، وكان ممن يتعهر بشعره، وكان مثناثا، لا ذكر له، وإذا ولدت له بنت، وأدها، توفي قبل البيعة بـ (40) عاما وقيل: (80) عاما، ينظر: الشعر والشعراء: 12/1، تأليف: ابن قتيبة الدينوري بلا: (تح، ط) .

(8) ديوان امرؤ القيس: 2/1، شرح المعلقات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي: (2002م)، بلا: (ط) .

(9) وهو قول عن مجاهد، وأبي رزين، ينظر: جامع البيان: 705/23 .

(10) وهو قول عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وجابر، وعكرمة، والزهري، وابن زيد، ينظر: المصدر نفسه: 706/23 .

(11) وهو قول إبراهيم، والضحاك، المصدر نفسه: 707/23 .

(12) سورة الأحزاب، من الآية: 1 .

هَرُونَ أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ (1)، وقوله: ﴿وَلَا تَمَنَّ﴾
تَسْتَكْثِرُ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لا تعط العطية، تلتبس أكثر منها،
وبهذا قال كثيرون (2)، وقال الحسن: لا تمنن عملك على ربك، تستكثر، واختاره ابن
جرير (3)، وروي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قرأ: "ولا تمنن أن تستكثر" (4)، وقال
مجاهد: أي: لا تضعف أن تستكثر من الخير (5)، على أن تمنن، بمعنى: تضعف،
وقال ابن زيد: لا تمنن بالنبوة على الناس، تستكثر بها، تأخذ عليه عوضا من
الدنيا (6)، والأظهر: القول الأول، والله أعلم، وقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، أي: اجعل
صبرك على أذاهم لوجه الله، قاله مجاهد (7)، وقيل: فاصبر على طاعة الله لأجل
ثوابه (8)، وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقْوَامِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وكثيرون:
الناقور: هو الصور (9)، قال مجاهد: وهو كهيئة القرن (10)، عن أبي سعيد - رضي الله عنه -
قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته
ينتظر متى يؤمر بالنفخ"، فقالوا يا رسول الله: وما تأمرنا؟ قال: "قولوا حسبنا الله، ونعم
الوكيل، على الله توكلنا"، رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وهكذا رواه أحمد (11)، وقوله:
﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، أي: شديد، ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، أي: غير سهل عليهم،

(1) سورة الأعراف، من الآية: 142 .

(2) وهو أيضا عن: ضمرة بن حبيب، وأبي الأحوص، وعكرمة، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، والحسن، ومجاهد، ينظر:
جامع البيان: 707/23.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 708/23 .

(4) الكشف والبيان: 70/10، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 536/10، تأليف: (أبو العباس): أحمد بن
يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمنين الحلبي، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بلا: (ط) .

(5) ينظر: جامع البيان: 709/23 .

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) ينظر: النكت والعيون: 138/6 .

(8) لم أجد بهذا اللفظ، لعل الصواب: اصبر على عطيتك لله - عز وجل -، وهو قول: إبراهيم النخعي، ينظر: تفسير القرآن
العظيم، لابن كثير: 264/8، جامع البيان: 710/23 .

(9) وهو أيضا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع، وابن زيد، وأبي مالك، وعامر، ينظر: جامع
البيان: 710/23، الدر المنثور: 327/8 .

(10) ينظر: جامع البيان: 711/23 .

(11) ينظر: المصدر نفسه: 710/23، مسند أحمد: 7/3، حديث رقم: (11053)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، ولم
أقف عليه عند ابن أبي حاتم، واللفظ مختلف .

وروي عن زرارة بن أوفى⁽¹⁾، قاضي البصرة: أنه صلى الصبح، فقرأ هذه السورة، فلما وصل إلى قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، شهق شهقة، ثم خر ميتا.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝۱۱ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝۱۲ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝۱۳ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمَهِيدًا ۝۱۴ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝۱۵ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۝۱۶ سَاءَ رَهْفُهُ، صَعُودًا ۝۱۷ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝۱۸ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۱۹ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۰ ثُمَّ نَظَرَ ۝۲۱ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝۲۲ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝۲۳ فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِلْأَسْحَرِ بُرُؤُنٌ ۝۲۴ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝۲۵ سَأُصْلِحُهُ سَقَرًا ۝۲۶ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝۲۷ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝۲۸ الْوَاحَةَ لِلْبَشَرِ ۝۲۹ عَلَيْهَا تَسَعَةٌ عَشْرَ ۝۳۰﴾

قال تعالى متوعدا لهذا الخبيث، الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله، وبدلها بالكفر، وقابلها بالجحود بآيات الله، والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر، وقد عدد الله نعمه عليه، حيث قال: ﴿ذَرْنِي﴾، أي: دعني، ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، أي: خرج من بطن أمه وحده، لا مال له، ولا ولد، ثم رزقته، ﴿مَالًا مَمْدُودًا﴾، أي: واسعا كثيرا، قيل: ألف دينار⁽²⁾، وقيل: مائة ألف دينار⁽³⁾، وقيل: أرضا يستغلها⁽⁴⁾، وقيل: غير ذلك⁽⁵⁾ وجعل له ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾، أي: حضورا عنده، لا يسافرون في التجارات، بل مواليتهم، وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم، وكانوا فيما ذكره السدي، وغيره، ثلاثة عشر⁽⁶⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: عشرة⁽⁷⁾، وهذا

(1) هو: زرارة بن أوفى العامري الحرشي، أبو حاجب، البصري، القاضي، تابعي، ثقة، وكان من العباد، وله أحاديث، روى عن أبي هريرة، وعبد الله بن سلام، وابن عباس، وغيرهم، وروى عنه قتادة، وداود بن أبي هند، وعوف، وغيرهم، توفي فجأة سنة: (93هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 278/3 .

(2) وهو قول عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ينظر: جامع البيان: 713/23، الدر المنثور: 329/8 .

(3) وهو قول عن مجاهد، ينظر: النكت والعيون: 139/6 .

(4) وهو قول عن النعمان بن سالم، وعن مجاهد أيضا، ينظر: جامع البيان: 713/23 .

(5) قال: ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والدينوري، عن عمر: غلة شهر بشهر، وقال قتادة: أربعة آلاف، وقيل: ستة آلاف، وقال ابن عباس: سبعة آلاف متقال فضة، وقال مقاتل، والسدي: كان له بستان بالطائف، لا ينقطع ثماره شتاءً، ولا صيفاً، وقال سفيان: ألف ألف دينار، ينظر: جامع البيان: 713/23، الدر المنثور: 329/8، الكشف والبيان: 71/10، النكت والعيون: 139/6، تفسير مقاتل: 416/3 .

(6) وهو أيضا عن: (أبو مالك)، وسعيد بن جبير، ينظر: الدر المنثور: 329/8، تفسير السدي: 466 .

(7) لم أقف على هذا القول لابن عباس، إلا في تفسير ابن كثير: 265/8 .

أبلغ في النعمة، ﴿وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمَهِيدًا﴾، أي: مكنته من صنوف المال، والأثاث، وغير ذلك، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا﴾، أي: معاندا، وهو الكفر على تعمد، بعد العلم، قال تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا﴾، عن أبي سعيد - رضي الله عنه -: عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ويل: واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفا، قبل أن يبلغ قعره" و"الصعود: جبل من نار، يتصعد فيه سبعين خريفا، ثم يهوي به كذلك، فيه أبدا"، رواه أحمد والترمذي⁽¹⁾، وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أيضا: عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا﴾، قال: "هو جبل في النار، من نار، يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده، ذابت، وإذا رجليه، ذابت، فإذا رفعها، عادت"، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽²⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: صعود: صخرة في جهنم، يسحب عليها [الكافر]⁽³⁾، على وجهه⁽⁴⁾، قال مجاهد، وقتادة: أي مشقة العذاب، وعذابا لا راحة فيه، واختاره ابن جرير⁽⁵⁾، وقوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، أي: إنما أرهقناه صعودا، أي: قربناه من العذاب الشاق؛ لبعده عن الإيمان، لأنه فكر، أي: تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن، ففكر ماذا يختلق من المقال: ﴿وَقَدَّرَ﴾، أي: تروى، ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرْتُمْ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، دعاء عليه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾، أي: أعاد النظر، والتروي، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾، أي: قبض بين عينيه، ﴿وَبَسَّرَ﴾، أي: كَلَحَ، وكرّه وجهه، ومنه قول الشاعر:

وقد رابني منها صُدُودٌ رأيتُه * وإعراضها عن حاجتي وبُسُورُها⁽⁶⁾

(1) مسند أحمد: 75/3، حديث رقم: (11730)، سنن الترمذي، حديث رقم: (3164)، باب: سورة الأنبياء، حديث رقم: (3326)، باب: سورة المدثر، قال أبو عيسى: حديث غريب، واللفظ لأحمد .

(2) ينظر: جامع البيان: 715/23، تفسير ابن أبي حاتم: 3383/10، مجمع الزوائد، قال الهيثمي: وفيه عطية وهو ضعيف، 277/7، حديث رقم: (11452)، واللفظ مختلف .

(3) زيادة لا يصح المعنى إلا بها، وهي ثابتة في النص .

(4) تفسير ابن أبي حاتم: 3383/10، حديث رقم: (19037).

(5) ينظر: جامع البيان: 715/23 .

(6) البيت ل: توبة بن الحُمَيْر، ينظر: الفاضل: 7/1، تأليف: المبرد، الأمالي في لغة العرب: 88/1، تأليف:

(أبو علي): إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت: (1978م)، بلا: (تح، ط) .

وقوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾، أي: صرف عن الحق، ورجع القهقري، مستكبرا عن الانقياد للقرآن، ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾، أي: هذا سحر ينقله محمد عن غيره، ممن قبله، ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، أي: ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا البيان هو الوليد بن المغيرة، أحد رؤساء قريش، لعنه الله، وكان من خبره هذا، ما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إن الوليد بن المغيرة دخل على أبي بكر بن أبي قحافة - رضي الله عنه -، فسأله عن القرآن، فلما أخبره، خرج على قريش فقال: لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله، ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا يهدي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع ذلك النفر من قريش، انتمروا، وقالوا: والله، لئن صبا الوليد، لننصّبون قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام⁽¹⁾، قال: أنا، والله، أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، وقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألسنت أكثرهم مالا، وولدا؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة؛ لتصيب من طعامه، فقال الوليد: قد تحدث به عشيرتي، فلا، والله، لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عمر، ولا ابن أبي كبشة، وما قوله، إلا سحر يؤثر⁽²⁾، فأنزل الله: ﴿فَقِيلَ﴾، أي: قاتله الله ولعنه، ﴿كَيْفَ مَدَّرَ﴾، وهذا على طريق التعجب، والإنكار، وزعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة؛ ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه، قبل أن يقدم عليه وفود العرب للحج؛ ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر، وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون، كما قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾⁽³⁾، كل هذا، والوليد ينتكر فيما يقوله فيه، ففكر، وقدر، وعبس، وبسر، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾، أي: سأعمره فيها من جميع جهاته، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾، وهذا تهويل لأمرها، وتغخيم، ثم فسر ذلك بقوله:

(1) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، من أشد الناس عداوة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في صدر الإسلام، أحد سادات قريش، ورماتها في الجاهلية، وكان يقال له أبا الحكم، فدعاه المسلمون أبا جهل، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وظل على عناده، حتى مات في معركة بدر سنة: (2هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي: 87/5.

(2) ينظر: جامع البيان: 24/24 .

(3) سورة الإسراء، الآية: 48، سورة الفرقان: الآية 9 .

﴿لَا بُقَى وَلَا نَذْرٌ﴾، أي: تأكل لحومهم، وعروقهم، وأعصابهم، وجلودهم، ثم يبذل غير ذلك، وهم في ذلك، لا يموتون، ولا يَحْيُونَ، قاله ابن بريدة⁽¹⁾، وأبو سنان⁽²⁾، وغيرهما⁽³⁾، وقوله: ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾، مغيرة للجلد، حتى يجعله أسود، وقال ابن زيد: تلفح الجلد لفحة، فتدعه أسود من الليل⁽⁴⁾، يعني: تلفح أجسادهم عليها، وقال قتادة: أي: حراقة للجلد⁽⁵⁾، وبشرة الإنسان⁽⁶⁾، وقوله: ﴿عَلَيَّاسَعَةَ عَشَرَ﴾، أي: من مقدمي الزبانية، عظيم خلقهم، غليظ خلقهم، عن جابر - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد، غلب أصحابك اليوم، فقال: "بأي شيء؟"، فقال: سألهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم، حتى نسأل نبينا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أفغلب قوم سئلوها عما لا يدرون، فقالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا؟، علي بأعداء الله، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يرثهم الله جهرة" فأرسل إليهم، فدعاهم، فقالوا: يا أبا القاسم، كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: "هكذا"، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه مرتين، وعقد واحدة، وقال لأصحابه: "إن سئلتهم عن تربة الجنة، فهي الدرمة" فلما سألوها، فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما تربة الجنة؟"، فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: أخبزة، يا أبا القاسم، فقال: "الخبز من الدرمة"، هكذا، رواه الترمذي، عند هذه الآية، ورواه أحمد بقصة الدرمة فقط⁽⁷⁾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

- (1) هو: هو سليمان بن بريدة بن الحبيب الأسلمي المرزوني، تابعي، ثقة، كان قاضيا على مرو، روى عن أبيه، وعائشة، وعمران بن حصين، وغيرهم، وروى عنه عبد الله بن عطاء، وغيلان بن جامع، وعقمة، وغيرهم، توفي سنة: (105هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 153/4 .
- (2) هو: ضرار بن مرة الكوفي، أبو سنان الشيباني، الأكبر، ثقة ثبت، صاحب سنة، حفر قبره قبل موته، بخمس عشرة سنة، وكان يأتيه، فيختم فيه القرآن، توفي سنة: (132هـ)، ينظر تهذيب التهذيب: 400/4 .
- (3) وهو أيضا عن مجاهد، وابن يزيد، والسدي، ينظر: الدر المنثور: 322/8، تفسير القرطبي: 77/19، أما نسبة القول لأبي سنان، فلم أقف عليه إلا في تفسير ابن كثير: 268/8 .
- (4) هذا القول لابن رزين، ينظر: الدر المنثور: 8332، تفسير ابن كثير: 268/8، ولم أقف على هذا القول لابن زيد، إلا في المخطوط، ولعله سهو .
- (5) ينظر: جامع البيان: 27/24 .
- (6) وهو عن ابن عباس، ينظر: المصدر نفسه: 28/24 .
- (7) ينظر: مسند أحمد: 361/3، حديث رقم: (14926)، سنن الترمذي، حديث رقم: (3327)، باب: 70، ومن سورة المدثر؛ قال أبو عيسى: حديث غريب.

وَيَزَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا
 مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾
 وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُوبِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ﴾، أي: خزانها ﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، يعني: زيانية

(أ/534) غلاظا، شدادا، وذلك رد على مشركي قريش، حين ذكر عدد الخزنة، فقال: أبو جهل: يا معشر قريش، أما تستطيع كل عشرة منكم، لواحد منهم، فتغلبونهم⁽¹⁾، فقال الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، أي: شديدو الخلق، لا يقاومون، ولا يغالظون، وقد قيل: إن كلدة بن أسيد⁽²⁾، قال: يا معشر قريش، اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر⁽³⁾، إعجابا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة، فيما زعموا أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرة؛ لينزعه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد، ولا يترحز عنه، قال السهيلي⁽⁴⁾: وهو الذي دعا رسول الله - ﷺ - إلى مصارعتة، فقال: إن صرعتني، آمنت بك، فصرعه النبي - ﷺ - مرارا، فلم يؤمن⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾، أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر، اختبارا منا للناس، ﴿لِيَسْتَيِّقَنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، أي: ليعلموا إيقانا، أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله، ﴿وَيَزَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، إلى إيمانهم لما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد - ﷺ -، ﴿وَلَا يَرَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

(1) ينظر: جامع البيان: 29/24 .

(2) هو: كلدة بن أسيد، واسمه: وهب بن زمة بن أسيد بن خلف بن وهب بن جمح، ينظر: الروض الأنف: 79/2، تأليف: السهيلي، بلا (تح، ط) .

(3) ينظر: تفسير القرطبي: 81/19، تفسير الثعلبي: 74/10 .

(4) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي، أبو القاسم، وأبو زيد، ويكنى أيضا أبا الحسن، عمي، وهو ابن سبع عشرة سنة، واسع المعرفة، والعلم في النحو واللغة، عالم بالتفسير والحديث، وغيرها، أخذ القراءات عن أبي داود الصغير، سليمان بن يحيى وسمع من أبي عبد الله بن معمر، والقاضي أبي بكر بن العربي، وشريح بن محمد، وغيرهم، وروى عنه أبو الحجاج بن الشيخ، والحافظ أبو محمد القرطبي، وغيرهم، من تصانيفه: كتاب الروض الأنف شرحا للسيرة النبوية، وكتاب الفرائض، والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، وغيرها، توفي سنة: (581هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 96/4، وفيات الأعيان: 43/3 .

(5) ينظر: الروض الأنف: 79/2 .

مَرَضٌ ﴿١﴾، أي: من المنافقين، ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾، أي: يقولون: ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، أي: من مثل هذا، وأشباهه، يتأكد الإيمان في قلوب أقوام، ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة، وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: ما يعلم عددهم، وكثرتهم؛ لئلا يتوهم أنما هم تسعة عشر فقط، كما قاله طائفة من أهل الضلال، والجهالة، من الفلاسفة الأنجاس، ومن شابههم من الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة، والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها، وعجزوا على إقامة الدليل على مقتضاها، فما فهموا صدر الآية، وقد كفروا بآخرها، وهو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وقد ثبت في الصحيحين، وغيرهما، عن رسول الله -ﷺ- أنه قال، في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: " فإذا يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعيدون إليه آخر ما عليهم" (1)، وعن أبي ذر (2) -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: " إنني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا وعليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم، لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، ولا تلذذتم بالنساء في الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات، تجأرون إلى الله" فقال أبو ذر -رضي الله عنه-: والله، لوددت أني شجرة تعضد، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه (3)، ولهذا الحديث طرق، وروايات مرفوعا، وموقوفا، وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: " ما في السماوات السبع موضع قدم، ولا شبر، ولا كف، إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راکع، فإذا كان يوم القيامة، قالوا جميعا: سبحانك، ما عبدناك حق

(1) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث رقم: (3035)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان باب الإسراء برسول الله -ﷺ- إلى السماوات، وفرض الصلوات، حديث رقم: (164).

(2) هو: جندب بن جنادة بن سكن، وهو المشهور، وقيل: اسمه بربر، وقيل: غير ذلك، واختلف في اسم أبيه، بن غفار، وهو أبو ذر الغفاري، الزاهد، صحابي، جليل، وكان من السابقين إلى الإسلام، تلقى الأذى بعد إسلامه، ورجع إلى قومه فلم تنهياً له الهجرة، إلا بعد أحد، قيل: إنه رابع من أسلم، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه أنس، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، توفي سنة: (31هـ)، وقيل: (32هـ)، ينظر: الإصابة: 125/7.

(3) مسند أحمد: 173/5 حديث رقم: (21555) واللفظ له، وفيه (على الفرشات)، السنن لابن ماجه، باب: الحزن، والبقاء، حديث رقم: (4190)، سنن الترمذي، باب: في قول النبي -ﷺ-: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا"، حديث رقم: (2312)، قال أبو عيسى: حديث حسن، غريب.

عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً"، رواه الطبراني⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾، أي: ما النار التي وصفت، إلا ذكرى للبشر، ثم قال: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ﴾، أي: ولى، ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾، أي: أشرق، ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى﴾، أي: العظائم، يعني: النار، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -: وغير واحد، ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقُوا أَنْ يَنْقَدَمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، أي: لمن شاء أن يقبل النذارة، ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها، ويردها ويُنكِرُها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾⁽³⁸⁾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ⁽³⁹⁾ فِي جَنَّتِ يَسَاءَ لُونٌ⁽⁴⁰⁾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ⁽⁴¹⁾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ⁽⁴²⁾ قَالُوا لَوْ لَرْنَاكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ⁽⁴³⁾ وَلَوْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ⁽⁴⁴⁾ وَكُنَّا نَحْوُضَ مَعَ الْحَائِضِينَ⁽⁴⁵⁾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ⁽⁴⁶⁾ حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ⁽⁴⁷⁾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ⁽⁴⁸⁾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ⁽⁴⁹⁾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ⁽⁵⁰⁾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ⁽⁵¹⁾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً⁽⁵²⁾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ⁽⁵³⁾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ⁽⁵⁴⁾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ⁽⁵⁵⁾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفَرَةِ⁽⁵⁶⁾

أخبر تعالى أن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، أي: مرهونة، مأخوذة بعملها يوم القيامة، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -⁽²⁾: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾، فإنهم ﴿فِي جَنَّتِ يَسَاءَ لُونٌ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾، أي: يسألون المجرمين، وهم في الغرفات، وأولئك في الدركات، قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَوْ لَرْنَاكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَوْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾، أي: ما عبدنا ربنا، ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا، ﴿وَكُنَّا نَحْوُضَ مَعَ الْحَائِضِينَ﴾، أي: نتكلم فيما لا نعلم، وقال قتادة: كلما غوى غاوى، غوينا معه⁽³⁾، ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ﴾، وهو الموت، كما قال رسول الله ﷺ - في شأن عثمان بن مظعون⁽⁴⁾، حين توفي:

(1) المعجم الكبير: 184/2، حديث رقم: 1751 .

(2) الدر المنثور: 336/8 .

(3) النكت والعيون: 148/6 .

(4) هو: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن جرح الجمحي، يكنى أبا السائل، صحابي، جليل، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، هاجر إلى الحبشة، هو وابنه السائب، الهجرة الأولى، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم، توفي بعد ما شهد بدرًا، في السنة الثانية للهجرة، ينظر: الإصابة:

أَمَّا هُوَ، فقد جاءه اليقين من ربه⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، أي: من كان متصفاً بمثل هذه الصفات، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجح، إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافا الله كافراً يوم القيامة، فإن له النار، لا محالة، خالداً فيها، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك، عما تدعوهم إليه، وتذكرهم به، معرضين، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾، أي: كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه، حمر من حمر الوحش، إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد، ونحوه، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -، وكثيرون، وعليه الجمهور⁽²⁾، والقسورة: اسم من أسامي الأسد⁽³⁾، وقوله: ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُوَفَّىٰ صُحُفًا مُّنْشَرَةً﴾، أي: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب، كما أنزل على النبي - ﷺ -، قاله: مجاهد، وغيره⁽⁴⁾، والصحف: الكتب، جمع صحيفة، والمنشورة: المنشورة، وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾، أي: إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقوعها، ثم قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾، أي: حقا أن القرآن تذكرة، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ، وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾، أي: هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه، وأتاب، قاله قتادة⁽⁵⁾، وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قرأ رسول الله - ﷺ - هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾، فقال: " قال ربكم أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له"، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه⁽⁶⁾، وهكذا، رواه غيرهم، والله أعلم.

-
- (1) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت، إذا أدرج في كفته، حديث رقم: (1186).
(2) وهو أيضاً عن: أبي موسى الأشعري، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وسعيد بن جبیر، و(أبو هريرة)، وزید بن أسلم، وابن زید، وابن أبي حاتم، و(أبو مالك)، وعطاء ابن أبي رباح، ينظر: جامع البيان: 40/24، الدر المنثور: 339/8.
(3) لسان العرب، مادة: قسر.
(4) وهو أيضاً عن السدي، وأبو صالح، ينظر: جامع البيان: 43/24، الدر المنثور: 340/8.
(5) ينظر: جامع البيان: 44/24.
(6) مسند أحمد: 3/142، حديث رقم: (12465)، واللفظ له، سنن الترمذي، حديث رقم: (3328)، باب: 70، من سورة المدثر، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، السنن لابن ماجه، حديث رقم: (4299)، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، المعجم الأوسط للطبراني: 240/8، حديث رقم: (8515).

تفسير سورة: القيامة

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، ۝٣ بَلْ قَدَرِينَا عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ، ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، ۝٥ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُبْذَرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ ۝١٣ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ، ۝١٥﴾

قد سبق غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منفيًا، جاز الإتيان بلا قبل القسم، والمقسم عليه هنا هو إثبات المعاد، والرد على منكري بعث الأجساد، ولهذا قال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾، وقال الحسن: أي: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة⁽¹⁾، وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعًا، وهو الصحيح المروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - واختاره ابن جرير⁽²⁾، ويوم القيامة معروف، والنفس اللوامة: الفاجرة، قال الحسن: ليس أحد من أهل السماوات، والأرض، لا يلوم نفسه يوم القيامة⁽³⁾، وسئل عكرمة عنها، قال: تلوم على الخير، والشر، ولا تصبر على السراء، والضراء⁽⁴⁾، قال الفراء⁽⁵⁾: ليس من نفس برة، ولا فاجرة، إلا وهي تلوم نفسها، إن

(1) النكت والعيون: 151/6 .

(2) جامع البيان: 48/24 .

(3) ينظر: الدر المنثور: 343/8 .

(4) ينظر: معالم التنزيل: 276/8 .

(5) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكرياء الفراء، النحوي، سمي بالفراء؛ لأنه كان يفري الكلام، عالم بالعربية، واشتهر بها، حتى قيل فيه: إنه أمير المؤمنين في النحو، كوفي، نزل ببغداد، روى عن قيس بن الربيع، وسفيان بن عيينة، وحازم بن الحسين البصري، وغيرهم، وروى عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن جهم السمري، وغيرهم، له تصانيف منها: معاني القرآن، واللغات، والجمع والتثنية في القرآن، وغيرها، توفي بطريق مكة، سنة: (207هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 101/19، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: 333/2، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، بلا: (ط).

كانت عملت خيرا، قالت هلا زدت، وإن عملت شرا، قالت يا ليتني لم أفعل⁽¹⁾، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَعَ عِظَامُهُ﴾، أي: يظن الإنسان الضال أنا لا نقدر على إعادة عظامه، وجمعها من أماكنها المتفرقة يوم القيامة، ﴿بَلْ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: أي: نجعله خفا، أو حافرا⁽²⁾، ووجه ابن جرير: بأنه تعالى لو شاء، لجعل ذلك في الدنيا، والظاهر: أن قوله: ﴿قَدَرِينَ﴾، حال، من قوله: ﴿يَجْمَعُ﴾، أي: يظن الإنسان أن لا نجتمع عظامه، بلى سنجمعها، ﴿قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾، أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا، لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بنانه، وهي أطراف أصابعه، مستوية، كما قاله ابن قتيبة⁽³⁾، والزجاج⁽⁴⁾، وقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني: الأمل، أي: أعمل، ثم أتوب قبل يوم القيامة⁽⁶⁾، وقيل: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة⁽⁷⁾، وقال مجاهد، وغير واحد: أي: يمضي قدما، قدما، على معاصي الله، ما عاش راكبا

-
- (1) ينظر: معاني القرآن للفراء: 208/3، تأليف: أبو زكرياء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشبلي، دار المصرية، ط: الأولى .
- (2) وهو أيضا عن: مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وابن أبي حاتم، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن جرير، ينظر: جامع البيان: 50/24، الدر المنثور: 343/8 .
- (3) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، أبو محمد، النحوي، اللغوي، ثقة، له مؤلفات منها: المعارف، وأدب الكتاب، ومشكل القرآن، وغيرها، روى عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، وغيرهم، وروى عنه ابنه أحمد، وابن رستويه الفارسي، توفي سنة: (276هـ)، وقيل: (296هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للأندروسي: 44/1، وفيات الأعيان: 42/3، بغية الوعاة: 63/2 .
- (4) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، النحوي، كان يخرط الزجاج، لزم المبرد، فأخذ عنه الأدب، حتى اشتهر به، من مصنفاته: معاني القرآن في التفسير، والأمالي، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وغيرها، توفي سنة: (311هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للأندروسي، وفيات الأعيان: 49/1، بغية الوعاة: 411/1 .
- (5) ينظر: زاد المسير: 418/8، معاني القرآن وإعرايه: 251/5، تأليف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: (الأولى): (1988م)، عالم الكتب، بيروت، تأويل مشكل القرآن: 206/1، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: إبراهيم شمس الدين، بلا: (ط)، دار الكتب العلمية، (2007م) .
- (6) جامع البيان: 53/24 .
- (7) وهو قول عن ابن عباس أيضا، المصدر نفسه .

رأسه، لا ينزع عنها، ولا يتوب⁽¹⁾، وقال ابن جبير، وغير واحد: هو الذي يعجل الذنوب، ويسوف التوبة، حتى يأتيه الموت على شر أحواله، وسوء أعماله⁽²⁾، وقيل: هو الكافر يكذب بيوم الحساب، كذا، قاله ابن زيد، وهو الأظهر⁽³⁾، ولهذا قال بعده: ﴿سَتَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي: يقول متى يكون يوم القيامة؟ استبعادا لوقوعه، وتكديبا لوجوده، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁴⁾، ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ﴾، قرأ أبو عمرو⁽⁵⁾: بكسر الراء أي: حار، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾⁽⁶⁾، أي: بل ينظرون، من الفزع، هكذا، وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء؛ من شدة الرعب، وقرأ آخرون: بالفتح وهو قريب من الأول⁽⁷⁾، والمقصود: أن الأبصار تحار يوم القيامة، وتخشع، وتذل؛ من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده هناك، وقوله: ﴿وَحَسَفَ الْقَمْرُ﴾، أي: ذهب ضوؤه، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، قال مجاهد: أي: كورا⁽⁸⁾، وقال عطاء⁽⁹⁾: يجمعان يوم القيامة، فيقذفان في البحر، تكون نار الله الكبرى⁽¹⁰⁾، وقوله: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ﴾، أي: إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ،

(1) وهو قول عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، والسدي، وعكرمة، ينظر: جامع البيان 53/24.

(2) وهو قول عن عكرمة، والضحاك، والسدي، بمعناه، ينظر: المصدر نفسه .

(3) وهو أيضا عن ابن عباس، المصدر نفسه: 54/24 .

(4) سورة يونس، الآية: 48، سورة الأنبياء، الآية: 38، سورة النمل، الآية: 71، سورة سبأ، الآية، 29، سورة يس، الآية:

48، سورة الملك، الآية: 25

(5) هو: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن تميم، التميمي، المازني، وقيل اسمه: زيان، وقيل: يحيى، وقيل: اسمه كنيته، أحد

الأئمة القراء السبعة، عالم بالعربية، والقرآن، والشعر، وبالقراءة، ووجهها، وإلي قراءته صار أهل البصرة، أو أكثرهم، قرأ

القرآن علي حميد بن قيس الأعرج، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم، قرأ عليه عبدالوارث بن سعيد، وحماد بن زيد،

ومعاذ بن معاذ، وغيرهم، روي الحديث عن أبيه، والحسن البصري، وابن سيرين، وغيرهم، روي عنه أخوه معاذ بن

العلاء، وشعبة وحماد بن زيد، وغيرهم، توفي سنة: (154هـ)، وقيل: (157هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 197/12 .

(6) سورة إبراهيم، من الآية: 43 .

(7) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، بكسر الراء، وقرأ نافع، وأبان عن عاصم، بفتح الراء،

السبعة في القراءات: 661/1 .

(8) جامع البيان: 57/24 .

(9) هو: عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، القاص، مولي ميمونة - رضي الله عنها-، زوج النبي

-ﷺ-، تابعي، ثقة، كثير الحديث، روي عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، وغيرهم، روي عنه أبو سلمة بن عبد

الرحمن، وهو من أقرانه، وزيد بن أسلم، وعمرو بن دينار، وغيرهم، توفي سنة: (103هـ)، وقيل: (104هـ)، ينظر:

تهذيب التهذيب: 194/7 .

(10) ينظر: الكشف والبيان، تفسير الثعلبي: 84/10 .

أراد أن يفر، ويقول: أين المفر، أي: هل من ملجأ، أو ملاذ، قال الله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: لا نجاة⁽¹⁾، كقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ﴾⁽²⁾، أي: مكان تنتكرون فيه، فقوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾، أي: ليس لكم مكان تعصمون فيه، ولهذا قال: ﴿إِنِّي رَبُّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾، أي: المرجع، والمصير، ثم قال: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، أي: يخبر بجميع أعماله، قديمها، وحديثها، أولها، وآخرها، وصغيرها، وكبيرها، كما قال: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾، أي: هو شهيد على نفسه، عالم بما فعله، ولو اعتذر، وأنكر، كما قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾⁽⁴⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: سمعه، وبصره، ويديه، ورجليه، وجوارحه⁽⁵⁾، وقال قتادة: إذا شئت، والله، رأيت بصيرا بعيوب الناس، وذنوبهم، غافلا عن ذنوبه، وقيل: إن في الإنجيل مكتوبا: يا ابن آدم، تُبْصِرُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وتترك الجذع في عينيك، لا تبصره⁽⁶⁾، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾، قال مجاهد: ولو جادل عنها، فهو بصير عليها⁽⁷⁾، وقال ابن زيد، وغير واحد: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾، أي: حفته، واختاره ابن جرير⁽⁸⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هي الاعتذار، ألم تسمع أنه قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾⁽⁹⁾،⁽¹⁰⁾.

(1) وهو أيضا عن ابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعطية، وأبي قلابة، وقاتدة، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 59/24، الدر المنثور: 345/8 .

(2) سورة الشورى، من الآية: 47 .

(3) سورة الكهف، من الآية: 49 .

(4) سورة الإسراء، من الآية: 14 .

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 3387/10، حديث رقم: (19061).

(6) ينظر: الدر المنثور: 347/8، إنجيل برنابا: 277/1، موسوعة الكتاب المقدس: 145/4، واللفظ: ولماذا تنظر القذا الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تقطن لها؟

(7) الدر المنثور: 347/8 .

(8) لم أقف على هذا القول، إلا للضحاك، المصدر نفسه.

(9) سورة غافر، من الآية: 52 .

(10) وهو أيضا عن: قتادة، وسعيد بن جبير: وابن زيد، واختاره ابن جرير، والقولان متقاربان في المعنى كثيرا، ينظر: جامع البيان: 64/24، الدر المنثور: 347/8، معالم التنزيل: 283/8 .

﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

هذا تعليم من الله تعالى لرسوله - عليه الصلاة والسلام - في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله، إذا جاء الملك بالوحي، أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره؛ لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له، ويوضحه، ويفسره، فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره، وإيضاح معناه، ولهذا قال: ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾، أي: بالقرآن، كما قال ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (1)، ثم قال: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾، أي: في صدرك، ﴿ وَقُرْآنَهُ ﴾، أي: أن تقرأه، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ ﴾، أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى، ﴿ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، أي: فاستمع له، ثم اقرأه، كما أقرأك، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾، أي: بعد حفظه، وتلاوته، نبينه لك، ونوضحه، ونلهمك معناه، على ما أردنا، وشرعنا، وفي الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " كان رسول الله - ﷺ - يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله: ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾، قال: جمعه في صدرك، ثم تقرأه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، فاستمع له، وأنصت، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾، فكان بعد ذلك، إذا انطلق جبريل، قرأه كما قرأه (2)، وقوله: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾، أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة، ومخالفة الحق، والقرآن العظيم، أنهم إنما همتهم إلى الدنيا العاجلة، وهم لأهون، مُتَشَاغِلُونَ عَنِ الْآخِرَةِ، ثم قال: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴾، من النضارة، أي: حسنة مشرقة، مسرورة، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾، أي: تراه عيانا، كما في صحيح البخاري:

(1) سورة طه، من الآية: 114 .

(2) ينظر: صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -، حديث رقم:

(05)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب: الاستماع إلى القراءة، حديث رقم: (448)، واللفظ مختلف .

"إنكم سترون ربكم عياناً"⁽¹⁾، وقد ثبت رؤية المؤمنين لله -ﷻ- في الدار الآخرة، في الأحاديث الصّحاح من طرق متواترة، عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها، ولا منعها، كحديث أبي هريرة، وأبي سعيد - رضي الله عنهما-، وهما في الصحيحين: أن ناساً، قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تضارون في رؤية الشمس، والقمر، ليس دونهما سحب"، قالوا: لا، قال: "فإنكم ترون ربكم، كذلك"⁽²⁾، وفيهما أيضاً: عن جرير⁽³⁾ -رضي الله عنه- قال: نظر رسول الله -ﷺ- إلى القمر، ليلة البدر، فقال: "إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، ولا قبل غروبها، فافعلوا"⁽⁴⁾، وفي أفراد مسلم: عن صهيب⁽⁵⁾ -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله: {تريدون شيئاً أزيدكم}، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتتجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً، أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة، ثم

-
- (1) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، حديث رقم: (6998).
- (2) المصدر نفسه، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، حديث أبي هريرة، رقم: (7000)، وحديث أبي سعيد، رقم: (7001)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث أبي هريرة، رقم: (182)، وحديث أبي سعيد، رقم: (183)، واللفظ مختلف .
- (3) هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، يكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عبد الله، صحابي، جليل، كان جميلاً، حتى قال عنه عمر: هو يوسف هذه الأمة، قدمه عمر في حروب العراق، ثم سكن الكوفة، وأرسله علي رسولاً إلي معاوية، ثم اعتزل الفريقين، روى عن النبي -ﷺ-، روى عنه قيس بن أبي حازم، والشعبي، وأبناؤه عبيد الله، والمنذر، وإبراهيم، وغيرهم، توفي سنة: (51هـ)، وقيل: (54هـ)، ينظر: الإصابة: 475/1، أسد الغابة: 176/1 .
- (4) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى " وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ "، حديث رقم: (6997)، صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم: (633)، واللفظ للبخاري، وفيه: لا تضامون [في رؤيته] .
- (5) هو: صهيب بن سنان بن مالك بن قاسط النمري، كناه الرسول -ﷺ-: (أبو يحيى)، وأمّه من بني مالك بن عمرو بن تميم، وهو الرومي، وقيل: له ذلك؛ لأن الروم سبّوه صغيراً، نشأ في الروم، فصار أكن، أعتقه عبد الله بن جدعان، بعد أن اشتراه، أسلم هو وعمار، ورسول الله -ﷺ- في دار الأرقم، وكان إسلامهما بعد بضع وثلاثين رجلاً، وكان من المستضعفين، هاجر إلى المدينة، مع علي بن أبي طالب، شهد بدرًا، والمشاهد بعدها، وأوصى عمر بأن يصلي عليه صهيب، وأن يؤم الناس إلى أن يجتمعوا على إمام، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه جابر الصحابي، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم، توفي سنة: (38هـ)، وقيل: (39هـ)، ينظر: الإصابة: 449/3، أسد الغابة: 525/1 .

تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁽¹⁾ " (2)، وفيها أيضا: عن جابر - رضي الله عنه -: (535/ب) "إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك"⁽³⁾، يعني: في عرصات القيامة، ففي هذه الأحاديث: أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم - تعالى-، في العرصات، وفي روضات الجنات، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه، كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه، وخدمه، وإن أفضلهم منزلة، لينظر في وجه الله كل يوم مرتين"، رواه أحمد، والترمذي⁽⁴⁾، والأحاديث في هذا كثيرة، وقد سبق في مواضع من هذا التفسير، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة، والتابعين، وأئمة الإسلام، وهداة الأئام، ومن تأول ذلك، بأن المراد بالي: مفردة الآلاء، وهي النعم، كما قال بعضهم: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽⁵⁾، أي: تنتظر الثواب من ربها⁽⁵⁾، فقد أبعد النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ﴾⁽⁶⁾، قال الشافعي⁽⁷⁾: ما حجب الفجار، إلا وقد علم أن الأبرار يرونه⁽⁸⁾، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾⁽⁹⁾، قال ابن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا

(1) سورة يونس، من الآية: 26 .

(2) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه وتعالى-، حديث رقم: (181).

(3) المصدر نفسه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: (191)، واللفظ مختلف.

(4) مسند أحمد: 13/2، حديث رقم: (4623)، واللفظ لأحمد، سنن الترمذي، حديث رقم: (3330)، باب: 71 من سورة القيامة، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(5) وهو قول عن: مجاهد، وأبي صالح، ينظر: جامع البيان: 72/24 .

(6) سورة المطففين، الآية: 15 .

(7) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي، أبو عبد الله الشافعي، فقيه، شاعر، عالم بالعربية، والقراءات، والحديث، تعلم الرمي، حتى إنه يصيب بالعشرة عشرة، حفظ القرآن، وهو ابن سبع سنين، وكان يختمه في رمضان ستين مرة، حفظ الموطأ، وعرضه على مالك، أذن له مسلم بن خالد بالفتوى، وهو ابن عشرين سنة، أو دونها، من مؤلفاته: الأم، والرسالة، ومختصر المزني، وغيرها، روى عن مسلم بن خالد الزنجي، ومالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وغيرهم، وروى عنه سليمان بن داود الهاشمي، وأحمد بن حنبل، وإبراهيم بن المنذر، وغيرهم، ينظر: تذكرة الحفاظ: 266/1، تهذيب التهذيب: 23/9، شذرات الذهب: 8/2 .

(8) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، والجماعة، من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة: 466/3، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، أبو القاسم، تح: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض: (1402هـ)، بلا: (ط).

آدم⁽¹⁾، حدثنا المبارك⁽²⁾ عن الحسن، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾، قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنظر، وهي تنظر إلى الخالق⁽³⁾، وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسِرَةٍ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، هذه وجوه الفجار، تكون يوم القيامة بأسرة، قال قتادة: كالحلة⁽⁴⁾، متغيرة⁽⁵⁾، قال ابن زيد: عابسة⁽⁶⁾، ﴿تَنْظُرُ﴾، أي: تستيقن، ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، قال مجاهد: أي: داهية⁽⁷⁾، وقال ابن زيد: تنظر أن ستدخل النار⁽⁸⁾، وهذا كقوله ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾⁽⁹⁾، وأشباه هذه الآية كثيرة.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾^(٦٦) وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ^(٦٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ^(٦٨) وَالنَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ^(٦٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ^(٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى^(٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى^(٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى^(٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ^(٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ^(٣٥) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى^(٣٦) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ^(٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ^(٣٨) فَعَجَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ^(٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ^(٤٠) ﴿

أخبر تعالى عن حالة الاحتضار، وما عنده من الأهوال، - ثبتنا الله هناك بالقول الثابت-، فقال: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾، إن جعل ﴿كَلَّا﴾، رادعة، فمعناها: " لست يا ابن آدم، هناك تكذيباً بما أخبرت به، بل صار عندك عياناً، وإن جعل بمعنى:

(1) هو: آدم بن إياس، واسمه عبدالرحمن بن محمد، ويقال: ناهية بن شعيب الخراساني، أبو الحسن العسقلاني، نشأ ببغداد، وارتحل في الحديث، وكان من الستة الذين يضبطون الحديث عند شعبة، ثقة، مأمون، متعبد، روى عن شعبة، وشيبان النحوي، وحماد بن سلمة، وغيرهم، وروى عنه البخاري، والدارمي، وأبو حاتم، وغيرهم، توفي بعسقلان، سنة: (220هـ)، وقيل: (221هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ: 299/1، تهذيب التهذيب: 171/1، تهذيب الكمال: 301/2 .

(2) هو: مبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة البصري، مولى زيد بن الخطاب، مختلف في توثيقه، روى عن الحسن البصري، وحميد الطويل، وابن المنكر، وغيرهم، وروى عنه مصعب بن المقدم، وبهز بن أسد، وحبان بن هلال، توفي سنة: (165هـ)، وقيل: (166هـ)، وقيل: (164هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 27/10، تهذيب الكمال: 180/27 .

(3) جامع البيان: 72/24 .

(4) النكت والعيون: 157/6 .

(5) وهو قول السدي، المصدر نفسه .

(6) جامع البيان: 74/24 .

(7) المصدر نفسه .

(8) المصدر نفسه .

(9) سورة آل عمران، من الآية: 106 .

حقًا، فظاهر، أي: حقًا، ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾، أي: انتزعت روحك من جسدك، وبلغت تراقيك، وهي: جمع ترقوة، وهي: العظام التي بين ثغرة النحر، والعاتق⁽¹⁾، كقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾⁽²⁾، ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: من راق، يرقى⁽³⁾، وقيل: أي: من طبيب شاف⁽⁴⁾، وقيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب⁽⁵⁾ ﴿وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالنَّفْسُ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: التفت عليه الدنيا، والآخرة، آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلقى الشدة بالشدة، إلا من رحم الله⁽⁶⁾، وقال عكرمة: بلاء بلاء⁽⁷⁾، وقال الحسن: ماتت رجلاه، فلم يحمله⁽⁸⁾، وعنه: هو لفهما بالكفن⁽⁹⁾، وقال الضحاك: اجتمع عليه أمران، الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه⁽¹⁰⁾، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾، أي: المرجع، والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله: ردوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، وقوله: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾، هذا إخبار عن الكافر، الذي كان في الدنيا مكذبا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بقلبه، فلا خير فيه، باطنا، ولا ظاهرا، ولهذا قال: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾، أي: خجلان، أشرا، بطرا، كسلان، لا همة له، ولا عمل، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿يَتَمَطَّىٰ﴾، أي: يختال⁽¹¹⁾، وقال قتادة:

(1) لسان العرب، مادة: ترق، والعاتق: موضع الرداء، مادة: عتق.

(2) سورة الواقعة، الآيات: 83 - 85.

(3) ينظر: الدر المنثور: 361/8، النكت والعيون: 158/6.

(4) وهو قول عن: أبي قلابة، وقاتدة، ينظر: الدر المنثور: 361/8.

(5) وهو قول عن: ابن عباس، وأبي الجوزاء، وأبي العالية، ينظر: المصدر نفسه.

(6) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3388/10، حديث رقم: (19068).

(7) ينظر: النكت والعيون: 158/6.

(8) المصدر نفسه.

(9) جامع البيان: 78/24.

(10) ينظر: المصدر نفسه: 77/24، تفسير الضحاك: 921/2.

(11) الدر المنثور: 363/8.

يتبختر⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ﴾، وهذا تأكيد، ووعيد شديد منه تعالى، للكافر به، المتبختر في مشيته، أي: يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالقك، وبارئك، كما يقال في مثل هذا، على سبيل التهكم، والتهديد، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾⁽²⁾، وقال قتادة: وعيد على إثر وعيد، كما تسمعون⁽³⁾، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله - ﷺ - بمجامع ثيابه، ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ﴾، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله، لا تستطيع أنت وربك شيئا، وإني لأعز من مشى بين جبليها⁽⁴⁾، وقوله: ﴿أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، يعني: لا يُبْعَثْ، وَلَا يُؤْمَرُ، وَلَا يُنْهَى، بل هو مأمور مُنْهَى في الدنيا، محشور إلى الله في الآخرة، والمقصود إثبات المعاد، والرد على من أنكره، ولهذا قال مستدلا على الإعادة بالبداءة، فقال: ﴿الْمَرْيُكَ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيِّ يَمَنَى﴾، أي: أما كان الإنسان من نطفة ضعيفة، من ماء مهين، يراق من الأصلاب في الأرحام، ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَطَلَقَ فَسَوَى﴾، أي: فصار علقة، ثم مضغة، ثم شكل، ونفخ فيه الروح، فصار خلقا آخر سويا، سليم الأعضاء، ذكرا، أو أنثى، بإذن الله، وبقدرته، ولهذا قال: ﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، ثم قال: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي، من هذه النطفة الضعيفة، بقادر على أن يعيده، كما بدأه؟ وتناول القدرة للإعادة، إما بطريق الأولى، بالنسبة إلى البداءة، وإما مساوية على القولين، في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾⁽⁵⁾، والأول أشهر، كما سبق نبأه في سورة الروم⁽⁶⁾، وفي سنن أبي داود: أن رجلا كان يصلي فوق بيته، فكان إذا قال: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، قال: سبحانك، فبلى، فسألوه عن ذلك، فقال: سمعته من رسول الله - ﷺ -⁽⁷⁾، وفي رواية ابن أبي حاتم:

(1) جامع البيان: 81/24 .

(2) سورة الدخان، الآية: 49 .

(3) جامع البيان: 82/24 .

(4) المصدر نفسه.

(5) سورة الروم، من الآية: 27 .

(6) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة: 274/ ب .

(7) السنن لأبي داود، باب: الدعاء في الصلاة، حديث رقم: (884)، وفيه: " فكان إذا قرأ "، قال الألباني: حديث صحيح .

سبحانك اللهم، فبلى⁽¹⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من قرأ منكم بالتين والزيتون، فانتهى إلى آخرها: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾، فانتهى إلى: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾، فليقل: بلى، ومن قرأ: ﴿ وَالْمَرْسَلَتِ عُرْفًا ﴾، فبلغ: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾، فليقل: آمنة بالله"، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي⁽²⁾.

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3389/10 حديث رقم: (19073).

(2) مسند أحمد: 249/2، حديث رقم: (7385)، قال شعيب الأرنؤوط: ضعيف، السنن لأبي داود، باب: مقدار الركوع والسجود، حديث رقم: (887)، سنن الترمذي، باب: 83، ومن سورة التين، حديث رقم: (3347)، واللفظ لأبي داود.

تفسير سورة: الإنسان

"وهي مكية"

عن ابن عباس - رضي الله عنهما-: "أن رسول الله -ﷺ- كان قرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾، السجدة، و: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾"، رواه مسلم (1)، وروى مرسلًا: "أن رسول الله -ﷺ- قرأ هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾، وقد أنزلت عليه، وعنده رجل أسود، فلما بلغ صفة الجنان، زفر زفرة، فخرجت نفسه، فقال رسول الله -ﷺ-: "أخرج نفس صاحبكم، أو قال: "أخيكم"، الشوق إلى الجنة" (2)، حديث غريب، والله أعلم .

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) ﴿﴾

أخبر تعالى عن حال الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا يذكر؛ لحقارته، وضعفه، فقال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾، أي: قد أتى على آدم سنون وهو ملقى من طين، قبل أن تنفخ فيه الروح، و: ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، أي: لم يكن يذكر، ولا يعرف، ولا يُدرى ما يراد به، بمعنى: كان شيئًا، ولم يكن مذكورًا، ثم بين ذلك، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾، أي: أخلاط، والمشج والمشيج: الشيء المختلط بعضه في بعض (3)، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، يعني: ماء الرجل، وماء المرأة، إذا اجتمعا، واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، وكون إلى كون، وبه قال أتباعه (4)، وقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾، أي:

(1) صحيح مسلم كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة، حديث رقم: (879)، واللفظ مختلف .

(2) المعجم الأوسط: 161/2 حديث رقم: (1581)، سلسلة الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، وأثرها السيء في

الأمة، قال الألباني: هذا حديث منكر، غير صحيح: 219/11، واللفظ مختلف .

(3) ينظر: لسان العرب، مادة: مشج.

(4) وهو أيضا عن: الحسن، والربيع بن أنس، وعكرمة، ومجاهد، ينظر: جامع البيان: 89/24 .

نختبره، كقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽¹⁾، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، أي: جعلنا له سمعا، وبصرا، يتمكن بهما من الطاعة، والمعصية، وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، أي: بينا، ووضحنا له سبيل الحق، والباطل، وعرفناه طريق الخير، والشر⁽²⁾، وعن مجاهد، وغير واحد، يعني: خروجه من الرحم⁽³⁾، والصحيح الأول، وقوله: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَامًا كَفُورًا﴾، منصوب على الحال من الهاء، في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، تقديره: فهو في ذلك، إما شقي، وإما سعيد، كما روى أبو مالك الأشعري⁽⁴⁾، أن رسول الله -ﷺ- قال: "كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فموبقها، أو معتكفها"، رواه مسلم⁽⁵⁾، وعن جابر بن عبد الله: أن النبي -ﷺ- قال لكعب بن عُجْرَةَ⁽⁶⁾: "أعاذك الله من إمارة السفهاء"، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: "أمراء من بعدي لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدق بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يرُدُّون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني، وأنا منهم، وسيرُدُّون على حوضي، يا كعب بن عُجْرَةَ: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان، أو قال: برهان، يا كعب بن عجرة: إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت، النار أولى به، الناس غاديان، فمبتاع نفسه، فمعتقها، وبائع نفسه، فموبقها"، رواه أحمد⁽⁷⁾، وعن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال:

(1) سورة هود، من الآية: 7، سورة الملك، من الآية: 2 .

(2) وهو قول عن: الحسن، ومجاهد، وابن زيد، وعطية العوفي، ينظر: جامع البيان: 92/24، الدر المنثور: 368/8 .

(3) وهو قول عن: الضحاك، و(أبو صالح)، والسدي، ينظر: تفسير القرطبي: 122/19، لم أقف على من ينسب هذا القول لمجاهد، إلا عند ابن كثير، وقال: هو قول غريب عنه، ينظر: تفسير ابن كثير: 286/8 .

(4) هو: الحارث بن الحارث الأشعري، أبو مالك، وقيل: هو كعب بن عاصم، وقيل: غير ذلك، صحابي، جليل، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه ربيعة الجرشي، وعبدالرحمن بن غنم الأشعري، وأبو سلام الحبشي، وغيرهم، توفي في خلافة عمر، ينظر: أسد الغابة: 202/1، تهذيب التهذيب: 239/12 .

(5) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، حديث رقم: (223)، وفيه: " فمعتقها أو موبقها".

(6) هو: كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي، يكنى أبا محمد، وقيل: أبو إسحاق، وقيل: أبو عبد الله، صحابي، جليل، مدني، حليف الأنصار، وقيل: غير ذلك، وشهد المشاهد كلها، ونزلت فيه قصة الفدية عند الإحرام، روى عن رسول الله -ﷺ-، وعمر، وروى عنه ابن عمر، وجابر، وابن عباس، وغيرهم، توفي بالمدينة، سنة: (51هـ)، وقيل: (52هـ)، وقيل: (53هـ)، ينظر: الإصابة: 599/5، أسد الغابة: 936/1 .

(7) ينظر: مسند أحمد: 321/3، حديث رقم: (14481)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، على شرط مسلم، واللفظ مختلف.

"ما من خارج يخرج، إلا ببابه رايتان، راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله، اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك، حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يَسْخَطُهُ اللهُ، اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان، حتى يرجع إلى بيته"، رواه أحمد (1).

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (٤) ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (٥) ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (٦) ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (٧) ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَنَسِينَا وَيَسْكِنُوا فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسِيرًا ﴾ (٨) ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ (٩) ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴾ (١٠) ﴿ فَوَقَّعْنَاهُم لَأَشْرَكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (١١) ﴿ وَجَزَيْنَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (١٢)

أخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه من السلاسل، والأغلال، والسعير، وهو: "اللهب، والحريق في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (٧١) ﴿ فِي الْحَمِيمِ ثَمَّرَ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (٧٢) (2)، ثم قال بعده: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (5)، وقد علم ما في الكافور من التبريد، والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذة في الجنة، قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل (3)، ولهذا قال: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (6)، أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور، هو عين يشرب بها المقربون، من عباد الله صرفاً، بلا مزاج، ويروون بها، ولهذا ضمن يشرب (يروى) حتى عداه بالباء، ونصب عيناً على التمييز، قال بعضهم: هذا الشراب فيه كالكافور (4)، وقيل: هو من عين كافور (5)، وقيل: يجوز أن يكون منصوباً بيشرب (6)، وقوله: ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (6)، أي: يتصرفون

(1) مسند الإمام أحمد: 323/2، حديث رقم: (8269)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، واللفظ مختلف .

(2) سورة غافر، الآيتان: 71 - 72 .

(3) ينظر: النكت والعيون: 165/6 .

(4) وهو قول عن: الفراء، والزجاج، ينظر: زاد المسير: 340/8 .

(5) وهو قول عن: عطاء، والكلبي، ينظر: معالم التنزيل: 293/8 .

(6) وهو قول عن: أبي البقاء، ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 601/10 .

فيها حيث شاءوا، من قصورهم، ودورهم، ومحالهم، والتفجير: هو الإنباع، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ لَكَّ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾⁽¹⁾، وقال مجاهد: يقودونها حيث شاءوا⁽²⁾، وقال الثوري: أي: يصرفونها حيث شاءوا⁽³⁾، وقوله ﴿ يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾، أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من الطاعات، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر، وعن عائشة - رضي الله عنها -: أن رسول الله - ﷺ - قال: "من نذر أن يطيع الله، فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله، فلا يعصه"، رواه البخاري⁽⁴⁾، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها؛ خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، يعني: منتشر فاش، عام على الناس، إلا من رحم الله، وقال قتادة: استطار، والله، شر ذلك اليوم، حتى ملأ السماوات والأرض⁽⁵⁾، وقوله: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾، قيل: أي: على حب الله⁽⁶⁾؛ لدلالة السياق عليه، والأظهر: أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم، وشهوتهم له، قاله مجاهد، وغيره، واختاره ابن جرير⁽⁷⁾، كما قال: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾⁽⁸⁾، وفي الصحيح: "أفضل الصدقة أن تصدق، وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر"⁽⁹⁾، أي: في حال محبتك للمال، وحرصك عليه، وحاجتك إليه، ﴿ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾، قال بعضهم: الأسير من أهل القبلة⁽¹⁰⁾، وقال ابن عباس

(1) سورة الإسراء، الآية: 90 .

(2) الدر المنثور: 369/8 .

(3) جامع البيان: 95/24 .

(4) صحيح البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة، حديث رقم: (6318).

(5) الدر المنثور: 396/8 .

(6) قاله الداراني، ينظر: زاد المسير: 433/8 .

(7) وهو أيضا عن: ابن عباس، ومقاتل، والزجاج، ينظر: زاد المسير: 433/8، جامع البيان: 96/24، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 258/5، تفسير مقاتل: 428/3 .

(8) سورة البقرة، من الآية: 177 .

(9) صحيح البخاري، حديث رقم: (1353)، باب: أي الصدقة أفضل؟ وصدقة الشحيح الصحيح، كتاب: الزكاة، صحيح مسلم، حديث رقم: (1032)، باب: بيان أفضل الصدقة صدقة الشحيح الصحيح، كتاب: الزكاة، واللفظ مختلف.

(10) وهو قول عن: سعيد بن جبير، وعطاء، ومجاهد، ينظر: جامع البيان: 97/24 .

- رضي الله عنهما-: كان أسراؤهم يومئذ مشركين⁽¹⁾، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ - أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسرى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، وقال عكرمة: هم العبيد⁽²⁾، واختاره ابن جرير؛ لعموم الآية للمسلم، والكافر⁽³⁾، وقد وصى رسول الله ﷺ - بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان في آخر ما أوصى أن جعل يقول: "الصلاة وما ملكت أيمانكم"⁽⁴⁾، أي: يطعمون لهؤلاء الطعام، وهم يشتهونه، ويحبونه، قائلين بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾، أي: رجاء ثواب، الله ورضاه، ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾، أي: لا نطلب منكم جزاء، ولا شكورا، أي: لا نطلب منكم مجازاة، تكافئونا بها، ولا أن تشكرونا عند الناس، قال مجاهد، وابن جبير: أما والله، ما قالوا بألسنتهم، ولكن علم الله به من [في]⁽⁵⁾ قلوبهم، فأنتى عليهم به؛ ليرغب راغب⁽⁶⁾، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾، ضيقا، ﴿قَطْرِيرًا﴾، طويلا، أي: إنما نفعل هذا؛ لعل الله أن يرحمنا، ويتلقانا بلطفه في اليوم العيوس القمطيرير، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: عبوسا: ضيقا، قمطيريرا: طويلا⁽⁷⁾، وقال عكرمة، وغيره: يعبس الكافر يومئذ، حتى يسيل من بين عينيه عرق، مثل القطران⁽⁸⁾، وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تَعَبَسَ فِيهِ الْوَجُوهُ مِنَ الْهَوْلِ، قمطيريرا، تقليص الجبين، وما بين العينين من الهول⁽⁹⁾، وأوضح العبارات في ذلك، وأجلاها وأعلاها قول ابن عباس - رضي الله عنهما-: قال ابن جرير: القمطيرير هو الشديد، وذلك أشد الأيام في البلاء، والشدة⁽¹⁰⁾، قال تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً

(1) ينظر: تفسير القرطبي: 129/19 .

(2) المصدر نفسه.

(3) ينظر: جامع البيان: 98/24 .

(4) مسند أحمد: 117/3، حديث رقم: (12190)، السنن لابن ماجة، باب: ما جاء في ذكر مرض رسول الله

ﷺ -، حديث رقم: (1625)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح .

(5) لعلها تكون زائدة، والسياق من دونها أفضل .

(6) ينظر: جامع البيان: 98/24 .

(7) النكت والعيون: 167/6 .

(8) وهو أيضا عن ابن عباس، ينظر: جامع البيان: 99/24 .

(9) ينظر: المصدر نفسه: 100/24 .

(10) ينظر: المصدر نفسه: 99/24 .

وَسُرُورًا ﴿٣٧﴾، هذا من باب التجانس البليغ، فوقاهم شر ذلك اليوم، أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَةً﴾ ﴿٣٨﴾، أي: في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾ ﴿٣٩﴾، أي: في قلوبهم، قاله الحسن، وغير واحد⁽¹⁾، وهذا كقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾⁽²⁾، وذلك أن القلب إذا سُرَّ، استتار الوجه، وقال كعب بن مالك⁽³⁾، في حديثه الطويل: وكان رسول الله -ﷺ-، إذا سُرَّ استتار وجهه كأنه فلقة قمر⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَجَزَنُهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ ﴿٣٧﴾، أي: بسبب صبرهم، أعطاهم، ونولهم، وبوأهم، ﴿جَنَّةٌ وَحَرِيرًا﴾ ﴿٣٨﴾، أي: منزلا رحيبا، وعيشا رغدا، ولباسا حسنا، وروى الحافظ بن عساكر، قال: قُرِيَّ عَلَى أَبِي سَلِيمَانَ الدَّارَانِيَّ⁽⁵⁾ سورة: ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ ﴿٣٧﴾، فلما بلغ القارئ قوله: ﴿وَجَزَنُهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿٣٨﴾، قال: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد:

كَمْ قَتِيلٌ لَشَهْوَةٍ وَأَسِيرٌ * * أَفَّ مِنْ مُشْتَهِي خِلَافِ الْجَمِيلِ
شَهْوَاتُ الْإِنْسَانِ تَوْرَثُهُ الدُّلُّ * * وَتُلْقِيهِ فِي الْبَلَاءِ الطَّوِيلِ⁽⁶⁾

- (1) وهو أيضا عن: ابن عباس، وقتادة، ينظر: الدر المنثور: 372/8 .
(2) سورة عبس، الآيتان: 38 - 39 .
(3) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري، السلمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بشير، وقيل: غير ذلك، صحابي، جليل، شهد العقبة، وباع بها، وتخلف عن بدر، وشهد أحدا، وما بعدها، وتخلف عن تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، وكان من شعراء الرسول -ﷺ-، روى عن النبي -ﷺ-، وأسيد بن حضير، وروى عنه ابن عباس، وأبو أمامة الباهلي، وعمر بن الحكم، وغيرهم، توفي بالشام، أيام قتل علي بن أبي طالب، وقيل: في خلافة معاوية، ينظر: الإصابية: 610/5، أسد الغابة: 938/1 .
(4) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله -ﷻ-: " وعلى الثلاثة الذين خلفوا"، حديث رقم: (4156)، صحيح مسلم، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك، وصاحبيه، حديث رقم: (2769)، واللفظ مختلف.
(5) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، من أهل داريا، بغوطة دمشق، رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، زاهد، مشهور، من كبار المتصوفين، روى عن عبد الواحد بن زيد، وجعفر بن حيان، وسفيان الثوري، وغيرهم، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري، وإسحاق بن عبد المؤمن، وعبد العزيز بن عمير، وغيرهم، توفي سنة: (215هـ)، وقيل: (205هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 162/19، تاريخ دمشق: 122/34 .
(6) البيت قاله حُمَيْدُ بْنُ هِشَامِ الْعَنْسِيِّ، تاريخ مدينة دمشق: 306/15، تاريخ داريا: 119/1، تأليف: أبو علي عبد الجبار بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن داود الداراني، المعروف بابن مهنا، مطبعة البرقي، دمشق: (1950م)، بلا: (تج، ط) .

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَدْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَمُومٌ رَّبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴿

أخبر تعالى عن أهل الجنة، وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العميم، فقال: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، قد سبق الكلام على ذلك في سورة: الصافات، وأن الاتكاء، هل هو الاضطجاع، أو التربع، أو التمكن، في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال⁽¹⁾، وقوله: ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، أي: ليس لهم حر مزعج، ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم، لا يبغيون عنها حولا، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾، أي: قريبة إليهم أغصانها، ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَدْلِيلًا﴾، أي: متى تعاطاه، دنا القطف إليه، وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال: ﴿وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾⁽³⁾، وقال مجاهد: إن قام، ارتفعت بقدره، وإن قعد، أو اضطجع، تذللت، حتى تتالها يده⁽⁴⁾، فذلك قوله: ﴿نَدْلِيلًا﴾، وقال أيضا: أرض الجنة من ورق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب، وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ، والزبرجد، والياقوت، والتمر، والورق بين ذلك، فمن أكل منها قائما، لم يؤذه، ومن أكل منها قاعدا، لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعا، لم يؤذه⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾، أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، وأكواب الشراب، وهي: الكيزان التي لا عُرى لها، ولا خراطيم، ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا﴾، أي: كانت قوارير قوارير من فضة قدرها نقير.

(1) لعل الصواب سبق الكلام عليه في سورة ص، ينظر: سورة ص، اللوحة: 423/ب، سورة الكهف، اللوحة: 278/أ، أما في سورة: الصافات، فلم يتكلم عليها، والله أعلم .

(2) سورة الرحمن، من الآية: 54 .

(3) سورة الحاقة، الآية: 23 .

(4) ينظر: تفسير مجاهد: 712/2، والدر المنثور: 374/8 .

(5) ينظر: الدر المنثور: 374/8 .

فِضَّةٍ ﴿﴾، وهذه ﴿قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾، فالأول منصوب بخبر كان، والثاني إما منصوب على البداية، أو التمييز؛ لأنه بيَّنه بقوله: ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج⁽¹⁾، والقوارير لا يكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شَفَّافَةٌ، يُرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وكثيرون: ليس في الجنة شيء، إلا قد أعطيت في الدنيا شبهه، إلا قوارير من فضة⁽²⁾، وقوله: ﴿تَدْرُوهَا نَقِيرًا﴾، أي: على قدر ريمهم، لا يزيد عليه، ولا ينقص منه، بل هي معدة لذلك، مقدرة بحسب ري صاحبها، وبه قال ابن جرير⁽³⁾، وهذا أبلغ في الاعتناء، والشرف، والكرامة، وقيل: ﴿تَدْرُوهَا نَقِيرًا﴾، أي: على قدر أكف الخدم⁽⁴⁾، وهذا قريب من ذلك، فإنها مقدرة في القدر والري، وقوله: ﴿وَيُسْفُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾، يعني: ويسقى الأبرار في هذه الأكواب كأسا، أي: خمرًا، ﴿كَانَ مَزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارة بالزنجبيل، وهو حار؛ ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج من هذا تارة، ومن هذا أخرى، وأما المقربون، فإنهم يشربون من كل منهما صرفًا، كما قاله قتادة، وغير واحد⁽⁵⁾، وقد سبق قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾، وقال ههنا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾، أي: الزنجبيل: عين في الجنة، تسمى سلسبيلًا، قال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سكبها، وحدة جريها⁽⁶⁾، وقيل: لسلاستها في الحلق⁽⁷⁾، وقوله: ﴿وَيَطُوفُ﴾

(1) وهو أيضا عن: مجاهد، وقاتادة، والحسن، والشعبي، وسفيان، ينظر: جامع البيان: 104/24، الدر المنثور: 375/8.

(2) لم أجد هذا القول منسوبًا لغير ابن عباس، في تفسير ابن كثير: نسبه لابن عباس فقط، ولم يذكر غيره، ينظر: تفسير ابن كثير: 291/8.

(3) ينظر: جامع البيان: 106/24.

(4) وهو قول عن: ابن عباس، والربيع، والقرطبي، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 107/24، تفسير الثعلبي: 103/10، النكت والعيون: 170/6.

(5) وهو أيضا عن: عبد الله بن مسعود، وابن عباس، والكلبي، ومسروق، ومالك بن الحارث، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 300/24.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 108/24.

(7) وهو قول عن ابن عباس، ينظر النكت والعيون: 171/6.

عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١﴾، أي: يطوف على أهل الجنة؛ للخدمة، ولدان من ولدان الجنة، ﴿مُخَلَّدُونَ﴾، أي: على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، ومن فَسَّرَهُ: بأنهم مُخَرَّصُونَ في آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك؛ لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك، دون الكبير، وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم، وثيابهم، وحلتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، إذ ليس في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور في المكان الحسن، قال عبد الله بن عمرو: "ما من أهل الجنة من أحد، إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه"⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾، أي: وإذا رأيت يا محمد، ﴿ثُمَّ﴾، أي: هناك، يعني: الجنة، ونعيمها، وسعتها، وارتفاعها، وما فيها من الحَبْرَةِ، والسرور، ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾، أي: مملكة لله هنالك عظيمة، وسلطان باهر، وثبت في الصحيح: أن الله يقول لآخر أهل النار منها، وآخر أهل الجنة دخولا إليها: "إن لك مثل الدنيا، وعشرة أمثالها"⁽²⁾، فإذا كان هذا عطاؤه لأدنى من يكون في الجنة، وهو آخرهم دخولا، فما ظنك بمن هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى، وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه سندس، وهو رفيع الحرير، كالقمصان، ونحوها، مما يلي الأبدان، والاستبرق منه: ما فيه براقه، ولمعان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللبس، ﴿وَحُلُوتٌ أَسَاوِرٌ مِنْ ذَهَبٍ لؤلؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾⁽³⁾، ولما ذكر الله تعالى زينة الظاهر بالحرير، والحلي، قال بعده: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، أي: يطهر بواطنهم من الحسد،

(1) صحيح الترغيب، والترهيب للألباني: 257/3 حديث رقم: (3705)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الرياض، ط: الخامسة، واللفظ مختلف.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، حديث رقم: (6202)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجا، حديث رقم: (186).

(3) سورة الحج، من الآية: 23، سورة فاطر، من الآية: 33.

والغل، والأذى، وسائر الأخلاق الرديئة، كما قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة، ووجدوا هنالك عينين، فكأنما ألهموا ذلك، فشرّبوا من إحداهما فأذهبت ما في بطونهم من الأذى، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم"⁽¹⁾، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾، أي: يقال لهم تكريماً لهم؛ وإحساناً إليهم، كما قال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾⁽²⁾، وقوله ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾، أي: جزاكم الله على القليل الكثير.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^(٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ هَتُولَاءٍ يُجْتَوُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

قال تعالى ممتنا على رسوله - عليه الصلاة والسلام - بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، أي: كما أكرمتك، وأنزلت عليك، فاصبر على قضائه، وقدره، واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره، ﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، أي: لا تطع الكافرين، والمنافقين، إن أرادوا صدك عما أنزل إليك، بل بلِّغ ما أنزل إليك من ربك، وتوكل على الله، إن الله يعصمك من الناس، فالآثم هو: الفاجر في أفعاله، والكفور هو: الكافر قلبه، ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾⁽³⁾، ثم قال تعالى منكرًا على الكفار، ومن شابهم، في حب الدنيا، والإقبال إليها، وترك الآخرة وراء ظهورهم: ﴿إِنَّكَ هَتُولَاءٍ يُجْتَوُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾، يعني: يوم القيامة، ثم قال: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة: 499/14، حديث رقم: (6724)، واللفظ مختلف.

(2) سورة الحاقة، الآية: 24 .

(3) سورة الإسراء، الآية: 79 .

وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴿١﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: يعني: خلقهم (1)، فقال رجل حسن الأمر: أي: الخلق، يعني: قوينا، وأحكمنا جسدهم (2)، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا﴾، أي: وإذا شئنا، بعثناهم يوم القيامة، وبدلناهم، فأعدناهم خلقا جديدا، وهذا استدلال بالبداة على الرجعة، وقال ابن زيد، وابن جرير: أي: وإذا شئنا، أتينا بقوم آخرين غيرهم (3)، كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ (4)، وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (5)، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، يعني: (538/أ) السورة، ﴿تَذِكْرَةٌ لِّمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، أي: طريقا، ومسلكا، أي: من شاء، اهتدى بالقرآن، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في إيمان، ولا يجر لنفسه نفعا، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، أي: أنه عليم بمن يستحق الهداية، فيسيرها له، ويهيئ له أسبابها، وبمن يستحق الغواية، فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة في ذلك، ثم قال: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، أي: يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ومن يهده، فلا مضل له، ومن يضل، فلا هادي له .

(1) وهو أيضا عن: مجاهد، وقتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، ينظر: جامع البيان: 18/24، زاد المسير: 441/8.

(2) وهو قول ابن زيد، ينظر: جامع البيان: 118/24 .

(3) ينظر: المصدر نفسه، 119/24 .

(4) سورة النساء، من الآية: 133 .

(5) سورة إبراهيم، من الآية: 19، سورة فاطر، الآية: 16 .

تفسير سورة: المرسلات

"وهي مكية"

في الصحيحين عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، قال: بينما نحن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غار بمنى إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، فإنه ليلتوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاهه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "اقتلوها"، فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وقيت شركم، كما وقيت شرها"⁽¹⁾، وفيهما أيضا عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: إن أم الفضل⁽²⁾ سمعته يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، فقالت: "يا بُنَيَّ نَكَرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ، أَنَا لِأَخْرَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يقرأ بها في المغرب"⁽³⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ١ ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾ ٢ ﴿وَالنَّشْرَاتِ نَشْرًا﴾ ٣ ﴿فَالْفَرْقَاتِ فَرْقًا﴾ ٤ ﴿فَالْمَلَقَاتِ ذِكْرًا﴾ ٥ ﴿عُدْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ ٦ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ﴾ ٧ ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ ٨ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّتَتْ﴾ ٩ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ ١٠ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾ ١١ ﴿لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ ١٢ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ١٣ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ١٤ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْبُرُوجِ الْبَيْنَ﴾ ١٥ ﴿

قال أبو هريرة -رضي الله عنه-، وغير واحد: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، يعني: الملائكة⁽⁴⁾، وعن

(1) صحيح البخاري، كتاب: الحج، باب: ما يقتل المحرم من الدواب، حديث رقم: (1733)، صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: قتل الحيات، وغيرها، حديث رقم: (2234)، واللفظ للبخاري .

(2) هي: لبابة بنت الحارث بن حزن بن صعصعة الهلالية، زوجة العباس بن عبد المطلب، لبابة الكبرى، أسلمت قبل الهجرة، وقيل: بعدها، قال ابن سعد: أم الفضل أول امرأة آمنت بعد خديجة، روت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وروى عنها ابنها: عبد الله، وتمام، وعبد الله بن الحارث، وغيرهم، توفيت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس، سنة: (30هـ)، ينظر: الإصابة: 276/8، أسد الغابة: 1409/1 .

(3) صحيح البخاري، كتاب: صفة الصلاة، باب: القراءة في المغرب، حديث رقم: (729)، صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، حديث رقم: (462)، واللفظ مختلف .

(4) وهو أيضا عن: ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، ومسروق، وأبي صالح، والكلبي، ومقاتل، ينظر: الدر المنثور: 381/8، تفسير القرطبي: 154/19 .

أبي صالح: هي الرسل أيضا⁽¹⁾، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: هي الرياح⁽²⁾، وكذا، في ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾، و ﴿وَالنَّشْرَتِ﴾، إنها الرياح⁽³⁾، وهكذا، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد⁽⁴⁾، وتوقف ابن جرير في المرسلات عرفا، هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف؟ أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا؟ أو هي الرياح، إذا هبت شيئا فشيئا؟ وقطع بأن العاصفات هي الرياح⁽⁵⁾، وبه قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-⁽⁶⁾، وتوقف في الناشرات هل هي الملائكة؟ أو الرياح؟ كما سبق⁽⁷⁾، وعن أبي صالح: إنها المطر⁽⁸⁾، والأظهر: أن المرسلات هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾⁽⁹⁾، وكذا، العاصفات، يقال: عصفت الرياح، إذا هبت بتصويت، وكذا، الناشرات، هي: الرياح التي تنتشر السحاب في آفاق السحاب، وقوله: ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾⁽¹⁰⁾، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-، وابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: هي الملائكة، بلا خلاف⁽¹⁰⁾، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، والهدى، والغى، والحلال، والحرام، وتلقي إلى الرسل وخيا، فيه إعدار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله، إن خالفوا أمره، وقوله: ﴿عُدْرًا أَوْنُدْرًا﴾، على قراءة العامة (بسكون الذال)، في موضع مصدر، بمعنى: الإعدار، والإنذار، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أن ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ

(1) ينظر: النكت والعيون: 175/6 .

(2) ينظر: جامع البيان: 122/24 .

(3) ينظر: المصدر نفسه: 125/24، 126 .

(4) وهو أيضا عن: ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن عرعة، ومجاهد، وقتادة، ورواية لأبي صالح والمهدي، ينظر: المصدر نفسه: 125/24، الدر المنثور: 381/8، تفسير القرطبي: 155/19 .

(5) ينظر: جامع البيان: 124/24 .

(6) ينظر: المصدر نفسه: 125/24 .

(7) ينظر: المصدر نفسه: 127/24 .

(8) المصدر نفسه.

(9) سورة الحجر، من الآية: 22 .

(10) وهو أيضا عن: قتادة، ومجاهد، وأبي صالح، والضحاك، وإسماعيل، وسفيان، ينظر: جامع البيان: 127/24، الدر المنثور: 382/8، تفسير القرطبي: 155/19 .

في الصور، وبعث الأجساد، وجمع الأولين، والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله، لكائن، لا محالة، ثم قال: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، أي: ذهب ضوءها، وانكدرت، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾، أي: انفطرت، وانشقت، وتدلّت أرجاؤها، ووقعت أطرافها، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾، أي: ذهب بها، فلا يبقى لها عين، ولا أثر، كقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ﴾ (١٧٠) ﴿١٧١﴾ (1)، وقوله: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: جمعت (2)، كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ (3)، وقيل: أي: أجلت (4)، وقيل: أوعدت (5)، كقوله: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّئْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (6)، ثم قال: ﴿لَأَيُّ يَوْمٍ أُحِلَّتْ﴾، أي: أخرت، وهذا تعجيب للعباد، وتهويل لهم من ذلك اليوم، ثم بين، فقال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يوم يفصل الرحمن بين الخلائق (7)، ثم قال معظما لشأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ وَيْلٌ لِّلْمُكذِّبِينَ﴾، أي: ويل لهم من عذاب الله غداً.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۖ ۞ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ۖ ۞ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۖ ۞ وَيْلٌ لِّلْمُكذِّبِينَ ۖ ۞ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۖ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۖ ۞ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۖ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ۖ ۞ وَيْلٌ لِّلْمُكذِّبِينَ ۖ ۞ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۖ ۞ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۖ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسٍ شَامِخَاتٍ ۖ ۞ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّاءً فُرَاتًا ۖ ۞ وَيْلٌ لِّلْمُكذِّبِينَ ۖ ۞﴾ (١٦-٢٨)

(538/ب) يعني: ألم نهلك المكذبين للرسول المخالفين لما جاؤوهم به سابقا، ﴿ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ﴾، أي: ممن أشبههم لاحقا، ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾، قاله ابن جرير (8)، ثم قال ممتنا على خلقه، ومحتجا على الإعادة بالبداة: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ﴾

(1) سورة طه، الآيات: 105، 106، 107 .

(2) النكت والعيون: 177/6 .

(3) سورة المائدة، من الآية: 109 .

(4) وهو قول مجاهد: ينظر: جامع البيان: 30/24، النكت والعيون: 177/6 .

(5) وهو قول إبراهيم، النكت والعيون: 177/6 .

(6) سورة الزمر، من الآية: 69 .

(7) معالم التنزيل: 305/8 .

(8) ينظر: جامع البيان: 131/24 .

مِهِينٍ ﴿٢٠﴾، أي: ضعيف حقير، بالنسبة إلى قدرة الباري، كما سبق في سورة يس، في حديث بُسْرِ بْنِ جَحَاشٍ⁽¹⁾: "ابن آدم، أنى تعجزني، وقد خلقتك، من مثل هذه"⁽²⁾، ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، يعني: جمعناه في الرحم، وهو قرار الماء من الرجل، والمرأة، والرحم معد لذلك، حافظ لما أودع فيه، من ماء، بأمر الله، وقوله: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، يعني: إلى مدة معينة من ستة أشهر، أو تسعة أشهر، ثم قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾، معنى الكفت: الضم، والجمع⁽³⁾، قال مجاهد: يكفت الميت، فلا يرى منه شيء⁽⁴⁾، وعن الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم، وبه قال قتادة، وغيره⁽⁵⁾، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ﴾، يعني: الجبال العالية، رَسَىٰ بِهَا الْأَرْضُ؛ لئلا تميد، وتضطرب، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾، أي: زُلَالًا مِنَ السُّحُبِ، ومما أنبعه من عيون الأرض، ويل، لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقهم، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾^(٢١) أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تَلَدٍ شُعْبٍ^(٢٠) لَا ظِلِّ لِي وَلَا يَعْزِي مِنِ اللَّهُبِ^(٢١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ^(٢٢) كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ^(٢٣) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكْذِبِينَ^(٢٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ^(٢٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ^(٢٦) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكْذِبِينَ^(٢٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولَىٰ^(٢٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا^(٢٩) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكْذِبِينَ^(٤٠) ﴿٤٠﴾

خاطب تعالى الكفار المكذبين بالمعاد، والجزاء، والجنة، والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾، أي: في الدنيا، ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تَلَدٍ شُعْبٍ﴾، يعني: لهب النار، إذا ارتفع، وصعد معه دخان، فمن شدته، وقوته، أن له ثلاث

(1) هو بسر بن جحاش، (بكسر الجيم، بعدها مهملة، خفيفة)، وقيل: (بفتحها، بعدها مثقلة، وبعد الألف معجمة)،

وقيل: بشر، وهو ضعيف، صحابي، جليل، من قریش، نزل حمص، لم يرو عنه غير جبير بن نفيير، عداده في الشاميين، توفي بحمص، ينظر: الإصابة: 291/1، أسد الغابة: 113/1 .

(2) مسند أحمد: 210/4، حديث رقم: (17876)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، السنن لابن ماجة، باب: النهي عن الإمساك في الحياة، والتبذير عند الموت، حديث رقم: (2707)، المخطوط، اللوحة: 412/ب، واللفظ لأحمد.

(3) ينظر: لسان العرب، مادة: كفت.

(4) الدر المنثور: 384/8 .

(5) وهو أيضا عن: مجاهد، ينظر: جامع البيان: 134/24 .

شعب، ﴿لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾، أي: لا تظل من الحر، ولا ترد لهب جهنم عنكم، يعني: أنهم إذا استظلوا بذلك الظل، لم يدفع عنهم حر اللهب، وقوله: ﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ﴾، أي: يتطاير الشرر من لهبها، كالقصر، أي: كالبناء العظيم، كالحصون، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما-، وجماعة: هي الخشب العظيم، المقطعة، كأصول الشجر⁽¹⁾، ﴿كَأَنَّهُ جَمَلَتُ صُفْرًا﴾، أي: كالإبل، قاله مجاهد، والحسن، وقتادة⁽²⁾، واختاره ابن جرير⁽³⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: يعني: حبال السفن⁽⁴⁾، وعنه أيضا: قطع النحاس⁽⁵⁾، وفي البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: "كنا نعد إلى الخشبة ثلاثة أذرع، وفوق ذلك، فنرفعه للشتاء، فنسميه القصر، ﴿كَأَنَّهُ جَمَلَتُ صُفْرًا﴾، حبال السفن تجمع، حتى تكون كأوساط الرجال"⁽⁶⁾، ثم قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾، أي: لا يتكلمون، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، أي: لا يقدر على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه؛ ليعتذروا، بل قد قامت عليهم الحجة، ووقع القول عليهم، بما ظلموا، فهم لا ينطقون، ولعرصات القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة، وعن هذه أخرى، ليدل على شدة الأهوال، والزلازل، يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولَى﴾، هذه مخاطبة من الخالق لعباده، يقول لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولَى﴾، يعني: أنهم جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾، تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتتجوا من حكمي، فافعلوا، فإنكم لا تقدر على ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنَّ

(1) وهو أيضا عن: مجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن، ينظر: جامع البيان: 137/24 .

(2) ينظر: المصدر نفسه: 139/24 .

(3) ينظر: المصدر نفسه 141/24 .

(4) وهو أيضا عن: مجاهد، وسعيد بن جبير، ينظر: المصدر نفسه: 140/24 .

(5) المصدر نفسه: 141/24 .

(6) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المرسلات، باب: قوله ﴿كَأَنَّهُ جَمَلَتُ صُفْرًا﴾، حديث رقم:

وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ (1)،
وفي الحديث الصحيح: "يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري،
فتضروني" (2)، وعن أبي عبد الله الجدلي (3) قال: "أتيت بيت المقدس، فإذا عبادة بن
الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار، يتحدثون فيها، فقال عبادة: إذا كان
يوم القيامة، جمع الله الأولين، والآخرين في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويُسمعهم
الداعي، ويقول الله: ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ إِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونَ ﴾، اليوم لا ينجو
مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد، فقال عبد الله بن عمرو: فإننا نحدث يومئذ أنها
يُخْرَجُ عنق من النار، فتتطلق، حتى إذا كانت بين ظهراني الناس، نادى أيها الناس،
إني بعثت إلى ثلاثة، أنا أعرف بهم من الأب بولده، ومن الأخ بأخيه، لا يغيبهم عني
وَرَّرَ، ولا تخفيهم عني خافية، الذي جعل مع الله إلها آخر، وكل جبار عنيد، و
[كل] (4) شيطان مريد، فينطوي عليهم، فنقذف بهم إلى النار، قبل الحساب بأربعين
سنة"، رواه ابن أبي حاتم (5).

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَهُ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوا وَتَمَنَعُوا فَلِيلاً إِنكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

أخبر تعالى عن عباده المتقين، الذين عبدهه بأداء الواجبات، وترك المحرمات،
إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء، فيه من

(1) سورة الرحمن، الآية: 33 .

(2) صحيح وضعيف الجامع الصغير، وزيادته: 780/1، حديث رقم: (7794)، واللفظ مختلف، قال الألباني:
صحيح، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بلا: (تح، ط) .

(3) هو: أبو عبد الله الجدلي الكوفي، اسمه: عبد بن عبد، وقيل: عبد الرحمن بن عبد، روى عن خزيمة بن ثابت،
وسلمان الفارسي، ومعاوية، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن
السائب، وغيرهم، ثقة من التابعين، ينظر: تهذيب التهذيب: 165/12 .

(4) لا يكتمل المعنى إلا بها، وهي ثابتة في تفسير ابن كثير: 300/8، وفي الحديث عند ابن أبي حاتم .

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 3393/10 حديث رقم: (19092).

ظل اليعموم، وهو: الدخان الأسود، المنتن، ﴿وَفُوكِهِ مَمَّائِشْتَهُونَ﴾، أي: ومن سائر أنواع الثمار، مهما طلبوا، وجدوا، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى مخبرا مستأنفا: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل، ﴿وَلِيَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، وقوله: ﴿كُلُوا وَتَمْنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ جُحْرُمُونَ﴾، خطاب للمكذبين بيوم الدين، أمرهم أمر تهديد، ووعيد، أي: هذه قليلة قريبة الزوال، ثم يساقون إلى نار جهنم بكفرهم، وعنادهم، كما قال تعالى: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ (1)، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك، واستكبروا عنه، ولهذا قال: ﴿فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: فبأي كلام بعد القرآن يؤمنون، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: رواية إذا قرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، فقرأ: ﴿فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، فليقل: أمنت بالله، وبما أنزل، رواه ابن أبي حاتم (2)، وقد سبق هذا الحديث مستوفى، في آخر سورة القيامة (3)، والله أعلم.

(1) سورة لقمان، الآية: 24 .

(2) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم .

(3) الصفحة 125 من البحث .

تفسير سورة: النبا

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

قال تعالى منكرًا على المشركين تساءلون عن يوم القيامة؛ إنكارًا لوقوعها: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، أي: عن أي شيء يتساءلون من أمر القيامة؟ وهو النبا العظيم، يعني: الخبر الهائل، المفطع، وقال قتادة، وابن زيد: النبا العظيم: البعث بعد الموت⁽¹⁾، وقال مجاهد: هو القرآن⁽²⁾، والأظهر الأول، لقوله: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾، يعني: الناس فيه على قولين، مؤمن به، وكافر، ثم قال متوعدا لمنكري القيامة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، كلاً: نفي لقولهم: سيعلمون، أي: عاقبة تكذيبهم حين تتكشف، والثاني وعيد لهم على إثر وعيد، ثم شرع تعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة، والأمور العجيبة الدالة على كمال قدرته، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾، أي: ممهدة للخلائق، وفرشاً لهم، قارة ساكنة، ثابتة، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، أي: جعل لها أوتادا، رساها بها، وثبتها وقررها، حتى سكنت، ولم تضطرب بمن عليها، ثم قال: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يعني: ذكرا، وأنثى، يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا

(1) ينظر : جامع البيان: 150/24 .

(2) تفسير مجاهد: 719/2 .

(3) سورة الروم، من الآية: 21 .

نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٤﴾، أي: قَطْعًا للحركة؛ لتحصل الراحة من كثرة الترداد، والسعي في المعاش، في عرض النهار، كما سبق مثله في سورة الفرقان⁽¹⁾: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أي: يَغْشَى الناس ظلامه، وسواده، كما قال: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَاهَا﴾⁽²⁾، وقال قتادة: أي: سكننا⁽³⁾، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، أي: جعلناه مشرقاً، نيراً، مضيئاً؛ ليتمكن الناس من التصرف فيه، والذهاب، والمجيء للمعاش، والتكسب، والتجارات، وغير ذلك، وقوله: ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا﴾، يعني: السماوات السبع في اتساعها، وارتفاعها، وإحكامها، وإتقانها، وتزيينها بالكواكب الثابتة، والسيارات، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾، يعني: الشمس المنيرة على جميع العالم، التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : المعصرات: الرياح، وبه قال غير واحد⁽⁴⁾، يعني: أنها تستدر المطر من السحاب، والمعصرات، السحاب، وهي التي تتحلب بالمطر، ولم تمطر بعد، كما يقال: امرأة معصرة، إذا أدنى حيضها، ولم تحض، قاله الفراء، وهو اختيار ابن جرير⁽⁵⁾، قال قتادة، وغيره: هي السماوات⁽⁶⁾، والأول أظهر، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾⁽⁷⁾، وقوله: ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾، أي: منصبا، متتابعا كثيرا، وقوله: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾، أي: لنخرج بهذا الماء الكثير، الطيب، النافع، المبارك، ﴿حَبًّا﴾، يدخر للإناسي، والأنعام، ﴿وَنَبَاتًا﴾، أي: خضرا يؤكل رطبا، ﴿وَجَنَّاتٍ﴾، أي: بساتين، وحدائق من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة، وطعوم، وروائح

(1) المخطوط نفسه، اللوحة: (323 / أ).

(2) سورة الشمس، الآية: 4 .

(3) النكت والعيون: 183/6 .

(4) وهو أيضاً عن : مجاهد، وقتادة، وعكرمة، والحسن، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 153/24، الدر المنثور: 391/8 .

(5) ينظر : جامع البيان: 154/24، زاد المسير: 6/9 .

(6) وهو أيضاً عن: الحسن، جامع البيان: 154/24 .

(7) سورة الروم، الآية: 48 .

متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا، ولهذا قال: ﴿وَجَنَّتِ الْأَفَّاكَ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: أي: مجتمعة⁽¹⁾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾^(١٧) يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَئِنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

أخبر تعالى عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، أنه مؤقت بأجل معدود، لا يُزاد عليه، ولا يُنقص منه، ولا يَعْلَمُ وقته على التعيين إلا الله، كما قال: ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾^(١٠٤)، ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، قال مجاهد: أي: زمرا زمرا⁽³⁾، قال ابن جرير: يعني: تأتي كل أمة مع رسولها، كقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾، وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما بين النفختين أربعون"، قالوا: أربعون يوما؟ قال: "أبيت"، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: "أبيت"، قالوا: أربعون سنة؟ قال: "أبيت"، قال: "ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون، كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء، إلا يبلى، إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة"⁽⁶⁾، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، أي: طرقا، ومسالك؛ لنزول الملائكة، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾⁽⁷⁾، أي: يخيل للناظر أنها شيء، وليست بشيء، وبعد

(1) وهو أيضا عن: مجاهد، وقتادة، وابن زيد، وابن وهب، واختاره ابن جرير، ينظر: جامع البيان: 156/24 .

(2) سورة هود، الآية: 104 .

(3) تفسير مجاهد: 270/2 .

(4) سورة الإسراء، من الآية: 71 .

(5) ينظر: جامع البيان: 158/24 .

(6) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة النبأ، حديث رقم: (4651)، صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، حديث رقم: (2955)، واللفظ مختلف.

(7) سورة القارعة، الآية: 5 .

ذلك يذهب بالكلية، فلا عين، ولا أثر، كما قال: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّغِينِ مَبَآئِلَ﴾، أي: مرصدة، معدة للعصاة، المتمردين، ﴿مَبَآئِلَ﴾، أي: مرجعا، ومنقلبا، ومصيرا، وقال الحسن، وقتادة: يعني: لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز، نجا، وإلا، احتبس⁽³⁾، وقال سفيان الثوري: عليها ثلاث قناطر⁽⁴⁾، وقوله: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا﴾، أي: ماكنين فيها، ﴿أَحْقَابًا﴾، جمع حُقب، وهو المدة من الزمان⁽⁵⁾، وقد اختلفوا في مقداره، قال علي بن أبي طالب - عليه السلام - لهلال الهجري⁽⁶⁾، ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال نجده: ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة، وهكذا، روي عن ابن عباس، وأبي هريرة - رضي الله عنهم -، وجماعة، رواه ابن جرير⁽⁷⁾، وعن ابن أبي حاتم: قال عبد الله بن عمرو: الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف مما تعدون⁽⁸⁾، وقال بشير بن كعب⁽⁹⁾: ذُكر لي أن الحقب الواحد ثلاثمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽¹⁰⁾، وقال السدي: سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم كألف سنة مما تعدون⁽¹¹⁾، وقد قال مقاتل بن

(1) سورة طه، الآيات: 105 - 107 .

(2) سورة الكهف، من الآية: 47 .

(3) ينظر: جامع البيان: 159/24 .

(4) المصدر نفسه.

(5) لسان العرب مادة: حقب.

(6) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر .

(7) وهو أيضا عن: سعيد بن جبیر، وقتادة، والربيع بن أنس، ينظر: جامع البيان: 161/24 .

(8) ينظر: النكت والعيون: 186/6 .

(9) هو: بشير بن كعب بن أبي الحميدي العدوي، ويقال: العامري، أبو أيوب، بصري، تابعي، ثقة، شهد اليرموك، روى

عن أبي الدرداء، وأبي هريرة، ربيعة، وغيرهم، وروى عنه قتادة، وثابت البناني، والعلاء بن زياد، وغيرهم، ينظر:

تهذيب التهذيب: 469/1 .

(10) ينظر: جامع البيان: 161/24، رواه ابن أبي حاتم، حديث رقم: (19098)، من طريق أبي هريرة:

.3394/10

(11) تفسير السدي الكبير: 469 .

حيان⁽¹⁾: " إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾⁽²⁾، وقال خالد بن معدان⁽³⁾: هذه الآية، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾⁽⁴⁾، في أهل التوحيد، رواه ابن جرير⁽⁵⁾، ثم قال: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، متعلقا بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا، من شكل آخر، ونوع آخر، والصحيح أنها لا انقضاء لها⁽⁶⁾، وقال قتادة: لا يعلم عدة هذه الأحقاب، إلا الله، وقال الحسن: ليس لها عدة، إلا الخلود في النار، رواهما ابن جرير⁽⁷⁾، وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، أي: لا يجدون في جهنم بردا لقلوبهم، ولا شرابا طيبا، يتغذون به، ولهذا قال: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، قال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم، ومن الشراب الغساق⁽⁸⁾، فأما الحميم: فهو الحار الذي انتهى حره، وحموه⁽⁹⁾، والغساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار، وعرقهم، ودموعهم، وجروحهم، فهو بارد، زمهري، لا يستطيع من برده، ولا يواجه من ننته⁽¹⁰⁾، وقد سبق البحث عنه في سورة ص⁽¹¹⁾، وقيل: المراد بقوله ﴿بَرْدًا﴾: النوم، والنعاس⁽¹²⁾، يقول العرب: منع البرد البرد، أي:

(1) هو: مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي، الخراز، مولى بكر بن وائل، إمام، عالم، محدث، ثقة، روى عن عمته عمرة، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وقاتادة، وغيرهم، وروى عنه أخوه مصعب، وابن حيان، وعبد الله بن المبارك، ويكر بن معروف، وغيرهم، توفي في حدود سنة: (150هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 248/10، سير أعلام النبلاء: 414/11.

(2) جامع البيان: 163/24 .

(3) هو: خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي، الحمصي، شامي، تابعي، ثقة، روى عن: ابن عمر، ومعاوية بن أبي سفيان، وابن عمرو، وغيرهم، وروى عنه محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، وحسان بن عطية، وفضيل بن فضالة، وغيرهم، توفي وهو صائم، سنة: (103 هـ)، وقيل: سنة: (104 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 102/3، تذكرة الحفاظ: 72/1 .

(4) سورة هود، مكررة في الآيتين: 107، 108 .

(5) جامع البيان: 163/24 .

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) ينظر: المصدر نفسه: 162/24 .

(8) ينظر: الدر المنثور: 396/8 .

(9) لسان العرب، مادة: حمم.

(10) المصدر نفسه، مادة: غسق.

(11) المخطوط نفسه، اللوحة: (423 / أ).

(12) وهو قول عن: مجاهد، والسدي، والكسائي، والفضل بن خالد، وأبو معاذ النحوي، ينظر: تفسير القرطبي: 180/19 .

أذهب البردُ النوم، وقوله: ﴿جَزَاءٌ وَفَاءٌ﴾، أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة، التي كانوا يعملونها في الدنيا، قاله مجاهد، وغير واحد⁽¹⁾، ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، أي: لم يكونوا يعتقدون أنَّ ثَمَّ داراً يُجَازُونَ فيها، ويحاسبون، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾، أي: تكذبا، وهو مصدر من غير الفعل، قال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر التفعيل: فعَال، وقال لي أعرابي منهم: على المروة يستفتي الخَلْقُ، أحب إليك أم القصار، أي: بالتشديد في مصدر التقصير⁽²⁾، وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، أي: وقد علمنا أعمال العباد كلهم، وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك، وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، أي: يقال لأهل النار: ذوقوا ما أنتم فيه، فلن يزيدكم إلا عذاباً، إلا من جنسه، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجًا﴾⁽³⁾، فهم في مزيد من العذاب أبداً، وعن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي⁽⁴⁾ عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار؟ قال: سمعت رسول الله -ﷺ- قرأ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فقال: "هلك القوم بمعاصيهم الله -ﷻ-"، حديث ضعيف، رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأْسَادٍ هَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۗ جَزَاءً مِمَّنْ رَزَقَهُ عَطَاءً حِسَابًا﴾^(٣١)

أخبر تعالى عن السعداء، وما أعد لهم من الكرامة، والنعيم المقيم، فقال: ﴿إِنَّ

(1) وهو أيضا عن: ابن عباس، وقتادة، والربيع، وابن وهب، وابن زيد، والحسن، ينظر: جامع البيان: 167/24، تفسير مجاهد: 721/2.

(2) ينظر: معاني القرآن للفراء: 229/3.

(3) سورة ص، الآية: 58.

(4) هو: نضلة بن عبيد الأسلمي، قاله أحمد بن حنبل، وابن معين، وقيل: نضلة بن عبد الله، وقيل: غير ذلك، اختلف في اسمه، واسم أبيه، وهذا أصح ما قيل فيه، صحابي، جليل، اشتهر بكنيته، شهد فتح خيبر، وفتح مكة، وحنينا، روى عن النبي -ﷺ-، وعن أبي بكر -ﷺ-، وروى عنه ابنه المغيرة، وأبو العالية، وابنة ابنه منية بنت عبيد بن أبي برزة، ينظر: الإصابة: 433/6، أسد الغابة: 1144/1.

(5) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3395/10 حديث رقم: (19103)، قال الهيثمي: وفيه شعيب بن بيان، وهو ضعيف، مجمع الزوائد: 281/7، حديث رقم: (11463).

لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿١﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: منتزها (1)، وقال مجاهد، وقتادة: فازوا، فنجوا من النار (2)، والأظهر الأول؛ لأنه قال بعده: ﴿حَدَائِقَ﴾، وهي البساتين من النخيل، وغيرها، ﴿وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾، أي: وهورا كواعب، أي: نواهد، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره (3)، يعني: أن تُدَيِّهَن نواهد، لم يتدلين؛ لأنهن أبقاراً، عرباً، أترباً، أي: في سن واحدة، كما سبق في سورة الواقعة (4)، وعن أبي أمامة عن النبي - ﷺ - أنه قال: "إن قمص أهل الجنة؛ لتملا من رضوان الله، وأن السحابة لتمر بهم، فتناديهم، يا أهل الجنة، ماذا تريدون أن أمطرکم، حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب"، رواه ابن أبي حاتم (5)، وقوله: ﴿وَأَسَادِهَاقًا﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: مملوءة متتابعة، صافية (6)، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾، كقوله: ﴿لَا لَعُوفُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمُ الرِّيحُ﴾ (7)، أي: ليس فيها كلام، غال، عارٍ عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل كلام فيها سالم من النقص، وقوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، أي: هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به، وأعطاهم به بفضله، ومثمه، وإحسانه، ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾، أي: كافياً، وافراً، سالماً، كثيراً، يقول العرب: أعطاني، فأحسبني، أي: كفاني، ومنه حسبي الله، أي: الله كفاني.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

(1) الدر المنثور: 398/8 .

(2) المصدر نفسه.

(3) وهو أيضا عن: قتادة، وابن جريج، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 170/24 .

(4) المخطوط نفسه، اللوحة: (492 / أ).

(5) لم أقف عليه إلا في تفسير ابن كثير: 308/8، تاريخ أصبهان، من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد

237/1، تأليف: (أبو نعيم) الأصبهاني، بلا: (تح، ط) .

(6) ينظر جامع البيان: 172/24، أما قوله: مملوءة متتابعة، فهو عن ابن عباس، أما قوله: صافية، فهو عن عكرمة.

(7) سورة الطور، من الآية: 23 .

أخبر تعالى عن عظمته، وجلاله، وأنه رب السماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته، إلا بإذنه، كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽¹⁾، وكقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، اختلفوا في المراد بالروح ههنا، على أقوال أحدها: عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنهم أرواح بني آدم⁽³⁾، الثاني: هم بنو آدم، قاله الحسن، وقتادة، وقال: هذا مما يكن ابن عباس - رضي الله عنهما - يكتمه⁽⁴⁾، الثالث: أنهم خلق من خلق الله، على صورة بني آدم، وليسوا بملائكة، ولا بشر، وهم يأكلون، ويشربون، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره⁽⁵⁾، الرابع: هو جبريل، قاله ابن جبير، وغيره، مستشهدا بقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾⁽⁶⁾⁽⁷⁾، وقال مقاتل بن حيان: الروح أشرف الملائكة، وأقرب إلى الرب تعالى، وصاحب الوحي⁽⁸⁾، الخامس: أنه القرآن، قاله ابن زيد⁽⁹⁾، لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾⁽¹⁰⁾، السادس: أنه ملك من الملائكة بصور جميع المخلوقات⁽¹¹⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضا: أنه ملك عظيم، من أعظم الملائكة خلقا⁽¹²⁾، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: الروح في السماء الرابعة، وهو أعظم من السماوات،

(1) سورة البقرة، من الآية: 255 .

(2) سورة هود، من الآية: 105 .

(3) ينظر: جامع البيان: 177/24 .

(4) المصدر نفسه.

(5) وهو أيضا عن: مجاهد، وأبي صالح، والأعمش، ينظر: المصدر نفسه: 176/24، تفسير القرطبي: 187/19.

(6) وهو أيضا عن: الشعبي، والضحاك، جامع البيان: 176/24، النكت والعيون: 190/6 .

(7) سورة الشعراء، الآيتان: 193 ، 194 .

(8) تفسير القرطبي: 187/19 .

(9) جامع البيان: 177/24 .

(10) سورة الشورى، الآية: 52 .

(11) ينظر : جامع البيان 176/24 .

(12) المصدر نفسه.

والجبال، ومن الملائكة، يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يُخلق من كل تسبيحة ملك من الملائكة، حتى تقوم القيامة، ويكون صفا وحده، وهذا قول غريب جدا⁽¹⁾، وتوقف ابن جرير، فلم يقطع بوحدة من هذه الأقوال، والأشبه - والله أعلم - أنه بنو آدم، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أٰذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، كقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذِيهِ﴾⁽²⁾، وكما ثبت في الصحيح: "ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل"⁽³⁾، وقوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، أي: حقا، ومن الحق لا إله إلا الله، كما قاله أبو صالح، وعكرمة⁽⁴⁾، وقوله: ﴿ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، أي: الكائن، لا محالة، ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾، أي: سبيلا، وطريقا يهتدي إليه، ومنهجا يمر عليه، ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يعني: يوم القيامة؛ لتأكيد وقوعه صار قريبا؛ لأن كل ما هو آت فهو آت، ﴿يَوْمَ يُنظَرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي: تعرض عليه جميع أعماله، خيرها، وشرها، كقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾⁽⁵⁾، وكقوله: ﴿يُبۡرَأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ﴾⁽⁶⁾، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، أي: يود الكافر يومئذ أنه كان في الدنيا ترابا، ولم يكن خلق، ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة، قد سطرت عليه بأيدي الملائكة، السفارة، الكرام، البررة، وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات، التي كانت في الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل، حتى إنه ليقصص للشاة الجلحاء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها، قال لها: كوني ترابا، فتصير ترابا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، أي: كنت حيوانا، فأرجع إلى التراب⁽⁷⁾، وقال عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: إذا كان يوم القيامة، مُدَّتْ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ، وحشر الدواب،

(1) جامع البيان، 175/24 .

(2) سورة هود من الآية 105 .

(3) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَجۡهٌ يَّوۡمَئِذٍ نَّٰضِرَةٌ﴾^(٢٤) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، حديث رقم: (7000)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث رقم: (182).

(4) جامع البيان: 178/24 .

(5) سورة الكهف، من الآية: 49 .

(6) سورة القيامة، الآية: 13.

(7) وهو قول عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، ينظر: النكت والعيون: 191/6 .

والبهائم، والوحش، ثم يجعل القصاص من البهائم، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة
القرناء، نطحتها، فإذا فرغ من القصاص، قيل لها: كوني ترابا، فعند ذلك يقول الكافر:
﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾، ومثله عن مجاهد، رواه البغوي⁽¹⁾.

(1) معالم التنزيل: 318/8 .

تفسير سورة: والنازعات [النازعات]

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ (٣) ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا﴾ (٤) ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨) ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (٩) ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لَمْرَدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) ﴿أَيْنَا ذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخْرَةً﴾ (١١) ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢) ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤) ﴿﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، ومسروق، وابن جبير، وغير واحد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾، يعنون: الملائكة، حين تنزع أرواح بني آدم (1)، فمنهم من تأخذ روحه بعسر، فيغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- النازعات: هي أنفس الكفار، ينزع، ثم تُنشط، ثم تغرق في النار، رواه ابن أبي حاتم (2)، وقال مجاهد: يعني: الموت، تنزع النفوس (3)، وقوله: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾، هي الملائكة، تنشط بنفس المؤمن، تحل محلا رفيقا، فنقتضيها، كما تنشط العقال من يد البعير، أي: تحل برفق، حكاة الفراء (4)، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: هي أنفس المؤمنين، تنشط للخروج عند الموت، لما ترى من الكرامة (5)، وقال علي -عليه السلام-: هي الملائكة، تنشط لأرواح الكفار مما بين الجلد، والأظفار، حتى تخرجها من أفواههم، بالكرب، والغم (6)، والنشط: الجذب، والنزع، يقال: نشطت الدلو، إذا نزعته (7)، ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾، هي

(1) وهو أيضا عن: مجاهد، وابن أبي حاتم، والربيع بن أنس، والسدي، وأبي صالح، ينظر: جامع البيان: 185/24، الدر المنثور: 404/8.

(2) تفسير ابن أبي حاتم: 3397/10، حديث رقم: (19110).

(3) النكت والعيون: 192/6 .

(4) ينظر: معاني القرآن للفراء: 230/3 .

(5) ينظر: جامع البيان: 187/24، النكت والعيون: 193/6 .

(6) ينظر: تفسير القرطبي: 192/19 .

(7) لسان العرب، مادة: نشط.

الملائكة، قاله ابن مسعود -رضي الله عنه-⁽¹⁾، يعني يقبضون أرواح المؤمنين، يسلمونها سلا رقيقا، ثم يدعونها، حتى تستريح، كالسباح بالشيء في الماء، يرفقونه، وقال قتادة: هي النجوم، والشمس، والقمر⁽²⁾، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽³⁾، وقال عطاء: هي السفن⁽⁴⁾، وقوله: ﴿فَالسَّيْفَتِ سَبَقًا﴾، قال علي، وغير واحد: يعني: الملائكة، سبقت ابن آدم بالخير، والعمل الصالح⁽⁵⁾، وقال الحسن: سبقت إلى الإيمان، والتصديق به⁽⁶⁾، وعن مجاهد: الموت⁽⁷⁾، وعن قتادة: النجوم⁽⁸⁾، وعن عطاء: الخيل في سبيل الله⁽⁹⁾، ﴿فَالْمُدْرَبَاتِ أَمْرًا﴾، قال الحسن، وغير واحد: هي الملائكة، تدبر الأمر من السماء إلى الأرض⁽¹⁰⁾، يعني: بأمر ربها، ولم يقطع ابن جرير بشيء في ذلك، ولا نفى، وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: هما النفختان الأولى، والثانية⁽¹¹⁾، وقال مجاهد: الأولى هي الراجفة، كقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾⁽¹²⁾، والثانية هي الرادفة، كقوله: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾⁽¹³⁾⁽¹⁴⁾، وعن أبي بن كعب⁽¹⁵⁾ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "جاءت الراجفة،

(1) الدر المنثور: 404/8 .

(2) تفسير القرطبي: 93/19 .

(3) سورة الأنبياء، من الآية: 33.

(4) النكت والعيون: 193/6.

(5) هذا القول عن مجاهد، وأبي روق، أما قول علي: " هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء"، وبه قال مسروق، ومجاهد أيضا، ينظر: تفسير القرطبي: 193/19 .

(6) النكت والعيون: 193/6.

(7) المصدر نفسه.

(8) المصدر نفسه.

(9) المصدر نفسه: 194/6.

(10) وبه قال الجمهور، وقال القشيري: أجمعوا على أن المراد به: الملائكة، وهناك قول آخر، وهو الكواكب السبعة، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل، ينظر: تفسير القرطبي: 194/19، النكت والعيون: 194/6.

(11) وهو أيضا عن أبي صالح، وقتادة، والحسن، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 191/24، الدر المنثور: 406/8.

(12) سورة المزمل، من الآية: 14 .

(13) سورة الحاقة، من الآية: 14.

(14) ينظر: تفسير مجاهد: 725/2.

(15) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن النجار الأنصاري، أبو المنذر، وأبو الطفيل، صحابي، جليل، سيد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وروى عنه عمر، وأبوهريرة، وابن عباس، وغيرهم، توفي سنة: (20هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: الإصابة: 27/1 .

تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه"، رواه أحمد⁽¹⁾، والترمذي، وفي أول روايته: "يا أيها الناس، اذكروا الله"⁽²⁾، وقوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: أي: خافقة⁽³⁾، ﴿أَبْصَرَهَا خَشَعَةً﴾، أي: أبصار أصحابه، وإنما أضيف إليها؛ للملابسة، أي: ذليلة، حقيرة، مما عاينت من الأهوال، وقوله: ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾، يعني: مشركي قريش، ومن قال بقولهم، في إنكار المعاد، يستبعدون وقوع البعث، بعد المصير إلى الحافرة، وهي القبور، قاله مجاهد⁽⁴⁾، وقيل: هي النار⁽⁵⁾، وقيل: الحافرة: الحياة بعد الموت⁽⁶⁾، بعد تفرق أجسادهم، وتفتت عظامهم، ونخورها، ولهذا قالوا: ﴿أَءَاذَا كُنَّا عِظْمًا خِشَعًا﴾، قال مجاهد: أي: بالية⁽⁷⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو العظم البالي، قد دخلت الريح فيه⁽⁸⁾، ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، قال محمد بن كعب: قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت، لنخسرن⁽⁹⁾، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، أي: فإنما هو أمر من أمر الله، لا مثوية فيه، ولا تأكيد، ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، أي: فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر الله تعالى إسرافيل، فينفخ في الصور، نفخة البعث، فإذا الأولون، والآخرين، قيام بين يدي الرب، ينظرون، والساهرة: وجه الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِلَبْسٍ عَرَبِيٍّ﴾⁽¹⁰⁾، وقال مجاهد: زجرة: أي صيحة⁽¹¹⁾ من الغضب⁽¹²⁾، وهي:

(1) مسند أحمد: 136/5، حديث رقم: (21279).

(2) سنن الترمذي، باب: صفة القيامة، والرقائق، والورع، حديث رقم: (2457)، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(3) وهو أيضا عن: قتادة، وسعيد بن جبير، وابن زيد، وابن وهب، وعليه عامة المفسرين، ينظر: جامع البيان: 193/24، تفسير القرطبي: 196/19.

(4) ينظر: تفسير مجاهد: 726/2.

(5) وهو قول عن: ابن وهب، وابن زيد، جامع البيان: 195/24.

(6) وهو قول عن: ابن عباس، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والسدي، وسفيان الثوري، وأبو مالك، ينظر: جامع البيان: 194/24، الدر المنثور: 407/8.

(7) ينظر: تفسير مجاهد: 726/2.

(8) ينظر: تفسير القرطبي: 198/19.

(9) ينظر: الدر المنثور: 407/8.

(10) سورة القمر، الآية: 50.

(11) ينظر: تفسير مجاهد: 726/2.

(12) وهو قول عن الحسن، ينظر: النكت والعيون: 196/6.

النفخة الآخرة، وقال إبراهيم التيمي⁽¹⁾: أشد ما يكون الرب غضبا على خلقه يوم يبعثهم⁽²⁾، وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد: أي: وجه الأرض كلها⁽³⁾، وقال مجاهد: كانوا بأسفلها، فأُخْرِجُوا إِلَى أَعْلَاهَا⁽⁴⁾، والساهرة: المكان المستوي⁽⁵⁾، وقيل: أرض الشام⁽⁶⁾، وقيل: جبل إلى جانب بيت المقدس⁽⁷⁾، وقيل: جهنم⁽⁸⁾، والصحيح الأول، وقال سهل بن سعد⁽⁹⁾: هي أرض بيضاء، عفراء، كخبزة النقي⁽¹⁰⁾، وقيل: هي أرض لم يعمل عليها خطيئة، ولم يهرق عليها دم⁽¹¹⁾.

﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ﴿١٨﴾ وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرْبَهُ الْكِبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

أخبر تعالى رسوله - عليه الصلاة والسلام - عن موسى - عليه السلام -: أنه بعثه إلى فرعون، فأيده بالمعجزات، ومع هذا، استمر على كفره، وطغيانه، حتى أخذ الله

(1) هو: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبو أسماء الكوفي، ثقة، كان من العباد، مرجئ، روى عن أنس، والحارث بن سويد، وعمرو بن ميمون، وغيرهم، وروى عنه بيان بن بشر، والحكم بن عتبة، وزبيد بن الحارث، وغيرهم، قتله الحجاج بن يوسف، سنة: (92هـ)، وقيل: (94هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 154/1، تذكرة الحفاظ: 58/1.

(2) لم أقف عليه إلا في تفسير ابن كثير: 314/8 .

(3) وهو أيضا عن: قتادة وعكرمة والحسن، ينظر: جامع البيان: 197/24، الدر المنثور: 408/8 .

(4) الدر المنثور: 408/8 .

(5) وهو قول عن مجاهد، ينظر: جامع البيان: 198/24 .

(6) وهو قول عن سفيان، ينظر: المصدر نفسه، 199/24 .

(7) وهو قول عن وهب بن منبه، ينظر: المصدر نفسه.

(8) وهو قول عن قتادة، المصدر نفسه.

(9) هو: سهل بن سعد بن مالك بن ساعدة الأنصاري، الساعدي، يكنى بأبي يحيى وقيل: (أبي العباس)، صحابي، جليل، كان اسمه حزنا، فسماه الرسول - عليه السلام - سهلا، روى عن النبي - عليه السلام -، وعاصم، وعمرو بن عبيدة، وغيرهم، وروى عنه ابنه العباس، وأبو حازم، والزهري، وغيرهم، وهو آخر الصحابة موتا بالمدينة، توفي سنة: (91هـ)، وقيل: قبل ذلك، ينظر: الإصابة: 200/3، أسد الغابة: 486/1 .

(10) الدر المنثور: 409/8، تفسير ابن أبي حاتم: 3398/10 حديث رقم: (19119).

(11) ينظر: تفسير القرطبي: 199/19، تفسير السراج المنير: 384/4، تأليف: محمد بن أحمد الشريبي شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا: (تح، ط) .

أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك، وكذب ما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾، فقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، أي: هل سمعت بخبره: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾، أي: كلمة نداء، ﴿بِالْوَادِ الْقَدَسِ﴾، أي: المطهر، ﴿طَوَى﴾، وهو اسم الوادي على الصحيح، كما سبق في سورة طه⁽¹⁾، فقال له: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، أي: تجبر، وتمرد، وعتا، ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَى﴾، أي: قل له: هل لك أن تجيب إلى طريقة، ومسلك، تركى به؟ أي: تسلم، وتطيع، ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَى﴾، أي: فيصير قلبك خاضعا له، مطيعا، خاشعا بعد ما كان قاسيا، خبيثا بعيدا من الخير، ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾، يعني: فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة، قوية، ودليلا واضحا على صدق ما جاءه من عند الله، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾، أي: فكذب الحق، وخالف ما أمره به من الطاعة، وحاصله: أنه كفر قلبه، فلم يفعل لموسى، لا بباطنه، ولا بظاهره، وعلمه بأن ما جاء به هو حق، لا يلزم منه أنه مؤمن به؛ لأن المعرفة علم القلب، والإيمان عمله، وهو الانقياد للحق، والخضوع له، وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾، أي: في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعه السحرة؛ ليقابلوا ما جاء به موسى من المعجزة الباهرة، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾، أي: في قومه، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾⁽²⁾، بأربعين سنة⁽³⁾، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، أي: انتقم منه انتقاما، جعله به عبرة، ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا، ويوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْسِ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾⁽⁴⁾، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُورُونَ﴾ إلى التَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ⁽⁵⁾، هذا هو الصحيح في معنى الآية، وقيل:

(1) المخطوط نفسه، اللوحة: (294 / ب).

(2) سورة القصص، من الآية: 38 .

(3) ينظر: جامع البيان: 203/24 .

(4) سورة هود، الآية: 99 .

(5) سورة القصص، الآية: 41 .

المراد بذلك: كلمته الأولى، والثانية⁽¹⁾، وقيل: كفره، وعصيانه⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾، أي: لمن يتعظ، وينزجر .

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا^(٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا^(٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا^(٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا^(٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا^(٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَنَاهَا^(٣٢) مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِتَأْتِيَكُمُ^(٣٣)﴾

قال تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾، يعني: بل السماء أشد خلقا منكم، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾⁽³⁾، فقوله: ﴿بَنَاهَا﴾، فسرته بقوله: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾، أي: جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، وقوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أي: جعل ليلها مظلما، أسود، حالكا، ونهارها مضيئا، مشرقا، نيرا، واضحا، ومعنى: أغطش: أظلم، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغير واحد، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أثار نهارها، ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾، فسرته بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وقد سبق في سورة حم السجدة: أن الأرض خلقت قبل السماء⁽⁴⁾، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء، بمعنى: أنه أخرج منها ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، وهذا معنى قول ابن عباس - رضي الله عنهما- وغير واحد، واختاره ابن جرير⁽⁵⁾، ﴿مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وقوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَاهَا﴾، أي: قررها، وثبتها، وأكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، القائم، الرؤوف بخلقه، الرحيم، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "لما خلق الله الأرض، جعلت تميد، فخلق الجبال، فقال بها عليها، فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، فقالوا: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، فقالوا: يا رب،

(1) وهو قول عن: ابن عباس، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وعامر، ينظر: جامع البيان: 203/24، تفسير القرطبي: 202/19.

(2) وهو قول عن أبي زرین، ينظر: جامع البيان: 205/24 .

(3) سورة غافر، من الآية: 57 .

(4) المخطوط نفسه، اللوحة: (438 / أ)، وهي سورة فصلت .

(5) وهو أيضا عن: أبي صالح، ومعاوية، وعلي، وابن عمر، وعكرمة، ينظر: جامع البيان: 208/24، النكت والعيون: 199/6 .

هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، فقالوا: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، فقالوا: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، فقالوا: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، تصدق صدقة بيمينه، تخفيها شماله"، رواه أحمد، والترمذي⁽¹⁾، وقال علي - رضي الله عنه -: لما خلق الله الأرض، قمصت، وقالت: يُخلق عليّ آدم، وذريته، يلقون عليّ من ننتهم، ويعملون عليّ بالخطايا، فأرساها الله بالجبال، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور، إذا نحر، يخلج لحمه، رواه ابن جرير⁽²⁾، وقوله: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَ كُمْ﴾، أي: دحا الأرض، فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها، وأشجارها، وثمارها، وثبت جبالها، لتستقر بأهلها، ويقر قرارها كل ذلك، متاعا لخلقها، ولما يحتاجون إليه من الأنعام، التي يأكلونها، ويركبونها مدة احتياجهم إليها، في هذه الدار، إلى أن ينتهي الأجل.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْ يَوْمَ يَرْوُهَا رَبُّهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾، هو يوم القيامة، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -⁽³⁾، سميت بذلك: لأنها تطم على كل أمر هائل، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمْرٌ ﴿٤٤﴾﴾، والطامة عند العرب: الداهية، التي لا تستطاع من الطم، وهو الدفن، والتغليب⁽⁵⁾، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾، أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله، خيره، وشره

(1) مسند أحمد: 124/3، حديث رقم: (12275)، سنن الترمذي، باب: سورة المعوذتين، حديث رقم: (3369)، قال أبو عيسى: حديث حسن، غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، واللفظ مختلف .

(2) ينظر: جامع البيان: 211/24 .

(3) الدر المنثور: 412/8 .

(4) سورة القمر، من الآية: 46 .

(5) لسان العرب، مادة: طمم.

﴿وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾، أي: أظهرت للناظرين، فرآها الناس عيانا، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾، أي: تمرد، وعتا، ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: قدمها على أمر دينه، وأخراه، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، أي: فإن مصيره إلى جهنم، وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾، أي: خاف القيام بين يدي الله، وحكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولاها، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، أي: منقلبه، ومصيره، ومرجعه إلى الجنة، ثم قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، أي: ظهورها، وثبوتها، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾، أي: ليس علمها إليك، ولا إلى أحد من الخلق، بل مردّها ومرجعها إلى الله، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، كما قال في آية أخرى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾، وقال ههنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبًا﴾، أي: منتهى علمها عند الله، ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ - عن وقت الساعة قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾، أي: إنما بعثتك؛ لتنذر الناس، وتحذّره من بأس الله، وعذابه، فمن خشى الله، وخاف مقامه، ووعيده، اتبعك، فأفلح، وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك، وخالفك، وقوله: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر، يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم عشية من يوم، أو ضحى من يوم، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إما عشية، ما بين الظهر إلى غروب الشمس، ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾، ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار⁽³⁾، وقال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة⁽⁴⁾.

(1) سورة الأعراف، من الآية: 187، سورة الأحزاب، من الآية: 63 .

(2) سبق تخريجه في تفسير سورة الجن: 86.

(3) ينظر: الدر المنثور: 413/8 .

(4) جامع البيان: 214/24 .

تفسير سورة: عبس

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۙ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۙ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۙ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۙ (٤) أَمَّا مَنْ (٥) اسْتَغْنَى ۙ (٦) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۙ (٧) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ۙ (٨) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۙ (٩) وَهُوَ يَخْشَى ۙ (١٠) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۙ (١١) كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ۙ (١٢) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۙ (١٣) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۙ (١٤) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۙ (١٥) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۙ (١٦) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۙ (١٧) ﴾

(أ/542) ذكر كثير من المفسرين أن رسول الله - ﷺ - كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه، ويناجيه، إذ أقبل ابن أم مكتوم (1)، وكان ممن أسلم قديما، فجعل يسأل رسول الله - ﷺ - عن شيء، وبالغ فيه، فود النبي - ﷺ - أن لو كف ساعته تلك؛ ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعا، ورجبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم، وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴾، أي: يحصل له زكاة، وطهارة في نفسه، ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾، أي: يحصل له اتعاض، وانزجار عن المحارم، ﴿ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾، أي: أما الغني، فأنت تتعرض له؛ لعله يهتدي، ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴾، أي: ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة، وهداية، ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾، أي: يقصدك، ويأتيك؛ ليهتدي بما تقول له، ﴿ وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾، أي: تتشاغل، ومن ههنا أمر تعالى رسوله أن لا يخص بالإنذار أحدا، بل يساوي فيه بين الشريف، والضعيف، والفقير، والغني، والسادة، والعبيد، والرجال، والنساء، والصغار، والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة، والحجة، وعن أنس - رضي الله عنه - قال:

(1) هو: عمرو بن أم مكتوم القرشي، ويقال: اسمه عبد الله، وقيل: غير ذلك، وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم، ومنهم من لم يذكر قيسا، وقيل: غير ذلك، وهو ابن خال خديجة، أم المؤمنين، أسلم قديما بمكة، وكان من المهاجرين الأولين، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي - ﷺ -، وقيل: بعد وقعة بدر بيسير، وكان النبي - ﷺ - يستخلفه على المدينة في عامة غزواته، يصلي بالناس، شهد القادسية، واختلف هل استشهد فيها أم لا؟ روى عن النبي - ﷺ -، وروى عنه عبد الله بن شداد، وعبد الرحمن بن أبي ليلي، وأبو رزين الأسدي، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 600/4.

"جاء ابن أم مكتوم إلى النبي -ﷺ-، وهو يكلم أبي بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَسَّ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾، فكان النبي -ﷺ- بعد ذلك يكرمه، قال أنس: ورأيت يوم القادسية، وعليه درع، ومعه راية سوداء"، يعني: ابن أم مكتوم رواه أبو يعلى في مسنده⁽¹⁾، والمشهور: أن ابن أم مكتوم عبد الله، وقيل: عمرو، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ﴾، أي: هذه السورة، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم، بين شريفهم، وضعيفهم، وقال قتادة، وغيره: يعني: آيات القرآن⁽²⁾، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾، أي: فمن شاء، ذكر الله في جميع أموره، أو ذكر الوحي فيها، وقوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾، أي: هذه السورة، أو العظة، أو جميع آيات القرآن، ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾، أي: معظمة، موقرة، ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾، أي: عالية القدر، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾، أي: من الدنس بالزيادة، والنقص، وقوله: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغير واحد: هم الملائكة⁽³⁾، وقيل: هم الصحابة - رضي الله عنهم-⁽⁴⁾ وقال قتادة: هم الثَّراء⁽⁵⁾، قال ابن جرير: والصحيح أنهم الرسل من الملائكة، فإنهم السفارة بين الله، وبين خلقه⁽⁶⁾، واحدها السفير، وهو الذي يسعى بين الناس في الخير كما قال الشاعر:

وَمَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي * * وَمَا أَمْشِي لَغَشٍ إِنْ مَشَيْتُ⁽⁷⁾.

قال الإمام البخاري: سفرة الملائكة، سفرت: أصلحت بينهم، وجُعِلَت الملائكة إذا نزلت بوحى الله، وتأديته، كالسفير الذي يصلح بين القوم⁽⁸⁾، وقوله: ﴿كَرَامٍ بَرَّوْرٍ﴾،

-
- (1) مسند أبي يعلى: 431/5، حديث رقم: (3123)، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى الموصلي، التميمي، تح: حسين سليم أسد، ط: الأولى: (1984م)، دار المأمون للتراث، دمشق.
- (2) وهو أيضاً عن مقاتل، ينظر: الدر المنثور: 340/8، تفسير مقاتل: 452/3.
- (3) وهو أيضاً عن: مجاهد، وابن زيد، ينظر جامع البيان: 221/24، الدر المنثور: 418/8.
- (4) وهو قول عن وهب بن منبه، الدر المنثور: 418/8.
- (5) جامع البيان: 221/24.
- (6) ينظر: المصدر نفسه.
- (7) هو: موسى بن جابر بن أرقم، ينظر: البصائر والذخائر: 192/2، تأليف: أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، تح: د. وداد القاضي، ط: الرابعة، دار صادر، بيروت، (1999م).
- (8) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: 132/1، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الشافعي، تح: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني، بلا: (ط) دار المعرفة، بيروت، (1379هـ).

أي: خلُقهم كريم، حسن، شريف، وأخلاقهم، وأفعالهم، بارة، طاهرة، كاملة، ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله، وأقواله، على السداد، والرشاد، وفي الصحيحين: عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله - ﷺ - "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام، البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران" (1).

﴿قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (١٧) ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (٢٢) ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾ (٢٣) ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (٢٦) ﴿فَأَبْتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٧) ﴿وَعَبْنَا وَقَضَبًّا﴾ (٢٨) ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ (٢٩) ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ (٣٠) ﴿وَفَكَهْمَةً﴾ (٣١) ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُمْ﴾ (٣٢)

قال تعالى ذامًا لمن أنكر البعث، والنشور، من بني آدم: ﴿قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ﴾، أي لعن الإنسان، والمراد: جنس الإنسان المكذب؛ لكثرة تكذيبه، بلا مستند، بل لمجرد الاستبعاد، وعدم العلم، قال ابن جريج (2): ما أكفره! أي: ما أشد كفره (3)، تعجبا، ويحتمل أن يكون المراد: أي: شيء جعله كافرا، يعني: ما حمله على التكذيب بالمعاد (4)، وقال قتادة: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: ما ألعنه (5)! ثم بين تعالى كيفية خلقه من الشيء الحقيق، وأنه قادر على إعادته كما بدأه، فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾، أي: قدر أجله، ورزقه، وعمله، وشقي، أو سعيد، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: أي: يسّر عليه خروجه من بطن أمه، وبه قال عكرمة، وغير واحد، واختاره ابن جريج (6)، وقال مجاهد: هذا كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾

(1) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة عبس، حديث رقم: (4653)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل الماهر بالقرآن، والذي يتتعتع فيه، حديث رقم: (798)، واللفظ لمسلم.

(2) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، أبو الوليد، وأخو خالد المكي، أصله رومي، ثقة، ورع فقيه، كثير الحديث، أول من دَوّن العلم بمكة، روى عن عطاء، والزهري، وعكرمة، وغيرهم، وروى عنه الليث، والأوزاعي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهم، توفي سنة: (149هـ)، وقيل: (150هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 357/6، سير أعلام النبلاء: 396/11.

(3) الدر المنثور: 419/8.

(4) رواه ابن جبر، ينظر: جامع البيان: 222/24.

(5) النكت والعيون: 206/6.

(6) وهو أيضا عن: قتادة، والضحاك، وأبو صالح، والسدي، ومقاتل، ينظر: جامع البيان: 223/24، الدر المنثور: 419/8.

وَأَمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾⁽¹⁾، أي: بيناه له، وأوضحناه، وسهلنا عليه علمه، وبه قال الحسن، وابن زيد⁽²⁾، وهذا هو الراجح، والله أعلم، وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أي: أنه بعد خلقه له ﴿أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أي: جعله ذا قبر، فالعرب تقول: أقبرت الرجل، إذا ولى ذلك منه، وأقبره الله: أي: جعله مقبوراً⁽³⁾، قال الأعشى⁽⁴⁾:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيِّتًا إِلَى صَدْرهَا * * عَاشَ، وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ⁽⁵⁾

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، أي: بعثه بعد موته، ومنه يقال: البعث، والنشور، كقوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾⁽⁶⁾، وعن أبي سعيد - رضي الله عنه -: عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "يأكل التراب كل شيء من الإنسان، إلا عجب ذنبه، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: حبة خردل منه ينشؤون"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁷⁾، وهذا الحديث ثابت في الصحيح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - من دون هذه الزيادة، ولفظه: "كل ابن آدم يبلى، إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب"⁽⁸⁾، وقوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾، قال ابن جرير: أي: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر، من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه، وماله، ﴿لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾، يقول: لم يؤد ما فرض عليه

(1) سورة الإنسان، الآية: 3 .

(2) ينظر: جامع البيان: 224/24 .

(3) ينظر: لسان العرب، مادة: قبر .

(4) هو: ميمون بن قيس بن جندل بن عدنان، أبو بصير، ويقال: أبو بشر الثعلبي، الشاعر المعروف بالأعشى، أحد فحول الشعراء، وكان يقدمه أهل الكوفة، أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومدحه، فبلغ قريشا خبره، فعرضوا عليه مائة ناقة، على أن لا يسلم، وينظر في أمره، حتى العام القابل، فقبل، وأخذ الإبل، وانطلق إلى بلده، فرمى به بعيره، فقتله، ينظر: تاريخ مدينة دمشق: 327/61 .

(5) ديوان الأعشى: 103/1 .

(6) سورة البقرة، من الآية: 259 .

(7) ينظر: تفسير ابن كثير: 323/8، المستدرک على الصحيحين: 651/4، كتاب: الأهوال، حديث رقم: (8801)، تأليف: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت .

(8) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، حديث رقم: (4651)، صحيح مسلم، كتاب: الفتن، وأشرط الساعة، باب: ما بين النفختين، حديث رقم: (2955)، واللفظ لمسلم، وفيه (كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب) .

ربه، من الفرائض⁽¹⁾، قال مجاهد: أي: لا يقضي أحد أبداً كلّ ما افترض عليه⁽²⁾، والذي يناسب معناه - والله أعلم - أن المعنى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، أي: بعثه، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، أي: لا يفعله الآن، حتى تتقضي المدة، ويفرغ القدر من بني آدم، ممن كتب تعالى أن سيوجد منهم، ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كوناً، وقدراً، فإذا تناهى ذلك، أنشر الله تعالى الخلائق، وأعادهم كما بدأهم، وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه⁽³⁾ قال: قال عزير - عليه السلام -، قال الملك الذي جاءني: "إن القبور هي بطن الأرض، وإن الأرض هي أم الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق، وتمت هذه القبور التي مد الله لها، انقطعت الدنيا، ومات من عليها، ولفظت الأرض ما في جوفها، وأخرجت القبور ما فيها"⁽⁴⁾، وهذا شبيه بما قبله من معنى الآية، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾، فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض، لها مدة على إحياء الأجساد، بعد ما كانت عظاماً بالية، وتراباً متمزقاً، ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، أي: أنزلناه من السماء إلى الأرض، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾، أي: أسكناه فيها، فيدخل في تخومها، وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها، فنبت، وارتفع، وظهر على وجه الأرض، ﴿فَأَبْتَنَّا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾، فالحب: كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو القث: الرطب، سمي بذلك؛ لأنه يقضب في كل أيام، أي: يقطع، وقال الحسن: هو علف الدواب مطلقاً⁽⁵⁾، والزيتون معروف، وهو آدم، وعصيره آدم، ويستصبح به، ويدهن، ونخلاً يؤكل بلحاً، ورطباً، وتمراً، ومطبوخاً، ويعتصر منه رُبُّ وِخْلٍ، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾، أي: وبساتين نخل غلاظ، كرام، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو كل شجر ملتق، مجتمع، والذي يستظل به⁽⁶⁾، وقال عكرمة:

(1) جامع البيان: 225/24 .

(2) تفسير مجاهد: 731/2 .

(3) هو: وهب بن منبه بن كامل بن سيح الصنعاني، أبو عبد الله الأبنواوي، ثقة، كان قاضياً على صنعاء، كتب كتاباً في القدر، وندم عليه، روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وغيرهم، وروى عنه ابنه عبد الله، وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وغيرهم، توفي سنة: (110هـ)، وقيل: (113هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 147/11، سير أعلام النبلاء: 112/8 .

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3399/10، حديث رقم: (19127) .

(5) ينظر: معالم التنزيل: 338/8 .

(6) ينظر: الدر المنثور: 421/8 .

﴿عُلبًا﴾، أي: غلاظ الأوساط والرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة، قيل: والله لأغلب، رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَفِكْهَةٌ وَأَبًا﴾، أما الفاكهة: فهو كل ما يُنقَّه به من الثمار، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الفاكهة: كل ما أُكِلَ رطبًا، والأبُّ: ما أنبتته الأرض مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس⁽²⁾، وفي رواية عنه: هو الحشيش للدواب⁽³⁾، وقيل: هو الكلاء⁽⁴⁾، وقال مجاهد، وغيره: الأبُّ للبهائم كالفاكهة لبني آدم⁽⁵⁾، وقال عطاء: كل شيء ينبت على وجه الأرض فهو أب⁽⁶⁾، وقيل: كل شيء تنبت الأرض، سوى الفاكهة، فهو أب⁽⁷⁾، وقال أبو السائب⁽⁸⁾: هو ما أنبتت الأرض، مما يأكل الناس، وتأكل الأنعام⁽⁹⁾، قيل: سئل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -⁽¹⁰⁾ عن قوله تعالى: ﴿وَفِكْهَةٌ وَأَبًا﴾، قال: "وأي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم"، إسناده منقطع⁽¹¹⁾، فأما ما رواه ابن جرير عن أنس - رضي الله عنه - قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾، فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَفِكْهَةٌ وَأَبًا﴾، قال: "فقد عرفنا الفاكهة، فما الأب؟ فقال: إن هذا لهو التكلف"، فهو صحيح⁽¹²⁾،

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3400/10 حديث رقم: (19128).

(2) ينظر: الدر المنثور: 421/8 .

(3) ينظر: المصدر نفسه .

(4) وهو قول عن: ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وأبي مالك، المصدر نفسه: 422/8 .

(5) وهو أيضا عن: الضحاك، وعكرمة، والسدي، والحسن، ينظر: المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

(7) وهو قول عن الكلبي، ينظر: النكت والعيون: 208 /6 .

(8) هو : سلم بن جنادة بن سلم السوائي، العامري، أبو السائب الكوفي، ثقة، روى عن أبيه، وعبد الله بن إدريس، وابن نمير، وغيرهم، وروى عنه البخاري، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، توفي بالكوفة سنة: (254هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 113/4 .

(9) ينظر: جامع البيان: 230/24 .

(10) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي، التميمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كان أعلم قريش بأنسائها، وكان أحب الرجال إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو صاحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها، وكانت الراية معه يوم تبوك، وهو أول من أسلم من الرجال، ودعا للإسلام رجالا منهم: عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، وغيرهم، توفي سنة: (13هـ)، ينظر: الإصابة: 169/4 .

(11) الدر المنثور: 421/8 .

(12) ينظر: جامع البيان: 229/24، المستدرک على الصحيحين: 559/2، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة عبس، وتولى، حديث رقم: (3897).

ومحمول على أنه أراد أن يعرف شكله، وجنسه، وعينه، وإلا، فهو، وكل من قرأ هذه الآية، يعلم أنه من نبات الأرض، وقوله: ﴿مَنْعَا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ﴾، في هذه الدار إلى يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ۗ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۗ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۗ (٣٥) وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ۗ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۗ (٣٧) وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرٌ ۗ (٣٨) صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۗ (٣٩) أَوْ وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۗ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۗ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ۗ (٤٢)﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الصاخة: اسم من أسماء يوم القيامة⁽¹⁾، قال ابن جرير: لعله: اسم للنفخة في الصور⁽²⁾، وقال البغوي: الصاخة يعني: صيحة يوم القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تصخ الأسماع، أي: تتبالغ في إسماعها، حتى تكاد تصمها⁽³⁾، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ﴾، أي: يراهم يفر كل منهم، ويتعد كل منهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جسيم، يلقى أحدهم الآخر، فيقول: هب لي حسنة واحدة، لعلي أنجو بها مما ترى، فيقول: لا أطيق ذلك، فإني أتخوف مما تخاف منه، وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة: أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم، أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: "نفسي، نفسي، نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى بن مريم يقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتها"⁽⁴⁾، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، أي: هو في شغل شاغل عن غيره، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ - قال: "تحشرون حفاة، عراة، غرلا، فقالت امرأة: أيبصر، أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلانة، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾"، رواه الترمذي،

(1) الدر المنثور: 423/8 .

(2) ينظر: جامع البيان: 231/24 .

(3) معالم التنزيل: 339/8 .

(4) ينظر: صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة بني إسرائيل، الإسراء، حديث رقم: (4435)، صحيح

مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: (194)، واللفظ مختلف .

وصححه⁽¹⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال: "يبعث الناس يوم القيامة حفاة، عراة، غرلا، فقالت عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾"، رواه النسائي⁽²⁾، وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، أي: مشرقة، فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء أهل الجنة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّابَةٌ رَّهَقَهَا قَرَةٌ﴾، أي: يعلوها، ويغشاها، سواد، وكآبة؛ اللهم، وذلة، قال ابن زيد: الفرق بين الغبرة، والقنطرة: أن القنطرة: ما ارتفع من الغبار، فلحق بالسماء، والغبرة: ما كان أسفل في الأرض⁽³⁾، وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ﴾، أي: الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا﴾⁽⁴⁾.

(1) سنن الترمذي، باب: ومن سورة عبس، حديث رقم: (3332).

(2) سنن النسائي، باب: الغيث، حديث رقم: (2210).

(3) ينظر : جامع البيان: 234/24 .

(4) سورة نوح، من الآية: 27 .

تفسير سورة: التكوير

"وهي مكية"

عن ابن عمر - رضي الله عنهما-، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة، كأنه رأي عين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ (١) و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَشَقَّتْ﴾ (١)"، رواه أحمد، والترمذي (1).

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)

قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: كورت، بمعنى: أظلمت، وذهبت (2)، وقيل: اضمحلت، وذهب ضوءها (3)، وقيل: غورت، وألقيت (4)، وقيل: رُمي بها إلى الأرض (5)، قال ابن جرير: والصواب أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعى كورت: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعلَ بها ذلك، ذهب ضوءها (6)، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: يكور الله الشمس، والقمر، والنجوم، يوم القيامة في البحر، ويبعث الله ريحا دبورا، فيصيرها نارا، رواه ابن أبي حاتم (7)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه-

(1) مسند أحمد: 27/2، حديث رقم: (4806)، وفيه زيادة: "وأحسبه أنه قال: سورة هود"، سنن الترمذي، باب:

ومن سورة: إذا الشمس كورت، حديث رقم: (3333)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب .

(2) جامع البيان: 237/24 .

(3) وهو قول عن: أبي بن كعب، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 237/24، الدر المنثور: 427/8.

(4) وهو قول عن: سعيد بن جببر، وابن عباس، ومجاهد، ينظر: جامع البيان: 238/24، الدر المنثور: 426/8.

(5) وهو قول عن ربيع بن خثيم، ينظر: جامع البيان: 238/24 .

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3402/10، حديث رقم: (19142).

عن النبي ﷺ - قال: "الشمس، والقمر، مكوران يوم القيامة"، رواه البخاري⁽¹⁾، وقال رسول ﷺ -: "إن الشمس، والقمر، نوران في النار، يوم القيامة"، رواه الحافظ البزار⁽²⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، أي: انتثرت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾⁽³⁾، وأصل الانكدار: الانصباب، وعن أبي بن كعب قال: "ست آيات قبل يوم القيامة، بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت، واضطربت، واختلطت، ففرغت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب، والطير، والوحش، فماجوا بعضهم في بعض، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قال: اختلطت، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، قال: أهملها أهلها، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، قال: قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخير، قال: فانطلقوا إلى البحر، فإذا هو نار تأجج، فبينما هم كذلك، إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك، إذ جاءتهم الرياح فأماتتهم"، رواه ابن جرير⁽⁴⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿انْكَدَرَتْ﴾ أي: تغيرت⁽⁵⁾، وقال يزيد بن أبي مريم⁽⁶⁾: عن النبي ﷺ -: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، قال: "انكدرت في جهنم، وكل مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فهو في جهنم، إلا ما كان من عيسى وأمه، ولو رضيا أن يعبداء لدخلاها"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁷⁾، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: زالت عن أماكنها، ونسفت، وتركت الأرض قاعا، صفصفا، وقوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، قال

(1) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: صفة الشمس، والقمر، بحسبان، حديث رقم: (3028).

(2) البحر الزخار، مسند البزار: 243/15، حديث رقم: (8696).

(3) سورة الانفطار، الآية: 2 .

(4) ينظر: جامع البيان: 237/24 .

(5) المصدر نفسه، 240/24 .

(6) هو: يزيد بن أبي مريم بن أبي عطاء، أبو عبد الله الدمشقي، إمام الجامع بدمشق، ثقة، روى عن أبيه،

ومجاهد، وقرعة بن يحيى، وغيرهم، وروى عنه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، والوليد بن مسلم، وغيرهم،

توفي سنة: (144هـ)، وقيل: (145هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 315/11، تاريخ مدينة دمشق: 380/65 .

(7) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3402/10، حديث رقم: (19141).

مجاهد: أي: عشار الإبل تركت، وأهملت⁽¹⁾، يعني: أهملها أهلها، واحدتها عُشراء، وهي التي أتت على حملها عشرة أشهر، وهي أنفس أموال العرب، ومع هذا عطلت، وتركت بلا راع، من أهوال يوم القيامة، ووقوع مقدماتها⁽²⁾، وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة، يراها أصحابها كذلك، ولا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب، يعطل عن السير بين السماء، والأرض؛ لخراب الدنيا، وقيل: إنها الأرض التي تعشر، وقد قيل: إنها الديار، التي كانت تسكن، تعطل؛ لذهاب أهلها، وقد قيل: إنها الديار التي كانت، حكى هذه الأقوال القرطبي⁽³⁾، في كتابه التذكرة، ورجح أنها الإبل وهو القول الأول⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، أي: جمعت، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾⁽⁵⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يحشر كل شيء، حتى الدواب، وقال: حشر الدواب موتها، وحشر كل شيء الموت، إلا الجن، والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة⁽⁶⁾، والراجح أن معناها: جُمِعَتْ، كما قال تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾⁽⁷⁾، أي: مجموعة، وقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، قال علي - رضي الله عنه - ليهودي: أين جهنم؟ قال: البحر، فقال: ما أراه إلا صَادِقًا⁽⁸⁾، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، وقد سبق عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنها تصير نارا تأجج⁽⁹⁾، وفي سنن أبي داود "لا يركب البحر إلا حاج، أو معتمر، أو غاز، قال: فإن تحت البحر نارا، وتحت النار

(1) ينظر: تفسير مجاهد: 732/2 .

(2) ينظر: لسان العرب، مادة: عشر.

(3) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الله القرطبي، صالح، متعبد من أهل قرطبة، مصنف التفسير المشهور الذي سماه: جامع أحكام القرآن، ومن مصنفاته أيضا: التذكرة بأحوال الموتى، وأمور الآخرة، والتذكار في أفضل الإنكار، وغيرها، ينظر: طبقات المفسرين للأندروي: 246/1، شذرات الذهب: 335/5، الأعلام للزركلي: 321/5.

(4) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى، وأمور الآخرة: 270/1 .

(5) سورة الأنعام، من الآية: 38 .

(6) ينظر: جامع البيان: 241/24 .

(7) سورة ص، من الآية: 19 .

(8) ينظر: الدر المنثور: 630/7 .

(9) ينظر: المصدر نفسه: 429/8 .

بحراً⁽¹⁾، كما سبق في سورة فاطر⁽²⁾، وقال مجاهد: ﴿سُجِّرَتْ﴾: أوقدت⁽³⁾، وقال الحسن: يبست⁽⁴⁾، وقال قتادة، والضحاك: غاض ماؤها، فذهب، فلم يبق فيها قطرة⁽⁵⁾، وقال السدي: فتحت وسيرت⁽⁶⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أي: جمع كل شيء إلى نظيره، كقوله: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾⁽⁷⁾، وعن النعمان بن بشير⁽⁸⁾ قال: أن عمر خطب الناس، فقرأ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فقال: "تزوّجها: أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم"⁽⁹⁾، وفي رواية: "هما الرجلان يعملان العمل، فيدخلان به الجنة، أو النار"⁽¹⁰⁾، وفي رواية عنه قال: "يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وذلك تزويج الأنفس"⁽¹¹⁾، ومن هذا قال مجاهد، وغير واحد: هي الأمثال من الناس، جمع بينهم، واختاره ابن جرير⁽¹²⁾، وهو الصحيح، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد: يسيل واد من أصل العرش، من ماء فيما بين الصيحتين، ومقدار ما بينهما أربعون عامًا، فینبت منه كل

(1) السنن لأبي داود، باب: في ركوب البحر في الغزو، حديث رقم: (2489)، قال أبو داود: هذا حديث ضعيف جدا، أبو عبد الله، وبشير مجهولان .

(2) لم يتقدم هذا الكلام في سورة فاطر، ولم أقف عليه .

(3) تفسير مجاهد: 733/2 .

(4) جامع البيان: 243/24 .

(5) ينظر المصدر نفسه، الدر المنثور: 427/8 .

(6) ينظر: الدر المنثور: 429/8 .

(7) سورة الصافات، من الآية: 22 .

(8) هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، الخزرجي، (أبا عبد الله)، صحابي، جليل، وهو أول مولود لأنصار، بعد الهجرة، كان قاضي دمشق، بعد فضالة بن عبيد، روى عن النبي ﷺ، وعمر، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه ابنه محمد، ومولاه سالم، وعروة، والشعبي، وغيرهم، توفي سنة: (65هـ)، ينظر: الإصابة: 440/6 .

(9) تفسير ابن أبي حاتم: 3406/10، حديث رقم: (19161).

(10) المستدرک على الصحيحين: 560/2، كتاب: التفسير، حديث رقم: (3902)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه .

(11) تفسير ابن أبي حاتم: 3406/10، حديث رقم: (19162)، وروى البخاري عن عمر بلفظ: "يزوج نظيره من أهل الجنة والنار"، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير إذا الشمس كورت، فتح الباري: 694/8 .

(12) وهو أيضا عن: الحسن، وقاتدة، والربيع بن خيثم، ينظر: جامع البيان: 245/14 .

خلق، بلى من الإنسان، أو طير، أو دابة، ولو مر عليهم مار، قد عرفهم قبل ذلك، لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا، ثم ترسل الأرواح، فتزوج الأجساد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أي: الأبدان⁽¹⁾، وقيل: زَوْجُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وزوج الكافرون بالشياطين، حكاه القرطبي⁽²⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِتَتْ﴾، هكذا قراءة الجمهور، والموءدة: هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب؛ كراهية للبنات⁽³⁾، فيوم القيامة تسأل الموءدة على أي ذنب قتلت؛ ليكون ذلك تهديدا لقاتلها، فإنه إذا سُئِلَ المظلوم، فما ظن الظالم إذا، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: أي: طالبت، وسألت بدمها⁽⁴⁾، وعن جدامة بنت وهب⁽⁵⁾، أخت عكاشة، قالت: حضرت رسول الله ﷺ - في ناس، وهو يقول: "لقد هممت أن أنهي عن الغيلة، فنظرت في الروم، وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا"، ثم سأله عن العزل، فقال رسول الله ﷺ - "ذلك الواد الخفي، وهو الموءدة سئلت"، رواه مسلم، وبعض أهل السنن⁽⁶⁾، وعن سلمة بن يزيد الجعفي⁽⁷⁾ قال: انطلقت أنا، وأخي، إلى رسول الله ﷺ -، فقلنا يا رسول الله: إن أمنا مليكة، تصل الرحم،

(1) وهو أيضا عن: سعيد بن جبير، ينظر: الدر المنثور: 430/8، 514/8، تفسير ابن أبي حاتم: 3404/10،

حديث رقم: (19147)، 3406/10، حديث رقم: (19164).

(2) وهو قول عن: ابن عباس، ينظر: تفسير القرطبي: 231/19 .

(3) ينظر: لسان العرب، مادة: وأد.

(4) وهو أيضا عن: مسلم بن صبيح، ينظر: جامع البيان: 246/24، الدر المنثور: 426/8 .

(5) هي: جدامة بنت وهب الأسدية، ويقال: بالخاء المعجمة، صحابية، جليلة، زوجة أنيس بن قتادة بن ربيعة،

أسلمت بمكة، وبايعت النبي ﷺ -، وهاجرت للمدينة، روت عن النبي ﷺ -، روت عنها أم المؤمنين عائشة،

ينظر: الإصابة: 552/7، أسد الغابة: 1324/1 .

(6) صحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: جواز الغيلة، وهي وطأ المرضع، وكراهة العزل، حديث رقم: (1442)،

السنن لابن ماجة، باب: الغيل، حديث رقم: (2011)، السنن لأبي داود، باب: في الغيل، (أصل الغيل: أن

يجامع الرجل المرأة، وهي مرضع)، حديث رقم: (3882)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في الغيلة، حديث رقم:

(2077)، سنن النسائي، باب: الغيلة، والعزل، حديث رقم: (5485)، واللفظ لمسلم .

(7) هو: سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع الجعفي، صحابي، جليل، نزل الكوفة، وكان قد وفد على النبي ﷺ -

هو وأخوه لأمه، قيس بن سلمة بن شراحيل، روى عن النبي ﷺ -، وروى عنه علقمة بن قيس،

وعلقمة بن وائل، ويزيد بن مرة الجعفي، ينظر: الإصابة: 156/3، أسد الغابة: 470/1، تهذيب التهذيب:

. 142/4

وتقرئ الضيف، وتعمل، [وتفعل]⁽¹⁾، هلكت في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: لا، فإنها كانت وأدت أختا [لها]⁽²⁾ في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: "الوائدة، والمعوودة في النار، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام، فيعفو الله عنها"، رواه أحمد، والنسائي⁽³⁾، وسئل النبي -ﷺ-: من في الجنة؟ قال: "النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمعوودة في الجنة، والمعوودة في الجنة"، رواه أحمد⁽⁴⁾، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: الموعودة هي المدفونة⁽⁵⁾، وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: جاء قيس بن عاصم⁽⁶⁾ إلى رسول الله -ﷺ-، فقال يا رسول الله: وأدت ثمانية بنات لي في الجاهلية، فقال: "اعتق عن كل واحدة منهن رقبة"، قال يا رسول الله: أنا صاحب إبل، قال: "فانحر لكل واحدة منهن بدنة"، رواه الحافظ البزار⁽⁷⁾، قال: فلما كان في العام المقبل، جاء بمائة ناقة، فقال يا رسول الله: هذه صدقة قومي، على أثر ما صنعت بالمسلمين، قال علي -رضي الله عنه-: فكنا نريحها، ونسميها القيسية، وقوله: ﴿وَإِذَا أَلْحُفُّ نُشِرَتْ﴾، قال الضحاك: أُعْطِيَ كل إنسان صحيفة بيمينه، أو بشماله⁽⁸⁾، وقيل: المراد: صحائف الأعمال، تنتشر للحساب⁽⁹⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾، قيل: أي: نزعت،

(1) زيادة في مسند أحمد، أما في المخطوط قوله: وتعمل، غير مكررة .

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: 334/8، مسند أحمد: 478/3، حديث رقم: (15965).

(3) مسند أحمد: 478/3، حديث رقم: (15965)، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة التكوير، حديث رقم: (11649)، واللفظ لأحمد، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(4) مسند أحمد: 58/5، حديث رقم: (20604)، وفيه: "والمولود في الجنة، والمعوودة في الجنة"، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 3406/10، حديث رقم: (19166).

(6) هو: قيس بن عاصم بن سنان بن منقر التميمي المنقري، يكنى أبا علي، وقيل: أبا طلحة، وقيل: أبا قبيصة، والأول أشهر، صحابي، جليل، كان قد حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، وهو أول من وأد في الجاهلية، وفد على رسول الله -ﷺ- وفد تميم، فأسلم، كان عاقلاً، حلماً، يقتدى به، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه ابنه حكيم، وحصين، والأحنف بن قيس، والحسن البصري، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 483/5، أسد الغاية: 921/1 .

(7) مسند البزار: 355/1، حديث رقم: (238)، كشف الأستار عن زوائد البزار: 78/3، حديث رقم: (2280)، واللفظ: "وأدت بنات لي" ولم يذكر "ثمانية".

(8) ينظر: تفسير الضحاك: 940/2، تفسير ابن كثير: 335/8 .

(9) وهو قول عن ابن جريج، ينظر: الدر المنثور: 431/8 .

فطويت⁽¹⁾، وقال مقاتل: يكشف عن فيها⁽²⁾، ومعنى الكشط: دفعك شيئاً عن شيء، قد غطاه، كما تكشط الجلد عن السنام⁽³⁾، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾، أي: أحميت، وأوقدت، وإنما يسعرها غضب الله، وخطايا بني آدم، وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، أي: قربت إلى أهلها، وقوله: ﴿عَامَتِ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾، هذا هو الجواب، أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذ، تعلم كل نفس ما عملت، وأحضرت، ذلك لها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾⁽⁴⁾.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾

عن عمرو بن حريث⁽⁵⁾ قال: صليت خلف النبي -ﷺ- الصبح، فسمعته يقرأ: "﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾"، رواه مسلم⁽⁶⁾، وعن علي -ﷺ- قال: "﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾"، هي النجوم الدراري، التي تجري، تستقبل الشمس⁽⁷⁾، وقال بعض الأئمة: إنما قيل للنجوم: الخنس، أي: في حال طلوعها، هي جوار في فلکها، وفي حال غيوبتها، يقال لها: كنس، من قول العرب: أوى الطيبي إلى كناسه،

(1) وهو قول عن الفراء، ينظر: زاد المسير في علم التفسير: 40/9.

(2) تفسير مقاتل: 456/3.

(3) لسان العرب، مادة: كشط.

(4) سورة آل عمران، الآية: 30.

(5) هو: عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان القرشي، يكنى أبا سعد، له ولأبيه صحبة، شهد القادسية، وكان قد وُلّي أمر الكوفة، نيابة لزياد، ولابنه عبد الله بن زياد، روى عن النبي -ﷺ-، وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وغيرهم، وروى عنه أخاه سعيد بن حريث، وابنه جعفر، وفطر بن خليفة، وغيرهم، توفي سنة: (85هـ)، وقيل: سنة: (98هـ)، ينظر: الإصابة: 619/4، أسد الغابة: 844/1.

(6) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: متابعة الإمام، والعمل بعده، حديث رقم: (475).

(7) ينظر: جامع البيان: 251/24، الدر المنثور: 431/8.

إذا يغيب فيه⁽¹⁾، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - الخُنْسُ: بقر الوحش⁽²⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿أَجْوَارِ الْكُنْسِ﴾: البقر، تكنس إلى الظل⁽³⁾، وعنه: الظباء، كذا قاله ابن جبير، وغيره⁽⁴⁾، وقال جابر بن زيد⁽⁵⁾: هي الظباء، والبقر⁽⁶⁾، وقال مجاهد: كنا نسمع: أنها بقر الوحش، حتى تكنس في جحرها، يعني: تتأوى إلى مكانها، وتستتر فيه⁽⁷⁾، ويحتمل أن الجميع مراد، وقوله: ﴿وَأَلِيلٍ إِذَا عَسَسَ﴾، فيه قولان:

- أحدهما: إقباله بظلامه، قال مجاهد: أي: أظلم⁽⁸⁾، وقال سعيد: إذا نشأ⁽⁹⁾، وقال الحسن: إذا غشي الناس⁽¹⁰⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: إذا أدبر، وقال زيد بن أسلم: إذا ذهب، فتولى، وهو اختيار ابن جرير⁽¹¹⁾، لقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾، أي: أضاء، مستشهدا بقول الشاعر:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسَا * * * وانجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَسَا⁽¹²⁾

أي: أدبر، وذهب، ثم قال الشيخ - رحمه الله -: وعندي، أن المراد بقوله: عسس: إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضا، لكن الإقبال ههنا

(1) ينظر: لسان العرب، مادة: كنس.

(2) النكت والعيون: 216/6 .

(3) الدر المنثور: 422/8 .

(4) وهو أيضا عن: مجاهد، وجابر بن زيد، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 253/24، الدر المنثور: 432/8 .

(5) هو: جابر بن زيد الأزدي اليماني، أبو الشعثاء الجوفي، البصري، تابعي، فقيه، كان مفتي أهل البصرة، عابدا، ومن أعلم الناس بالتفسير، روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وغيرهم، وروى عنه قتادة، وعمرو بن دينار، ويعلى بن مسلم، وغيرهم، توفي سنة: (93هـ)، وقيل: سنة: (103هـ)، وقيل: سنة: (104هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 34/2، تذكرة الحفاظ: 57/1.

(6) تفسير القرطبي: 237/19 .

(7) ينظر: جامع البيان: 235/24 .

(8) تفسير القرطبي: 239/19 .

(9) جامع البيان: 258/24 .

(10) ينظر: المصدر نفسه: 256/24 .

(11) وهو أيضا عن: علي، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ينظر: المصدر نفسه: 255/24، تفسير القرطبي: 238/19 .

(12) هذا البيت ل: علقمة بن قرط، ينظر: جامع البيان: 257/24 .

أنسب، كأنه أقسم تعالى بالليل، وظلامه، إذا أقبل، وبالفجر، وضيائه، إذا أشرق، كما قال: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَمْسُو ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۝﴾⁽¹⁾، وقال أهل الأصول: لفظة عسعس تستعمل في الإقبال، والإدبار، على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم، وقوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ۝﴾، أي: إذا طلع، وقال قتادة: إذا أضاء، وأقبل⁽²⁾، وعن علي - عليه السلام - : إذا نشأ، قال ابن جرير: يعني ضوء النهار، إذا أقبل، وتبين⁽³⁾، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝﴾، يعني: أن هذا القرآن بتبليغ ملك، رسول، شريف، حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل - عليه السلام -، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد⁽⁴⁾، وقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ ۝﴾ كقوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝﴾⁽⁵⁾، أي: شديد الخلق، شديد البطش، والفعل، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝﴾، أي: له مكانة عند الله تعالى، ومنزلة رفيعة، وعن أبي صالح في قوله: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝﴾، قال: جبريل يدخل في سبعين حجابا من نور بغير إذن⁽⁶⁾ ﴿مُطَاعٍ ۝﴾، أي: له وجاهة، وهو مسموع (544/ب) القول، مطاع في الملا الأعلى، وقال قتادة: ﴿مُطَاعٌ تَمَّ ۝﴾، أي في السماوات⁽⁷⁾، يعني هو من سادة الملائكة، وأشرفهم، ومقربهم، أنتخب لهذه الرسالة العظيمة، وقوله: ﴿أَمِينٍ ۝﴾، صفة لجبريل بالأمانة، وهذه مرتبة عظيمة له جدا، حيث زكاه الله، كما زكى رسوله محمدا - عليه السلام - بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝﴾، يعني: محمدا - عليه السلام -، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝﴾، يعني: ولقد رأى محمدا جبريل، الذي يأتيه بالرسالة عن الله تعالى، على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝﴾، أي: البين، وهي الرؤية التي كانت بالبطحاء، وهي مذكورة في قوله ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو

(1) سورة الليل، الآيتان: 1، 2 .

(2) ينظر : جامع البيان: 258/24 .

(3) المصدر نفسه: 257/24 .

(4) وهو أيضا عن: قتادة، وسعيد بن جبير، والحسن، والضحاك، ينظر : تفسير القرطبي: 240/19، الدر المنثور: 433/8.

(5) سورة النجم، الآيتان: 5، 6 .

(6) ينظر : جامع البيان: 259/24 .

(7) ينظر : المصدر نفسه .

مِرَّةً فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ ﴿١﴾، كما سبق تفسيره، وأن المراد بذلك: جبريل⁽²⁾، والظاهر: أن هذه السورة نزلت قبل سورة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية، وهي الأولى، وأما الثانية، وهي المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾﴾ ﴿٣﴾، فتلك، إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد الإسراء، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، أي وما محمد على ما أنزله الله عليه بمتهم، ومنهم من قرأ ذلك: بالطاء⁽⁴⁾، أي بخيل، بل يبذله لكل أحد، قال سفيان بن عيينة⁽⁵⁾: ظنين، وضنين، سواء، أي: ما هو بكاذب، ولا فاجر⁽⁶⁾، قال قتادة، وغير واحد: كأن القرآن غيبا، نزله الله على محمد - ﷺ -، فما ضن به عن أحد، بل بلَّغه، ونشره، وبذله لكل من أراد، واختاره ابن جرير⁽⁷⁾، وكلاهما سواء، ومعناه صحيح، كما سبق، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾، أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي: لا يقدر على حمله، ولا ينبغي له، كما قال: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٣٢﴾ ﴿٨﴾، وقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، أي: وأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره، ووضوحه، وبيان كونه حقا من الله، كما قال الصديق - ﷺ - لَوْ قُدَّ بَنِي حَنِيْفَةَ، حين قدموا مسلمين، وأمرهم، فَتَلَّوْا عليه شيئا من قرآن مُسَيَّلَمَةٍ، وهو في غاية الهديان، والركاكة: "وَيَحْكَم! أين تذهب

(1) سورة النجم، الآيات: 5 - 10 .

(2) المخطوط نفسه، اللوحة: (481 / أ).

(3) سورة النجم، الآية: 13 .

(4) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: بظنين (بالطاء)، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: بظنين (بالضاد)، السبعة في القراءات: 673/1 .

(5) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران بن ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، سكن مكة، كوفي، ثقة، ثبت في الحديث، عالم بالقرآن، اتفق الأمة على الاحتجاج بابن عيينة؛ لحفظه، وأمانته، قال عنه الشافعي: لولا مالك، وسفيان لذهب علم الحجاز، وقد حج سبعين حجة، روى عن عبد الملك بن نمير، وحميد الطويل، وزيد بن أسلم، وغيرهم، وروى عنه ابن جريج، وشعبة، والثوري، وغيرهم، وهم من شيوخه، توفي سنة: (198هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 478/15، تذكرة الحفاظ: 193/1، تهذيب التهذيب: 104/4 .

(6) ينظر: جامع البيان: 261/24، تفسير ابن كثير: 339/8 .

(7) وهو أيضا عن: مجاهد، وابن وهب، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 261/24 .

(8) سورة الشعراء، الآيات: 210، 211، 212 .

عقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلّ⁽¹⁾، أي من إله، وقال قتادة: أي: عن كتاب الله وطاعته⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، أي: إن هذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به، ويتعلمون، ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، أي: من أراد الهداية، فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاة له، وهداية، ولا هداية فيما سواه، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: ليست المشيئة موكلة إليكم، فمن شاء، اهتدى، ومن شاء، ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله رب العالمين، قال سليمان بن موسى⁽³⁾، لما نزلت هذه الآية: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا، استقمنا، وإن شئنا، لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وفيه إعلام بأن أحدا لا يعمل خيرا، إلا بتوفيق الله، ولا شرا، إلا بخذلانه .

(1) ينظر: معالم التنزيل: 15/4 .

(2) ينظر: جامع البيان: 263/24 .

(3) هو: سليمان بن موسى الأموي، مولاهم، أبو أيوب، ويقال: أبو الربيع، وقيل: غير ذلك، فقيه أهل الشام في زمانه، قال البخاري: عنده مناكير، وقال النسائي: أحد الفقهاء، وليس بالقوي في الحديث، روى عن أبي أمامة، والزهري، ومكحول، وعطاء، وغيرهم، وروى عنه ابن جريج، وسعيد بن عبد العزيز، وزيد بن واقد الأوزاعي، وغيرهم، توفي سنة: 115هـ، وقيل: (119هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 197/4، سير أعلام النبلاء: 35/10 .

تفسير سورة: الانفطار

"وهي مكية"

في سنن النسائي عن جابر - رضي الله عنه - قال: قام معاذ - رضي الله عنه - (1)، فصلى العشاء الآخرة، فطول، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أفتأن أنت يا معاذ؟ أين كنت عن: سبح اسم ربك الأعلى، والضحي، وإذا السماء انفطرت؟"، أصل الحديث في الصحيحين (2)، ولكن ذكر: "إذا السماء انفطرت"، من إفراد النسائي (3)، وقد سبق أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة، رأي العين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴿١﴾﴾" (4).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ
﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

أي: إذا السماء انشقت، كما قال: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (5)، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾، أي: تساقطت، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -:

-
- (1) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، شهد المشاهد كلها، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه: ابن عباس، وابن عمر، وابن عدي، وغيرهم، توفي بالطاعون، في الشام، سنة: 17هـ، ينظر: الإصابة 136/6، الاستيعاب 1402/3 .
- (2) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، حديث رقم: (5755)، صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في العشاء، حديث رقم: (465).
- (3) سنن النسائي الكبرى، باب: قراءة في العشاء الآخرة، بسبح اسم ربك الأعلى، حديث رقم: (1069) .
- (4) سبق تخريجه في أول سورة التكوير ص 170 .
- (5) سورة المزمل، من الآية: 18 .

فجر الله بعضها في بعض⁽¹⁾، قال الحسن: وذهب ماؤها⁽²⁾، وقال قتادة: اختلط مالها بعذبها⁽³⁾، وقيل: ملئت⁽⁴⁾، وفاضت⁽⁵⁾، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: بحثت⁽⁶⁾، فخرج من فيها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، أي: إذا كان هذا، حصل هذا، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، هذا تهديد، لا كما توهم بعض الناس، من أنه إرشاد إلى الجواب، حيث قال الكريم: حتى يقول قائلهم يغره كرمه، بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا ابن آدم، بربك الكريم؟ أي: العظيم، حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق، كما جاء في الحديث: "يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟"⁽⁷⁾، وعن سفيان قال: سمع عمر رجلا يقرأ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، فقال عمر: الجهل⁽⁸⁾، وفي رواية: غره، والله جهله، رواه ابن أبي حاتم⁽⁹⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره، مثل ذلك⁽¹⁰⁾، وقال قتادة: غره عدوه المسلط عليه⁽¹¹⁾، يعني: الشيطان، وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرك بي؟ قلت: ستورك المرخاة⁽¹²⁾، وقال أبو بكر الوراق⁽¹³⁾: لو قال لي: ﴿مَا غَرَّكَ

(1) ينظر: الدر المنثور: 438/8 .

(2) ينظر: تفسير القرطبي: 244/19 .

(3) ينظر: جامع البيان: 268/24 .

(4) وبه قال الربيع، ينظر: النكت والعيون: 352/8 .

(5) وبه قال الكلبي، ينظر: جامع البيان: 268/24 .

(6) وهو قول عن ابن عباس، ينظر: الدر المنثور: 438/8 .

(7) ينظر: المعجم الكبير للطبراني 182/9 حديث رقم 8900 . واللفظ مختلف .

(8) ينظر: تفسير القرطبي: 245/19 .

(9) تفسير ابن أبي حاتم 3408/10 حديث رقم 19174 .

(10) وهو أيضا عن: صالح بن مسمار، وربيع بن خيثم، والحسن، وغالب الحنفي، ينظر: الدر المنثور: 439/8،

تفسير القرطبي: 245/19 .

(11) تفسير القرطبي: 245/19 .

(12) ينظر: المصدر نفسه: 246/19 .

(13) هو: محمد بن يحيى بن سليمان بن زياد المروزي، أبو بكر الوراق، نزيل بغداد، ثقة، كثير الحديث، روى عن عاصم بن

علي الواسطي، وداود بن عمرو الضبي، وعلي بن الجعد، وغيرهم، وروى عنه أبو بكر النجار، وأبو القاسم الطبراني،

وحبيب بن الحسن القزاز، وغيرهم، توفي سنة: (298هـ)، وقيل: سنة: (287هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 450/9 .

بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿﴾، لقلت: غرني كرم الكريم⁽¹⁾، وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، دون سائر صفاته، وأسمائه، كأنه لقنه الإجابة، قال الشيخ - رحمه الله -: وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه الكريم؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء، وحكى البغوي عن الكلبي⁽²⁾، ومقاتل، أنهما قالوا: نزلت هذه الآية في أبي الأشدين، ضرب النبي - ﷺ -، فلم يعاقبه الله، فأنزل الله هذه الآية، يقول: ما الذي غرك بربك الكريم، المتجاوز عنك، إذ لم يعاقبك بكفرك⁽³⁾، قال مقاتل: غره عفو الله، حين لم يعاقبه في أول مرة⁽⁴⁾، وقال السدي: غره رفق الله به⁽⁵⁾، وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾، أي: ما غرك بالرب الكريم، الذي خلقك سويا، مستقيما، معتدل القامة، منتصبا في أحسن الهيئات، والأشكال، وعن [عمرو]⁽⁶⁾ بن جحاش قال: إن رسول الله - ﷺ - بصق يوما في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال: "قال الله: ابن آدم، أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك، وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيدٌ، فجمعت، ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة"، رواه أحمد، وابن ماجه⁽⁷⁾، وقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قال مجاهد: في أي شبه أب، أو أم، أو خال، أو عم⁽⁸⁾، وجاء في الحديث المرفوع: "أن النطفة إذا استقرت في الرحم،

(1) معالم التنزيل: 356/8 .

(2) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، أبو النصر، الكوفي، المفسر، ضعيف، يترك حديثه، حدث عنه ثقات، ورضوه في التفسير، روى عن أخويه سفيان، وسلمة، وعامر الشعبي، وغيرهم، وروى عنه ابنه هشام، والسفيانان، وابن المبارك، وغيرهم، توفي بالكوفة سنة: (146هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 157/9 .

(3) ينظر: معالم التنزيل: 356/8 .

(4) المصدر نفسه .

(5) المصدر نفسه .

(6) لعل الصواب: [يسر] بن جحاش، لأن عمرو بن جحاش من يهود بني النضير، أما بسر، فهو صحابي، وذكره في تفسير ابن كثير: بسر بن جحاش القرشي، ينظر: تفسير ابن كثير: 342/8 .

(7) مسند أحمد: 210/4، حديث رقم: (17876)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، السنن لابن ماجه، باب: النهي عن الإمساك في الحياة، والتبذير عند الموت، حديث رقم: (2707)، واللفظ لأحمد .

(8) ينظر: تفسير مجاهد: 736/2 .

أحضرها الله كل نسب"، وفي رواية: "كل عرق، بينها وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾"، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽¹⁾، وقال عكرمة، وغيره: إن شاء، في صورة إنسان، وإن شاء في صورة دابة، وحيوان آخر⁽²⁾، فإنه قادر على ذلك، يعني: أنه تعالى قادر على أن يخلق من النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته، ولطفه، يخلقه على شكل حسن مستقيم، معتدل، حسن الهيئة، والمنظر، ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾، أي: بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم، ومقابلته بالمعاصي، تكذيبه في قلوبكم بالمعاد، والجزاء، والحساب، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾، أي: وإن عليكم ملائكة حفظة، ﴿كِرَامًا كُنِينٍ يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾، فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم، وعن مجاهد: أن رسول الله - ﷺ - [قال]⁽³⁾: "أكرموا الكرام، الكاتبين، الذين لا يفارقونكم، إلا عند حالتين: الجنابة، والغائط، وإذا اغتسل أحدكم، فليستتر بجُرم حائط، أو ببعير، أو يستُرُه أخوه"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾، ورواه الحافظ البزار عن مجاهد، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - متصلاً⁽⁵⁾، وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "ما من حافظين، يرفعان إلى الله تعالى ما حفظا في يوم، فيرى في أول الصحيفة، وفي آخرها، استغفاراً، إلا قال الله: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة"، حديث ضعيف، رواه الحافظ أبو بكر البزار⁽⁶⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إن ملائكة الله

(1) ينظر: جامع البيان: 270/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3408/10، حديث رقم: (19176)، أما قوله: وفي رواية: "كل عرق، بينها وبين آدم"، ثم قرأ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، فهي مذكورة في: المعجم الكبير للطبراني: 290/19، حديث رقم: (644)، أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة: 133/13 حديث رقم: (3330)، ولم أقف عليه عند ابن جرير، وابن أبي حاتم .

(2) وهو قول عن: أبي صالح، وعكرمة، ومقاتل، ولم أقف على هذا القول منسوباً لقتادة، ينظر: الدر المنثور: 440/8، تفسير مقاتل: 458/3 .

(3) ساقطة من المخطوط، ولا يصح السياق إلا بها .

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3408/10، حديث رقم: (19177).

(5) مسند البزار: 89/11، حديث رقم: (4799).

(6) المصدر نفسه: 218/13، حديث رقم: (6696).

يعرفون بني آدم، وأحسبه قال: ويعرفون أعمالهم، فإذا نظروا إلى عبد، يعمل بطاعة الله، ذكروه بينهم، وسموه، وقالوا: أفلح الليلة فلان، نجا الليلة فلان، وإذا نظروا إلى عبد، يعمل بمعصية الله، ذكروه بينهم، وسموه، وقالوا: هلك الليلة فلان"، رواه البزار (1).

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

أخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله، ولم يقابلوه بالمعاصي، كما روى الإمام الحافظ بن عساكر، عن عبد الله بن عمرو (545/ب) - رضي الله عنهما -، عن النبي - ﷺ - قال: "إنما سماهم الله الأبرار؛ لأنهم برؤوا الآباء، والأبناء" (2)، وذكر مصير الفجار من الجحيم، والعذاب المقيم، ولهذا قال: ﴿ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾، أي: يدخلونها يوم الحساب، والجزاء، والقيامة، ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾، أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت، أو الراحة، ولو يوماً واحداً، وقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾، تعظيم لشأن يوم القيامة، وهوله، ثم أكد بقوله: ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾، ثم فسرها بقوله: ﴿ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾، أي: لا يقدر أحد على نفع أحد، ولا خلاصه عما هو فيه، إلا أن يشاء الله لمن يشاء، ويرضى، وقد سبق عند تفسير: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (3)، حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في الصحيحين: "أنه - عليه الصلاة والسلام - دعا قريشاً، فاجتمعوا، فعم، وخص، فقال: يا بني كعب بن لؤي

(1) كشف الأستار عن زوائد البزار: 67/4، حديث رقم: (3214)، قال الألباني: حديث ضعيف جداً، سلسلة الأحاديث الضعيفة، والموضوعة: 597/14، حديث رقم: (6766).

(2) تاريخ مدينة دمشق: 199/61، قال الهيثمي: وفيه عبدالله بن الوليد الوصافي، وهو ضعيف، مجمع الزوائد: 268/8، حديث رقم: (13422).

(3) سورة الشعراء، الآية: 214 .

أنقذوا أنفسكم من النار، إلى أن قال: يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، إني لا أملك لكم من الله شيئاً"، الحديث⁽¹⁾، ولهذا قال: ﴿وَأَلْمُرْ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، كقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽²⁾، وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾⁽³⁾، قال قتادة في هذه الآية: والله، اليوم لله، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد⁽⁴⁾.

(1) عن أبي هريرة قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، دعا رسول الله -ﷺ- قريشاً، فاجتمعوا، فعم، وخص، فقال: "يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً، سأبلها ببلالها"، صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: من انتسب إلى آبائه في الإسلام، والجاهلية، حديث رقم: (3336)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، حديث رقم: (204)، واللفظ لمسلم .

(2) سورة غافر، من الآية: 16 .

(3) سورة الفرقان، من الآية: 26 .

(4) ينظر: جامع البيان: 273/24، اللوحة: (352 / أ) من المخطوط .

تفسير سورة: المطففين

"وهي مدنية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: "لما قدم نبي الله - ﷺ - المدينة، كانوا من أحبب الناس كيلا، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فحسنوا الكيل بعد ذلك"، رواه النسائي⁽¹⁾، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة ليوفون بالكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل، وقد قال الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، حتى بلغ: ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، رواه ابن جرير⁽²⁾، فالمراد بالتطفيف ههنا: البخس في المكيال، والميزان، إما بالازدياد، إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان، إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين، الذين وعدهم بالخسار، والهلاك، وهو الويل، بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾، أي: من الناس، ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، أي: يأخذون حقهم بالوافي، والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أي: ينقصون، والأحسن أن يجعل كَالُوا، وَوَزَنُوا، مُتَعَدِّيًا، ويكون هم في محل نصب، ومنهم من جعلها ضميرا مؤكدا للمستتر في قوله: "كالوا، ووزنوا"، ويحذف المفعول؛ لدلالة اللفظ عليه، وكلاهما متقارب، وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل، فقال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ اسِّ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾⁽³⁾، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

(1) سنن النسائي الكبرى، باب: سورة المطففين، حديث رقم: (11654)، المستدرک علی الصحیحین: 38/2، حديث رقم: (2240).

(2) جامع البيان: 277/24 .

(3) سورة الإسراء، الآية: 35 .

تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾⁽¹⁾، ثم قال متوعدا لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، أما يخاف أولئك من البعث، والقيام بين يدي من يعلم السرائر، والضمائر، في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، من خسر فيه، أدخل النار، وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: يقومون حفاة، عراة، غرلا، في موقف صعب، ضيق شديد على المجرم، ويغشاهم من أمر الله ما يعجز القوي والحواس عنه، في الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، حتى يغيب أحدهم في رشحه، إلى أنصاف أذنيه⁽²⁾، وفي مسند أحمد: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لعظمة الرحمن - ﷻ - يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم⁽³⁾، وعن المقداد بن الأسود⁽⁴⁾ قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "إذا كان يوم القيامة، أدنيت الشمس من العباد، حتى تكون قيد ميل، أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس، فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، منهم: من يأخذه إلى عقبه، ومنهم: من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم: من يأخذه إلى حنجرته، ومنهم: من يلجمه إجماماً"، رواه مسلم، واللفظ لأحمد⁽⁵⁾، وفي الحديث: أنهم يقومون سبعين سنة، لا يتكلمون⁽⁶⁾، وقيل: يقومون ثلاثمائة سنة⁽⁷⁾، وقيل: يقومون في مقدار أربعين ألف سنة، وقضي بينهم في

(1) سورة الأنعام، من الآية: 152 .

(2) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المطففين، حديث رقم: (4654)، صحيح مسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة، أعاننا الله على أهوالها، حديث رقم: (2862)، واللفظ للبخاري .

(3) مسند أحمد: 31/2، حديث رقم: (4862)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، واللفظ مختلف .

(4) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراوي، وقيل: الحضرمي، ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأن الأسود تبناه، فاشتبه بذلك، صحابي، جليل، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد بعدها، وكان فارسًا يوم بدر، وقد دُكِرَ في أول سبعة أظهروا إسلامهم، روى عن النبي - ﷺ -، وروى عنه علي، وأنس، وهمام بن الحارث، وغيرهم، توفي في خلافة عثمان، سنة: (33هـ)، ينظر: الإصابة: 202/6، أسد الغابة: 1041/1 .

(5) صحيح مسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة، أعاننا الله على أهوالها، حديث رقم: (2864)، مسند أحمد: 3/6، حديث رقم: (23864).

(6) لم أقف على هذا القول إلا في تفسير ابن كثير، ولم ينسبه إلى قائله: 348/8 .

(7) وهو قول عن: قتادة، وكعب، وحذيفة، و(أبو هريرة)، و(ابن جرير)، ينظر: جامع البيان: 280/24، الدر المنثور: 443/8 .

مقدار عشرة آلاف سنة، كما في صحيح مسلم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (1)(2)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبشير الغفاري (3): "كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه، ثلاثمائة سنة، لرب العالمين من أيام الدنيا، لا يأتيهم فيه خبر من السماء، ولا يؤمر فيهم بأمر"، قال بشير: المستعان هو الله، قال: "إذا أويت إلى فراشك، فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة، وسوء الحساب"، رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير (4)، وفي سنن أبي داود: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوذ من ضيق يوم القيامة (5).

﴿ كَلَّا إِنْ كُنَّ الْجَارِ لِنِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذِ انْتُلِيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِرَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْرُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لِيَأْتَهُمْ لَصَاحُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

يعني: حقا، ﴿ كَلَّا إِنْ كُنَّ الْجَارِ لِنِي سَجِينٍ ﴾، أي: مصيرهم، ومأواهم، لفي سجين، فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير، ولهذا عظم أمره، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴾، أي: هو أمر عظيم وسجن مقيم، وعذاب أليم، ثم قال بعضهم: هي تحت الأرض السابعة (6)، كما سبق في حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه -، يقول الله في روح الكافر: "اكتبوا كتابه في سجين" (7)، وهي تحت الأرض السابعة،

(1) سورة المعارج، من الآية: 4 .

(2) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، حديث رقم: (987).

(3) هو: بشير الغفاري، صحابي، جليل، كان له مقعد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لا يكاد يخطئه، وله حديث، رواه عنه أبو هريرة، ينظر الإصابة: 318/1، أسد الغابة: 124/1 .

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3410/10، حديث رقم: (19189)، جامع البيان: 280/24، واللفظ لابن أبي حاتم، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: 173/9، حديث رقم: (4149)، قال الألباني: ضعيف .

(5) السنن لأبي داود، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، حديث رقم: (766)، قال الألباني: حديث صحيح.

(6) وهو قول عن: مجاهد، وقتادة، وعائشة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، والحسن، ينظر: جامع البيان: 282/24، الدر المنثور: 444/8 .

(7) مسند أحمد: 287/4، حديث رقم: (18557)، قال شعيب الأنثووط: إسناده صحيح، المستدرک على الصحيحين:

وقيل: بئر في جهنم⁽¹⁾، وقيل: صخرة تحت الأرض السابعة، خضراء، يجعل كتاب الفجار تحتها⁽²⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "الفلق: جب في جهنم، مغطى، والسجين: جب في جهنم مفتوح"، رواه ابن جرير⁽³⁾، والصحيح ما تقدم: من أنه من السجين، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها، ضاق، وكل ما تعالى منها، اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع من الذي دونه، وكذا، الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها، حتى ينتهي السفول المطلق، والمحل الأضيق، إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم، وهو أسفل السافلين، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَصْفَلَ سَفَلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٤﴾﴾، قال ههنا ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٦﴾﴾، وهو يجمع الضيق، والسفول، كما قال: ﴿وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾⁽⁵⁾، وقوله ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٦﴾﴾، تفسير لما كتب لهم من المصير، إلى سجين، لا أنه تفسير لقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٦﴾﴾، أي: مرقوم مكتوب، مفروغ منه، لا يزداد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد، قاله القرظي⁽⁶⁾، ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦﴾﴾، أي: إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن، والعذاب المهين، وقد سبق أن المراد. بالويل: الهلاك، والدمار، كما في السنن: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ويل للذي يحدث! فيكذب، فيضحك الناس، ويل له! ويل له!"⁽⁷⁾ ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين، الفجار، الكفرة:

93/1، حديث رقم: (107).

(1) وهو قول عن أبي هريرة، ينظر: جامع البيان: 284/24 .

(2) وهو قول عن الكلبي، ينظر: معالم التنزيل 364/8 .

(3) ينظر: جامع البيان: 284/24، قال ابن كثير: هو حديث غريب، منكر، تفسير ابن كثير: 349/8 .

(4) سورة التين، الآية: 5، وجزء من الآية: 6 .

(5) سورة الفرقان، الآية: 13 .

(6) ينظر: النكت والعيون: 228/6 .

(7) السنن لأبي داود، باب: في التشديد في الكذب، حديث رقم: (4990)، سنن الترمذي، باب: فيمن تكلم بكلمة،

يضحك بها الناس، حديث رقم: (2315)، قال أبو عيسى: حديث حسن، سنن النسائي، باب: سورة المطففين،

حديث رقم: (11655).

﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾، أي: لا يصدقون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه، مستبعبدين أمره، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾، أي: معتد في أفعاله، من تعاطي الحرام، والمجازرة في تناول المباح، والأثيم في أقواله: إن حدث، كذب، وإن وعد، أخلف، وإن خاصم، فجر، وقوله: ﴿إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾، أي: إذا سمع كلام الله من الرسول، وكذب به؛ ليعتقد أنه مفتعل، مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤)، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أي: ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله، ووحيه، وتنزيله على رسوله - ﷺ -، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين، الذي قد لبس قلوبهم، من كثرة الذنوب، والخطايا، فالرين يعترى قلوب الكافرين، والغيم للأبرار، والغين للمقربين، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: عن النبي - ﷺ - قال: "إن العبد إذا أذنب ذنبا، كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها، صقل قلبه، وإن زاد، زادت، فذلك قول الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، رواه الترمذي، وصححه، والنسائي نحوه (2)، قال الحسن: هو الذنب، على الذنب حتى يعمى القلب، فيموت، وبه قال مجاهد، وغير واحد (3)، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾، أي: لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين، ثم هم مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم، قال الإمام الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه تعالى يومئذ عيانا (4)، وهذا في غاية الحسن، فهو استدلال مفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۗ﴾ (٢٢)، وكما دل على ذلك الأحاديث الصحاح، المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم - ﷻ -، في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار، في

(1) سورة النحل، الآية: 24 .

(2) سنن الترمذي، باب: سورة: ويل للمطففين، حديث رقم: (3334)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، صحيح، سنن النسائي، باب: ما يفعل من بلي بذنوب، وما يقول، حديث رقم: (10251)، واللفظ مختلف .

(3) وهو أيضا عن قتادة، ينظر: جامع البيان: 287/24 .

(4) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: 40/1، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخرساني، أبو بكر البيهقي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثانية: (1994م)، بلا: (تح) .

(5) سورة القيامة، الآيتان: 22، 23 .

عرصات القيامة، وفي روضات الجنات، وقال الحسن: في هذه الآية يكشف الحجاب، فينظر إليه المؤمنون، والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون، وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة، وعشية رواه ابن جرير⁽¹⁾، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّمَا لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾، أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن، من أهل النيران، وداخلوها، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، أي: يقال لهم ذلك، على وجه التقرير، والتوبيخ، والتصغير، والتحقيق.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ ﴿٢٦﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَرْآةٌ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٨﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾

يعني: حقا أن ﴿كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾، وهم بخلاف الفجار، ﴿لَفِي عَلَيِّنَ﴾، أي: مصيرهم إلى عليين، وهو بخلاف سجين، وسأل ابن عباس كعبا - رضي الله عنهم - عن سجين، قال: هي الأرض السابعة، وفيها أرواح الكفار، وسأله عن عليين، فقال: هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين⁽²⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في رواية أعمالهم في السماء عند الله⁽³⁾، وقال قتادة: عليون: [ساق الجنة اليمنى]⁽⁴⁾، وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى⁽⁵⁾، والظاهر: أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء، وارتفع، عظم، واتسع، ولهذا قال تعالى، معظما أمره، ومخفيا شأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ﴾، ثم قال مؤكدا، لما كتب لهم: ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، قال قتادة: هم الملائكة⁽⁶⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يشهده من كل سماء

(1) ينظر: جامع البيان: 290/24، لكن لم يذكر أن الكفار ينظرون إليه .

(2) ينظر: الدر المنثور: 443/8 .

(3) ينظر: جامع البيان: 292/24 .

(4) لعل الصواب: [ساق العرش اليمنى]، هكذا، ذكر في التفاسير، ينظر: جامع البيان: 291/24، تفسير ابن كثير: 352/8 .

(5) وهو قول عن الضحاك، ينظر: جامع البيان: 292/24 .

(6) الدر المنثور: 448/8 .

مقربوها⁽¹⁾، ثم قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، أي: يوم القيامة هم في نعيم، مقيم، وجنات فيها فضل عظيم، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وهي السرر تحت الحجال، ﴿يَنْظُرُونَ﴾، قيل: معناه: ينظرون في ملكهم، وما أعطاهم من الخير، والفضل الذي لا ينقضي، ولا يببىد⁽²⁾، وقيل: أي: ينظرون إلى الله تعالى⁽³⁾، وهذا في مقابله ما وصف به أولئك الفجار، من أنهم محبوبون يومئذ عن رؤيته تعالى، وذكر عن هؤلاء: أنهم يباحون النظر إلى الله تعالى، وهم على سررهم، وفرشهم، كما سبق في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، لمن ينظر في ملكه، مسيرة ألفي سنة، يرى أقصاه، كما يرى أدناه، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين"⁽⁴⁾، وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، أي: تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم صفة الحشمة، والسرور، والدعة، لما فيه من النعيم العظيم، وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾، أي: يُسْقَوْنَ من خمر الجنة، والرحيق: من أسماء الخمر⁽⁵⁾، قاله كثيرون⁽⁶⁾، وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: يرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أيا مؤمن سقى مؤمنا شربة، على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيا مؤمن أطعم مؤمنا، على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيا مؤمن كسى مؤمنا ثوبا، على عري، كساه الله من خضر الجنة"، رواه أحمد⁽⁷⁾، و: ﴿خَتَمَتْهُمُ مَسَكٌ﴾، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: أي خليطه مسك⁽⁸⁾، وقال أبو الدرداء، وابن عباس - رضي الله عنهما -: طيب الله لهم المسك، وكان آخر - [جعل شيء فيها]-⁽⁹⁾ مسك، ختم بمسك⁽¹⁰⁾، وقال الحسن: أي:

(1) ينظر: جامع البيان: 294/24 .

(2) وهو قول عن: عكرمة، وابن عباس، ومجاهد، ينظر: تفسير القرطبي: 264/19 .

(3) وهو قول عن ابن عطاء، ينظر: تفسير الثعلبي - الكشف والبيان - 155/10 .

(4) سبق ذكره في سورة القيامة .

(5) لسان العرب، مادة: رحق .

(6) وبه قال: قتادة، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جببر، وابن مسعود، وابن عباس، وابن زيد، ينظر: جامع البيان:

296/24، الدر المنثور: 451/8 .

(7) مسند أحمد: 13/3، حديث رقم: (11116)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ورؤي موقوفا وهو الصحيح .

(8) ينظر: تفسير القرطبي: 266/19 .

(9) لعل الصواب: [شيء جعل فيها]؛ لأن الكلام لا يصح إلا هكذا، وكذا، ذكره في تفسير ابن كثير: 353/8 .

(10) وهذا القول عن ابن عباس فقط، ولعله سهو وقع فيه الكازروني، ينظر: جامع البيان: 297/24 .

عاقبته مسك⁽¹⁾، وقال أبو الدرداء: شراب أبيض مثل الفضة، يختمون به شرابهم، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل إصبعه فيه، ثم أخرجها، لم يبق ذو روح، إلا وجد طيبها⁽²⁾، وعن مجاهد: طيبه مسك⁽³⁾، وقوله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَّافِسِ الْمُنْتَفِسُونَ﴾، أي: وفي مثل هذا الحال، فليتناخر المتفاحرون، وليتباه، ويكثر، ويستبق إلى مثله المستبقون، كقوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، أي: ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم، أي: من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة، وأعلاه، قاله أبو صالح، والضحاك⁽⁵⁾، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، أي: يشربها المقربون صرفا، ويمزج لأصحاب اليمين، قاله ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم -، وغير واحد⁽⁶⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^(٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ اُنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

أخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا يضحكون من المؤمنين، أي: يستهزؤون بهم، ويحتقرونهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾، بالمؤمنين، ﴿يَتَغَامِرُونَ﴾، أي: يشيرون إليهم بالأعين؛ استهزاء، واحتقارا، والغمز: الإشارة بالجنف، والحاجب⁽⁷⁾، ﴿وَإِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾، أي: وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم، ﴿أُنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾، أي: معجبين بما هم فيه، يتفكهون، أي: مهما طلبوا، وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله

(1) ينظر: جامع البيان: 298/24 .

(2) المصدر نفسه.

(3) تفسير مجاهد: 739/2 .

(4) سورة الصافات، الآية: 61 .

(5) ينظر: جامع البيان: 301/24 .

(6) وهو أيضا عن: مسروق، ومالك بن الحارث، وابن جبیر، وأبي صالح، وقتادة، والضحاك، ينظر: المصدر

نفسه: 300/24 .

(7) لسان العرب، مادة: غمز .

عليهم، بل بالغوا في الكفران، وحسدوا المؤمنين، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾،
 أي: لكونهم على غير دينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾، أي: وما بعث
 هؤلاء المجرمون، حافظين على هؤلاء المؤمنين، أي: لم يوكلوا بحفظ أعمالهم،
 وأقوالهم، ولا كلفوا بهم، فلم اشتغلوا بهم، وجعلوهم نصب أعينهم؟ كما قال تعالى:
 ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ
 الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ ﴿١١١﴾ (١)، ولهذا قال ههنا: ﴿فَالْيَوْمَ﴾، يعني: يوم
 القيامة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، أي: في مقابلة ما ضحك بهم أولئك، ﴿عَلَى
 الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾، أي: إلى الله -عز وجل-، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، وليس
 بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته، وقوله:
 ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي: هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به
 المؤمنين، من الإستهزاء، والتقصص، أم لا؟ يعني: قد جوزوا أوفر الجزاء، وأتمه،
 وأكمله، استنهام تقرير، وتؤب، وأثاب بمعنى واحد .

(1) سورة المؤمنون، الآيات: 108 - 111 .

تفسير سورة: الانشقاق

"وهي مكية"

في الصحيحين عن أبي رافع⁽¹⁾ قال: "صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، فسجد، فقلت له: قال: سجدت خلف أبي القاسم -عليه السلام، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه"⁽²⁾، وعنه أيضا قال: "سجدنا مع رسول الله -عليه السلام - في: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، و ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽³⁾، رواه مسلم، وأهل السنن⁽⁴⁾.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ^(٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ^(٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ^(٤) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ^(٥) يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ^(٦) فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ^(٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا^(٨) وَنَقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا^(٩) وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ^(١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا^(١١) وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا^(١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا^(١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ^(١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا^(١٥)

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، وذلك يوم القيامة، ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أي: استمعت لربها من الإذن، وهو الاستماع، وإطاعته فيما أمرها به من الانشقاق، ﴿وَحُقَّتْ﴾،

(1) هو: أبو رافع الصائغ، اسمه: نفيح، نزل البصرة، ثقة، من كبار التابعين، أدرك الجاهلية، ولم ير النبي -عليه السلام، روى عن أبي هريرة، والخلفاء الأربعة، وغيرهم، وروى عنه بكر المزني، وقتادة، وعطاء بن أبي ميمونة، وعلي بن زيد، وغيرهم، موته قريب من موت أنس بن مالك، سنة: نيف وتسعين، ينظر: الإصابة: 148/7، تذكرة الحفاظ: 55/1، تهذيب الكمال: 15/30، سير أعلام النبلاء: 468/7.

(2) صحيح البخاري، كتاب: صفة الصلاة، باب: الجهر في العشاء، حديث رقم: (732)، صحيح مسلم، كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، حديث رقم: (578)، واللفظ للبخاري.

(3) سورة العلق، الآية: 1.

(4) صحيح مسلم، كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، حديث رقم: (578)، سنن ابن ماجه، باب: عدد سجود القرآن، حديث رقم: (1058)، سنن أبي داود، باب السجود في: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، و ﴿أَقْرَأْ﴾، حديث رقم: (1407)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في السجدة، في ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، حديث رقم: (573)، سنن النسائي الكبرى، باب: السجود في: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، جميعهم عن عطاء ابن ميناء، عن أبي هريرة، واللفظ مختلف.

وحق لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم، الذي لا يُمَانَعُ ولا يُغَالَبُ، ثم قال: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، أي: بسطت، وفرشت، ووسعت، وعن علي بن الحسين⁽¹⁾: أن النبي -ﷺ- قال: "إذا كان يوم القيامة، مد الله الأرض مد الأديم، حتى لا يكون لبشر من الناس، إلا موضع قدميه، فأكون أول من يدعى، وجبريل عن يمين الرحمن، والله، ما رآه قبلها، فأقول: يا رب، إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي، فيقول الله -ﷻ-: صدق، ثم أشفع، فأقول: يا رب، عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال: وهو المقام المحمود"، رواه ابن جرير⁽²⁾، وقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾، أي: في بطونها من الأموات، ﴿وَمَحَلَّتْ﴾، منهم، قاله مجاهد، وغيره⁽³⁾، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾، سبق تفسيره، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾، أي: ساع، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾، سعياً، وعامل عملاً، ﴿فَمَلَقِيهِ﴾، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير، أو شر، ويشهد ما رواه الطيالسي⁽⁴⁾ عن جابر -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "قال جبريل: يا محمد، عش ما شئت، فإنك ميت، وأحبب ما شئت، فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه"⁽⁵⁾، ومن الناس من يعيد الضمير إلى قوله: ﴿رَبِّكَ﴾، أي: ملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك، ويكافئك على سعيك،

-
- (1) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي، الهاشمي، أبو الحسين، ويقال: أبو الحسن، وقيل: غير ذلك، زين العابدين، تابعي، ثقة، مأمون، كثير الحديث، وهو علي الأصغر، وأما علي الأكبر، فقتل مع أبيه، بكرلاء، روى عن عمه الحسن، وأبوه الحسين، وسعيد بن المسيب، وعبدالله بن العباس، وغيرهم، وروى عنه زيد بن أسلم، وطاوس بن كيسان، وإبناه زيد، وعبدالله، وغيرهم، توفي سنة: (92هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 268/7، تهذيب الكمال: 382/20، الطبقات الكبرى لابن سعد: 211/5.
- (2) جامع البيان: 311/24، المستدرک على الصحيحين: 614/4، حديث رقم: (8701)، قال: هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، واللفظ لابن جرير.
- (3) وهو أيضاً عن: ابن عباس، وقتادة، وسعيد بن جبیر، ينظر: تفسير مجاهد: 741/2، تفسير القرطبي: 270/19، الدر المنثور: 455/8.
- (4) هو: سليمان بن داود بن الجارود، أبو داود الطيالسي، مولى قریش، الحافظ الكبير، صاحب المسند، فارسي الأصل، روى عن أيمن بن نابل، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وغيرهم، وروى عنه أحمد بن حنبل، وعمرو بن علي الفلاس، وعباس الدوري، وغيرهم، توفي بالبصرة سنة: (203 هـ)، وقيل: (204 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 160/4، سير أعلام النبلاء: 390/17.
- (5) مسند أبي داود الطيالسي: 313/3، حديث رقم: (1862)، وفيه: (فإنك لاقيه)، صحيح وضعيف الجامع الصغير، وزيادته، قال الشيخ الألباني: حديث حسن.

فعلى هذا: كلا القولين متلازمان، وقال: قتادة: يا ابن آدم، إن كدحك لضعيف، فمن (547/ب) استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله، فليفعل، ولا قوة إلا بالله⁽¹⁾، ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، أي: سهلاً يسيراً، أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك، هلك، لا محالة، كما في الصحيحين: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ - قال: "من نوقش الحساب، عذب"، قالت: فقلت: أليس قال الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قال: "ليس ذلك الحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب، عذب"⁽²⁾، وعنها قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول في بعض صلواته: "اللهم، حاسبني حساباً يسيراً"، فلما انصرف، قلت: ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في كتابه، فيتجاوز عنه، من نوقش في الحساب، يا عائشة، يومئذ هلك"، رواه أحمد⁽³⁾، وصحيح على شرط مسلم، وقوله: ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، أي: ويرجع إلى أهله في الجنة فرحاناً، مغتبطاً، بما أعطاه الله، وعن ثوبان - رضي الله عنه - أنه قال: "إنكم تعملون أعمالاً تعرف، ويوشك العارف أن يثوب إلى أهله، فمسرور، ومكظوم"، رواه الطبراني⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، أي: بشماله، من وراء ظهره، يثني يده من ورائه، ويعطي كتابه بها كذلك، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾، أي: خساراً، وهلاكاً، ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾، فيحرق بالنار، ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، أي: فرحاً باتباع هواه، وإسرافه على نفسه، ولم يتفكر في عاقبة حاله، فأعقبه ذلك حزناً طويلاً، وعذاباً أليماً، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، ولا يعيده بعد موته، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -

(1) تفسير القرطبي: 271/19.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب، عُذْب، حديث رقم: (6171)، صحيح مسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: إثبات الحساب، حديث رقم: (2876)، واللفظ مختلف.

(3) مسند أحمد: 48/6، حديث رقم: 24261، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، دون قوله: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول في صلواته الله حاسبني حساباً يسيراً، فهذه زيادة تفرد بها ابن إسحاق، واللفظ مختلف.

(4) المعجم الكبير: 94/2، حديث رقم: (1416)، مجمع الزوائد 400/10، حديث رقم: (17716)، قال الهيثمي: وفيه يحي بن عبد الحميد، وهو ضعيف.

وغير واحد⁽¹⁾، والحور هو: الرجوع⁽²⁾، قال الله: ﴿بَلَّحَ إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، يعني: بلى، سيعيده الله كما بدأه، ويجازيه على أعماله، خيرها، وشرها، إنه كان به بصيرا، من يوم خلقه، إلى يوم بعثه .

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۖ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ﴾ ١٦ ﴿الترَكْبَنَ طَبَقًا عَن طَبَقِ ۖ﴾ ١٩
 ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ ٢١ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا يُوعُونَ﴾ ٢٣ ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٤ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٢٥

عن علي، وابن عباس، وكثير من الصحابة، والتابعين، وتبعهم، - رضوان الله عليهم-: أن الشفق هو: الحمرة⁽³⁾، وقال بعضهم: الشفق هو: البياض⁽⁴⁾، فالشفق هو: حمرة الأفق، إما قبل طلوع الشمس، كما قاله مجاهد⁽⁵⁾، وإما بعد غروبها، كما هو المعروف عند أهل اللغة، قال الخليل⁽⁶⁾: الشفق: الحمرة من غروب الشمس، إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب، قيل: غاب الشفق⁽⁷⁾، وقال الجوهري⁽⁸⁾: الشفق: بقية ضوء

(1) وهو أيضاً عن قتادة، والضحاك، ومجاهد، وسفيان، ينظر: جامع البيان: 317/24، الدر المنثور: 457/8.

(2) لسان العرب، مادة: (حور).

(3) وهو أيضاً عن: أبي هريرة، وعمر، وابن عمر، وابن مسعود، وأنس، وأبي قتادة، وجابر بن عبد الله، وابن الزبير، ومعاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وسعيد بن جبیر، وابن المسيب، وطاوس، وعبد الله بن دينار، والزهري، وأشهب، وعبد الله ابن الحكم، ويحيى بن يحيى، والأوزاعي، ومالك بن أنس، وابن وهب، والشافعي، و(أبو يوسف)، و(أبو ثور)، و(أبو عبيد)، وأحمد، وإسحاق، ينظر: تفسير القرطبي: 274/19.

(4) وهو قول عن ابن عباس، وأبي هريرة، وابن عمر، وعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وأبي حنيفة، في إحدى الروايتين عنه، وروي: أنه رجع عنه، ينظر: المصدر نفسه: 275/19.

(5) ينظر: تفسير ابن كثير: 358/8.

(6) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن، صاحب العربية، والعروض، وهو أول من استخراج العروض، وحصر أشعار العرب بها، كان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين للعلم، وكان يقول الشعر، وهو أول من جمع حروف المعجم في بيت واحد، كانت له معرفة بالإيقاع، والنظم، وكان يحج سنة، ويغزو سنة، له مؤلفات كثيرة منها: العروض، الجمل، كتاب العين، كتاب النعم، وغيرها، وهو أستاذ سيبويه، روى عن أيوب، وعاصم الأحول، وعثمان بن حاصر، وغيرهم، أخذ عنه سيبويه، والأصمعي، والنضر بن شميل، توفي سنة: (175 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: بغية الوعاة: 557/1، تهذيب التهذيب: 141/3، شذرات الذهب: 275/1.

(7) لسان العرب، مادة: شفق، الصحاح في اللغة، مادة: شفق.

(8) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، كان من أعاجيب الزمان ذكاءً، وفضنةً، وعلماً، كان إماماً في اللغة، والأدب، وكان يؤثر السفر على الحضر، له مؤلفات منها: كتاب في العروض، مقدمة في النحو، والصحاح=

الشمس، وحمرتها، في أول الليل، إلى قرب العتمة⁽¹⁾، وكذا، قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء⁽²⁾، وفي صحيح مسلم أن رسول الله - ﷺ - [قال]⁽³⁾: "وقت المغرب، ما لم يغرب الشفق"⁽⁴⁾، ففي ذلك دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري، والخليل، ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾، هو: النهار كله، وعنه أيضا: الشفق: الشمس، رواهما ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾، أي: جمع، كأنه أقسم بالضياء، والظلام، وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبرا، وبالليل مقبلا⁽⁶⁾، وقال غيره: الشفق: اسم للحمرة، والبياض، وهو من الأضداد⁽⁷⁾، وقوله: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: وما جمع، وضم⁽⁸⁾، يقال: وسقه، يسقه وسقا، أي: جمعته، واستوسق الإبل، إذا اجتمعت وانضمت، قال الشاعر:

مستوسقات لو يجدن سائقا ...⁽⁹⁾

وذلك أن الليل إذا أقبل، أوى كل شيء إلى مأواه، وقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾، أي: إذا جمع، واستوى، وبه قال غير واحد⁽¹⁰⁾، يعني: أنه إذا تكامل نوره، واستدار،

= في اللغة، قرأ العربية عن أبي علي الفارسي، والسيرافي، وأخذ عنه إبراهيم بن صالح الوراق، وغيره، وهو أول من حاول الطيران، ومات في سبيله، وكان ذلك سنة: (393 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: بغية الوعاة: 446/1، شذرات الذهب: 142/3، الأعلام للزركلي: 313/1.

- (1) الصحاح في اللغة، مادة: شفق.
- (2) هذا القول لم أجد من ينسبه إلى عكرمة إلا ابن كثير، وهو قول الجمهور من الصحابة، والتابعين، والفقهاء، أما قول عكرمة فهو ما بقي من النهار، ينظر: تفسير القرطبي: 274/19، تفسير ابن كثير: 358/8.
- (3) زيادة يقتضيها السياق .
- (4) صحيح مسلم، كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، باب: أوقات الصلوات الخمس، حديث رقم: (612)، واللفظ مختلف.
- (5) تفسير ابن أبي حاتم: 3411/10، حديث رقم: (19194).
- (6) جامع البيان: 318/24.
- (7) المصدر نفسه.
- (8) ينظر: المصدر نفسه: 319/24.
- (9) وهو منسوب لابن صرمة، الدر المنثور: 458/8.
- (10) وهو قول عن: ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، وابن زيد، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 321/24.

وجعله مقابلاً لليل، وما وسق، وقوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: حالاً بعد حال⁽¹⁾، قال هذا نبيكم - ﷺ -، فيكون قوله: "نبيكم" مرفوعاً على الفاعلية، مَنْ قال، وهو الأظهر، والله أعلم، وفي رواية ابن جرير: أن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان يقول: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قال: يعني: نبيكم - ﷺ -، يقول: حالاً بعد حال، وبه قال آخرون⁽²⁾، ويحتمل أن المراد بهذا: نبيكم - ﷺ -، فيكون هذا نبيكم، مبتدأ وخبراً، ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة، كما هو قراءة عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وعامة أهل مكة، والكوفة: لتركبن - بفتح التاء والباء -⁽³⁾، وقال الشعبي⁽⁴⁾: لتركبن يا محمد، سماء بعد سماء، وهكذا، عن ابن مسعود، وغير واحد⁽⁵⁾، يعني: ليلة الإسراء، وعن ابن عباس - رضي (أ/548) الله عنهما - أيضاً: منزلاً على منزل، وأمرًا بعد أمر⁽⁶⁾، وقال السدي: أي: لتركبن سنن من كان قبلكم، من أعمالهم، منزلاً عن منزل⁽⁷⁾، كما نطق به الحديث الصحيح، المشهور، هو ما رواه أبو سعيد الخدري - رضى الله عنه -، عن النبي - ﷺ - أنه قال: "للتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب، تبعتموهم"، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟"⁽⁸⁾ وقال مكحول: أي: تحدثون في

(1) الدر المنثور: 459/8.

(2) وهو أيضاً عن: مجاهد، وعكرمة، والحسن، وموسى بن أبي عائشة، وسعيد بن جبير، وقتادة، وسفيان والضحاك، ينظر: جامع البيان: 322/24.

(3) وبه قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: بفتح الباء، وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، لتركبن (بضم الباء)، السبعة في القراءات: 677/1، جامع البيان: 322/24.

(4) هو: عامر بن شراحيل بن عبد، وقيل: عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو الكوفي، فقيه محدث، من كبار التابعين، روى عن: علي، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وروى عنه الأعمش، وقتادة، وأبو إسحاق السبيعي، وغيرهم، توفي سنة: (103هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 57/5، تذكر الحفاظ: 63/1.

(5) وهو أيضاً عن: قتادة، والحسن، وأبو العالية، وعبد الله، ومسروق، ينظر: جامع البيان: 324/24.

(6) المصدر نفسه: 223/24.

(7) النكت والعيون: 238/6، تفسير ابن كثير: 360/8.

(8) صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب، والسنة، باب: قول النبي - ﷺ -: "للتبعن سنن من كان قبلكم"، حديث رقم: (6889)، صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث رقم: (2669).

كل عشرين سنة أمرا، لم تَكُنْ عليه⁽¹⁾، وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-: السماء تنشق، ثم تحمر، ثم تكون لونا بعد لون، ومرة تكون كالدهان⁽²⁾، وقال سعيد بن جبير: قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم، فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرفا في الدنيا، فاتضعوا في الآخرة⁽³⁾، وقال عكرمة: حالا بعد حال، فطيما بعد ما كان رضيعا، وشيخا بعد ما كان شابا⁽⁴⁾، وقال الحسن: رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقر بعد غنى، وسقم بعد صحة، وصحة بعد سقم⁽⁵⁾، ثم قال ابن جرير، بعد ما حكى أقوال المفسرين: والصواب: قول من قال: لتركبن يا محمد، حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر، من الشدائد، والمراد بذلك: وإن كان الخطاب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: توجيه جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة، وأهواله أهوالا⁽⁶⁾، وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: فماذا يمنعهم من الإيمان بالله، ورسوله، واليوم الآخر؟ ومالهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن، وكلامه، وهو هذا القرآن: ﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾، إعظاما، وإكراما؟ وقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾، أي: من شأنهم التكذيب، والعناد، والمخالفة للحق، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، أي: يكتمون في صدورهم، قاله مجاهد، وقتادة⁽⁷⁾، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فأخبرهم يا محمد، أن الله -صلى الله عليه وسلم- قد أعد لهم عذابا أليما، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، هذا استثناء منقطع، يعني: لكن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾، أي: في الدار الآخرة، ﴿غَيْرِ مَمْنُونٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: أي: غير منقوص، ولا محسوب، أي: غير مقطوع⁽⁸⁾، وقال ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوزٍ﴾⁽⁹⁾، وقال بعضهم: غير ممنون عليهم⁽¹⁰⁾،

(1) الدر المنثور: 460/8.

(2) جامع البيان: 325/24، الدر المنثور: 460/8.

(3) الدر المنثور: 460/8.

(4) ينظر: معالم التنزيل: 376/8.

(5) تفسير القرطبي: 279/19.

(6) ينظر: جامع البيان: 326/24.

(7) ينظر: المصدر نفسه: 327/24.

(8) وهو أيضاً عن: مجاهد، وقتادة، وأبي نجيح، ينظر: جامع البيان: 432/21، 327/24، الدر المنثور: 460/8.

(9) سورة هود، من الآية: 108.

(10) وهو قول عن: السدي، النكت والعيون: 169/5.

وهذا غير مقبول، فإن الله تعالى له المنة على أهل الجنة في كل حال وأوان، ولحظة، وإنما يدخلونها بفضلها، ورحمته، لا بأعمالهم، فله المنة عليهم، دائماً، سرمداً، ولهذا يلهمون النفس، ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة يونس، من الآية: 10.

تفسير سورة: البروج

"وهي مكية"

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ في العشاء الآخرة: بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق" رواه أحمد (1).

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمَّا تَوَبَّوْا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾

أقسم تعالى بالسماء، وبروجها، وهي النجوم العظام، كما سبق بيانها (2) في قوله: ﴿نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (3)، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغير واحد: البروج: النجوم (4)، وعن مجاهد أيضا: البروج: التي فيها الحرس (5)، وقال ابن رافع (6): هي قصور في السماء (7)، وقيل: هي الخلق الحسن (8)، واختار ابن جرير: أنها منازل الشمس، وهي اثنا عشر برجاً، تسير

(1) مسند أحمد: 2/326، حديث رقم: (8314)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(2) المخطوط نفسه، اللوحة: (344/أ).

(3) سورة الفرقان، الآية: 61.

(4) وهو قول عن: مجاهد، وأبي نجيح، وقتادة، والحسن، والضحاك، و(أبو صالح)، ومقاتل، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس، إلا عند ابن كثير، ينظر: جامع البيان: 24/331، تفسير القرطبي: 19/283، تفسير مقاتل: 3/469، الدر المنثور: 8/462، تفسير ابن كثير: 8/363.

(5) تفسير القرطبي: 19/283.

(6) هو يحيى بن رافع الثقفي، يعد في الكوفيين، سمع عثمان، و(أبو هريرة)، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري: 8/273.

(7) ينظر: الدر المنثور: 6/269.

(8) وهو قول عن: المنهال بن عمرو، تفسير القرطبي: 19/283.

الشمس في كل واحد منها شهرا، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلاثا، فذلك ثمان وعشرون منزلة، ويستمر ليلتين⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُورٍ﴾، اختلفوا في ذلك، روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، بإسنادهما إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾، يوم القيامة، ﴿وَشَاهِدٍ﴾، يوم الجمعة، وما طلعت شمس، ولا غربت على يوم، أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، يسأل الله فيها خيرا، إلا أعطاه إياه، ولا يستعيز فيه من شر، إلا أعاده، ﴿وَمَشْهُورٍ﴾، يوم عرفة"⁽²⁾، حديث ضعيف، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -، وغير واحد: "اليوم الموعود: يوم القيامة"⁽³⁾، كما روى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اليوم الموعود: يوم القيامة، وإن الشاهد: يوم الجمعة، وإن المشهود: يوم عرفة، ويوم الجمعة: دخره الله لنا"، رواه ابن جرير⁽⁴⁾، ثم روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: الشاهد هو: محمد - صلى الله عليه وسلم -، والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ: (548/ب)

﴿ذَلِكَ يَوْمَ تَجْمَعُ لَهَ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَسْهُودٍ﴾⁽⁵⁾ (6)، وعن علي - رضي الله عنه - مثله⁽⁷⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضا: الشاهد: الله، والمشهود: يوم الجمعة⁽⁸⁾، وعنه أيضا: الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة⁽⁹⁾، وقال بعضهم: المشهود: يوم الجمعة، لِمَا رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ

(1) ينظر: جامع البيان: 332/24.

(2) المصدر نفسه: 334/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3413/10، حديث رقم: (19204)، سنن الترمذي، باب:

سورة البروج، حديث رقم: (3339)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى

بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد، وغيره، واللفظ مختلف.

(3) وهو أيضا عن: ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وأبي مالك الأشعري، وقتادة، وابن زيد، ينظر: جامع

البيان: 332/24، الدر المنثور: 463/8.

(4) جامع البيان: 463/8، الجامع الصغير، وزيادته: 1416/1، حديث رقم: (14160)، قال الألباني: حديث

حسن، واللفظ مختلف.

(5) سورة هود، من الآية: 103.

(6) جامع البيان: 335/24.

(7) المصدر نفسه.

(8) ينظر: المصدر نفسه: 369/8، 336/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3413/10، حديث رقم: (19204).

(9) جامع البيان: 337/24.

يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهده الملائكة"، رواه ابن جرير⁽¹⁾، والأكثر على أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، وقوله: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ﴾، جمعه أخاديد، وهي الحفير، وهو الشق المستطيل في الأرض⁽²⁾، أي: لعن أصحاب الأخدود، وهذا حين عزم قوم من الكفار، عمدوا إلى من عداهم من المؤمنين بالله، فقهرتهم، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدودا، وأججوا فيه نارا، وأعدوا لها وقودا، يسعرونها به، ثم أرادوهم، فلم يقبلوا منهم، فقتلهم فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ النَّارِذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُرِّعْنَ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾، قال مجاهد: كانوا قعودا على الكراسي عند الأخدود، ويعذبون المؤمنين⁽³⁾، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾، أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز، الذي لا يضام من لاذ بجنابه، المنيع الحميد في جميع أفعاله، وأقواله، وشرعه، وقدره، ثم قال: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات والأرض، وما فيهما، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض، ولا يخفى عليه خافية، واختلف المفسرون في أهل هذه القصة: من هم؟ فعن علي -عليه السلام-: "أنهم أهل فارس، حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليه علماءهم، فعمد إلى حفر أخدود، فقتل فيه من أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم⁽⁴⁾، وعنه: أنهم كانوا من أهل الحبشة، ونبههم حبشي⁽⁵⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هم ناس من بني إسرائيل خدوا أخدودا في الأرض، ثم أوقدوا فيه نارا، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا، ونساء، فعرضوا عليها، وزعم أنه دانيال، وأصحابه، وبه قال الضحاك⁽⁶⁾، وقيل: غير ذلك،

(1) وهو قول عن: عكرمة، جامع البيان: 336/24، سنن ابن ماجه، باب: ذكر وفاته -عليه السلام-، حديث رقم: (1637)،

قال الألباني: حديث ضعيف، واللفظ مختلف.

(2) لسان العرب، مادة: خدد.

(3) ينظر: معالم التنزيل: 387/8.

(4) ينظر: جامع البيان: 338/24، الدر المنثور: 467/8.

(5) ينظر: الدر المنثور: 465/8.

(6) ينظر: جامع البيان: 338/24.

وفي صحيح مسلم، ومسند أحمد، عن صهيب: أن رسول الله - ﷺ - قال: "كان ملك، فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر، قال للملك: إني قد كبرت سني، وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاماً؛ لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً، كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر، وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر، مر بالراهب، وقعد إليه، فإذا أتى الساحر، ضربه، وإذا رجع من عند الساحر، قعد إلى الراهب، وسمع كلامه، فإذا أتى أهله ضربه، فشكا إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك، فقل حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك، فقل حبسني الساحر، قال: فبينما هو ذات يوم، إذ أتى على دابة فظيعة، عظيمة، قد حبست الناس، فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب، أحب إلى الله، أم أمر الساحر؟ قال: فأخذ حجراً، فقال: اللهم، إن كان أمر الراهب أحب إليك، وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة، حتى يجوز الناس، ورمها، فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبْتَلَى، فإن ابْتُلَيْتَ، فلا تدل عليّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه، والأبرص، وسائر الأدواء، ويشفيهم، وكان جليس للملك فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني، ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله - ﷻ -، فإن آمنت به، دعوت الله، فشفاك، فآمن، فدعا الله، فشفاه، ثم أتى الملك، فجلس منه، نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي، فقال: أنا؟ قال: لا، ربي، وربك الله، قال: ولك رب غيري؟! قال: نعم، ربي، وربك الله، فلم يزل يعذبه، حتى دل على الغلام، فبعث إليه، فقال: أيُّ بُني، قد بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه، والأبرص، وهذه الأدواء، قال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله - ﷻ -، قال: أنا؟ قال: لا، قال: ولك رب غيري؟! قال: ربي، وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به، حتى دل على الراهب، فأتى الراهب، فقال: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شفاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا، وكذا، وقال: إذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا، فَذَهْدُهُوهُ⁽¹⁾، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل، قال: اللهم، اكفينيهم بما شئت، فرجف

(أ/549)

(1) دهدهت الحجارة، ودهديتها: إذا دحرجتها، والدهدهة: فنفك الحجارة، من أعلى إلى أسفل، دحرجة، لسان العرب، مادة، دهده.

بهم الجبل، فذُهِدُوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس، حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فبعث به مع نفر في قرقور⁽¹⁾، فقال: إذا لججتم البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام، حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي، حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به، قتلنتي، وإلا، فإنك لا تستطيع على قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهما من كنانتي، ثم قل: بسم الله، رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك، قتلنتي، ففعل، ووضع السهم في كبد قوسه، ثم رماه، وقال: بسم الله، رب الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: آما برب الغلام، فقيل للملك: رأيت ما كنت تحذر؟ فقد، والله، نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك، فخذت فيها الأخاديد، وأضمرت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه، فدعوه، وإلا، فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها، ويتدافعون، فجاءت امرأة، ومعها صبي ترضعه، فكانها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه، فإنك على الحق⁽²⁾، وروى الترمذي في تفسيره هذه السورة: عن صهيب - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلوات الله عليه - إذا صلى العصر، همس، والهمس في بعض قولهم: تحريك شفثيه كأنه يتكلم، فقيل له، يا رسول الله: إذا صليت العصر، همست، قال: "إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته، فقال: من يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه، أن خيرهم، بين أن أنتقم منهم، وبين أن أسلط عليهم عدوهم، فاختاروا النعمة، فسلط عليهم الموت، فمات منهم في يوم سبعون ألفا"، قال: وكان إذا حدث بهذا الحديث، حدث بهذا الحديث الآخر، قال: "كان ملك من الملوك، وكان للملك كاهن، يتكهن له، فقال الكاهن: انظروا إلي غلاما، فهما، لقنا، فأعلمه علمي هذا"، فذكر القصة بتمامها، وقال: في آخره: يقول: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ ۚ﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ ۝ إِذْ هَرَعَلَيْهَا

(1) هو: ضرب من السفن، وقيل: هي السفينة العظيمة، أو الطويلة، والقرقور: من أطول السفن، لسان العرب، مادة: قرر.

(2) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود، والساحر، والراهب، والغلام، حديث رقم: (3005)، مسند أحمد: 16/6، حديث رقم: (23976)، واللفظ مختلف.

فَعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾، قال: فأما الغلام، فإنه يدفن، فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب، وإصبعه على صدغه، كما وضعها حين قتل، ثم قال الترمذي: حسن غريب⁽¹⁾، وهذا السياق ليس فيه صراحة: أن سياق هذه القصة من كلام النبي -ﷺ-، قال شيخنا الحافظ، أبو الحجاج المزي⁽²⁾: فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى، والله أعلم، وذكر محمد بن إسحاق⁽³⁾ هذه القصة مبسوطاً، في السيرة بسياق آخر، مخالفة لما سبق، وأنها كانت بنجران، وفيها أن اسم الغلام: عبد الله بن التامر، والملك الذي قتل أصحاب الأخدود، يقال له: ذو نواس، واسمه، زرعة، ويسمى في زمان مملكته: يُوسُفَ، فقتل في غداة واحدة عشرين ألفاً، وعن مقاتل: كانت الأخدود ثلاثة: واحدة بنجران، باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس، حرقوا بالنار، أما التي بالشام، فهو انطنانوس الرومي⁽⁴⁾، وأما التي بفارس، فهو بختنصر⁽⁵⁾، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف، ذو نواس⁽⁶⁾، فأما التي بفارس، والشام، فلم يُنزل

(1) سنن الترمذي، باب: ومن سورة: البروج، حديث رقم: (3340).

(2) هو: جمال الدين، أبو الحجاج يوسف بن الزكي، عبدالرحمن بن يوسف القضاعي، ثم الكلبي، حفظ القرآن، وتفقه، وتعلم اللغة، واشتهر بمعرفة الرجال، وعلم الحديث، من أشهر كتبه: تهذيب الكمال، كتاب الأطراف وغيرها، سمع من علي بن أبي الخير، (وأبو بكر) بن الأنماطي، والعز، والحرائي، وغيرهم، ورافق ابن تيمية، وسمعا من الحديث كثيراً، توفي سنة: (742 هـ)، ينظر: طبقات الشافعية، للقاضي شهبه: 74/3، تذكرة الحفاظ: 193/4.

(3) هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني، أبو بكر، ويقال: أبو عبدالله، التقى بأئس، وابن المسيب، وأبي سلمة بن عبدالرحمن، روى عن أبيه، وعميه عبدالرحمن، وموسى الأعرج، وغيرهم، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وشعبة، والسفيانان، وغيرهم، حسن الحديث، وكان يُرمى بالقدر، توفي سنة: (151 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 34/9، تذكرة الحفاظ: 130/1.

(4) لم أقف عليه.

(5) هو: ملك فارس من بني إسرائيل، كان كاتباً لملك بابل، فلما أراد الملك مسيراً لبني إسرائيل، أرسل الله عليهم ريحاً، فضل بختنصر وحيداً، وقيل: لما قتلوا يحيى بن زكريا، وكان ضعيفاً، حتى رافق الإسرائيلي، وذهب يتجسس على الشام، ثم كُلف بقيادة جيش إليها، ثم بعدها إلى الشام، ودمشق، وبيت المقدس، فصالحوه، ثم خانوه، فسار إليهم بجيش كبير، ونكّل بهم، وقيل: كان في زمن دانيال، وأرميا، وحنانيا، وعزاريّا، وميشائيل، وهو الذي ألقى بهم في الأخدود، ومعهم سبع؛ ليأكلهم فنجوا من ذلك، وسبب وفاته أن الله سلط عليه بعوضة، دخلت رأسه، ينظر: الكامل في التاريخ: 195/1، تاريخ مدينة دمشق: 314/1.

(6) هو: ذو نواس الحميري، آخر ملوك حمير، في اليمن، في اسمه، واسم أبيه اضطراب، وهو صاحب الأخدود، كان يدين اليهودية، فاتفق الرومان، والحبشة، على قتاله، فزحف النجاشي (ملك الحبشة)، وكان مع النصرانية، بجيش كبير، وضرر النجاشي باليمن، فخاف ذو نواس على نفسه الأسر، فأطلق جواده نحو البحر، فمات غريقاً، سنة: =

الله فيهم قرآنا، وأنزل في التي كانت بنجران⁽¹⁾، وعن الربيع بن أنس في قوله: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، قال: سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة، والشر، وصاروا أحزابا، كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية، يسكنونها، وأقاموا على عبادة الله، مخلصين له الدين، فكان هذا أمرهم، إذ سمع بهم جبار من الجبارين، وحدث حديثهم، فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأوثان، التي اتخذوها آلهة، فأتوا عليه كلهم، وقالوا: لا نعبد إلا الله، وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة، التي عبدت، فإني قاتلكم، فأبوا، فخذ أخدودا من نار، وقال لهم الجبار، ووقفهم عليها: اختاروا هذه، والذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا، وفيهم نساء، وذرية، ففزعت الذرية، فقالوا لهم: لا نار من بعد اليوم، فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسه حرها، وخرجت النار من مكانها، فأحاطت بالجبارين، فأحرقهم الله بها، ففي ذلك أنزل الله -عز وجل-: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ رواه ابن جرير⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: أي: حرقوهم⁽³⁾، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾، أي: عما فعلوا، ولم يندموا على ما أسلفوا، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، بأن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: انظروا إلى الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة، والمغفرة⁽⁴⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيءُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنثِقُكَ حَدِيثَ الْجَنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ

= (102 ق. هـ)، ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 433/1، الكامل في التاريخ: 331/1، الروض الأنف: 99/1،

البداية والنهاية: 133/3، الأعلام للزركلي: 8/3.

(1) ينظر: تفسير القرطبي: 290/19.

(2) ينظر: جامع البيان: 340/24.

(3) وهو أيضاً عن: قتادة، والضحاك، وابن أبيزى، ومجاهد، ينظر: تفسير مجاهد: 747/2، جامع البيان: 343/24.

(4) التفسير المنير في العقيدة، والشريعة، والمنهج: 17/19.

أخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿هُمَّ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، بخلاف ما أعد لأعدائه، من الحريق، والجحيم، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، أي: إن بطشه، وانتقامه لأعدائه، الذين كذبوا رسله، وخالفوا أمره، لشديد، عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، الذي ما شاء كان، كما يشاء، في مثل لمح البصر، وأقرب، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيءٌ وَيُعِيدُ﴾، أي: من قوته، وقدرته التامة، أنه يبدأ الخلق، ثم يعيده كما بدأه، بلا ممانع ولا مدافع، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾، أي: يغفر ذنب من تاب إليه، وخضع لديه، ولو كانت الذنب، من أي شيء، كان والودود: الحبيب، قاله ابن عباس⁽¹⁾، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾، أي: صاحب العرش العظيم، العالي على جميع الخلائق، وفي: ﴿الْمَجِيدُ﴾، قراءتان: الرفع، على أنه صفة للرب تعالى⁽²⁾، والجر، على أنه صفة للعرش⁽³⁾، وكلاهما صحيح، ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، أي: مهما أراد فعله، لا معقب لحكمه، ولا يُسألُ عما يفعل، لعظمته، وقهره، وحكمته، وقوله: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، أي: هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة، التي لم يردّها عنهم أحد، هذا تقرير لقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، أي: إذا أخذ الظالم، أخذه أخذا أليما، شديدا، أخذ عزيز مقتدر، وقوله ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي: هم في شك، وريب، وكفر، وعناد، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، أي: هو قادر عليهم، قاهر، لا يفوتونه، ولا يعجزونه، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾، أي: عظيم كريم، ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، أي: هو في الملا الأعلى محفوظ، من الزيادة، والنقص، والتحريف، والتبديل، وقال أنس بن مالك: إن اللوح المحفوظ: الذي ذكر الله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي

(1) الدر المنثور: 471/8.

(2) وبه قرأ: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، ينظر: السبعة في القراءات: 678/1، معاني القرآن للفراء: 254/3، زاد المسير: 78/9.

(3) وبه قرأ: حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم، المصادر السابقة نفسها.

لَوْحٌ مَّحْفُوظٌ ﴿١﴾ ، في جبهة إسرائيل، رواه ابن جرير⁽¹⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: في صدر اللوح: لا إله إلا الله، وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده، ورسوله، فمن آمن بالله، وصدق بوعده، واتبع رسله، أدخله الجنة، قال: واللوح: لوح من درة بيضاء، طوله ما بين السماء، والأرض، وعرضه ما بين المشرق، والمغرب، وحافته الدر، والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكتابه نور، أعلاه معقود بالعرش، وأسفله في حجر ملك، رواه البغوي، وروى الطبراني نحوه، مرفوعاً⁽²⁾.

(1) جامع البيان: 348/24، وسلسلة الأحاديث الضعيفة: 156/2، قال الألباني: حديث ضعيف، واللفظ مختلف.

(2) معالم التنزيل: 389/8، المعجم الكبير: 260/10، الجامع الصغير، وزيادته: 354/1، قال الألباني: حديث ضعيف، واللفظ مختلف.

تفسير سورة: الطارق

"وهي مكية"

عن جابر - رضي الله عنه -، قال: صلى معاذ المغرب، فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أفتان أنت، يا معاذ؟ أما كان يكفيك أن تقرأ بالسما والطارق، والشمس وضحاها، ونحو هذا"، رواه النسائي (1).

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ أُصْلِيبٍ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

أقسم تعالى بالسما، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً؛ لأنه إنما يُرَى بالليل، ويختفي بالنهار (2)، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى أن يطرق الرجل إلى أهله طروقاً، أي: فجأة، بالليل (3)، وقوله: ﴿الثَّاقِبُ﴾، قال عكرمة: هو المنير المضيء، والمحرق للشيطان (4)، وقوله ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، أي: كل نفس عليها من الله حافظ، يحرسها من الآفات، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (5)، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، تنبيه للإنسان على ضعف أصله، الذي خلق منه،

(1) سنن النسائي الكبرى، باب: سورة البروج، حديث رقم: (11664).

(2) وهو أيضاً عن: ابن جريج، ينظر: الدر المنثور: 474/8.

(3) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: لا يطرق أهله ليلاً، إذا أطال الغيبة؛ مخافة أن يخونهم، أو يلتمس عثراتهم، حديث رقم: (4945)، (4946)، صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً، لمن ورد من سفر، حديث رقم: (715)، وهو عن جابر.

(4) تفسير ابن كثير: 375/8.

(5) سورة الرعد، من الآية: 11.

وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداءة، لهو قادر على الإعادة، بطريق الأولى، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾، يعني: المنى، دفقا من الرجل، ومن المرأة، فيتولد منهما الولد، بإذن الله، ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يعني: صلب الرجل، وترائب المرأة، والترائب: جمع التريبة، وهي عظام النحر، والصدر، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هي موضع القلادة من الصدر⁽²⁾، فماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، ولا يكون الولد إلا منهما، وبه قال ابن جبير وغير واحد⁽³⁾، وعن مجاهد: الترائب: ما بين المنكبين إلى الصدر⁽⁴⁾، وقال الضحاك: الترائب بين الثديين والرجلين والعينين⁽⁵⁾، وقيل: هو عصاراة القلب، من هناك يكون الولد⁽⁶⁾، وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجِيهِ لَقَادِرٌ﴾، أي: على رجوع هذا الماء الدافق إلى مقره، الذي خرج منه، لقادر، قاله مجاهد، وغيره⁽⁷⁾، أي: على رجوع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، وإعادته، وبعثه في الآخرة، لقادر؛ لأن من قدر على البداءة، قدر على الإعادة، كما سبق هذا الدليل في القرآن الجليل في غير موضع، قاله الضحاك، واختاره ابن جرير⁽⁸⁾، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تُبَلَى السَّرَائِرُ﴾، يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي: تظهر، وتبدي، ويبقى السر علانية، والمكنون مشهورا، وفي الصحيحين: عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: أن رسول الله - ﷺ - قال: "يرفع لكل غادر لواء عند استه، يقال: هذه غدره فلان بن فلان"⁽⁹⁾، وقوله: ﴿فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾، أي: من خارج منه،

(1) سورة الروم، من الآية: 27.

(2) ينظر: جامع البيان: 354/24.

(3) تفسير ابن كثير: 375/8.

(4) ينظر: جامع البيان: 355/24.

(5) ينظر: تفسير القرطبي: 5/20، تفسير الضحاك: 952/2.

(6) وهو قول عن: أبي صالح، ومعمّر بن أبي حبيبة، ينظر: جامع البيان: 356/24.

(7) وهو أيضاً عن: عكرمة، ينظر: المصدر نفسه: 357/24، تفسير مجاهد: 749/2.

(8) ينظر: جامع البيان: 358/24، تفسير القرطبي: 7/20.

(9) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يدعى الناس بأبائهم، حديث رقم: (5823)، صحيح مسلم، كتاب:

الجهاد، والسير، باب: تحريم الغدر، حديث رقم: (1735)، واللفظ مختلف.

يعني: لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب، ولا يستطيع له أحد ذلك .

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾

﴿وَكَيِّدُوا ﴿١٦﴾ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُوبًا ﴿١٧﴾﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الرجع: المطر، والسحاب فيه المطر، تمطر ثم تمطر⁽¹⁾، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك، لهلكوا، وهلكت مواشيهم⁽²⁾، وقال ابن زيد: ترجع نجومها، وشمسها، وقمرها، يأتين من ههنا⁽³⁾، ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد: هو انصداعها، أي: انشقاقها عن النبات⁽⁴⁾، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾، أي: حق، وحكمه عدل، ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾، أي: بل هو صدق، وجد، وحق، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به، ويصدون عن سبيله، فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قال: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ﴾، أي: أنظرهم، ولا تستعجل لهم، ﴿أَهْمُهُمْ رُوبًا﴾، أي: قليلا، فإنك ترى ماذا يحل بهم من العذاب، والنكال، والعقوبة، كما قال: ﴿نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾⁽⁵⁾.

انتهى.

(1) ينظر: الدر المنثور: 476/8.

(2) المصدر نفسه: 477/8

(3) ينظر: جامع البيان: 361/24.

(4) وهو أيضاً عن: عطاء، وقاتدة، ومقاتل، وعكرمة، والحسن وابن زيد، والضحاك، ينظر: المصدر نفسه، تفسير مقاتل: 474/3.

(5) سورة لقمان، الآية: 24.

تفسير سورة: سبح اسم [الأعلى]

"وهي مكة"

والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: "أول من قدم علينا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -: مصعب بن عمير⁽¹⁾، وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرآنا القرآن، ثم جاء عمار⁽²⁾، وبلال⁽³⁾، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب، في عشرين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، ثم جاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به، حتى رأيت الولائد، والصبيان، يقولون: هذا رسول الله، قد جاء، فما جاء، حتى قرأت ب: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، في سور مثلها"⁽⁴⁾، وعن علي - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾"، تفرد به أحمد⁽⁵⁾، وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه -: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ في العيدين ب: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَدِيَّةِ﴾^(١)، وإن وافق يوم الجمعة، قرأها جميعاً"، رواه أحمد⁽⁶⁾، ولمسلم، وأكثر أهل السنن: "كان يقرأ في العيدين، ويوم الجمعة ب:

(1) هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن بني عبدالدار، صحابي، جليل، من السابقين إلي الإسلام، أسلم في مكة، وكنم إسلامه، فعلم به أهله، فأوثقوه، وحبسوه، فهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، وهاجر إلى المدينة، فكان أول من جمع الجمعة فيها، شهد بدرًا، وحمل اللواء يوم أحد، فاستشهد، وكان ملقبًا ب (مصعب الخير)، ويكنى بأبي عبدالله، توفي سنة: (3) هجري، ينظر الإصابة: 123/6.

(2) هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي، أبو يقظان، حليف بني مخزوم، وأمه سمية، مولاة لهم، كان من السابقين الأولين، هو وأبوه، وكان ممن عذبوا في الله، وأُخْتُلِفَ في هجرته إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، واستعمله عمر على الكوفة، وهو أول من بنى مسجدًا لله، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه ابن عباس، وعبدالله بن جعفر، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم، وشهد الجمل، وصفين، ومات بها سنة: (37هـ)، ينظر الإصابة: 575/4، أسد الغابة: 144/4.

(3) هو: بلال بن رباح الحبشي، المؤذن، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين، لما كانوا يعذبونه، فأعتقه، فلزم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وشهد معه جميع المشاهد، يكنى عبدالكريم، وقيل: أبا عبدالله، وقيل: غير ذلك، وكان من السابقين في الإسلام، وهو أول من أذن في الإسلام، روى عنه أبو بكر، وعمر، وعلي، وغيرهم، مات بالشام سنة: (20 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: الإصابة: 326/1، أسد الغابة: 305/1.

(4) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، حديث رقم: (4657).

(5) مسند أحمد: 76/1، حديث رقم: (742)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(6) المصدر نفسه: 271/4، حديث رقم: (18407)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَدَشِيَّةِ﴾ (١)، وربما اجتمعا في يوم واحد، فقرأهما (1) وعن عائشة - أم المؤمنين رضي الله عنها -: أن رسول الله - ﷺ -: " كان يقرأ في الوتر ب: ﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١)، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)، والمعوذتين"، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي (2)، ورواه غير واحد من الصحابة، كابن مسعود، وجابر - رضي الله عنهم -.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

(550/ب) ﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَيُنِيرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكَرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سِيدَكُرْ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَنْجِنُهَا الْأَشْفَى (١١) الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)

عن عقبة بن عامر (3) - رضي الله عنه - قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (١٦) (4)، قال لنا رسول الله - ﷺ -: "اجعلوها في ركوعكم"، فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ أَسْمَرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قال: "اجعلوها في سجودكم" رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه (5)، وعن ابن عباس

(1) صحيح مسلم، كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، حديث رقم: (878)، سنن ابن ماجه، باب: ماجاء في القراءة في صلاة العيدين، حديث رقم: (1281)، سنن أبي داود، باب: ما يقرأ في الجمعة، حديث رقم: (1122)، سنن الترمذي، باب: ماجاء في القراءة في العيدين، حديث رقم: (533)، سنن النسائي الكبرى، باب: القراءة في صلاة الجمعة، حديث رقم: (1738)، واللفظ لأبي داود، والنسائي.

(2) مسند أحمد: 277/6، حديث رقم: (25948)، سنن أبي داود، باب: ما يقرأ في الوتر، حديث رقم: (1424)، سنن الترمذي، باب: فيما يقرأ به في الوتر، حديث رقم: (463)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، واللفظ مختلف.

(3) هو: عقبة بن عامر بن عيس بن جهينة الجهني، يكنى أبي حماد، وقيل: أبي الوليد، وقيل: غير ذلك، صحابي مشهور، كان قارئاً، عالماً بالفرائض، والفقه، فصيح اللسان، وهو أحد من جمع القرآن، وشهد الفتوح، وكان رسول عمر لدمشق، وشهد صفين مع معاوية، وأمره بعد ذلك، على مصر، روى عن النبي - ﷺ -، وروى عنه ابن عباس، وأبو أمامه، وجبير بن نفير، وغيرهم، توفي سنة: (58 هـ)، ينظر الإصابة: 520/4، أسد الغابة: 59/4.

(4) سورة الواقعة، الآية 96.

(5) مسند أحمد: 155/4، حديث رقم: (17450)، قال شعيب الأرنؤوط: اسناده محتمل للتحسين، سنن أبي داود، باب: ما يقول الرجل في ركوعه، وسجوده، حديث رقم: (869)، قال الألباني: حديث ضعيف، سنن ابن ماجه، باب: التسبيح في الركوع، والسجود، حديث رقم: (887).

- رضي الله عنهما-: أن رسول الله -ﷺ- كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ أَسْرَرِيكَ الْأَعْلَى﴾، قال: "سبحان ربي الأعلى"، رواه أحمد، وأبو داود، أيضاً⁽¹⁾، وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، أي: خلق الخليفة، وسَوَّى كل مخلوق في أحسن هيئة، وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾، قال مجاهد: هدى الإنسان للسعادة، والشقوة، وهدى الأنعام لمراتها⁽²⁾، وهذه الآية، كما أخبر تعالى عن موسى -عليه السلام-، أنه قال لفرعون: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾⁽³⁾، أي: قَدَّرَ قدرًا، وهدى الخلائق إليه، كما في صحيح مسلم: أن رسول الله -ﷺ- قال: "إن الله قَدَّرَ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات، والأرض، بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء"⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾، أي: من جميع صنوف النباتات، والزرع، ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: أي: هشيمًا متغيرًا⁽⁵⁾، وقال بعضهم: فيه تقديم، وتأخير أي: والذي أخرج المرعى، أحوى، أي: أحضر إلى السواد، فجعله غثاء بعد ذلك، رواه ابن جرير، ثم قال: وإن كان مُحْتَمَلًا إلا أنه غير صواب، لمخالفة أقوال أهل التأويل⁽⁶⁾، وقوله ﴿سُنِّرْتُكَ﴾، أي: يا محمد، ﴿فَلَا تَنْسَى﴾، وهذا إخبار من الله تعالى، ووعد منه له، بأنه سيقرئه قراءة، لا ينساها، إلا ما شاء الله، واختاره ابن جرير⁽⁷⁾، وقيل: المراد بقوله: لا تنسى: طلب، وجعلوا معنى الاستثناء ما يقع من النسخ، أي: لا تنسى ما نقرئك، إلا ما يشاء الله رفعه، فلا عليك أن تتركه⁽⁸⁾، وقوله ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾، أي: يعلم ما يجهر به العباد، وما يخفونه من أقوالهم، وأفعالهم، لا يخفى عليه من

(1) مسند أحمد: 232/1، حديث رقم: (2066)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، موقوفًا، رجاله ثقات، رجال الشيخين، سنن أبي داود، باب: الدعاء في الصلاة، حديث رقم: (883)، قال الألباني: صحيح.

(2) الدر المنثور: 482/8.

(3) سورة طه، الآية: 50.

(4) صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى - عليهما السلام-، حديث رقم: (2653)، واللفظ مختلف.

(5) وهو أيضاً عن: قتادة، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 369/24.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 370/24.

(7) المصدر نفسه: 371/24.

(8) وهو قول عن: الحسن، وقاتادة، ينظر: النكت والعيون: 253/6.

ذلك شيء، وقوله: ﴿وَنَسِرُكَ لِلْيَسْرِى﴾، أي: نسهل عليك أفعال الخير، وأقواله، ونشرع لك شرعا، سهلا، سمحا، مستقيما، عدلاً، لا أعوجاج فيه، ولا حرج، ولا عُسر، وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾، أي: ذكر حين تتفجع، وفيه الأدب في نشر العلم، فلا تَضَعُه عند غير أهله، كما قال علي -عليه السلام-: ما أنت بمحدث قوما حديثا، لا تبلغه عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم⁽¹⁾، وقال: حدث الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله⁽²⁾، وقوله: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَحْتَسِبُ﴾، أي: سيتعظ ما تبلغه يا محمد، من قلبه يخشى الله، ويعلم أنه ملاقيه، ﴿وَيَنْجَنِبَهَا﴾، أي: الذكرى، ويتباعد عنها، ﴿الْأَشَقَى﴾، أي: الشقي في علم الله، ﴿الَّذِي يَصَلِي النَّارَ الْكُبْرَى﴾، أي: العظيمة الفظيعة، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾، أي: لا يموت، فيستريح، ولا يحيى حياة تتفعه، بل هي مضرة عليه؛ لأن شقاها يشعر بما يعاقبه من أليم العذاب، وأنواع النكال، عن أبي سعيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أما أهل النار، الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون، ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم، أو بخطاياهم، فيميتهم إماتة، حتى إذا صاروا فحما، أذن في الشفاعة، فجاء بهم ضبائر، ضبائر، فنبتوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة، تكون في حميل السيل، فقال: قال رجل من القوم حينئذ: كأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كان بالبادية"، رواه مسلم⁽³⁾، وفي رواية لأحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم، لا يموتون فيها ولا يحيون، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم، يميتهم فيها إماتة، حتى يصيروا فحما، يخرجون [ثُمَّ]⁽⁴⁾ ضبائر، فيلقون على أنهار

(1) هذا القول عن عبد الله بن مسعود، وليس من كلام علي، ينظر: تفسير القرطبي: 184/2، صحيح مسلم،

مقدمة الإمام مسلم، باب: النهي عن الحديث بكل ماسم، حديث رقم: (5).

(2) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية ألا يفهموا، حديث رقم: (127)، وهو من قول علي.

(3) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة، وإخراج الموحدين من النار، حديث رقم: (185)، واللفظ مختلف.

(4) لعله سهو من الكاتب، ولا يكتمل النص إلا بها، وهي ثابتة في الحديث، مسند أحمد: 20/3، تفسير ابن كثير:

الجنة، فيرش عليهم من أنهار الجنة، فينبتون كما تثبت الحبة، في حميل السيل" (1)، وقد قال تعالى إخباراً عن أهل النار: ﴿لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (2).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (14) و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْتَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، أي: طهر نفسه من الرذائل، وتابع ما أنزله على الرسول - عليه الصلاة والسلام-، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾، أي: أقام الصلوات في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله، وطاعة لأمره، وامتنالاً للشريعة، وعن جابر - رضي الله عنه -: عن النبي - ﷺ -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، قال: "من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أنني رسول الله، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾، قال: هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها، والاهتمام بها"، رواه الحافظ أبو بكر البزار، وكذا قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: المراد بذلك: الصلوات الخمس (3)، واختاره ابن جرير (4)، وقيل: المراد به صدقة عيد الفطر، وبه قال عمر بن عبد العزيز (5) (6)، وقال قتادة: هو [أَنَّ] (7) زكى ماله، وأرضى خالقه (8)، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (16)، أي: بل يقدمونها على أمر

(1) مسند أحمد: 20/3، حديث رقم: (11167)، وفيه: "أو يرش"، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(2) سورة فاطر، من الآية: 36.

(3) كشف الأستار عن زوائد البزار: 80/3، حديث رقم: (2284)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 289/7، حديث رقم: (11488)، تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت: (1412 هـ)، قال: رواه البزار عن شيخه، عباد ابن أحمد العزمي، وهو متروك.

(4) ينظر: جامع البيان: 375/24.

(5) لم أقف على هذا القول منسوباً لعمر بن عبدالعزيز، إلا في تفسير ابن كثير: 382/8.

(6) هو: عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم، القرشي، الأموي، أبو حفص المدني، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنتين، وفي عهده أغنى الناس، ولم يبق فيهم فقير، ولّي المدينة في زمن الوليد، ثقة، مأمون، له فقه، وعلم، وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إماماً عدلاً، روى عن أنس، والسائب بن زيد، وعبدالله بن جعفر، وغيرهم، وروى عنه ابن المنكدر، والزهري، وابناه عبدالله، وعبدالعزیز، وغيرهم، توفي سنة: (101 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 418/7، سير أعلام النبلاء: 130/9.

(7) لعل الصواب [من]

(8) جامع البيان: 374/24.

الآخرة، ويبدلونها على ما فيه نفعهم، وصلاحهم في معاشهم، ومعادهم، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، أي: ثواب الله في الدنيا، والآخرة، خير من الدنيا، ﴿وَأَبْقَى﴾، فإن الدنيا دنية، فانية، والآخرة شريفة، باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى؟! ويهتم بما يزول عنه قريباً، ويترك الاهتمام بما يبقى أبداً، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ -: "الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له"⁽¹⁾، وعن عرفجة الثقفي⁽²⁾ قال: استقرأت ابن مسعود - ﷺ -: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فلما بلغ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ترك القراءة، وأقبل على أصحابه، فقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، لأننا رأينا زينتها، ونساءها، وطعامها، وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل، رواه ابن جرير⁽³⁾، وهذا منه عن مقام الإنصاف، والتنبيه، والتحذير منه، وعن أبي موسى الأشعري - ﷺ -: أن رسول الله - ﷺ -: "من أحب دنياه، أضر بآخرته، ومن أحب آخرته، أضر بدنياه، فأثروا ما يبقى، على ما يفنى"⁽⁴⁾، تقرد به أحمد، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَنَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، يعني: أن ما ذكر من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، إلى أربع آيات، لفي الكتب الأولى، التي أنزلت قبل القرآن، فإنه ذكّر فيها فلاح المزكي، والمصلي، وإيثار الخلق الحياة الدنيا، وأن الآخرة خير وأبقى⁽⁵⁾، ثم فسر الصحف الأولى بقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، وقيل: هذه السورة في صحف إبراهيم، وموسى⁽⁶⁾، والمختار الأول، وبه قال ابن جرير⁽⁷⁾، وقال: أي: مضمون الكلام لفي الصحف الأولى، كما سبق آنفاً، وهذا الذي اختاره حسن قوي، والذي رواه الحافظ البزار عن ابن عباس

(1) مسند أحمد: 71/6، حديث رقم: (24464)، قال شعيب الأرنؤوط: اسناده ضعيف، واللفظ مختلف.

(2) هو: عرفجة بن عبد الله الثقفي، ويقال: السلمي، مجهول، ذكره ابن حبان في الثقات، روى عن علي، وابن مسعود، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه عطاء بن السائب، ومنصور بن المعتمر، وجابر الجعفي، وغيرهم، ينظر: تهذيب التهذيب: 160/7، ميزان الاعتدال: 635/1.

(3) ينظر: جامع البيان: 375/24.

(4) مسند أحمد: 412/4، حديث رقم: (19712)، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرک على الصحيحين، وقال: هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين: 343/4، حديث رقم: (7853).

(5) ينظر: جامع البيان: 376/24.

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) ينظر: المصدر نفسه: 377/24.

- رضي الله عنهما - مرفوعا: " كان كل هذا في صحف إبراهيم، وموسى محمول على ذلك" (1)، وعن قتادة، وابن زيد نحوه (2).

(1) كشف الأستار عن زوائد البزار: 80/3، حديث رقم: (2285)، مجمع الزوائد: قال الهيثمي: وفيه عطاء بن السائب، وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح.
(2) ينظر: جامع البيان: 376/24.

تفسير سورة: الغاشية

"وهي مكية"

عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه -: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ: بسبح اسم، والغاشية، في صلاة العيد، ويوم الجمعة، كما سبق، وفي رواية: سئل عنه، ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الجمعة، مع سورة الجمعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾"، رواه مسلم، وغيره، من الأئمة⁽¹⁾.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تَسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝٧﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد: الغاشية: من أسماء يوم القيامة، تغشى الناس، وتعمهم⁽²⁾، وعن عمرو بن ميمون⁽³⁾ - رضي الله عنه - قال: مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، فقام يستمع، ويقول: "نعم قد جاءني"⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾، أي: ذليلة، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: تخشع، ولا ينفعها عملها⁽⁵⁾، وقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، أي: قد عملت عملا كثيرا، ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة نارا حامية، وعن أبي عمران الجوني⁽⁶⁾ قال:

(1) سبق تخريجه في بداية سورة الأعلى.

(2) وهو أيضاً عن: قتادة، ينظر: جامع البيان: 381/24، الدر المنثور: 491/8.

(3) هو: عمرو بن ميمون الأودي، يكنى أبا عبد الله، وأبا يحيى، تابعي، ثقة، أدرك الجاهلية، وأسلم في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - على يد معاذ، قدم المدينة، وصحب ابن مسعود، روى عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي نر، وغيرهم، وروى عنه سعيد بن جبير، والشعبي، وعمر بن مرة، وغيرهم، توفي سنة: (74 هـ)، وقيل: (75 هـ)، ينظر: الإصابة: 154/5، أسد الغابة: 292/4.

(4) تفسير ابن أبي حاتم: 3420/10، حديث رقم: (19251)، وهو حديث مرسل؛ لأن عمرو بن ميمون لم يلق النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو من التابعين.

(5) المصدر نفسه، حديث رقم: (19253).

(6) هو: عبد الملك بن حبيب الأزدي، ويقال: الكندي، أبو عمران الجوني، البصري، ثقة، أحد العلماء، روى عن أنس، وعبد الله بن الصامت، وعبد الله بن رباح، وغيرهم، وروى عنه سليمان التيمي، وشعبه، وابن عون، وغيرهم، توفي سنة: (128 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 346/6، سير أعلام النبلاء: 301/9.

مر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بدير راهب، فناداه، يا راهب، يا راهب، فأشرف، قال: فجعل عمر ينظر إليه، ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله تعالى في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾، فذاك الذي أبكاني"، رواه البرقاني⁽¹⁾⁽²⁾ وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هم النصارى⁽³⁾، وقال عكرمة، والسدي - رحمهما الله -: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في النار بالعذاب، والأغلال⁽⁴⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾، أي: حارة، شديدة الحر⁽⁵⁾، ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آئِنَةٍ﴾، أي: قد انتهى حرها، وغليانها، وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾، هو شجر في النار، تسميه قريش في الربيع الشَّبْرُق، وفي الصيف الضريع، قاله قتادة⁽⁶⁾، وعن عكرمة: ذات شوك لاطئة بالأرض⁽⁷⁾، وفي البخاري: الضريع: نبت، يقال له الشبرق، يسميه أهل الحجاز: الضريع، إذا يبس، وهو سُمٌّ⁽⁸⁾، قال قتادة: وهو من شر الطعام، وأبشعه، وأخبثه⁽⁹⁾، وقوله: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، يعني: لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور.

(551/ب) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۗ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۗ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۗ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۗ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۗ﴾

- (1) المستدرک علی الصحیحین للحاکم: 567/2، هذه حكاية في وقتها، فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر، ينظر: تفسير الصنعاني: 368/2، تأليف: عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تح: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض: (1410 هـ)، بلا (ط)، واللفظ للحاكم.
- (2) هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي، ثم البرقاني، الشافعي، كان ثقة، ورعاً، ثبتاً، عارفاً، بالفقه والعربية، كثير الحديث، صاحب التصانيف، له مسند ضمنه ما اشتمل عليه البخاري، ومسلم، وجمع حديث سفيان الثوري، وشعبه، وغيرهم، روى عن محمد بن علي الحساني، وأبي العباس النيسابوري، وأبي بكر الإسماعيلي، وغيرهم، وروى عنه أبو بكر البيهقي، وأبو بكر الخطيب، والفقهاء أبو إسحاق الشيرازي، وغيرهم، توفي سنة: (425 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 459/33، طبقات الشافعية للقاضي شعبة: 204/1.
- (3) ينظر: الدر المنثور: 491/8، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الغاشية، 1886/4.
- (4) معالم التنزيل: 404/8.
- (5) وهو أيضاً عن: الحسن، ومجاهد، والسدي، ينظر: الدر المنثور: 491/8، تفسير البحر المحيط: 457/8.
- (6) الدر المنثور: 492/8.
- (7) المصدر نفسه.
- (8) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الغاشية: 1886/4.
- (9) الدر المنثور: 491/8.

لما ذكر حال الأشقياء، تَنَّى بذكر السعداء، فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، أي: يوم القيامة، ﴿نَاعِمَةٌ﴾، أي: يعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك؛ بسعيها، قال سفيان: أي: قد رضيت عملها⁽¹⁾، وقوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة بهية، في الغرفات آمنون، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾، أي: لا تسمع في الجنة كلمة لغو، كما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلْمًا﴾⁽²⁾، وقال: ﴿لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيمٌ﴾⁽³⁾، ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، وهذه نكرة في سياق الآيات، وليس المراد بها عينا واحدة، وإنما هو جنس، بمعنى فيها عيون جاريات، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - [قال]⁽⁴⁾: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أنهار الجنة تفجر من تحت تلال، أو تحت جبال المسك"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾، أي: ناعمة، عالية، كثيرة الفرش، مرتفعة السمك، عليها الحور العين، قالوا: فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية، تواضعت له، ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾، يعني: أواني الشراب، معدة مرصدة لمن أَرادها، أربابها، ﴿وَمَنَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ﴾، يعني: الوسائد، والمخاد، بعضها بجانب بعض، وقوله: ﴿وَزَرَائِبٌ مُّبْتُوثَةٌ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد: أي: البسط⁽⁶⁾، ومعنى مبثوثة: متفرقة، لمن أراد الجلوس عليها، وعن أسامة بن زيد⁽⁷⁾ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ألا هل مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة، نور يتلأأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر

(1) الدر المنثور: 493/8.

(2) سورة مريم، من الآية: 62.

(3) سورة الطور، من الآية: 23.

(4) لا يصح السياق إلا بها، ولعلها سقطت من المخطوط.

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 65/1، حديث رقم: (252)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني: 261/3، قال الألباني: حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم: (3721).

(6) وهو أيضاً عن: الحسن، وأبو عبيده، ينظر: تفسير القرطبي: 34/20، الدر المنثور: 493/8.

(7) هو: أسامة بن زيد بن حارثة بن وبرة الكلبي، يكنى أبا محمد، ويقال: أبا زيد، أمه أم أيمن، حاضنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، صحابي، جليل، الحب ابن الحب، وكان النبي قد أمره على جيش عظيم، فمات، قبل أن يتوجه، فأنفذه أبو بكر الصديق، وكان عمر يجله، ويكرمه، واعتزل الفتن بعد قتل عثمان، إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية، سنة: (58 هـ)، وقيل غير ذلك، ولم يبايع علياً، ولا شهد معه شيئاً من حروبه، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه أبو هريرة، وابن عباس، وأبو عثمان النهدي، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 49/1، أسد الغابة: 101/1.

مطرد، وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحل كثر، ومقام في أبد، في دار سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة في محلة عالية، بهية، قالوا: نعم، يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: "قولوا: إن شاء الله"، قال القوم: إن شاء الله، رواه ابن ماجه، وابن أبي داود⁽¹⁾⁽²⁾.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

أمر تعالى عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته، وعظمته، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، فإنها خلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة، والشدة، ومع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتتقاد للقائد الضعيف، وتوكل، وتنتقع بوبرها، ويشرب لبنها، وتبهو بذلك؛ لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي⁽³⁾ يقول: أخرجوا بنا، حتى ننظر إلى الإبل، كيف خلقت⁽⁴⁾! ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، أي: كيف رفعها الله تعالى عن الأرض هذا الرفيع العظيم! كما قال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُجٍ ﴿٦﴾﴾⁽⁵⁾، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، أي: جعلت منصوبة، قائمة، ثابتة، راسية؛ لئلا تميد الأرض بأهلها،

(1) سنن ابن ماجه، باب: صفة الجنة، حديث رقم: (4332)، قال الألباني: حديث ضعيف، البعث لابن أبي داود: 60/1، حديث رقم: (72)، واللفظ له، تأليف: (أبو بكر) بن أبي داود، عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، (1987م).

(2) هو: عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، الإمام العلامة، الحافظ، شيخ بغداد، أبو بكر السجستاني، ولد بساجستان، له تصانيف كثير منها: السنن، المصاحف، النسخ والمنسوخ، وغيرها، روى عن أبيه، وأحمد بن صالح، وهارون بن إسحاق، وغيرهم، وروى عنه ابن حبان، وأبو أحمد الحاكم، وأبو الحسن الدارقطني، وغيره، توفي سنة: (316هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 220/25.

(3) هو: شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم، أبو أمية القاضي، مختلف في صحبته، ولاءه عمر القضاء، وله أربعون سنة، وظل قاضياً إلى زمن الحجاج، روى عن النبي -ﷺ-، وعن عمر، وعلي، وابن مسعود، وغيرهم، روى عنه الشعبي، ومجاهد، وابن سيرين، وغيرهم، توفي سنة: (78 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: الإصابة: 334/3، أسد الغابة: 596/2.

(4) الدر المنثور: 495/8، تفسير مجاهد: 754/2.

(5) سورة ق، الآية: 6.

وجعل فيها ما جعل من المنافع، والمعادن، ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، أي: كيف بُسِطَتْ ومُدَّت ومُهَدَّت، فنبه البدوي على الاستدلال بما شاهده من بعيده، الذي هو راكب عليه، وإلى السماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك، وصانعه، وأنه الرب العظيم، الخالق المتصرف، المالك، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه، وقوله: ﴿فَذَكَرْنَا أَنْتَ مَذَكَّرٌ﴾، أي: فذكر يا محمد، الناس، وعِظُهُمْ بما أرسلت به عليهم، فإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب، ولهذا قال: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: أي: لست عليهم بجبار⁽¹⁾، وقال ابن زيد: أي: لست بالذي تكرههم على الإيمان⁽²⁾، وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "أمرتُ أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾"، رواه أحمد⁽³⁾، وهكذا، رواه مسلم، في كتاب الإيمان⁽⁴⁾، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾، أي: أعرض، وتولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق، بجنانه، ولسانه، فقال: ﴿فِعَذَابُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾، أي: عذاب جهنم؛ لأنهم عُدُّوا في الدنيا بالقحط، والقتل، والأسر، وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "ألا كلكم يدخل الجنة، إلا من شرد على الله، شراد البعير على أهله"، تفرد بإخراجه أحمد⁽⁵⁾، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، أي: مرجعهم، ومنقلبهم، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، أي: نحن نحاسبهم على أعمالهم، ونجازيهم بها بحسبها.

(1) وهو أيضاً عن: مجاهد، وقتادة، ينظر: جامع البيان: 390/24.

(2) المصدر نفسه.

(3) مسند أحمد: 300/3، حديث رقم: (14247)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، على شرط مسلم.

(4) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس، حتى يقولوا: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي"، وأن من فعل ذلك، عصم نفسه، وماله، إلا بحقها، ووُكِّلَتْ سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة، أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، حديث رقم: (21).

(5) مسند أحمد: 258/5، حديث رقم: (22280)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

تفسير سورة: الفجر

"وهي مكية"

في سنن النسائي عن جابر - رضي الله عنه - قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل، فصلى معه، فطول، فصلى في ناحية المسجد، ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: منافق، فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فسأل الفتى، فقال يا رسول الله: جئت أصلي معه، فطول، فانصرفت، وصليت في ناحية المسجد، فعلقت ناضحي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أفتانا يا معاذ؟ أين أنت من ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (1)، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (2)، ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (3)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (4)؟".

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالْفَجْرِ﴾ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ (٥)
 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ (٨) وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ
 بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ
 سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴿﴾

أما الفجر، فمعروف، وهو الصبح، قاله علي، وابن عباس - رضي الله عنهم - (5)، وقال مجاهد، وغيره: المراد به: فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر (6)، وقال عكرمة: المراد بذلك: الصلاة التي تفعل عنده (7)، وقيل: المراد به: جميع النهار، وهو رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (8)، والليالي العشر:

(1) سورة الأعلى، الآية: 1.

(2) سورة الشمس، الآية: 1.

(3) سورة الليل، الآية: 1.

(4) سنن النسائي الكبرى، باب: سورة الفجر، حديث رقم: (11673).

(5) ينظر: النكت والعيون: 265/6.

(6) وهو أيضاً عن: محمد بن كعب، ورواية عن ابن عباس، ينظر: تفسير القرطبي: 39/20.

(7) ينظر: جامع البيان: 395/24.

(8) ينظر: النكت والعيون: 265/6.

المراد بها: عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغير واحد⁽¹⁾، وقد ثبت في البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما- مرفوعاً "ما من أيام، العمل الصالح أحب إلى الله فيهن العمل، من هذه الأيام"، يعني: عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً، خرج يخاطر بنفسه، وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء"⁽²⁾، وقيل: المراد بذلك: العشر الأوّل من محرم، حكاه ابن جرير⁽³⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- في رواية: هي العشر الأوّل من رمضان⁽⁴⁾، والصحيح الأوّل، وعن جابر -رضي الله عنه-: عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر" رواه أحمد، والنسائي⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَالشَّفَعُ وَالْوَتْرُ﴾، قد سبق أنفاً أن الوتر يوم عرفة؛ لأنه التاسع، وأن الشفع يوم النحر؛ لأنه العاشر، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما-⁽⁶⁾، وقال عطاء: الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى⁽⁷⁾، وقال عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما-: الشفع: قول الله: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾⁽⁸⁾، والوتر: قوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾⁽⁹⁾، وعنه أيضاً: الشفع: أوسط أيام التشريق، والوتر: آخر أيام التشريق، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن جرير⁽¹⁰⁾، مائلاً إليه، وقال

(1) وهو أيضاً عن: جابر، وابن الزبير، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، والضحاك، وعطية، والسدي، والكلبي، ومقاتل وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 396/24، تفسير مقاتل: 481/3، تفسير القرطبي: 39/20، الدر المنثور: 500/8.

(2) صحيح البخاري، كتاب: العيدين، باب: فضل العمل في أيام التشريق، حديث رقم: (926)، واللفظ مختلف.

(3) ينظر: جامع البيان: 397/24.

(4) معالم التنزيل: 412/8، ولعل الصواب: في العشر الأواخر من رمضان وليس الأوّل، وهو ما نقله أصحاب التفسير الأخرى، ينظر: زاد المسير: 104/9، تفسير القرطبي: 39/20، تفسير السراج المنير: 387/4، النكت والعيون: 265/6.

(5) مسند أحمد: 327/3، حديث رقم: (14551)، قال شعيب الأرنؤوط: هذا إسناد لا بأس برجاله، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة الفجر، حديث رقم: (11672)، واللفظ لأحمد.

(6) ينظر: جامع البيان: 397/24.

(7) ينظر: الدر المنثور: 503/8.

(8) سورة البقرة، من الآية: 203.

(9) سورة البقرة، من الآية: 203.

(10) تفسير القرطبي: 40/20، تفسير ابن أبي حاتم: 3424/10، حديث رقم: (19241)، (19242)، الدر

مجاهد: الشفع: الزوج، والوتر: الله تعالى، وخلقه، الشفع: الذكر والأنثى⁽¹⁾، وعن الحسن: هو العدد منه شفع، ومنه وتر⁽²⁾، وقال أبو العالية، والربيع بن أنس: هي الصلاة، منها: شفع، كالرباعية، والثنائية، ومنها: وتر، كالمغرب، وهي وتر النهار، وكذلك آخر التهجد من الليل، وبه قال عمران بن حصين⁽³⁾ ⁽⁴⁾، كما روى: أن رسول الله ﷺ - سئل عن الشفع والوتر فقال: "هي الصلاة، بعضها شفع، وبعضها وتر" رواه أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَأَلَّيْلٍ إِذَا يَسَّرَ﴾، أي: إذا ذهب، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما⁽⁶⁾، وقال ابن الزبير - رضي الله عنهما -: حتى يذهب بعضه بعضا⁽⁷⁾، وقال مجاهد، وغير واحد: أي: إذا سار⁽⁸⁾، وهذا يمكن حمله على قول ابن عباس - رضي الله عنهما -، ويحتمل أن يكون معناه: أقبل، ويقال: هذا أنسب؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿وَأَلْفَجْرِ﴾، فإن الفجر هو إقبال النهار، وإدبار الليل، فإذا حمل على إقباله، كان قسما، بإقبال الليل، وإدبار النهار، وبالعكس كقوله: ﴿وَأَلَّيْلٍ إِذَا عَسَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾⁽⁹⁾، وقال عكرمة: يعني: ليلة جمع

المنثور: 504/8، ونقل الرواية عن ابن جرير .

(1) ينظر: تفسير القرطبي: 40/20.

(2) الدر المنثور: 502/8.

(3) المصدر نفسه.

(4) هو: عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الكلبى، يكنى أبا نجيد (بنون وجيم مصغرة)، صحابي، جليل، أسلم عام خيبر، غزى عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، من فقهاء الصحابة، بعثه عمر للبصرة؛ ليفقه أهلها، اعتزل الفتنة، فلم يقاتل فيها، روى عن النبي ﷺ - وروى عنه ابنه نجيد، وأبو الأسود الدؤلي، وأبو رجاء العطاردي، وغيرهم، توفي سنة: (52 هـ)، وقيل: (53 هـ)، ينظر: الإصابة: 705/4، أسد الغابة: 299/4.

(5) مسند أحمد: 437/4، حديث رقم: (19933)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف بإبهام الراوي، عن عمران، وبقية رجاله ثقات، سنن الترمذي، باب: سورة الفجر، حديث رقم: (3342)، ينظر: جامع البيان: 400/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3423/10، حديث رقم: (19236).

(6) الدر المنثور: 504/8.

(7) جامع البيان: 401/24.

(8) وهو أيضاً عن: أبي العالية، وقتادة، وابن زيد، وعبدالله بن الزبير، ينظر: الدر المنثور: 504/8، جامع البيان: 401/24.

(9) سورة التكويد، الآيات: 17 - 18.

بمزدلفة⁽¹⁾، وقوله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾، أي: لذي عقل، ولب، وحجا، وإنما سمي العقل: حجرا؛ لأنه يمنع الإنسان عن تعاطي ما لا يليق به من الأفعال، والأقوال، ومنه حجر البيت؛ لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره، الشامي، وحجر الحاكم على فلان، إذا منعه من التصرف، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج، وصلاة، وغير ذلك، من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون، المطيعون له، الخاشعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، وهؤلاء كانوا متمردين، عتاة، جبارين، مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه، فذكر تعالى كيف أهلكهم، وجعلهم عبرا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، وهؤلاء عادا الأولى، أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق⁽²⁾، وهم الذين بعث فيهم رسولهم هودا -عليه السلام-، فكذبوه، وخالفوه، فأناه الله، ومن آمن معه منهم، من بين أظهرهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾⁽³⁾، وقد ذكر الله قصتهم في غير موضع من القرآن؛ ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله: ﴿بِعَادٍ﴾، عطف بيان، زيادة تعريف بهم، وإنما قال: ذات العمد؛ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر، التي تُرْفَعُ بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة، وأقواهم بطشا، ولهذا ذكّرهم هود بتلك النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة، الله الذي خلقهم، فقال: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾⁽⁵⁾، وقال ههنا: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾، أي: لم يخلق مثل تلك

(1) ينظر: معالم التنزيل: 417/8.

(2) لم أقف عليه عند ابن إسحاق، وذكره أبو الحسن الشيباني في التاريخ الكبير: 65/1.

(3) سورة الحاقة، من الآية: 7.

(4) سورة الأعراف، من الآية: 69.

(5) سورة فصلت، الآية: 15.

القبيلة في بلادهم؛ لقوتهم، وشدتهم، وعظم تركيبهم، وهذا هو الصواب الذي اختاره ابن جرير⁽¹⁾، قال مجاهد، وغيره: إرم: أمة قديمة، يعني: عادا الأولى⁽²⁾، وأعاد ابن زيد الضمير في مثلها إلى العماد؛ لارتفاعها، وقال: بَنَوْا عُمْدًا بِالْأَحْقَافِ، لم يخلق مثلها في البلاد⁽³⁾، وأما قتادة، وابن جرير، فأعادوا الضمير على القبيلة، كما سبق، ولو كان كما قال ابن زيد، لقال: لم يُعْمَلْ مثلها في البلاد⁽⁴⁾، وعن المقدم⁽⁵⁾ -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: أنه ذكر إرم ذات العماد، فقال: "كان الرجل منهم يأتي على الصخرة، فيحملها على الحي، فيهلكهم"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁶⁾، قال الشيخ - رحمه الله -: فعلى كل قول، سواء كانت العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو، أو سلاحا يقاتلون به، أو طول القامة منهم، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير موضع، المقرونون بثمود، كما ههنا، والله أعلم، ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: مدينة: إما دمشق، أو إسكندرية، كما رُوِيَ عن بعض السلف، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ﴿٦﴾ إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ؟ أن جعل ذلك بدلا، أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ، ثم المراد: إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه، الذي لا يُرَدُّ؛ لأن المراد: الإخبار عن مدينة، أو إقليم، وإنما نَبَّهْتُ على هذا لئلا يغتر بما ذكره جماعة من المفسرين، عند هذه الآية، من نكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب، والفضة، قصورها، ودورها، وبساتينها، وحصباؤها اللالئُ والجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها، وأبوابها، تصفر، ليس بها داع، ولا مجيب، وأنها تنتقل، فتارة تكون بأرض الشام، وتارة

(1) ينظر: جامع البيان: 407/24 .

(2) المصدر نفسه: 404/24.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 407/24.

(4) ينظر: المصدر نفسه.

(5) هو: المقداد بن معد يكره بن عمرو بن يزيد بن معديكرب الكندي، أبوكريمة، وقيل: أبو يحيى، صحابي، جليل، وهو من الوفد الذي وفد على الرسول -صلى الله عليه وسلم- من كندة، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وخالد بن الوليد، ومعاد، وغيرهم، وروى عنه الشعبي، وخالد بن معدان، وابنه يحيى، وحفيده صالح، وغيرهم، توفي سنة: (87هـ) وقيل: غير ذلك، ينظر: الإصابة: 204/6، أسد الغابة: 268/5.

(6) تفسير ابن أبي حاتم: 3425/10، حديث رقم: (19254)، فتح الباري لابن حجر: 701/8.

باليمن، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، ومن وضع بعض زنادقتهم؛ ليحيروا بذلك عقول الجهلة من الناس، وذكر الثعلبي⁽¹⁾، وغيره: أن رجلا من الأعراب، اسمه عبد الله بن قلابة⁽²⁾، في زمان معاوية، ذهب في طلب أباعر له، شردت، فبينما هو يتيه في ابتغائها، إذ طلع على مدينة عظيمة، لها سور، وأبواب، فدخلها، فوجد فيها قريبا مما ذكرناه، من صفات المدينة الذهبية، التي سبق ذكرها، وأنه رجع، فأخبر الناس، فذهبوا معه إلى المكان، الذي قال، فلم يروا شيئا⁽³⁾، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى هذا الأعرابي، فقد يكون قد اختلق ذلك، أو أصابه نوع خيال، وتصور أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد: بقوله: "إرم": قبيلة، أو بلدة، كانت عاد تسكنها، فلذلك لم يصرف فيه نظر؛ لأن المراد من السياق: إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾، يعني: يقطعون الصخر بالواد، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ينحتونها، ويخرقونها، كذا قاله مجاهد، وغيره⁽⁴⁾، ومنه قول مجتبي النمار، إذا خرقتها⁽⁵⁾، وقال تعالى: ﴿وَنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقْرَهُنَّ﴾⁽⁶⁾، وأنشد ابن جرير، وابن أبي حاتم، ههنا قول الشاعر :

أَلَا كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بَائِدٌ * * كَمَا بَادَ حَيٌّ مِنْ ثَقِيفٍ وَمَارِدٍ

(1) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أو إسحاق النيسابوري، الثعلبي، عالم، بارع في العربية، حافظ، من أبرز علماء التفسير، صاحب التفسير المشهور، وله تصانيف أخرى منها: العرائس في قصص الأنبياء، وربيع المذكرين، روى عن محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي، وأبي بكر بن هانئ، وغيرهم، وروى عنه الواحدي، توفي سنة: (427 هـ)، يقال له: الثعالبي، والثعلبي، وهو لقب، لا نسب، ينظر: طبقات المفسرين للأندروي: 106/1، طبقات الشافعية الكبرى: 58/4، وفيات الأعيان: 79/1.

(2) ذكره ابن حجر في فتح الباري، وقال: لا يعرف، ينظر: فتح الباري: 702/8.

(3) ينظر: الكشف والبيان: 197/10، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب: 152/31، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي، الرازي، دار الكتب العلمية، (2000م)، بلا (تح، ط)، تفسير السراج المنير: 388/4، تفسير القرطبي: 47/20، فتح الباري: 702/8، وغيرها من التفسير.

(4) وهو أيضاً عن: مقاتل، وقتادة، وابن زيد، والضحاك، ينظر: تفسير مقاتل: 482/3، جامع البيان: 408/24.

(5) ينظر: لسان العرب، مادة: جوب.

(6) سورة الشعراء، الآية: 149.

هُم صَرَبُوا فِي كُلِّ صَمَاءٍ صَعْدَةً * * * بِأَيْدِ شِدَادِ أَيْدَاتِ السَّوَادِ (1)

وقال ابن اسحاق: كانوا عربيا، وكان منزلهم بوادي القرى، وقد سبق قصتهم في سورة الأعراف⁽²⁾، وقوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - الأوتاد: الجنود يشدون له أمره⁽³⁾، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم، وأرجلهم في أوتاد، من حديد، يعلقهم بها، قاله مجاهد، وغير واحد⁽⁴⁾، قال السدي: كان يربط الرجل في كل قائمة، في وتد، ثم يرسل عليه صخرة، عظيمة، فتشدخه⁽⁵⁾، وقال قتادة: بلغنا أنه كانت له مظال، وملاعب، يلعب له تحتها من أوتاد، وحبال⁽⁶⁾، وقال أبو رافع: قيل: لفرعون ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾؛ لأنه ضرب لامراته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحي عظيمة، حتى ماتت⁽⁷⁾، وقوله: ﴿الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْأَلْبَدِ﴾، يعني: عادا، وثمود، وفرعون، عملوا في الأرض بالمعاصي، وأنواع الطغيان، والجبروت، والعناد، ولهذا قال: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ (١٣) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿، أي: أنزل عليهم رجزا من السماء، وأحال بهم عقوبة، لا يردها عن القوم المجرمين، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾، يعني: يراصد قومه فيما يعملون، يسمع، ويرى، ويجازي كُلاً بعمله، بما يستحقه، وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا معاذ، إن المؤمن لدى الحق أسير، يا معاذ، إن المؤمن لا يسكن روعه، ولا يأمن اضطرابه، يخلف جسر جهنم، خلف ظهره، يا معاذ، إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته، وعن أن يهلك فيها هو، بإذن الله تعالى، فالقرآن دليله، والخوف محبته،

(1) ينظر: جامع البيان: 408/24، ولم ينسب لقائله، ولم أقف عليه عن ابن حاتم، إلا في تفسير ابن كثير: 397/8.

(2) المخطوط نفسه، اللوحة: (164/ب).

(3) الدر المنثور: 506/8.

(4) وهو أيضاً عن: سعيد بن جبیر، والسدي، والكلبي، ومقاتل، ينظر: جامع البيان: 410/24، الدر المنثور: 506/8، معالم التنزيل: 74/7، تفسير مقاتل: 114/3.

(5) ينظر: الدر المنثور: 507/8.

(6) جامع البيان: 409/24.

(7) ينظر المصدر نفسه.

والشوق مطيته، والصلاة كهفه، والصوم جنته، والصدقة فكاكه، والصدق أميره، والحياء وزيره، وربّه - ﷺ - من وراء ذلك كله لبالمرصاد"، رواه ابن أبي حاتم (1)، والحديث غريب جدا، وفي صحته نظر.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

أنكر تعالى على الإنسان في اعتقاده، إذا وسع الله عليه في الرزق؛ ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، ولهذا قال ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، وليس كذلك، بل هو ابتلاء، وامتحان، وكذلك، في الجانب الآخر، إذا ابتلاه، فامتحنه، وضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، كما قال: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾، قال الله: ﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر كما زعم، لا في هذا، ولا في ذلك، فإن الله يعطي المال لمن يحب، ومن لا يحب، ويضيق على من يحب، ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنيا، بأن يشكر الله على غناه، وإن كان فقيرا، يصبر، وقوله: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، هذا أمر بالإكرام له، كما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ -: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم، يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم، يساء إليه"، رواه ابن ماجة (2)، وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "أنا وكافل اليتيم له، ولغيره، في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة، والوسطى، وفرج بينهما شيئا"، رواه البخاري (3)، ﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، لا يأمرن بالإحسان إلى الفقراء، والمساكين، ولا يحث بعضهم على بعض في ذلك، ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾، أي: الميراث، ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾، أي: من أي

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 10/3427، حديث رقم: (19270)، سلسلة الأحاديث الضعيفة، والموضوعة:

226/12، حديث رقم: (5685)، قال الألباني: حديث ضعيف.

(2) سنن ابن ماجة، باب: حق اليتيم، حديث رقم: (3679)، قال الألباني: حديث ضعيف.

(3) صحيح البخاري، كتاب: الطلاق، باب: اللعان، حديث رقم: (4998) ولا يوجد فيه: (له ولغيره).

جهة حصل لهم، من حلال، أو حرام، ﴿وَتُحْبَرُونَ أَمْالَ حُبَّاجِمًا﴾، أي: كثيرا فاحشا .

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (٢١) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) ﴿وَجِئْنَا بِبُحْبُوحٍ﴾ (٢٣) ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْبَشَرِ الْأَنسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٤) ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ (٢٥) ﴿وَلَا يُؤْتِيهِمْ قِتْلًا﴾ (٢٦) ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠)

أخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فقال: ﴿كَلَّا﴾، أي: حقا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾، أي: وُطِنَتْ وَمُهْدَتْ وَسُوِّيَتِ الْأَرْضُ، والجبال ﴿دَكًّا دَكًّا﴾، مرة بعد مرة، فلم يبق عليها شيء، وقام الخلائق من قبورهم لربهم، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد العالمين، وشفيح المؤمنين: محمد المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه-، بعدما يسألون أولي العزم واحدا، بعد واحد، وكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم، حتى تنتهي النبوة إلى محمد - ﷺ -، فيقول: أنا لها، أنا لها، فيذهب، ويشفع عند الله، في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه الله في ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود، كما سبق في سورة: سبحان⁽¹⁾، فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء، كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا، صفوفا، وقوله: ﴿وَجِئْنَا بِبُحْبُوحٍ﴾، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرونها"، رواه مسلم⁽²⁾، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْبَشَرِ الْأَنسَانَ﴾، أي: [عمله، وما كان]⁽³⁾ أسلفه في قديم دهره، وحديثه، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾، أي: وكيف تتفعه الذكرى! ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، يعني: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي،

(1) المخطوط نفسه، اللوحة: (268/ب).

(2) صحيح مسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: في شدة نار جهنم، وبعد قعرها، وما تأخذ من المعدنين، حديث رقم: (2842).

(3) هذا بياض في المخطوط وهكذا ذكر في تفسير ابن كثير 400/8.

إن كان عاصياً، ويود لو كان ازداد من الطاعات، إن كان طائعاً، قال تعالى: ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾، أي: ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، ﴿وَلَا يُؤْتِيُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾، أي: وليس أحد أشد قبضاً، ووثاقاً، من الزبانية، لمن كفر بربهم، هذا في حق المجرمين، فأما النفس الزكية المطمئنة، وهي الساكنة الثابتة، الدائرة مع الحق، فيقال لها: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَرْجِي إِلَى رَبِّكَ﴾، أي: إلى جواره، وثوابه، وما أعد لعباده الصالحين في الجنة، ﴿رَاضِيَةً﴾، أي: في نفسها، ﴿مَرْضِيَةً﴾، أي: قد رضيت عن الله، ورضي عنها، وأرضاها، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أي: في جملتهم، ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره، وعند قيامه من قبره، وكذلك ههنا، ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية! فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنها نزلت في عثمان بن عفان⁽¹⁾، وعن بريدة بن الحصيب: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب⁽²⁾⁽³⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة، ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَرْجِي إِلَى رَبِّكَ﴾، يعني: صاحبك، وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا⁽⁴⁾، ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾، ورؤي عنه: أنه كان يقرؤها، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾^(٢٩) و﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٣٠)، وكذا قال عكرمة،

(1) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي، الأموي، أبو عبدالله، وأبو عمر، أمير المؤمنين، تزوج رقية، ثم بعد موتها تزوج أختها أم كلثوم، بنتي رسول الله - ﷺ -، فلذلك كان يلقب بذي النورين، من أعماله تجهيز جيش العسرة، وشراء بئر رومة، وغير ذلك، روى عن النبي - ﷺ -، وعن أبي بكر، وعمر، وروى عنه أولاده عمر، وأبان، وسعيد، وأيضاً ابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم، قُتِلَ بالدار، سنة: (35هـ)، ينظر الإصابة: 4/456، الدر المنثور: 8/513.

(2) هو: حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، الهاشمي، أبوعمارة، عم النبي - ﷺ -، وأخوه من الرضاعة، أرضعتها ثوية، مولاة أبي لهب، أسلم في السنة الثانية من البعثة، وأخى النبي بينه، وبين زيد بن حارثة، شهد بدرًا، واستشهد بأحد سنة: (3 هـ)، لقبه النبي - ﷺ -: أسد الصحراء، وسماه: سيد الشهداء، ينظر: الإصابة: 2/121، أسد الغابة: 2/66.

(3) الدر المنثور: 8/514.

(4) ينظر: جامع البيان: 24/424.

والكلبي، واختاره ابن جرير⁽¹⁾، وهو غريب، والظاهر الأول، لقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقِّ﴾⁽²⁾، ﴿وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ﴾⁽³⁾، أي: إلى حكمه، والوقوف بين يديه، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً^(٢٨)، قال: نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذا، فقال له النبي - ﷺ -: "أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت"، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽⁴⁾، وعن سعيد بن جبير - رحمه الله - قال: مات ابن عباس - رضي الله عنهما - بالطائف، فجاء طير، لم ير مثله على خلقته، فدخل نعشه، ثم لم ير خارجا منه، فلما دفن، تليت هذه الآية على شفر القبر، لا يُدْرَى من تلاها، ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً^(٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبْدِي^(٢٩) وَأَدْخُلِي جَنِّي^(٣٠)، رواه ابن أبي حاتم، والطبراني⁽⁵⁾، وقد ذكر الحافظ بن المنذر، المعروف بشكر في كتاب العجائب: أن قبات بن رزين، أبي هاشم⁽⁶⁾، قال: أُسْرْتُ في بلاد الروم، فَجَمَعْنَا الملك، وعرض علينا دينه، على أن من امتنع، ضربت عنقه، فارتد ثلاثة، وجاء الرابع، فامتنع، فَضْرِبْتُ عنقه، وألقي رأسه في نهر هناك، فرسبت في الماء، ثم طفا على وجه الماء، ونظر إلى أولئك الثلاثة، فقال: يا فلان، ويا فلان، ويا فلان، يناديهم بأسمائهم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً^(٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبْدِي^(٢٩) وَأَدْخُلِي جَنِّي^(٣٠)، ثم غاص في الماء، قال: وكادت النصارى أن يسلموا، ورفع سرير الملك، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام، قال: وجاء الفداء من عند الخليفة، أبي جعفر

(1) تفسير البحر المحیط: 467/8، جامع البيان: 426/24، ولم يقل به ابن جرير.

(2) سورة الأنعام، من الآية: 62.

(3) سورة غافر، من الآية: 43.

(4) ينظر: جامع البيان: 424/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3429/10، حديث رقم: (19287)، واللفظ مختلف.

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 3431/10، حديث رقم: (19299)، المعجم الكبير: 236/10، حديث رقم: (10581)،

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي: 465/9، حديث رقم: 15535، قال: رجاله رجال الصحيح.

(6) هو قبات بن رزين بن حميد بن صالح اللخمي، أبو هاشم المصري، ذكره ابن حبان في الثقات، روى عن عم

أبيه، سلمة بن صالح، وعلي بن رباح، وعكرمة، مولى ابن عباس، وغيرهم، وروى عنه ابن المبارك، وابن

وهب وابن لهيعة، وغيرهم، توفي سنة: (156 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 308/8.

المنصور⁽¹⁾، فخلصنا، وروى الحافظ بن عساكر عن أبي أمامة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لرجل: "قل: اللهم، إني أسألك نفساً بك، مطمئنة، تؤمن بقلائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك"⁽²⁾.

(1) هو: عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي، الهاشمي، أبوجعفر، أمير المؤمنين، هو ثاني خلفاء بني عباس، تولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح، سنة: (136 هـ)، وانتقل إلى بغداد سنة: (145هـ)، كان يلقب أبا الدوانيق، وكان شجاعاً، مهيباً، تاركاً للهو، كامل العقل، وكان فيه عدل، وله حظ من صلاة، وتدين، وعلم، وفقه، وروى عن أبيه، روى عنه ابنه المهدي، توفي سنة: (158 هـ)، ينظر: الوافي بالوفيات: 233/17، تهذيب الأسماء: 777/1.

(2) تاريخ مدينة دمشق: 158/69، سلسلة الأحاديث الضعيفة: 56/9، حديث رقم: (4060)، قال الألباني: حديث ضعيف.

تفسير سورة: البلد

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَوْلًا (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ
(٨) وَلِسَانًا وَشَفْهَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴿﴾

هذا قسم من الله تعالى بمكة، أم القرى، في حال كون الساكن فيها حالا، لينبه على عظمة قدرها، في حال إحرام أهلها، قال مجاهد: ﴿لَا﴾، أي: في ﴿لَا أَقْسِمُ﴾، رد عليهم، أي: أقسم بهذا البلد، يعني: مكة⁽¹⁾ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾، أي: أنت يا محمد، يحل لك أن تقاتل به، كذا عن ابن جبير، وغير واحد⁽²⁾، وقال مجاهد: ما أصبت فيه، فهو حلال لك⁽³⁾، وقال قتادة: أي، أنت به حلال من غير حرج، ولا إثم⁽⁴⁾، وقال الحسن: أحلها الله له ساعة من نهار⁽⁵⁾، وقد ورد بهذا الذي قالوه الحديث الصحيح: "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله، إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم، كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب"، وفي لفظ "فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ -، فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم"⁽⁶⁾، وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَدَّ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الوالد الذي يلد، وما ولد العاقر، الذي لا

(أ/554)

(1) ينظر: جامع البيان: 429/24.

(2) وهو أيضاً عن: مجاهد، وقاتدة، وابن زيد، وعطاء، والضحاك، وابن عباس، ينظر: المصدر نفسه: 430/24.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 431/24، تفسير مجاهد: 758/2.

(4) ينظر جامع البيان 431/24.

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 3432/10، حديث رقم: (19304).

(6) صحيح البخاري، كتاب: الحج، باب: لا يعضد شجر الحرم، حديث رقم: (1735)، صحيح مسلم، كتاب:

الحج، باب: تحريم مكة، وصيدها، وخلاها، وشجرها، ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، حديث رقم: (1353)، واللفظ مختلف.

يُؤَدِّ له⁽¹⁾، وعن عكرمة: عكس ذلك⁽²⁾، وقال مجاهد، وكثيرون: الوالد: آدم، وما ولد ولده⁽³⁾، وهذا حسن قوي؛ لأنه تعالى لما أقسم بأُم القري، وهي المساكن، أقسم بعده بالمساكن، وهو آدم أبو البشر، وولده، وقيل: إبراهيم، وذريته⁽⁴⁾، واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده⁽⁵⁾، وهو محتمل، وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -، وغير واحد: يعني: منتصباً⁽⁶⁾، وزاد ابن عباس - رضي الله عنهما -: في بطن أمه⁽⁷⁾، والكبد: الاستواء، والاستقامة، يعني: خلقناه سوياً، مستقيماً، كقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾⁽⁸⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: في شدة خلق، ألم تر إليه ... وذكر مولده، ونبات أسنانه⁽⁹⁾، وقال مجاهد: هو كقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾⁽¹⁰⁾، فأرضعته كرها، ومعيشته كرها، فهو يكابد ذلك⁽¹¹⁾، قال ابن جبير: أي: في شدة، وطلب معيشة، ومشقة⁽¹²⁾، وقال الحسن: مكابد أمراً من أمر الدنيا، وأمراً من الآخرة⁽¹³⁾، وفي رواية: مكابد مضائق الدنيا، وشدائد الآخرة⁽¹⁴⁾، واختار ابن جرير المراد بذلك مكابدة الأمور، ومشاقها⁽¹⁵⁾، وقوله:

(1) ينظر: جامع البيان: 432/24.

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) ينظر: المصدر نفسه، تفسير مقاتل: 485/3، تفسير مجاهد: 758/2.

(4) وهو: عن أبي عمران الجوني، ينظر: جامع البيان: 433/24.

(5) المصدر نفسه.

(6) وهو أيضاً عن: ابن عباس، وعكرمة، وإبراهيم، وعبدالله بن شداد، وأبي صالح، والضحاك، ينظر: المصدر

نفسه: 24434، الدر المنثور: 520/8.

(7) المصدر نفسه.

(8) سورة الانفطار، الآية: 7، وجزء من الآية: 8.

(9) ينظر: الدر المنثور: 519/8.

(10) سورة الأحقاف، من الآية: 15.

(11) ينظر: جامع البيان: 434/24، بمعناه، ولم يذكر الآية، ولم أقف على هذا القول كاملاً، إلا في تفسير ابن

كثير: 403/8.

(12) ينظر: جامع البيان: 433/24.

(13) ينظر: الدر المنثور: 520/8.

(14) ينظر: المصدر نفسه.

(15) ينظر: جامع البيان: 435/24.

﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، أي: أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، بِأَخْذِ مَالِهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ (1)، وَقَالَ قَتَادَةُ: ابْنُ آدَمَ يَظُنُّ أَنْ لَا يُسْأَلُ عَنْ هَذَا الْمَالِ، مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟ (2) وَقَوْلُهُ: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ﴾، أَي: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ أَنْفَقْتُ مَا لَا كَثِيرًا قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ (3) ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، أَي: أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللَّهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَيْفَ يَكْسِبُ؟ وَأَيْنَ يَنْفِقُ؟ ثُمَّ ذَكَرَهُ نَعْمَةً؛ لِيَعْتَبَرَ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾، أَي: يَبْصِرُ بِهِمَا، ﴿وَلِسَانًا﴾، أَي: يَنْطِقُ بِهِ، فَيَعْبِرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾، يَسْتَعِينُ بِهِمَا فِي الْكَلَامِ، وَأَكَلَ الطَّعَامَ، وَجَمَالَ لَوَجْهَهُ، وَفَمَهُ، وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكِرَ عَنْ مَكْحُولٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَقُولُ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، قَدْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ نِعْمًا عَظِيمًا، لَا تُحْصِي عِدْدَهَا، وَلَا تَطِيقُ شُكْرَهَا، وَإِنْ مِمَّا أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ جَعَلْتُ لَكَ عَيْنَيْنِ تَنْظُرُ بِهِمَا، وَجَعَلْتُ لِهَمَا غَطَاءً، فَانظُرْ بِعَيْنَيْكَ إِلَى مَا أَحَلَّلْتُ لَكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ مَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ، فَاطْبِقْ عَلَيْهِمَا غَطَاءَهُمَا، وَجَعَلْتُ لَكَ لِسَانًا، وَجَعَلْتُ لَهُ غَلَاظًا، فَانطِقْ بِمَا أَمَرْتُكَ، وَأَحَلَّلْتُ لَكَ، فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ فَأَغْلِقْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَجَعَلْتُ لَكَ فَرْجًا، وَجَعَلْتُ لَكَ سِتْرًا، فَأَصْبِ بِفَرْجِكَ مَا أَحَلَّلْتُ لَكَ، فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ، فَارْخُ عَلَيْكَ سِتْرَكَ، ابْنُ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ سَخَطِي، وَلَا تَطِيقْ انتِقَامِي" (4)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يَعْنِي: الْخَيْرَ، وَالشَّرَّ (5)، وَالنَّجْدُ: طَرِيقٌ فِي ارْتِفَاعٍ (6)، قَالُوا: أَي: طَرِيقُ الْخَيْرِ، وَالشَّرِّ، وَالْحَقِّ، وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى، وَالضَّلَالَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: "هُمَا نَجْدَانِ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ"، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَغَيْرُهُ (7)، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-

(1) النكت والعيون: 276/6.

(2) ينظر: معالم التنزيل: 431/8.

(3) وهو أيضاً عن: قتادة، وابن عباس، والحسن، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 436/24، تفسير مجاهد: 759/2.

(4) تاريخ مدينة دمشق: 229/66، جامع الأحاديث للسيوطي، 292/8، حديث رقم: (7323)، رواه ابن عساکر عن مكحول مرسلًا.

(5) وهو أيضاً عن: مجاهد، وابن عباس، وعكرمة، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 437/24.

(6) ينظر: لسان العرب، مادة: نجد.

(7) ينظر: جامع البيان: 438/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3434/10، حديث رقم: (19322)، المعجم الأوسط: 77/3، حديث رقم: (2541)، مجمع الزوائد: 449/10، حديث رقم: (17867)، قال الهيثمي: حديث ضعيف، واللفظ لابن أبي حاتم.

عنهما - أي: التديين⁽¹⁾، والصواب الأول، وهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾⁽²⁾.

﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾⁽¹¹⁾ وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعُقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
 بَيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّئْنَا لَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

قال ابن عمر - رضي الله عنهما - العقبه ها هنا: جبل في جهنم أزل⁽³⁾، وقال كعب الأحبار - رضي الله عنه - : هي سبعون درجة في جهنم⁽⁴⁾، وقال قتادة: إنها عقبه شديدة، فاقتحموها بطاعة الله تعالى⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعُقَبَةُ﴾، تأكيد لفخامتها، وإخبار عن اقتحامها، أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة، والخير، ثم بينها، فقال: ﴿فَكُ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ﴾، قرئ بالإضافة، وقرئ على أنه فعل⁽⁶⁾، وقيل: ضمير الفاعل، والرقبة، مفعوله، ومعناها متقاربان، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلوات الله عليه - : "من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار، حتى إنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج"، رواه أحمد، والحديث ثابت في (554/ب) الصحيحين⁽⁷⁾، وعن أبي نجیح وهو عمرو بن عبسة⁽⁸⁾ - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3434/10، حديث رقم: (19323).

(2) سورة الإنسان، الآية: 3.

(3) ينظر: الدر المنثور: 522/8.

(4) المصدر نفسه: 523/8.

(5) ينظر: جامع البيان: 440/24.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 441/24.

(7) مسند أحمد: 422/2، حديث رقم: (9455)، صحيح البخاري، كتاب: كفارات الأيمان، باب: قوله تعالى ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، وأي الرقاب أركى؟ حديث رقم: (6337)، وفي البخاري أيضاً، كتاب: العتق، باب: ما جاء في العتق، وفضله، حديث رقم: (2381)، صحيح مسلم، كتاب: العتق، باب: فضل العتق، حديث رقم: (1509)، واللفظ لأحمد.

(8) هو: عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر السلمي، أبو نجیح، ويقال: أبو شعيب، قال الواقدي: أسلم قديماً بمكة، ثم رجع إلى بلاده، إلى أن هاجر بعد خيبر، وقيل: من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا، روى عن النبي - صلوات الله عليه -، وروى عنه ابن مسعود، وأبو أمامة الباهلي، وسهل بن سعد، وغيرهم، توفي في نهاية خلافة عثمان؛ لأنه لم يذكر في الفتنة، ولا في خلافة معاوية، ينظر: الإصابة: 658/4، أسد الغابة: 266/4.

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ مُسْلِمًا، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عَظَامِهِ، مُحَرَّرَةً مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقْتَ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عَظَامِهَا مِنَ النَّارِ"، رواه ابن جرير⁽¹⁾، وعن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضا: أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ؛ لِيَذْكُرَ اللَّهَ فِيهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً، كَانَتْ فَدَيْتَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمِنْ شَابِ شَيْبَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، رواه أحمد، وبعض أهل السنن⁽²⁾، وعن واثلة بن الأسقع⁽³⁾ قال: أتينا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في صاحب لنا، قد أوجب، يعني: النار، بالقتل، فقال: "أَعْتَقُوا عَنْهُ، يَعْتَقُ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ، عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ"، رواه أبو داود، والنسائي⁽⁴⁾، وفي الباب أحاديث كثيرة، وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: أي: ذي مجاعة⁽⁵⁾، والسغب هو: الجوع⁽⁶⁾، وقال إبراهيم النخعي⁽⁷⁾: أي: في يوم، الطعام فيه عزيز⁽⁸⁾، وقال قتادة:

-
- (1) ينظر: جامع البيان: 441/24، سنن النسائي الكبرى، باب: فضل العتق، حديث رقم: (4879)، المستدرک علی الصحیحین: 51/3، حديث رقم: (4371)، قال: حديث صحيح عال، ولم يخرجہ.
- (2) مسند أحمد: 386/4، حديث رقم: (19458)، سنن الترمذی، باب: فضل من شاب شيبه في سبيل الله، حديث رقم: (1635)، قال أبو عيسى: حديث حسن، صحيح، غريب، سنن النسائي، حديث رقم: (4350)، باب: ثواب من قاتل في سبيل الله فوق ناقة.
- (3) هو: واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، من بني ليث بن عبد مناة، ويقال: ابن الأسقع بن عبد الله بن عبد ياليل، يكنى أبا قرصافة، وقيل: أبا الأسقع، وقيل: غير ذلك، أسلم، والنبي يتجهز لتبوك، وشهدها معه، كان من أهل الصفة، شهد فتح دمشق، وحمص، وغيرها، روى عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وعن أبي مرثد، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه مكحول، ومعمروف، أبو الخطاب، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم، وهو آخر من مات بدمشق، من الصحابة سنة: (83 هـ)، وقيل: (85 هـ)، ينظر: الإصابة: 591/6، أسد الغابة: 444/5.
- (4) سنن أبي داود، باب: في ثواب العتق، حديث رقم: (3964)، قال الألباني: حديث ضعيف، سنن النسائي الكبرى، باب: ذكر اسم هذا الولي، حديث رقم: (4890)، (4891)، (4892)، واللفظ لأبي داود.
- (5) وهو أيضاً عن: مجاهد، والحسن، وعكرمة، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 442/24.
- (6) لسان العرب، مادة: سغب.
- (7) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمران الكوفي، الفقيه، كان مفتي أهل الكوفة، صالحاً، قليل التكلف، دخل على أم المؤمنين عائشة، وهو صبي، ولم يثبت له سماع منها، روى عن مسروق، وعلقمة، وشريح القاضي، وغيرهم، وروى عنه الأعمش، ومنصور، وحماد بن سليمان، وغيرهم، توفي سنة: (96 هـ)، وقيل: آخر سنة (95 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 155/1، تنكرة الحفاظ: 59/1.
- (8) الدر المنثور: 525/8.

في يوم يُشْتَهَى فيه الطعام⁽¹⁾، وقوله: ﴿بَيْمًا﴾، أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيما، ﴿ذَامَّرَبَةً﴾، أي: ذا قرابة منه، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره⁽²⁾، كما في الحديث الذي رواه سلمان بن عامر - رضي الله عنه -⁽³⁾، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة، وصلة"، رواه أحمد، والترمذي، والنسائي⁽⁴⁾، وقوله: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَامَّرَبَةً﴾، أي: فقيرا، مدقعا، لاصقا بالتراب، وهو الدقعاء أيضا، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: ﴿ذَامَّرَبَةً﴾، هو المطروح بالطريق، الذي لا بيت له، ولا شيء يقيه من التراب، وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء، من الفقر، والحاجة، ليس له شيء، وفي رواية عنه: هو البعيد للتربة⁽⁵⁾، قال ابن أبي حاتم: يعني: الغريب عن وطنه⁽⁶⁾، وقيل: هو الفقير، المحتاج، ذو العيال، الذي لا أحد له⁽⁷⁾، وكل هذه قريبة المعنى، وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة، الطاهرة، مؤمن بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾⁽⁸⁾، وقال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁹⁾، وقوله

(1) جامع البيان: 443/24.

(2) وهو أيضاً عن: ابن زيد، ومقاتل، ينظر: تفسير مقاتل: 486/3، جامع البيان: 443/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3435/10، حديث رقم: (19331).

(3) هو: سلمان بن عامر بن أوس بن ضَبَّة الصَّبِي، صحابي، جليل، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - روى عنه: حفيده عبدالعزيز بن بشير بن سلمان، وابن سيرين، وأخته حفصة بنت سيرين، وغيرهم، سكن البصرة ومات بها، قيل أنه عاش إلى خلافة معاوية، وقيل توفي في خلافة عثمان، ينظر: الإصابة: 140/3، أسد الغابة: 487/2.

(4) مسند أحمد: 214/4، حديث رقم: (17904)، سنن الترمذي، باب: الصدقة على ذي القرابة، حديث رقم: (658)، قال أبو عيسى: حديث حسن، سنن النسائي الكبرى، باب: الصدقة على الأقارب، حديث رقم: (2363).

(5) ينظر: جامع البيان: 443/24.

(6) تفسير ابن أبي حاتم: 3435/10، حديث رقم: (19331).

(7) وقول عن: قتادة، وابن عباس، وللضحك نحوه، ينظر: جامع البيان: 445/24.

(8) سورة الإسراء، الآية: 19.

(9) سورة النحل، الآية: 97.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾، أي: كان من المؤمنين العاملين صلحاء، متواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم، كما جاء في الحديث: "الراحمون يرحمهم [الرحمن]"⁽¹⁾، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء"، رواه أبو داود، والترمذي⁽²⁾، وفي الحديث الآخر في الصحيحين: "لا يرحم الله من لا يرحم الناس"⁽³⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا"، رواه الترمذي⁽⁴⁾، وفي رواية عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: "من لم يرحم صغيرنا، ولم يعرف حق كبيرنا، فليس منا"، رواه أبو داود⁽⁵⁾، وقوله: ﴿أُولَئِكَ أَحَبُّ الْمَيِّمَةِ﴾، أي: المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾^(١٩)، أي: أصحاب الشمال، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾^(٢٠)، أي: مطبقة عليهم، فلا مخلص لهم عنها، ولا خروج لهم منها، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وكثيرون: مؤصدة: أي: مطبقة، مغلقة الأبواب⁽⁶⁾، وقال مجاهد: أصد الباب (بلغه قريش)، أي: أغلقه⁽⁷⁾، وقال قتادة: مؤصدة: مطبقة، فلا ضوء فيها، ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد⁽⁸⁾، وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة، أمر الله بكل جبار، وكل شيطان، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم، ثم أوصدوها

(1) ساقطة من المخطوط.

(2) سنن أبي داود، باب: في الرحمة، حديث رقم: (4941)، سنن الترمذي، باب: رحمة المسلمين، حديث رقم: (1924)، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، واللفظ للترمذي.

(3) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تبارك وتعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَكُونُوا﴾، حديث رقم: (6941)، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته - ﷺ - الصبيان، والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، حديث رقم: (2319)، واللفظ للبخاري.

(4) سنن الترمذي، باب: رحمة الصبيان، حديث رقم: (1921)، قال أبو عيسى: حديث غريب.

(5) سنن أبي داود، باب: في الرحمة، حديث رقم: (4943)، قال الألباني: حديث صحيح.

(6) وهو أيضاً عن: أبي هريرة، ومجاهد، والضحاك، ومقاتل، وعكرمة، وسعيد ابن جبير، والحسن، وعطية، ينظر: الدر المنثور: 526/8.

(7) ينظر: المصدر نفسه.

(8) ينظر: جامع البيان: 447/24.

عليهم، أي: أطبقوها، قال: فلا، والله، لا تستقر أقدامهم على قرار أبداء، ولا، والله، ولا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداء، ولا، والله، لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداء، ولا، والله، ولا يذوقون فيها بارد شراب أبداء، رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3435/10، حديث رقم: (19326).

تفسير سورة: والشمس وضحاها [الشمس]

"وهي مكية"

قد سبق حديث جابر - رضي الله عنه - الذي في الصحيح: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ: "هلا صليت بـ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (1)، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (2)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (3) (2) (3).

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)

قال مجاهد: ﴿وَضُحَاهَا﴾، أي: وضوؤها (4)، وقال قتادة: النهار كله (5)، قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله تعالى بالشمس، ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهر [هو] (6) النهار (7)، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾، أي: تبعها، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يتلو النهار (8)، وقال قتادة: ليلة الهلال، إذا سقطت الشمس رئي الهلال (9)، وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم تتلوه، وهو يتقدمها في

(1) سورة الأعلى، الآية: 1.

(2) سورة الليل، الآية: 1.

(3) هذا الحديث لم يسبق ذكره في المخطوط، ولعله سهو وقع فيه المؤلف؛ لأنه قد ذكر في تفسير ابن كثير في سورة الأعلى، صحيح البخاري، كتاب: الجماعة، والإيمان، باب: من شك إمامه إذا طوّل، حديث رقم: (673)، وفيه: "قلوا صليت".

(4) تفسير مجاهد: 762/2.

(5) ينظر: جامع البيان: 451/24.

(6) لا يصح السياق إلا بها، وهي ثابتة في تفسير ابن كثير: 410/8، جامع البيان: 451/24.

(7) ينظر جامع البيان: 451/24.

(8) المصدر نفسه: 452/24.

(9) المصدر نفسه.

النصف الآخر من الشهر⁽¹⁾، وقيل: هي ليلة القدر⁽²⁾، وقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾، قال مجاهد: أضاء⁽³⁾، وقال قتادة: إذا غشى النهار⁽⁴⁾ وقال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جَلَّى أو جَلَا الظلمة؛ لدلالة الكلام عليها⁽⁵⁾، وقال الشيخ - رحمه الله-: ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾، أي: البسيطة، لكان أولى، ولصح تأويله في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، فكان أجود، وأقوى، والله أعلم، ولهذا قال مجاهد: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾، كقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾⁽⁶⁾، وأما ابن جرير، فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس؛ لجريان ذكرها⁽⁸⁾، وقالوا في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، يعني: إذا يغشى الشمس، حتى تغيب، فيظلم الآفاق، وقال ابن ذي حمادة⁽⁹⁾: إذا جاء الليل، قال الرب - جل جلاله-: "غشي عبادي خلقي العظيم، فالليل مهابة، والذي خلقه أحق أن يهاب"، رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁰⁾ وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾، يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية، بمعنى: والسماء وبنائها، وهو قول قتادة⁽¹¹⁾، ويحتمل أن تكون بمعنى "مَنْ"، يعني: والسماء وبنائها، وهو قول مجاهد⁽¹²⁾، وكلاهما متلازم، والبناء هو الرفع، كقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾⁽¹³⁾، أي: بقوة، وهكذا، وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾، قال مجاهد: أي:

(1) جامع البيان: 452/24.

(2) هو قول مالك عن زيد بن أسلم، ولم أقف على هذا القول إلا في تفسير ابن كثير: 410/8.

(3) تفسير مجاهد: 762/2.

(4) جامع البيان: 452/24.

(5) ينظر: المصدر نفسه.

(6) سورة الليل، الآية: 2.

(7) تفسير ابن كثير: 410/8.

(8) جامع البيان: 452/24.

(9) هو زيد بن ذي حمادة، وابنه مالك، يحدث عن عائشة حديثاً مرسلأً، ينظر: أسد الغابة: 20/5.

(10) تفسير ابن أبي حاتم: 3436/10، حديث رقم: (19396).

(11) ينظر: جامع البيان: 453/24.

(12) ينظر: تفسير القرطبي: 74/20.

(13) سورة الذاريات، من الآية 47.

دحاها⁽¹⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي: وما خَلَقَ فيها⁽²⁾، وعنه أيضا: طحاها: قسمها⁽³⁾، وقال مجاهد، وغير واحد: طحاها، بسطها، وهو أكثر الأقوال، وعليه الأكثر⁽⁴⁾، قال الجوهرى: طحوته: مثل دحوته، أي: بسطته⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا﴾، أي: خلقها سوية، مستقيمة على الفطرة، القوية، كما في الصحيحين: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال، قال رسول الله - ﷺ -: "ما من مولود، إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِي لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ﴾⁽⁶⁾⁽⁷⁾"، وفي صحيح مسلم: أن رسول الله - ﷺ - قال: "يقول الله - ﷻ -: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم"⁽⁸⁾، وقوله: ﴿فَالْمَهْمَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، أي: فأرشدنا إلى فجورها، وتقواها، الذي قُدِّرَ لها، فقال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره، أي: بين لها الخير، والشر⁽⁹⁾، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها، وتقواها⁽¹⁰⁾، وعن عمران بن حصين قال: إن رجلا من مزينة، أو

(1) ينظر: تفسير مجاهد: 736/2.

(2) جامع البيان: 454/24.

(3) المصدر نفسه.

(4) وهو أيضاً عن: ابن زيد، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبي صالح، والضحاك، ينظر: المصدر نفسه، تفسير القرطبي: 74/20، الدر المنثور: 530/8.

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة: طحا، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة، (1987م).

(6) سورة الروم، من الآية: 30.

(7) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلّى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ حديث رقم: (1293)، صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار، وأطفال المسلمين، واللفظ للبخاري، أما قوله: ثم يقول الآية، يعني به: ابن مسعود، كما صرح به في الصحيحين.

(8) صحيح مسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، وأهل النار، حديث رقم: (2865)، واللفظ مختلف.

(9) وهو أيضاً عن: محمد بن كعب، والفراء، والكلبي، وأبي صالح، ينظر: جامع البيان: 454/24، معالم التنزيل: 438/8، تفسير القرطبي: 75/20.

(10) جامع البيان: 255/24.

جهينة، أتى رسول الله - ﷺ -، فقال يا رسول الله، أرأيت ما يَعْمَلُ الناس، وفيه يتكادحون؟ أشيء فُضِيَ عليهم، ومضى فيهم من قدر سبق أم شيء مما يستقبلون، مما آتاهم به نبيهم، وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: "بل شيء فُضِيَ عليهم"، قال: ففيم نعمل؟ قال: "من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين، يهيئه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾"، رواه أحمد⁽¹⁾، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾، يمكن أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنية، والرذائل، كما قال قتادة - رحمه الله -، وغيره⁽²⁾، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾، أي: أخلها، وخذلها، بإبائها عن الهدى، وركوبها المعاصي، وتركها طاعة الله، ويمكن أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب من خذله الله نفسه، كما نُقِلَ عن ابن عباس⁽³⁾، كما رُوِيَ: أن النبي - ﷺ - قال: "أفلحت نفس زكاهها الله، - ﷻ -"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها -: أنها فقدت النبي - ﷺ - من مضجعه، فلمسته بيدها، فوقعت عليه، وهو ساجد، وهو يقول: "رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاهها، أنت وليها ومولاها"، تفرد به أحمد⁽⁵⁾، وعن زيد بن أرقم⁽⁶⁾ - رضي الله عنه -: قال: كان رسول الله - ﷺ - يقول: "اللهم، إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والهزم، الجبن، والبخل، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها، أنت خير من زكاهها، أنت وليها، ومولاها، اللهم، إني أعوذ بك من قلب

(1) مسند أحمد: 438/4، حديث رقم: (19950)، قال شعيب الأرنؤوط: اسناده قوي، على شرط مسلم، واللفظ مختلف.

(2) وبنحوه عن: ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 456/24.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 457/24.

(4) تفسير ابن أبي حاتم: 3437/10، حديث رقم: (19346)، الفردوس بمأثور الخطاب: 211/3، حديث رقم:

(4600)، أبو شجاع شيرويه بن شهردار شيرويه الديلمي الهمداني، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار

الكتب العلمية، بيروت: (1986)م.

(5) مسند أحمد: 209/6، حديث رقم: (25798)، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(6) هو: زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن الخزرج، مُخْتَلَفٌ في كنيته، قيل: أبو عمر وقيل أبو عامر، أُسْتُصِرَ

يوم أحد، وأول مشاهدته الخندق، غزا مع النبي - ﷺ - سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، روى عن النبي

- ﷺ -، وعن علي، وروى عنه أبو الطفيل، وأبو عثمان النهدي، وطاوس، وغيرهم، توفي بالكوفة سنة:

(66هـ)، وقيل: (68هـ)، ينظر الإصابة: 589/2، الاستيعاب: 535/2.

لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها"، رواه أحمد، ومسلم⁽¹⁾.

﴿ كَذَبَتْ ثُمُودٌ بِطَغْوَنَهَا ﴿١١﴾ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾

أخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم؛ بسبب ما كانوا عليه من الطغيان، والبغي⁽²⁾، قال محمد بن كعب: ﴿بِطَغْوَنَهَا﴾، أي: بأجمعها⁽³⁾، والأول أولى، قاله مجاهد، وغيره، فأعقبهم ذلك تكديبا، في قلوبهم، بما جاءهم به رسولهم من الهدى، واليقين، ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾، أي: أشقى القبيلة، وهو فُدار بن سالف، عاقر الناقة، وهو أحيمر ثمود، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فَادُوا صَاحِبِهِمْ فَعَاتَىٰ فَعَقَرَهُ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿٣٠﴾﴾⁽⁴⁾، وكان هذا الرجل عزيزا، شريفا في قومه، نسيبا، رئيسا، مطاعا، كما في الصحيحين: عن عبد الله بن ربيعة -رضي الله عنه-⁽⁵⁾، قال: "خطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾، انبعث لها رجل عارم، عزيز، منيع في رهطه، مثل أبي زمعة⁽⁶⁾"⁽⁷⁾، وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعلي -رضي الله عنه-: "ألا أحدثك بأشقى الناس؟"، قال: بلى، قال:

(1) مسند أحمد: 371/4، حديث رقم: 19327، صحيح مسلم، كتاب: الذكر، والدعاء، والثوبة، والاستغفار، باب: التعوذ من شر ماعمل، ومن شر مالم يعمل، حديث رقم: (2722)، واللفظ لأحمد.

(2) وهو أيضاً عن: قتادة، وابن زيد، والحسن، ينظر: جامع البيان: 458/24.

(3) النكت والعيون: 285/6.

(4) سورة القمر، الآيتان: 29 - 30.

(5) هو: عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبدالمطلب، القرشي، الأسيدي، ابن أخت أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-، كان من أشرف قريش، وكان يأذن على النبي -صلى الله عليه وسلم-، روى عنه أبو بكر بن عبدالرحمن، وعروة بن الزبير، مات مقتولاً، وهو يدافع عن عثمان، يوم الدار، سنة (35هـ)، ينظر: الإصابة: 95/4، أسد الغابة: 248/3.

(6) هو: الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ويكنى أبا زمعة، كان وأصحابه يتغامزون بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وأصحابه، ويستهزؤون بهم، ويصفرون، ويصفقون، فدعا عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعمى، ويثكل ولده، مات، والناس يتجهزون لأخذه، وهو يُحَرِّضُ الكفار، ينظر: الكامل في التاريخ: 595/1.

(7) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الشمس، حديث رقم: (4658)، صحيح مسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم: (2855)، واللفظ لمسلم.

"رجلان: أحيمر ثمود، الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي، على هذا، يعني: قرنه، حتى تبتل منه هذه، يعني: لحيته"، رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ﴾، يعني: صالحاً - ~~العلي~~ - ﴿نَاقَةَ اللَّهِ ﷻ﴾، أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، ﴿وَسُقِيهَا ﷻ﴾، أي: لا تعتدوا عليها في سقياها، فإن لها شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم، قال الله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﷻ﴾، أي: فكذبوه، فيما جاءهم به، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة، التي أخرجها من الصخرة، آية لهم، وحجة عليهم، ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﷻ﴾، أي: غضب عليهم ربهم، فأهلكهم، ﴿فَسَوَّاهَا ﷻ﴾، أي: فجعل العقوبة نازلة عليهم، على السواء، قال قتادة - رحمه الله-: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة، حتى بايعه صغيرهم، وكبيرهم، ونكرهم، وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها، دمدم الله عليهم بذنبهم، فسواها⁽²⁾، وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ ﷻ﴾، وقرئ: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﷻ﴾⁽³⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغير واحد: أي لا يخاف الله من أحد تبعه⁽⁴⁾، وقال الضحاك، والسدي: أي: لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع⁽⁵⁾، والأول أولى؛ لدلالة السياق عليه.

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3438/10، حديث رقم: (19352)، المستدرک على الصحيحين: 151/3، حديث رقم: (4679) قال: هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، واللفظ لابن أبي حاتم.

(2) ينظر: جامع البيان: 460/24.

(3) قرأ نافع، وابن عامر: "فلا يخاف" (بالفاء)، وكذلك، هي في مصاحف أهل المدينة، والشام، وقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: "ولا يخاف" (بالواو)، وكذلك، هي في مصاحفهم، السبعة في القراءات: 689/1.

(4) ينظر: جامع البيان: 461/24.

(5) ينظر: المصدر نفسه.

تفسير سورة: والليل [الليل]

"وهي مكية"

قد سبق قوله - عليه الصلاة والسلام - لمعاذ: "هلا صليت ب ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (1)، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (2)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (3)".

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (1) ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (2) ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (3) ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقَى﴾ (4) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (5) ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (6) ﴿فَسُنَّسِرُهُ لِّلَّيْسَى﴾ (7) ﴿وَأَمَّا مَنْ يُجَلِّ وَأَسْتَفَى﴾ (8) ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ (9) ﴿فَسُنَّسِرُهُ لِّلْعُسَى﴾ (10) ﴿وَمَا يَعْزِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (11)

عن علقمة⁽⁴⁾: أنه قدم الشام، فدخل مسجد دمشق، فصلى فيه ركعتين، وقال: اللهم، ارزقني جليسا صالحا، فجلس إلى أبي الدرداء، فقال له أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (1) ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾؟ قال علقمة: والذكر، والأنثى، فقال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: لقد سمعتها من رسول الله - صلوات الله عليه -، فما زال هؤلاء، حتى شككوني، ثم قال: "ألم يكن فيكم صاحب الوساد، وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره، والذي أجير من الشيطان على لسان محمد - صلوات الله عليه -"، رواه أحمد⁽⁵⁾، يعني بهم: ابن مسعود، وحذيفة، وعمار بن ياسر، - رضي الله عنهم -، وفي البخاري: أنه قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم، فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قالوا: كلنا، قال: أيكم، أيكم، أحمظ؟

(1) سورة الأعلى، الآية: 1.

(2) سورة الشمس، الآية: 1.

(3) المخطوط نفسه، بداية سورة: الشمس.

(4) هو: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي، أبو شبل الكوفي، الفقيه، مخضرم، أدرك الجاهلية، والإسلام، ثقة، من أهل الخير، شهد صفين، وغزا خرسان، روى عن أبي بكر الصديق، وعمر، وابن مسعود، وغيرهم، وروى عنه عامر الشعبي، وأبو إسحاق السبيعي، وإبراهيم بن يزيد النخعي، وغيرهم، توفي سنة: (62هـ)، وهو المشهور، وقيل: غير ذلك، ينظر: الإصابة: 136/5، تهذيب التهذيب: 244/7.

(5) مسند أحمد: 449/6، حديث رقم: 27578، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، على شرط الشيخين.

فأشاروا إلى علقمة، فقال: كيف سمعته يقرأ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟ قال: والذَّكْرَ، والآنثَى، قال: أشهد أني سمعت رسول الله - ﷺ - يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدوني أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكْرَ وَالْآنثَى﴾، والله، لا أتابعهم"، ولمسلم نحوه⁽¹⁾، وهكذا، قراءة ابن مسعود، وأبي الدرداء، كما رفعه، وأما الجمهور، فقرأوا ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكْرَ وَالْآنثَى﴾، كما هو مثبت في المصحف، الإمام، العثماني، في المشهور في الآفاق، فأقسم تعالى بالليل، إذا يغشى، أي: إذا غشي الخليقة بظلامه، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾، أي: بضيائه، وإشراقه، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكْرَ وَالْآنثَى﴾، كقوله: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ ٨﴾⁽²⁾، وكقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَفْنَا زَوْجَيْنَ﴾⁽³⁾، قيل: ما مصدرية، أي: وخلق الذكر، والآنثى⁽⁴⁾، يعني: آدم، وحواء، ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة، كان المقسم عليه أيضا متضادا، كما قال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، أي: أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة، ومتخالفة أيضا، فَمِنْ فاعل خيرا، ومن (أ/556) فاعل شرا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، أي: ما أُمِرَ بإخراجه، ﴿وَأَتَّقَى﴾ الله في أموره، ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾، أي: بالمجازاة على ذلك، قاله قتادة⁽⁵⁾، وقيل: بالثواب⁽⁶⁾، وقال ابن عباس، وغيره: أي: بالخلف⁽⁷⁾، وقال الضحاك: أي: ب (لا إله إلا الله)⁽⁸⁾، وقال عكرمة: أي: بما أنعم الله عليه⁽⁹⁾، وقيل: أي: بالصلاة، والزكاة، والصوم⁽¹⁰⁾، وعن أبي بن كعب - ﷺ -: سألت رسول الله - ﷺ - عن الحسنى، قال: "الحسنى الجنة"، رواه ابن أبي حاتم⁽¹¹⁾، وفيه: أن سبق التقدير بالسعادة، والشقاوة، لا يقتضي

(1) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمّار، وحذيفة - رضي الله عنهما -، حديث رقم:

(3532)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: ما يتعلق بالقراءات، حديث رقم: (824).

(2) سورة النبأ، الآية: 8.

(3) سورة الذاريات، من الآية: 49.

(4) وهو مذهب قتادة، والزجاج، ينظر: زاد المسير: 9139.

(5) ينظر: جامع البيان: 470/24.

(6) وهو قول عن خصيف، النكت والعيون: 6288.

(7) وهو أيضا عن: عكرمة، وأبي صالح، ومجاهد، ينظر: جامع البيان: 469/24.

(8) النكت والعيون: 287/6.

(9) لم أقف عليه منسوبا لعكرمة، إلا عند ابن كثير: 417/8، وهو قول عن عطاء، النكت والعيون: 288/6.

(10) وهو قول عن زيد بن أسلم، النكت والعيون: 288/6.

(11) تفسير ابن أبي حاتم: 1044/3، حديث رقم: (5854).

ترك العمل، بل يقتضي الاجتهاد، والحرص، وقوله: ﴿فَسَيِّئَةٌ لِلْبُيُوتِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: أي: للخير، والجنة⁽¹⁾، وقال بعضهم: من ثواب الحسنة بالحسنة، ومن جزاء السيئة بالسيئة بعدها، ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾، أي: بما عنده ﴿وَأَسْتَعْنَى﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: أي: بخل بماله، واستغنى عن ربه (تعالى)⁽²⁾، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾، أي: بالجزاء في الآخرة، ﴿فَسَيِّئَةٌ لِلْبُيُوتِ﴾، أي: لطريق الشر، كما قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽³⁾، ونحوه من الآيات البيئات، فإنه (تعالى) يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، وفي الصحيحين: عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "ما منكم من أحد، إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة"، قالوا يا رسول الله: أفلا نتكل إلى كتابنا، وندع العمل، قال: "اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فسنيسه لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فسنيسه لعمل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾⁽⁴⁾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَيِّئَةٌ لِلْبُيُوتِ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسَيِّئَةٌ لِلْبُيُوتِ ﴿١٠﴾" ⁽⁴⁾، وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: يا رسول الله، أنعمل لأمر، قد فرغ منه، أو لأمر نستأنفه؟ فقال: "لأمر قد فرغ منه"، فقال سراقه⁽⁵⁾: ففيم العمل إذا؟ فقال رسول الله - ﷺ -: " كل عامل ميسر لعمله"، رواه مسلم⁽⁶⁾، وفي رواية لابن جرير: عن

(1) أما قوله: "للخير"، فهو عن ابن عباس، وأما قوله: "الجنة"، فهو عن زيد بن أسلم، ينظر: الدر المنثور: 535/8، النكت والعيون: 288/6.

(2) الدر المنثور: 535/8.

(3) سورة الأنعام، الآية: 110.

(4) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب سورة الليل، حديث رقم: (4666)، وفيه: "فيسر لعمل"، صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الأدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه، وأجله، وعملة، وشقاوته، وسعادته، حديث رقم: (2647)، واللفظ للبخاري.

(5) هو: سراقه بن مالك بن جعشم بن كنانة الكناني، المدلجي، يكنى أبا سفيان، صحابي، جليل أسلم يوم الفتح، وكان شاعراً، روى عنه ابن عباس، وجابر، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، توفي في خلافة عثمان، سنة: (24هـ)، وقيل: بعد عثمان، ينظر: الإصابة: 41/3، أسد الغابة: 395/2.

(6) صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الأدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه، وأجله، وعملة، وشقاوته، وسعادته، حديث رقم: (2648)، واللفظ مختلف.

بشير بن كعب العدوي قال: سأل غلامان شابان [عن] النبي ﷺ -، فقالا: يا رسول الله، أنعمل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أو في شيء يُسْتَأْنَفُ؟ فقال: "بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير"، قالوا: ففيم العمل إذا؟ قال: "اعملوا، فكل ميسر لعمله، الذي خُلِقَ له"، قالوا: نجد، ونعمل⁽²⁾، وقوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾، أي: إذا مات⁽³⁾، وتردى في النار، قاله مجاهد، وغيره⁽⁴⁾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۗ﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

قال قتادة - رحمه الله -: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾، أي: نبين الحلال، والحرام⁽⁵⁾، وقال غيره: من سلك طريق الهدى، وصل إلى الله، وجعله كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾⁽⁶⁾، حكاه ابن جرير⁽⁷⁾، وقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾، أي: الجميع ملكنا، وأنا المتصرف فيهما، وقوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾، أي: توهج، قاله مجاهد⁽⁸⁾ - رحمه الله -، وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ -، يخطب، يقول: "أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلا كان بالسوق، لسمعه من مقامى هذا، قال: حتى وقعت خميصة، كانت على عاتقه عند رجليه"، رواه أحمد⁽⁹⁾، وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ -: "إن أهون أهل النار عذابا، من له نعلان، وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم

(1) لعلها زائدة؛ لأن النص لا يستقيم بها.

(2) جامع البيان: 475،/24 وفيه: "فالآن نجد، ونعمل"، فتح الباري: 497/11، قال: سند صحيح.

(3) وهو قول عن: مجاهد، والحسن، ينظر: جامع البيان: 476/24، تفسير مجاهد: 765/2.

(4) وهو أيضاً عن: قتادة، وأبي صالح، وزيد بن أسلم، ينظر: جامع البيان: 476/24، تفسير القرطبي: 85/20.

(5) ينظر الدر المنثور: 537/8.

(6) سورة النحل، من الآية: 9.

(7) ينظر: جامع البيان: 477/24.

(8) تفسير مجاهد: 765/2.

(9) مسند أحمد: 272/4، حديث رقم: (18422)، وفيه تكرار لقوله: "أنذرتكم النار ثلاثاً"، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

عذاباً"، رواه مسلم، وللبخاري نحوه⁽¹⁾، وقوله: ﴿لَا يَصْلَهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾، أي: لا يدخلها دخولا، يحيط به من جميع جوانبه، إلا الأشقى، ثم فسره فقال: ﴿الَّذِي كَذَبَ﴾، أي: بقلبه، ﴿وَتَوَلَّى﴾، أي: عن العمل بجوارحه، وأركانها، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يدخل النار إلا شقي"، قيل: ومن الشقي؟ قال: "الذي لا يعمل بطاعة، ولا يترك لله معصية"، رواه أحمد⁽²⁾، وقوله: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾، أي: وسيزحج عن النار التقي الأتقى، ثم فسره بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾، أي: يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه، وماله، وما وهبه الله من دين، ودنيا، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، أي: ليس بذله في مكافأة من أسدى إليه معروفا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك، ﴿إِنبَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾، أي: طمعا في أن يحصل له رؤيته في (556/ب) الدار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، أي: ولسوف يرضى، لمن اتصف بهذه الصفات، وأكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وإن كان ظاهرها العموم، ولا شك أنه داخل فيها؛ لأنه مُقدم الأمة، وسابقهم في جميع هذه الأوصاف، فإنه كان صديقا، تقيا، كريما، جوادا، بذالا لأمواله، في طاعة مولاه، ونصرة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة، يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، أي: من يد يكافؤه عليها، ﴿إِلَّا ابْنَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾، أي: لكنه يفعل ذلك، طلبا لرضى الله تعالى، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، أي: ما يعطيه الله في الآخرة من الجنة، والكرامة، جزاء على ما فعله، وفي الصحيحين: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله، دعتة حَزَنَةً الجنة: يا عبد الله هذا خير"، فقال أبو بكر: يا رسول الله: ما على ما يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: "نعم، وأرجو أن تكون منهم"⁽³⁾.

(1) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أهون أهل النار عذاباً، حديث رقم: (213)، صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة، والنار، حديث رقم: (6194).

(2) مسند أحمد: 2/349، حديث رقم: (8578)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(3) صحيح البخاري، كتاب: الصوم، باب: الريان للصائمين، حديث رقم: (1798)، صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: من جمع الصدقة، وأعمال البر، حديث رقم: (1027)، واللفظ مختلف.

تفسير سورة: الضحى

"وهي مكية"

عن مجاهد أنه قرأ: ﴿وَالضُّحَى﴾، على ابن عباس - رضي الله عنهما -، فقال له: كبر، وأخبره أنه قرأ على أبي بن كعب، وأمره بذلك، وأخبره أنه قرأ على رسول الله - ﷺ -، فأمره بذلك⁽¹⁾، واختلفوا في موضع هذا التكبير، وكيفيته، فقال بعضهم: يكبر من آخر: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، وقال آخرون من آخر: ﴿وَالضُّحَى﴾، وكيفيته عند بعضهم: أن يقول: الله أكبر، فقط، ومنهم من يقول: الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر، وذكروا في مناسبة هذا التكبير هاهنا: أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله - ﷺ -، وفترا، تلك المدة، ثم جاء الملك، فأوحى إليه: والضحى، إلى تمام السورة، كبر فرحاً وسروراً⁽²⁾، والله أعلم.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَاللَّآخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤)
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ
عَابِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

في الصحيحين: عن جندب البجلي⁽³⁾ أنه قال (اشتكى النبي - ﷺ - فلم يقم ليلة، أو ليلتين، فأنت امرأة، وقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) (٤)، قيل هذه المرأة هي أم جميل⁽⁵⁾

(1) ينظر: ميزان الاعتدال: 145/1، قال الذهبي: حديث غريب، وهو مما أنكر على البيهقي، وقال أبو حاتم: حديث منكر.

(2) قال ابن كثير: لم يُرو ذلك بإسناد، يحكم عليه بصحة، ولا ضعف، تفسير ابن كثير: 423/8.

(3) هو: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، أبو عبد الله، وقد ينسب إلى جده، فيقال: جندب بن سفيان، صحابي، جليل، سكن الكوفة، ثم البصرة، ويقال له: جندب الخير، روى عن أبي بن كعب، وحذيفة، وروى عنه شهر بن حوشب، ومحمد، وأنس، ابنا سيرين، ينظر: الإصابة: 509/1، أسد الغابة: 545/1.

(4) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، وأول ما نزل، حديث رقم: (4698)، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد، والسير، باب: ما لقي النبي من أذى المشركين، والمنافقين، حديث رقم: (1997)، واللفظ للبخاري.

(5) هي: العوراء، أم جميل بنت حرب بن أمية، عمة معاوية بن أبي سفيان، كانت تحمل الشوك، وتطرحة في طريق النبي - ﷺ -، ينظر: الروض الأنف: 135/2، تاريخ مدينة دمشق: 172/67.

امراً أبي لهب، وعن عروة بن الزبير (1) قال: أبطأ جبريل على النبي - ﷺ -، فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة (2) - رضي الله عنها -: إني أرى ريك قد قلاك مما نرى من جزعك، قال فنزلت: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، إلى آخرها، رواه ابن جرير (3)، وهو حديث مرسل، ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا، أو قالتها على وجه التأسف، والتحزن والله أعلم، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما نزل على رسول الله - ﷺ - القرآن، أبطأ عنه جبريل أياما، فَعُيِّرَ بِذَلِكَ، فقال المشركون: ودعه ربه، وقلاه، فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (4)، وهذا قسم منه تعالى بالضحي، وما جُعِلَ فيه من الضياء، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، أي: سكن فأظلم، وأدلهم، قاله مجاهد - رحمه الله -، وغير واحد (5)، وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا، وهذا كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ (6)، وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾، أي: تركك ريك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾، أي: وما أبغضك، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾، أي: وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله - ﷺ - أزهّد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها طراحا، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: اضطجع رسول الله - ﷺ - على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ، جعلت أمسح جنبه، وقلت: يا رسول الله، ألا

(1) هو: عروة بن الزبير بن العوام بن قصي الأسدي، أبو عبدالله المدني، ثقة، كثير الحديث عالم، ثبت، مأمون، وكان رجلاً صالحاً، من التابعين، ولم يدخل في شيء من الفتن، قطعت رجله، ومات أحد أولاده، فكان صابراً، ولم يجزع، روى عن أبيه، وأخيه عبدالله، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وغيرهم، وروى عنه أولاده عبدالله، وعثمان، وهشام، ومحمد، ويحيى، وغيرهم، توفي سنة: (91 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 163/7.

(2) هي: خديجة بنت خويلد بنت أسد بن عبدالعزيز الأسديّة، تكنى أم هند، زوج النبي - ﷺ -، وأول من صدقت بيعته مطلقاً، كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، تزوجت قبل الرسول - ﷺ - مرتين، وتزوجها النبي - ﷺ - قبل البعثة بخمسة عشر سنة، على أغلب الأقوال، وكان جميع أولاده منها، إلا إبراهيم، وكانت سنداً للرسول، تثبته بكلامها، وتهون عليه ما يفعله به أعداء الإسلام، وكان النبي - ﷺ - يثني عليها كثيراً، ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: غير ذلك، ولم تكن الصلاة على الجنائز شرعت، ينظر: الإصابة: 604/7.

(3) ينظر: جامع البيان: 487/24، المستدرک على الصحيحين: 667/2، حديث رقم: (4214)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، واللفظ مختلف.

(4) ينظر: جامع البيان: 486/24.

(5) وهو أيضاً عن: قتادة، والضحاك، وابن زيد، وعكرمة، ينظر: المصدر نفسه: 484/24، تفسير القرطبي: 91/20.

(6) سورة الليل، الآيتان: 1 - 2.

أذنتنا، حتى نبسط لك على الحصير شيئاً، فقال رسول الله -ﷺ-: "مالي، وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا، كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح، وتركها"، رواه أحمد، والترمذي، وصححه⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، أي: في الآخرة، يعطيه، حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: عرض على رسول الله -ﷺ- ما هو مفتوح على أمته، من بعده، كنزاً كنزاً، فسُرَّ بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي من الأزواج، والخدم⁽²⁾، وقال مِنْ رِضَا مُحَمَّدٍ - عليه الصلاة والسلام -: أن لا يدخل أحد من آل بيته النار، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽³⁾، قال الحسن: يعني بذلك: الشفاعة، وهكذا، قال أبو جعفر الباقر⁽⁴⁾⁽⁵⁾، وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إنا أهل بيت، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾"⁽⁶⁾، ثم قال تعالى معددا نعمه على عبده، ورسوله محمد -ﷺ-: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، وذلك أن أباه توفي، وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن وُلِدَ - عليه الصلاة والسلام -⁽⁷⁾، ثم توفيت أمه، آمنة بنت وهب⁽⁸⁾، وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب⁽¹⁾،

(1) مسند أحمد: 1/391، حديث رقم: 3709، سنن الترمذي، باب: ما جاء في أخذ المال، حديث رقم: (2377)، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، واللفظ لأحمد.

(2) جامع البيان: 24/487، ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 10/3443، حديث رقم: (19374)، المستدرک للحاكم: 2/73، حديث رقم (3943)، قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، واللفظ مختلف.

(3) جامع البيان: 24/487، لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم.

(4) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة، كثير الحديث فقيه، وكان قد جمع بين العلم والعمل، وهو أحد الأئمة الاثني عشرية، الذين تُجَلِّهُمُ الشيعة الإمامية، وهو من فقهاء التابعين بالمدينة، روى عن أبيه، وجابر بن عبدالله، وابن عمر، وغيرهم، وروى عنه ابنه جعفر، والزهرري، وعمرو بن دينار، وغيرهم، توفي سنة: (114 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 9/311، سير أعلام النبلاء: 7/452.

(5) ينظر: الكشف والبيان: 10/224.

(6) سنن ابن ماجه، باب: خروج المهدي، حديث رقم: (4082)، ولم يذكر فيه الآية، المستدرک على الصحيحين: 4/511، حديث رقم: (8434)، سكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: هذا حديث موضوع.

(7) ينظر: سيرة ابن إسحاق: 1/22، نقل القولين، ولم يرجح أحدهما.

(8) هي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، كانت أفضل نساء قريش، نسباً في وقتها، قال ابن إسحاق: كانت آمنة أم الرسول -ﷺ-، تحدث أنها حين حملت محمداً، قيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، وإن آية ذلك أن يخرج معه نور، فإذا وقع فسميه: محمداً، توفيت بعد عام الفيل، بست سنوات، ينظر: سيرة ابن إسحاق: 1/19، الأعلام للزركلي: 1/26.

إلى أن توفي، وله من العمر ثماني سنين، فكفله عمه أبو طالب⁽²⁾، ثم لم يزل يحوطه، وينصره، ويوقره، ويكف عنه أذى قومه، بعد أن ابتعثه الله على أربعين سنة من عمره، هذا، وأبو طالب على دين قومه، من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله، وحسن تدبيره، إلى أن تُوفِّي أبو طالب، قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش، وجها لهم، فاختر الله له الهجرة، من بين أظهرهم، إلى بلد الأنصار، من الأوس، والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم، آووه، ونصروه، وحاطوه، وقاتلوا بين يديه، وكل هذا من حفظ الله له، وكلاءته، وعنايته به، وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾، قال الحسن، وغيره: يعني: ضالا من معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهذاك إليها⁽³⁾، وقيل المراد بهذا: أنه - عليه الصلاة والسلام - ضل في شعاب مكة، وهو صغير، ثم رجع⁽⁴⁾، وقيل: إنه ضل، وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبا ناقة، في الليل، فجاء إبليس، فعدل عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة، ذهب بها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق، حكى ذلك البغوي⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، أي: كنت فقيرا، ذا عيال، فأغناك الله عن سواه، فجمع بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر؛ صلوات الله وسلامه عليه، وقال قتادة: في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾، إلى ههنا، هذه منازل رسول الله -

(1) هو: عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب، ومقدميهم، كان عاقلاً، فصيح اللسان، أحبه قومه، ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية، والزفافة، قيل: اسمه شيبية، وعبدالمطلب لقب غلب عليه، توفي بعد عام الفيل، بثمانى سنوات، ينظر: تاريخ الأمم والملوك: 501/1، تأليف: محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1407هـ)، بلا (تح)، الأعلام للزركلي: 154/4.

(2) هو: أبو طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، الهاشمي، عم رسول الله - ﷺ -، شقيق أبيه، أمهما فاطمة بنت عمرو، المخزومية، اشتهر بكنيته، واسمه: عبد مناف على المشهور، وقيل: غير ذلك، كفل النبي - ﷺ - بعد عبد المطلب بوصاية منه، وقام بحماية الرسول، والدفاع عنه، بعد البعثة، ومات كافراً، في السنة العاشرة من البعثة، ينظر: الإصابة: 235.

(3) وهو قول عن: الضحاک وشهر بن حوشب، وابن كيسان، ينظر: الكشف والبيان: 226/10، معالم التنزيل: 456/8.

(4) وهو قول عن ابن عباس، ينظر: الكشف والبيان: 226/10، معالم التنزيل: 456/8.

(5) ينظر: معالم التنزيل: 456/8.

ﷺ-، قبل أن يبعثه الله - تعالى- رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽¹⁾، وفي الصحيحين: عن أبي هريرة -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ- "ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغني غني النفس"⁽²⁾، وقال - عليه الصلاة والسلام-: " قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه"، رواه مسلم⁽³⁾، ثم قال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، أي: كما كنت يتيماً، فأواك الله، فلا تقهر اليتيم، أي: لا تذله، ولا تقهره، ولا تهنه، ولكن أحسن إليه، وتلطف به، قال قتادة: كن لليتيم، كالأب الرحيم⁽⁴⁾، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، أي: وكما كنت ضالاً، فهداك الله، فلا تنهر السائل، في العلم المسترشد، أي: لا تزجره، إذا سألك، قال ابن إسحاق: أي: فلا تكن جباراً، متكبراً، ولا فحاشاً، ولا فظاً، على الضعفاء، من عباد الله⁽⁵⁾، وقال قتادة: يعني رد المسكين برحمة، ولين⁽⁶⁾، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أي: وكما كنت عائلاً، فقيراً، فأغناك الله، فَحَدِّثْ بنعمة الله عليك، كما جاء في الدعاء المأثور النبوي "واجعلنا شاكرين لنعمتك"⁽⁷⁾، وعن أبي نضرة⁽⁸⁾ قال: كان المسلمون يرون أن من شُكِرَ النعم، أن يحدث بها⁽⁹⁾، وعن أبي هريرة -ﷺ-: عن النبي -ﷺ- قال: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"، رواه أبو داود، والترمذي، وصححه⁽¹⁰⁾، وعن جابر -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من أُعْطِيَ

(1) جامع البيان: 488/24، ولم أقف عليه في تفسير ابن أبي حاتم.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الغني غني النفس، حديث رقم: (6081)، صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، ليس الغني عن كثرة العرض، حديث رقم: (1051).

(3) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: في الكفاف، والقناعة، حديث رقم: 1054.

(4) النكت والعيون: 295/6.

(5) سيرة ابن إسحاق: 116/2.

(6) ينظر: الدر المنثور: 545/8.

(7) سنن أبي داود، باب: التشهد، حديث رقم: (969)، قال الألباني: حديث صحيح.

(8) هو: المنذر بن مالك بن قطعة العبدي، أبو نظرة، ثقة، كثير الحديث، من فصحاء الناس، وكان عريفاً لقومه، روى عن علي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وأبي ذر الغفاري، وغيرهم، وروى عنه سليمان التيمي، وحميد الطويل، وقتادة، وغيرهم، توفي سنة: (108 هـ)، وقيل: (109 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 268/10، سير أعلام النبلاء: 96/8.

(9) جامع البيان: 289/24.

(10) سنن أبي داود، باب: في شكر المعروف، حديث رقم: (4811)، سنن الترمذي، باب: الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: (1954)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، واللفظ لأبي داود.

عطاء، فوجد، فليجز به، فإن لم يجد، فليئن [به]⁽¹⁾، فمن أثنَّ به، فقد شكره، ومن كتبه، فقد كفره"، رواه أبو داود⁽²⁾، وقال مجاهد: يعني: النبوة، التي أعطاك ربك، والقرآن أيضا⁽³⁾، وعن علي -عليه السلام- قال: ما عَلِمْتَ من خير فحدث إخوانك⁽⁴⁾، وقال محمد بن إسحاق: ما جاءك من الله من نعمة، وكرامة، من النبوة، فحدِّث بها، ودكِّرها، وأدعُ إليها، قال: فجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يذكر ما أنعم الله به عليه، من النبوة، سرا، إلى من يطمئن إليه من أهله، وأفتُرِصَتْ عليه الصلاة، فصلى⁽⁵⁾.

(1) ساقط من النص وهو ثابت عند أبي داود.

(2) سنن أبي داود، باب: في شكر المعروف، حديث رقم: (4813)، قال الألباني: حديث حسن، وفيه: " أثنى به".

(3) ينظر: الدر المنثور: 545/8.

(4) هذا القول عن الحسن بن علي، ولعله سهو وقع فيه المؤلف، أو الناسخ، ينظر: المصدر نفسه، تفسير ابن

كثير: 428/8

(5) ينظر: سيرة ابن اسحاق: 116/2.

سورة: ألم نشرح [الشرح]

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

أي إنا شرحنا لك صدرك، أي: نورناه، وجعلناه فسيحا، رحبا، واسعا، كقوله:

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾⁽¹⁾، وقيل: يعني شرح صدره ليلة المعراج، كما سبق في

حديث الإسراء⁽²⁾، وأيضا حين شق صدره، حالة الصبا، ولا منافاة، فإن من جملة شرح

صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء، وحالة صباه، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي،

وعن أنس -رضي الله عنه-: أن رسول الله -ﷺ- أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه

فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله

في طست، من ذهب، بماء زمزم، ثم لأمه، وأعادته في مكانه، وجاء الغلمان يسعون

إلى أمه، يعني: ظئرة⁽³⁾، فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه، وهو منتقع اللون، قال

أنس -رضي الله عنه-: فكنت أرى أثر المخيط في صدره، رواه مسلم⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ

وِزْرَكَ﴾، يعني: الذي ما سلف عنك في الجاهلية، كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ

وَمَا تَأَخَّرَ﴾⁽⁵⁾، وقيل: ذنوب أمتك، فأضافها إليه؛ لاشتغال قلبه بهم، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ

﴾، أي: أثقلت حملته، والإنقاض: الصوت⁽⁶⁾، يعني: أوهنه، حتى سُمِعَ له نقيض،

(1) سورة الزمر، من الآية: 22.

(2) ينظر: المخطوط نفسه، اللوحة: (520/أ).

(3) هي: العاطفة على غير ولدها، المرضعة له من الناس، والإبل: الذكر، والأنثى في ذلك سواء، ويقال للرجل: ظئر، وهو زوج المرضعة، ينظر: لسان العرب، مادة: ظأر.

(4) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله -ﷺ- إلى السماوات، وفرض الصلوات، حديث رقم: (162)، واللفظ مختلف.

(5) سورة الفتح، من الآية: 2.

(6) ينظر: لسان العرب، مادة: نقض.

أي: صوت، وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، قال مجاهد: يعني: لا تُذَكِّرُ، إلا ذُكِّرْتَ معي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله⁽¹⁾، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا، والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله⁽²⁾، وعن أبي سعيد -رضي الله عنه-: عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أتاني جبريل، فقال: إن ربي، وربك، يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذُكِّرْتُ، ذُكِّرْتَ معي"، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽³⁾، وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لما فرغت مما أمرني به من أمر السماوات، والأرض، قلت: يا رب، إنه لم يكن نبي قبلي، إلا وكرمته، جعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح، والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جعلت لي؟ قال: أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟ أن لا تُذَكَّرَ، إلا وذُكِّرْتَ معي، وجعلت صدور أمتك يقرؤون القرآن ظاهراً، ولم أعطها أمة، وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله" رواه أبو نعيم⁽⁴⁾ في دلائل النبوة⁽⁵⁾، وعن ابن عباس، ومجاهد، أن المراد بذلك: الأذان⁽⁶⁾، يعني: ذكره فيه، كما قال حسان بن ثابت -رضي الله عنه-:

(1) الدر المنثور: 548/8.

(2) المصدر نفسه.

(3) جامع البيان: 495/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3445/10، حديث رقم: (19393)، صحيح ابن حبان: 175/8، حديث رقم: (3382)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى، وإسناده حسن: 455/8، حديث رقم: (13922)، واستدل به ابن حجر بقوله: "وصححه ابن حبان"، ينظر: فتح الباري: 712/8، واللفظ لابن أبي حاتم.

(4) هو: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، أبو نعيم، الحافظ الصوفي، الجامع بين الفقه، والتصوف، له مؤلفات كثيرة منها: حلية الأولياء، ومعرفة الصحابة، ودلائل النبوة، وغيرها، روى عن أحمد بن محمد القصار، وأبي بن الهيثم الأنباري، وأبي علي بين الصواف، وغيرهم، وروى عنه أبو سعد المالبيزي، وأبو بكر الخطيب، وأبو بكر، محمد بن إبراهيم العطار، وغيرهم، توفي سنة: (430 هـ)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: 18/4، وفيات الأعيان: 91/1.

(5) لم أقف عليه في دلائل النبوة، وذكره ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: 369/9، وقال: هذا إسناد فيه غرابة؛ ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم البغوي، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه.

(6) ينظر: تفسير القرطبي: 106/20.

ألم تر أن الله أرسل عبده * * بيْرهانه والله أعلى وأمجـد
أغرّ عليه للنبوة خاتم * * من الله مشهور يلوّح ويشهد
وَضَمَّ الإله اسم النبي إلى اسمه * * إذا قال في الخمس المؤذن أشهدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ * * فَذُو العَرْشِ محمودٌ وهو مُحَمَّدُ
حكاة البغوي⁽¹⁾.

وقال آخرون: رفع الله له ذكره في الأولين، ونوه به، حتى أخذ الميثاق على جميع النبيين، أن يؤمنوا به، وأن يأمرُوا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره لأُمَّته، فلا يُذَكَّرُ اللهُ، إلا ذُكِرَ معه، ثم وعده تعالى اليسر، والرخاء بعد الشدة، فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾، أي: مع هذه الشدة التي أنت فيها، من معاناة المشركين، إيذاءهم إياك، يكون يسرٌ، ورخاء، بأن يُظهِرَكَ عليهم، فأكد هذا الخبر، وقال: ﴿إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾، تعظيمًا لذلك، وتحقيقًا للرجاء، وعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- جالسًا، وحياله جحر، فقال: "لو جاء العسر، فدخل هذا الجحر، لجاء اليسر، حتى يدخل عليه، فيخرجه، فأنزل الله: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾" (2)، رواه ابن أبي حاتم، وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- مثله موقوفًا، وعن الحسن قال: خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- يومًا، مسرورًا، فرحًا، وهو يضحك، وهو يقول: "لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين"، ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾ (3)، رواه ابن جرير، وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشر أصحابه بهذه الآية، فقال: "لن يغلب عسر يسرين"، يعني: أن العسر معرف في الحالين، فهو مفرد، واليسر منكر، فتعدد، فالعسر واحد، واليسر اثنان (4)، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "نزل المعونة من السماء، على

(1) ينظر: معالم التنزيل: 464/8، ديوان حسان بن ثابت: 42/1، ولم أقف على البيت الأول، إلا عند البغوي.
(2) تفسير ابن أبي حاتم: 3446/10، حديث رقم: (19395)، المستدرک على الصحيحين: 280/2، حديث رقم: (3010)، قال الذهبي: تفرد به حميد بن حماد، عن عائذ، وحميد منكر الحديث، كعائذ، مجمع الزوائد: 293/7، قال الهيثمي فيه: عائذ بن شريح، وهو ضعيف.
(3) جامع البيان: 495/24، المستدرک على الصحيحين: 575/2، حديث رقم: (3950)، قال الذهبي: مرسل.
(4) جامع البيان: 495/24، المستدرک على الصحيحين: 329/2، حديث رقم: (3176)، قال الحاكم: صحيح، على شرط مسلم.

قدر المؤونة، ونَزَلَ الصبر على قدر المصيبة"⁽¹⁾، قال الشافعي -رحمه الله-:

صَبِرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا * * مَن رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَن صَدَقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهِ أَدَى * * وَمَن رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا⁽²⁾

وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَّغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا، وأشغالها، وتقطعت علائقها، فانصب للعبادة، وقم إليها نشيطاً، فارغ البال، وأخلص لربك النية، والرغبة، وقال مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا، فقامت إلى الصلاة، فانصب إلى ربك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة، يُعْطِكَ⁽³⁾ وقال زيد بن أسلم، والضحاك: إذا فرغت من الجهاد، فانصب في عبادة ربك⁽⁴⁾، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾، قال الثوري⁽⁵⁾: أي: اجعل نيتك، ورغبتك إلى الله، في جميع أحوالك⁽⁶⁾.

(أ/558)

(1) كشف الأستار عن زوائد البزار: 195/2، حديث رقم: (1506)، الجامع الصغير، وزيادته: 532/1، حديث رقم: (5312)، قال الألباني: حديث صحيح، واللفظ مختلف.

(2) ديوان الإمام الشافعي: 30/1.

(3) ينظر: تفسير مجاهد: 768/2.

(4) هذا القول عن الحسن، وزيد بن أسلم، ولم أقف على من ينسبه للضحاك، إلا ابن كثير، ينظر: معالم التنزيل: 466/8، الدر المنثور: 552/8.

(5) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، ثقة، فقيه، محدث، زاهد، روى عن أبيه، وأبي إسحاق الشيباني، وأبي إسحاق السبيعي، وغيرهم، وروى عنه الأوزاعي، وابن إسحاق، وابن المبارك، وغيرهم، توفي سنة: (161 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 102/4.

(6) ينظر: جامع البيان: 497/24.

تفسير سورة: والتين [التين]

"وهي مكية"

عن البراء بن عازب - رضي عنه - قال: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر، فقرأ في إحدى الركعتين: بالتين والزيتون، فما سمعت أحدا أحسن صوتا، وقراءة منه"، رواه الجماعة في كتبهم (1).

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

اختلفوا ههنا على أقوال كثيرة، قيل: المراد بالتين: مسجد دمشق (2)، وقيل: هي نفسها (3)، وقيل: الجبل الذي عندها (4)، وقيل: هو مسجد أصحاب الكهف (5)، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه مسجد نوح - عليه السلام -، الذي هو على الجودي (6)، وقال مجاهد: هو تينكم هذا (7)، ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾، قال قتادة، وغيره: هو مسجد بيت المقدس (8)، وقيل: هو الزيتون، الذي يُعَصَّر، ويؤكَل (9)، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، قال كعب

(1) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير: سورة التين، حديث رقم: (4669)، صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في العشاء، حديث رقم: (464)، سنن ابن ماجه، باب: القراءة في صلاة العشاء، حديث رقم: (834)، (835)، سنن أبي داود، باب: قصر قراءة الصلاة في السفر، حديث رقم: (1221)، سنن الترمذي، باب: القراءة في صلاة العشاء، حديث رقم: (310)، سنن النسائي الكبرى، باب: تفسير: سورة التين، حديث رقم: (11682)، واللفظ للبخاري.

(2) وهو قول كعب، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 502/24.

(3) وهو قول عن: قتادة، وعكرمة، وابن زيد، وكعب، بنظر: تفسير القرطبي: 111/20.

(4) وهو قول عن: قتادة، ينظر: جامع البيان: 502/24.

(5) وهو قول محمد بن كعب، ينظر: تفسير القرطبي: 111/20.

(6) ينظر: جامع البيان: 503/24.

(7) ينظر: تفسير مجاهد: 769/2.

(8) وهو أيضاً عن: ابن عباس، وكعب الأحمار، وابن زيد، وعكرمة، والضحاك، ينظر: تفسير القرطبي: 110/20.

(9) وهو قول عن: ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح، وجابر بن زيد، ومقاتل، والكلبي، ينظر: المصدر نفسه.

الأخبار - رضي الله عنه -، وغير واحد: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى - عليه السلام - (1) ﴿وَهَذَا الْبَلَدَ الْأَمِينَ﴾، يعني: مكة، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد (2)، وقال بعضهم: هذه وَمَحَالٌّ؛ لأنه بعث الله في كل واحد منها نبيا، مرسلا من أولي العزم، أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محله التين، والزيتون، وهي بيت المقدس، التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم - عليه السلام -، والثاني طور سيناء، وهو الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - عليه السلام -، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين، الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أُرْسِلَ فيه محمد - صلوات الله عليه -، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة، جاء الله من طور سيناء، يعني: الذي كلم الله عليه موسى - عليه السلام -، وأشرق من ساعير، يعني: جبل بيت المقدس، الذي منه عيسى - عليه السلام -، واستعلن من جبال فاران، يعني: جبال مكة، التي أرسل الله نبيها محمدا - صلوات الله عليه -، فدكّرهم، مخبرا عنهم على الترتيب الوجودي، بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف ثم الأشرف، وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سوي الأعضاء، حسنها، ﴿ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾، أي: إلى النار، قاله مجاهد، وغير واحد (3)، أي: ثم بعد هذا الحُسنِ، والنَّصَارَةَ مصيره إلى النار، إن لم يطع الله، ولم يتبع الرسل، ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وقيل: "ثم رددناه"، إلى أُرْدَلِ العَمْر (4)، وقال عكرمة: ليس المراد: هذا، ووافقه ابن جرير، فإنه لو كان المراد: هذا، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد: ما ذكرناه (5)،

(1) وهو أيضاً عن: قتادة، وأبي عبد الله الفارسي، وابن عباس، ينظر: جامع البيان: 503/24، الدر المنثور: 554/8.

(2) وهو أيضاً عن: قتادة، وأبي عبد الله الفارسي، ومحمد بن كعب، ومجاهد، وعكرمة، وكعب الأخبار، والحسن، وابن زيد، وإبراهيم النخعي، ينظر: جامع البيان: 505/24، الدر المنثور: 554/8.

(3) وهو أيضاً عن: قتادة، والحسن وابن زيد، وأبي العالية، وابن عباس، ينظر: جامع البيان: 509/4، الدر المنثور: 555/8.

(4) وهو قول عن: ابن عباس، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، وأبي رجاء، وقاتادة، والضحاك، والكلبي، ينظر: جامع البيان: 508/24، تفسير القرطبي: 115/20، الدر المنثور: 554/8.

(5) ينظر: جامع البيان: 513/24.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، أي: غير مقطوع كما سبق، ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾، يعني: ابن آدم، ﴿بَعْدُ بِالْذِّينِ﴾، أي: بالجزاء في المعاد، وقد عُلِمَتِ البدأة، وعُرِفَتْ أن من قدر على البدأة، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمعاد، وقد عرفت هذا، وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾، أي: أما هو أحكم الحاكمين، الذي لا يجور ولا يظلم أحدا؟ ومن عدله أن يقيم القيامة، فينصف المظلوم في الدنيا، ممن ظلمه، وقد سبق في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا: "فإذا قرأ أحدكم: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾، فأتى على آخرها: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين" (1).

(1) سبق تخريجه في نهاية سورة: القيامة، 125.

تفسير سورة: اقرأ [العلق]

وهي أول شيء نزل من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ

الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

في الصحيحين وفي مسند أحمد: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أول ما بُدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا، إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يأتى حراء، فيتحنث، وهو: التعبد الليلي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ قال رسول الله - ﷺ - (558/ب) فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة، حتى بلغ مني الجهد، فأرسلني، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، قال: فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت علي، فقالت: كلا، أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرئ الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي⁽¹⁾، وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، ويكتب بالعبرانية، من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا، قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي، ما ترى؟ فأخبره رسول الله - ﷺ - ما أرى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني، أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول

(1) ينظر: الإصابة: 607/6.

الله - ﷺ -: أومخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل، قط، بما جئت به، إلا عودي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله - ﷺ - فيما بلغنا، غداً منه مراراً، كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فلما أوفى بذروة جبل، كي يُلقِي نفسه منه، تبدا جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً، فيسكن بذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي، غداً لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل، تبداً له جبريل، فقال: له مثل ذلك (1).

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريّات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقته، وإن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه، وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البشر آدم - عليه السلام -، على الملائكة، والعلم تارة: يكون في الأذهان، وتارة: يكون باللسان، وتارة: يكون في الكتابة بالبنان، وهو لفظي، ورسمي، فالرسمي: يستلزمها من غير عكس، فلهذا قال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾، وفي الأثر: قيّدوا العلم بالكتابة، وفيه أيضاً: "من عمل بما علم، أورثه الله ما لم يكن يعلم" (2).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ⑥ أَن رَّأَاهُ اسْتَعْجَلَنِي ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ⑩ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑯ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑰ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑱ كَلَّا لَا نُطِئُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ⑲﴾

أخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح، وبطر، وأشر، وطغيان، إذا رأى نفسه

(1) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -، حديث رقم: (3)، وكتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: العلق، حديث رقم: (4670)، وكتاب: التعبير، باب: أول ما بُدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصادقة، حديث رقم: (6581)، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -، حديث رقم: (160)، مسند أحمد: 232/6، حديث رقم: (26001).

(2) سلسلة الأحاديث الضعيفة: 611/1، حديث رقم: (422)، قال الألباني: حديث موضوع، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء: 15/10، قال أبو نعيم: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى بن مريم، فَوَهَمَ الرواة أنه ذكره عن النبي - ﷺ -، فوضع هذا الإسناد عليه؛ لسهولته، وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل، واللفظ مختلف.

إن أكثر ماله، واستغنى، ثم هدد عليه، ووعظه، فقال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا رُجُوعُ﴾، أي: إلى الله المصير، والمرجع وسيحاسبه على ماله، من أين جمعه؟ وفيه صرفه؟ قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "منهومان لا يشبعان، صاحب العلم، وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم، فيزداد رضا الرحمن، وأما صاحب الدنيا، فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦) ﴿أَن رَّأَاهُ اسْتَعْتَضَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (1)، رواه الدارمي (2)، وابن أبي حاتم (3)، وقد روى البيهقي هذا مرفوعاً إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "منهومان لا يشبعان، منهوم في العلم، لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا، لا يشبع منها" (4) ثم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾، نزلت في أبي جهل لعنه الله؛ كان توعده النبي -صلى الله عليه وسلم- على الصلاة عند البيت، فوعظه تعالى بالتالي هي أحسن أولاً، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾، أي فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيم في فعله؟ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، أي: بالإخلاص، والتوحيد، بذل زجره عن الصلاة، والوعيد، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾، أي: أما علم هذا الناهي، لهذا المهتدي، أن الله يراه، ويسمع كلامه، وسيجزيه عليه، ثم قال متوعداً، ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَنْ نُرْجِيَنَّكَ﴾، أي: لئن، لم يرجع عما هو فيه، من الشقاق، والعناد، ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، أي: لناخذن بناصيته فليجرته إلى النار يوم القيامة، يقال: سَفَعْتُ بالشيء، إذا

(أ/559)

(1) سورة فاطر، من الآية: 28.

(2) هو عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي، أبو محمد السمرقندي، الحافظ، صاحب المسند، ثقة، وكان مفسراً، وقيهاً، له تصانيف منها المسند، والتفسير، وكتاب الجامع، وغيرها، روى عن النظر بن شميل، وحبان بن هلال، وأبي علي الحنفي، وغيرهم، روى عنه مسلم، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم، توفي سنة: (255 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 258/5، تنكرة الحفاظ: 90/2.

(3) سنن الدارمي: 108/1، حديث رقم: (832)، باب: فضل العلم، والعالم، قال: إسناده منقطع، وهو مرسل، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن، أبو محمد الدارمي، تح: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، (1407 هـ)، والأحاديث منيلاً بأحكام حسين سليم أسد عليها، ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3451/10، حديث رقم: (19420)، واللفظ مختلف.

(4) لم أقف عليه عند البيهقي، ولكن رواه الحاكم في المستدرک مرفوعاً، وقال: هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولم أجد له علة، ينظر: المستدرک: 169/1، حديث رقم: (312)، واللفظ مختلف.

أخذته⁽¹⁾، ثم قال على سبيل البذل تأكيدا: ﴿ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾، يعني: ناصية أبي جهل، كاذبة في مقالها، خاطئة في فعالها، ﴿ فَلَيدِعُ نَادِيَهُ ﴾، أي: قومه، وعشيرته، فليستصر بهم، ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾، وهم ملائكة العذاب، حتى نعلم من يغلب أحزينا أم حزبه؟

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال أبو جهل: لئن، رأيت محمدا يصلي عند الكعبة، لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فقال: "لئن، فعله، لأخذته الملائكة"، رواه البخاري⁽²⁾، وفي مسند أحمد: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - ﷺ - يصلي عند المقام، فمر به أبو جهل، فقال: يا محمد، ألم أنك عن هذا؟ وتوعده، فأغظ له رسول الله - ﷺ -، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما، والله، إني أكثر أهل الوادي ناديا، فأنزل الله: ﴿ فَلَيدِعُ نَادِيَهُ ﴾^(١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لو دعا نادية، لأخذته ملائكة العذاب، من ساعته، ورواه الترمذي، وصححه⁽³⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، فقال: واللات، والعزى، لئن رأيته يصلي كذلك، لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله - ﷺ -، وهو يصلي؛ ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه، إلا وهو ينكص على عقبه، ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني، وبينه، خندقا من نار، وهؤلاء، وأجنحة، قال: فقال رسول الله - ﷺ -: "لو دنا مني، لاختطفته الملائكة، عُضْوًا عُضْوًا"، رواه أحمد، ومسلم⁽⁴⁾، وقوله: ﴿ كَلَّا لَا تُطَعُّمُهُ ﴾، فيما ينهك عنه من المداومة

(1) ينظر: لسان العرب، مادة: سفع، 156/8.

(2) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: العلق، حديث رقم: (4675)، وفيه: لو فعله.

(3) مسند أحمد: 256/1، حديث رقم: (2321)، سنن الترمذي، باب: سورة: اقرأ باسم ربك، حديث رقم: (3349)، قال أبو عيسى: حديث حسن، غريب، صحيح، واللفظ مختلف.

(4) مسند أحمد: 370/2، حديث رقم: (8817)، صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين، وأحكامهم، باب: قوله:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾^(٦) أَنْزَلَهُ اسْتَعْتَابَ، حديث رقم: (2797)، واختلاف الألفاظ في القصة، أما قول الرسول

- ﷺ -، فموافق.

على العبادة، وصلّ حيث شئت، ولا تباله، فإن الله حافظك، وناصرك، وهو معك، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾، قد روى أبو هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء"⁽¹⁾، رواه مسلم، وقد سبق: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يسجد في: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾⁽²⁾، و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽³⁾، والله أعلم .

(1) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع، والسجود، حديث رقم: (482).

(2) سورة الانشقاق، الآية: 1.

(3) سبق تخريجه في مقدمة تفسير سورة: الانشقاق، ص 196.

تفسير سورة: القدر

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

أخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾⁽¹⁾، وهي ليلة القدر من شهر رمضان، كما قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾⁽²⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: أنزل القرآن جملة واحدة، من اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة، من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً، بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة، على رسول الله - ﷺ -⁽³⁾، ثم قال تعالى معظماً لشأن [ليلة]⁽⁴⁾ القدر، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾، وعن مجاهد: (أن النبي - ﷺ - ذكر: رجلاً من بني إسرائيل، لبس السلاح في سبيل الله، ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك، فأنزل الله ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾⁽⁵⁾، أي: التي تُعَادِلُ مدة لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله، وهي: ألف شهر، وروى ابن جرير: أن مجاهداً قال: كان في بني إسرائيل رجل، يقوم الليل، حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار، حتى يُمَسِّي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية، ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾، قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل⁽⁶⁾،

(1) سورة الدخان، من الآية: 3.

(2) سورة البقرة، من الآية: 185.

(3) وهو أيضاً عن: عكرمة، والشعبي، وسعيد بن جبیر، وقتادة، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 531/24، تفسير القرطبي: 126/16.

(4) زيادة يقتضيتها السياق.

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 3452/10، حديث رقم: (19224)، السنن الكبرى للبيهقي: 306/4، حديث رقم: (8305)، وقال: هذا حديث مرسل.

(6) جامع البيان: 533/24.

وقال: ليس في تلك الشهور ليلة القدر، هكذا، قاله قتادة، والشافعي - رحمهما الله -، وغير واحد، وهو اختيار ابن جرير⁽¹⁾، وهو الصواب، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما حضر رمضان، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، مَنْ حُرِمَ خيرها، فقد حُرِمَ"، رواه النسائي⁽²⁾، ولما كانت ليلة القدر، تعدل عبادتها عبادة في ألف شهر، ثبت في الصحيحين: عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من قام ليلة القدر، إيماناً، واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه"⁽³⁾، وقوله: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾، أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة؛ لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل [الملائكة]⁽⁴⁾ والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم، رضا لطالب العلم، تعظيماً له، وأما الروح، فقيل: المراد به ههنا: جبريل - عليه السلام -، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وقيل: هم نوع من الملائكة، كما سبق في سورة النبأ⁽⁵⁾، ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ قال قتادة، وغيره: تُقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال، والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾⁽⁶⁾⁽⁷⁾، وقوله: ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾، قال مجاهد: أي: سلام من كل أمر، وهي سالمة، لا يستطيع

(1) وهو أيضاً عن: مجاهد، وغيره، ينظر: جامع البيان: 534/24، الدر المنثور: 569/8، ولم أقف على هذا القول منسوباً للشافعي، إلا عند ابن كثير، في تفسيره: 443/8.

(2) سنن النسائي الكبرى، باب: ذكر الاختلاف علي معمر في هذا الحديث، حديث رقم: (2416)، مسند أحمد: 230/2، حديث رقم: (7148)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله رجال الشيخين، وأبو قلابة، روايته عن أبي هريرة مرسلة، واللفظ لأحمد.

(3) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: قيام ليلة القدر من القيام، حديث رقم: (35)، كتاب: الصوم، باب: من صام رمضان، إيماناً، واحتساباً ونية، حديث رقم: (1802)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، حديث رقم: (760).

(4) في المخطوط: الملائكة، وهذا لا يستقيم، والصواب: البركة، كما في تفسير ابن كثير: 444/8.

(5) ينظر: تفسير: سورة النبأ.

(6) سورة الدخان، الآية: 4.

(7) وهو أيضاً عن: ابن عباس، ومقاتل، ينظر: جامع البيان: 534/24، تفسير القرطبي: 133/20، تفسير مقاتل: 503/3.

الشیطان التصرف فيها⁽¹⁾، وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر، على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر، وحصول البركة⁽²⁾، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "في ليلة القدر إنها ليلة سابعة، أو تسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى"، رواه أبو داود الطيالسي⁽³⁾، وقال قتادة، وابن زيد: ﴿سَلَّمُ هِيَ﴾، يعني: هي خيرٌ كلها، ليس فيها شر، إلى مطلع الفجر⁽⁴⁾، كما روى عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن، ابتغاء حسبتهن، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وهي ليلة وتر تسع، أو سبع، أو خمس، أو ثلاثة، أو آخر ليلة"، رواه أحمد مع ما بعده، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن أمارة ليلة القدر، أنها صافية بلجة، كأن فيها قمرا ساطعا، ساكنة ساجية، لا برد فيها، ولا حر، ولا يحل لكوكب يرمى بها، حتى تصبح، وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها، تخرج مستوية، ليس لها شعاع، مثل القمر، ليلة البدر، ولا يحل للشیطان أن يخرج معها يومئذ"⁽⁵⁾، هذا حديث غريب المتن، وفي بعض ألفاظه نكارة، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في ليلة القدر: "ليلة سمحة، طلقة، لا حارة، ولا باردة، وتصبح شمسها صبيحتها ضعيفة، حمراء"، رواه الطيالسي⁽⁶⁾.

فصل:

اختلفوا هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أم هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين:

-
- (1) ينظر: الدر المنثور: 570/8.
 - (2) ينظر: معالم التنزيل: 491/8.
 - (3) مسند أبي داود الطيالسي: 277/4، حديث رقم: (2668)، قال الألباني: حديث حسن، ينظر: السلسلة الصحيحة: 204/5، حديث رقم: (2205).
 - (4) ينظر: جامع البيان: 535/24.
 - (5) مسند أحمد: 324/5، حديث رقم: (22817)، قال شعيب الأرنؤوط: الشطر الأول من الحديث حسن، وأما الشطر الثاني فمحتمل للتحسين؛ لشواهد، وإسناد هذا الحديث ضعيف.
 - (6) مسند أبي داود الطيالسي: 401/4، حديث رقم: (2802)، الجامع الصغير، وزيادته: (961/1) حديث رقم: (9606)، قال الألباني: حديث صحيح.

عن مالك: أنه بلغه أن رسول الله - ﷺ - أُرِيَ أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته، أن لا يبلغوا من العمل، الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر، خيراً من ألف شهر⁽¹⁾، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وقد نقله صاحب العُدَّة⁽²⁾، أحد أئمة الشافعية عن الجمهور، وحكى الخطابي⁽³⁾ عليه الإجماع، والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضية، كما هي في أمتنا، ما في مسند أحمد: أن مرثد بن عبد الله⁽⁴⁾ قال: سألت أبا زر، قلت: كيف سألت رسول الله - ﷺ - عن ليلة القدر؟ قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: "بل هي في رمضان"، قلت: أكان مع الأنبياء ما كانوا، فإذا فُبِضُوا رُفِعَتْ؟ أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: "بل هي إلى يوم القيامة"، قلت: في أي رمضان هي؟ قال: "التمسوها في العشر الأول، والعشر الأواخر"، ثم حدث رسول الله - ﷺ -، ثم اهتبلت غفلته، قلت: في أي: العَشْرَيْنِ هي؟ قال: "ابتغوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها"، ثم حدث رسول الله - ﷺ -، ثم أهبلت غفلته، فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك، بحقي عليك، لَمَا أَخْبَرْتَنِي فِي أَيِّ الْعَشْرِ هِيَ؟ فغضب علي غضباً، لم يغضب مثله، قبل صحبتته، وقال: التمسوها في السبع الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها"، رواه النسائي⁽⁵⁾، وفي الحديث دلالة على ما ذكرناه، وأنها تكون باقية إلى يوم القيامة، في كل

(1) ينظر: موطأ الإمام مالك: 321/1، حديث رقم: (698)، تأليف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، بلا (ط)، وهو رواية يحيى الليثي.

(2) ينظر: فتح الباري: 263/4.

(3) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، الحافظ الإمام، أبو سليمان الخطابي، البستي، من سلالة زيد بن الخطاب، أخذ الفقه على المذهب الشافعي، وله تصانيف منها: غريب الحديث، وشرح الأسماء الحسنى، وكتاب العزلة، وغيرها، روى عن أبي سعيد الأعرابي، وإسماعيل بن محمد الصغار، وأبي العباس الأصم، وغيرهم، وروى عنه أبو عبدالله الحاكم، وأبو حامد الإسرافي، وأبو زر، عبد بن أحمد، وغيرهم، توفي سنة: (388 هـ)، ينظر: طبقات الشافعية: 282/3، سير أعلام النبلاء: 14/33.

(4) هو: مرثد بن عبدالله اليزني، أبو الخير، المصري، الفقيه، تابعي ثقة، وله فضل، وعبادة، كان مفتي أهل مصر في زمانه، روى عن عقبة بن عامر الجهني، وعمرو بن العاص، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهم، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب، وجعفر بن ربيعة، وكعب بن علقمة، توفي سنة: (90 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 74/10.

(5) مسند أحمد: 171/5، حديث رقم: (21538)، سنن النسائي، باب: ليلة القدر في رمضان، حديث رقم: (3427)، حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرج المستدرک على الصحيحين: 603/1، حديث رقم: (1596)، واللفظ مختلف، وفيها: عن أبي مرثد.

سنة بعد النبي ﷺ؛ للأحاديث الصحيحة في ذلك، لا كما زعمه بعض الشيعة الضالة، من رفعها بالكلية، على ما فهموه من الحديث، من قوله -عليه الصلاة والسلام-: "فُرِفِعَتْ، وعسى أن يكون خيراً لكم"⁽¹⁾؛ لأن المراد: رفع علم وقتها عينا، وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص بوقوعها شهر رمضان، من بين سائر الشهور، لا كما قال بعض أهل الكوفة: من أنها توجد في جميع السنّة، وتُرَجَى في جميع الشهور، على السواء، كما رُوِيَ عن ابن مسعود -رضي الله عنه-⁽²⁾، وقد روى ابن عمر - رضي الله عنهما-: (560/أ) أنه سئل رسول الله ﷺ -، (وأنا أسمع)، عن ليلة القدر، قال: "هي في كل رمضان"، رواه أبو داود⁽³⁾، وقد حُكِيَ عن أبي حنيفة⁽⁴⁾ رِوَايَةً: أنها ترجى في جميع شهر رمضان⁽⁵⁾، وهو وجه حكاة الغزالي⁽⁶⁾، واستغربه الرافعي⁽⁷⁾ جدا⁽⁸⁾، ثم قد قيل: إنها تكون في أول ليلة من رمضان، يحكى هذا عن أبي رزين⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾، وقيل: إنها تقع ليلة سبع

(1) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يُخَبَّط عمله، وهو لا يشعر، حديث رقم: (49).

(2) ينظر: تفسير القرطبي: 135/20.

(3) سنن أبي داود، باب: من قال: "هي في كل رمضان"، حديث رقم: (1387)، قال أبو داود: هو موقوف عن ابن عمر.

(4) هو: أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، تابعي، جليل، الإمام الفقيه، كان يقوم الليل، فيصلّي العشاء، والفجر، بوضوء واحد، وكان خزاناً، يبيع الخبز، روى عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة، وعمر بن دينار، وغيرهم، وروى عنه الحارث بن نبهان، وداود الطائي، وعبدالله بن المبارك، وغيرهم، توفي شهيداً سنة: (150 هـ)، ينظر: الجواهر المُضَيِّة في طبقات الحنفية: 26/1، تأليف: عبدالقادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، أبو محمد، بلا (تح، ط)، سير أعلام النبلاء: 474/11.

(5) ينظر: المبسوط للسرخسي: 231/3.

(6) هو: محمد بن محمد بن محمد زين الدين، أبو حامد الطوسي، الغزالي، حجة الإسلام، برع في الفقه، ومهر في الكلام، والجدل، حتى صار عَيْنَ المناظرين، متصوف، تولى تدريس نظامية بغداد، وكان يقع منه خلل من جهة النحو، أثناء كلامه، وقد ألف كتاباً في ذم الفلاسفة، وهو كتاب: التهافت، وكشف عوارهم، وكانت له أخطاء، ومآخذ، والظاهر: أنه رجع عنها، فإن الرجل من بحور العلم، والله أعلم، وله مؤلفات منها: بداية الهداية، والمنقذ من الضلال، وتهافت الفلاسفة، توفي سنة: (505 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 302/37.

(7) هو: عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الفضل القزويني، أبو القاسم الرافعي، كان متضلعا في علوم الشريعة، تفسيراً، وحديثاً، وأصولاً، كان من الصالحين، وكانت له كرامات، له مؤلفات منها: شرح مسند الشافعي، والعزير في شرح الوجيز، والشرح الصغير، وغيرها، روى عن أبيه، وأبي حامد عبدالله بن أبي الفتوح، والحافظ (أبو العلاء)، الحسن بن أحمد العطار، وغيرهم، وروى عنه الحافظ، عبدالعظيم المنذري، وغيره، توفي سنة: (623 هـ)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: 281/8.

(8) ينظر: فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير): 479/6، تأليف: عبدالكريم بن محمد الرافعي، القزويني، وهو شرح لكتاب: الوجيز في الفقه الشافعي، لأبي حامد الغزالي، بلا: (تح، ط).

(9) معالم التنزيل: 486/8.

(10) هو: لُقَيْط بن عامر بن المنتق بن عامر العامري، أبو رزين العجلي، وafd بني المنتق، صحابي، جليل، والراجح أنه غير لقيط بن صدرة، روى عن النبي ﷺ -، وروى عنه ابن أخيه، وكيع بن عدس، وعبدالله بن حاجب، والبعوي، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 686/5، أسد الغابة: 548/4.

عشرة، روى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً، عن ابن مسعود -رضي الله عنه-⁽¹⁾، ورؤي موقوفاً عليه، وعلى بعض الصحابة⁽²⁾، وهو قول عن الشافعي، ويحكي عن الحسن البصري، ووجهه: بأنها ليلة غزوة بدر، وكانت ليلة الجمعة، هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله فيه: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾⁽³⁾، وقيل: ليلة تسع عشرة، كما حكي عن علي، وابن مسعود - رضي الله عنهما -⁽⁴⁾، وقيل: ليلة إحدى وعشرين، كما في الصحيحين: عن أبي سعيد -رضي الله عنه- قال: اعتكف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فاتاه جبريل، فقال: إن الذي تطلب أمامك، ثم قام النبي -صلى الله عليه وسلم- خطيباً، صبيحة عشرين من رمضان، فقال: " من كان اعتكف معي، فليرجع، فإني رأيت ليلة القدر، وإني أنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طين، وماء، وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قزعة، فمطرننا، فصلى بنا النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى رأيت أثر الطين، والماء، على جبهة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -تصديق رؤياه"، وفي لفظ: "من صبح إحدى وعشرين"، قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات⁽⁵⁾، وقيل: ليلة ثلاث وعشرين، لحديث عبد الله بن أنيس -رضي الله عنه-⁽⁶⁾، في صحيح مسلم⁽⁷⁾، وهو قريب من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-، وقيل: ليلة

(1) ونصه عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث

وعشرين"، ثم سكت، سنن أبي داود، باب: من روى: أنها ليلة سبع عشرة، حديث رقم: (1384)، قال الألباني: حديث ضعيف.

(2) المعجم الكبير: 315/9، حديث رقم: (7579)، مسند البزار: 60/5، حديث رقم: (1622)، السنن الكبرى للبيهقي: 310/4،

حديث رقم: (8325)، مجمع الزوائد: 128/6، حديث رقم: (10036)، وهو عن عامر بن عبدالله، وغيره عن عبدالله بن مسعود.

(3) سورة الأنفال، من الآية: 41.

(4) ينظر: فتح الباري: 263/4.

(5) صحيح البخاري، كتاب: صفة الصلاة، باب: السجود على طين، حديث رقم: (780)، صحيح مسلم، كتاب: الصيام،

باب: فضل ليلة القدر، والحث على طلبها، وبيان محلها، وأرجى أوقات طلبها، حدث رقم: (1167)، واللفظ مختلف،

وهذا القول مال إليه الشافعي، ينظر: تفسير القرطبي: 136/20، وللشافعي: أنه يميل إلى ليلة الواحد والعشرين، والثالث

والعشرين، والمعروف عنده أنها في العشر الأواخر، ينظر: الأم: 60/1، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، دار

المعرفة، بيروت، (1993 هـ)، بلا (تح، ط).

(6) هو: عبدالله بن أنيس الجهني، أبو يحيى المدني، حليف بني سلمة من الأنصار، صحابي، جليل، وكان أحد من يكسر

أصنام بني سلمة، شهد العقبة، وبدراً، وأحدأ، وما بعدها، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وروى عنه أولاده عطية، وعمرو،

وضمرة، وغيرهم، توفي سنة: (54 هـ)، ينظر: الإصابة: 15/4، أسد الغابة: 178/3.

(7) صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر، والحث على طلبها، وبيان محلها، وأرجى أوقات طلبها، حديث

رقم: (1168).

أربع وعشرين، لِمَا رُوِيَ عن أَبِي سعيد - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ليلة القدر ليلة أربع وعشرين"، رواه الطيالسي⁽¹⁾، وعن أحمد نحوه⁽²⁾، وعن بلال بن رباح - رضي الله عنه -: أنها أول السبع من العشر الأواخر، وهكذا، عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وغير واحد⁽³⁾، وقد سبق في سورة البقرة: أن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين⁽⁴⁾، وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين، لِمَا رَوَى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة، تبقى في سابعة، تبقى في خامسة، تبقى"⁽⁵⁾، وفسره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر، وأشهر، وحمله آخرون على الأشفاع، كما رواه مسلم عن أبي سعيد - رضي الله عنه -: أنه حمله على ذلك⁽⁶⁾، وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين، لِمَا رواه [أبو مسلم]⁽⁷⁾ عن أبي بن كعب - رضي الله عنه -: عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أنها ليلة سبع وعشرين"⁽⁸⁾، وعن زر [ابن]⁽⁹⁾ حبش⁽¹⁰⁾ قال: سألت أبي بن كعب - رضي الله عنه -، قلت: يا أبا المنذر، أخاك ابن مسعود يقول: من يقيم الحول، يُصَبُّ ليلة القدر، قال - رحمه الله -: لقد علم أنها في شهر

(1) مسند أبي داود الطيالسي: 622/3، حديث رقم: (2281)، قال ابن كثير: رجاله ثقات، تفسير ابن كثير: 447/8.

(2) والصحيح أنه نفس اللفظ، لكن من طريق آخر، عن بلال، مسند أحمد: 12/6، حديث رقم: (23936)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لسوء حفظ عبد الله بن لهيعة.

(3) وهو أيضاً عن ابن عباس، وأبي سعيد، والشعبي، والحسن، وقتادة، ينظر: فتح الباري: 264/4.

(4) المخطوط نفسه، اللوحة: (43/ب).

(5) صحيح البخاري، كتاب: صلاة التراويح، باب: تحري ليلة القدر في الوتر، من العشر الأواخر، حديث رقم: (1917).

(6) صحيح مسلم، حديث رقم: (1167) وقد سبق تخريجه في أول السورة.

(7) الصواب: مسلم في صحيحه، ينظر: تفسير ابن كثير: 448/8.

(8) وهو أيضاً عن: علي، وعائشة، ومعاوية، وأبي بن كعب، وابن عمر، وأبو بكر الوراق، وهو الجادة من مذهب أحمد، ورواية عن أبي حنيفة، وأبو حسن الفارسي، وكثير من العلماء، ينظر: تفسير القرطبي: 136/20، فتح الباري: 265/4.

(9) ساقطة من المخطوط.

(10) هو: زر بن حبش بن حباشة بن أوس الأسدي، أبو مريم، مشهور، من كبار التابعين، وكان فاضلاً، عالماً بالقرآن، كان من أعرب الناس، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية، أدرك الجاهلية، ولم يرى النبي - صلى الله عليه وسلم -، روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وغيرهم، وروى عنه إبراهيم النخعي، وعدي بن ثابت، وأبو إسحاق الشيباني، وغيرهم، توفي سنة: (83 هـ)، ينظر: الإصابة: 633/2، أسد الغابة: 299/2.

رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف، قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال بالعلامة، أو بالآية التي أخبرنا بها، أنها تطلع ذلك اليوم، لا شعاع لها، يعني: الشمس، رواه أحمد، ومسلم نحوه⁽¹⁾، وفي الباب: عن ابن عمر، وابن عباس، ومعاوية⁽²⁾ - رضي الله عنهم -، وغيرهم: عن رسول الله - ﷺ -: أنها ليلة سبع وعشرين⁽³⁾، وبه قال بعض السلف، وهو الجادة من مذهب أحمد⁽⁴⁾، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا⁽⁵⁾، وقد حُكي عن بعض السلف: أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: ﴿هِيَ﴾؛ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة، وقيل: إنها ليلة تسع وعشرين لِمَا رَوَى عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -: أنه سأل رسول الله - ﷺ - عن ليلة القدر، فقال - عليه الصلاة والسلام -: "في رمضان، فالتمسوها في العشر الأواخر، فإنها وتر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو في آخر ليلة"، رواه أحمد⁽⁶⁾، وقيل: إنها تكون في آخر ليلة، لِمَا سبق في الحديث، من قوله: "أو في آخر ليلة"، وَلِمَا رَوَى أبو بكر⁽⁷⁾ - رضي الله عنه -: أن رسول الله - ﷺ - قال: "في تسع يبقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث يبقين، أو آخر

(1) مسند أحمد: 130/5، حديث رقم: (21231)، صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر، والحث على طلبها، وبيان محلها، وأرجى أوقات طلبها، حديث رقم: (762).

(2) هو: معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب القرشي، الأموي، صحابي، جليل، ولأه عمر الشام بعد أخيه، يزيد بن أبي سفيان، وأقره عثمان، ثم استمر، فلم يبايع علياً، ثم حاربه، واستقل بالشام، وأضاف إليها مصرًا، ثم اجتمع عليه الناس، لما صالح الحسين، وكان يكتب للنبي - ﷺ -، فيما بينه وبين العرب، روى عن النبي - ﷺ -، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم، وروى عنه ابن عباس، وعبدالله بن الزبير، والنعمان بن البشير، وغيرهم، توفي سنة: (60هـ)، ينظر: الإصابة: 151/6.

(3) وهو أيضاً عن ابن عمر، مسند أبي داود الطيالسي: 406/3، حديث رقم: (2000)، فتح الباري: 264/4، أما عن ابن عباس، فينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: 356/1، تأليف: (أبو الفرج)، عبدالرحمن بن الجوزي، تح: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (1997م)، بلا (ط)، وأما عن معاوية، سنن أبي داود، باب: من قال: "سبع وعشرون"، حديث رقم: (1386)، قال الألباني: حديث صحيح.

(4) ينظر: الإنصاف لمعرفة الراجح من الخلاف، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: 355/3، تأليف: علي بن سليمان المرادوي، أبو الحسن، تح: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث، العربي بيروت، بلا (ط).

(5) ينظر فتح الباري: 264/4.

(6) مسند أحمد: 321/5، حديث رقم: (22793)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(7) هو: نفيح بن الحارث، ويقال: بن مسروح الثقفي، صحابي، جليل، سكن البصرة، وكان تدلّى إلى النبي - ﷺ - من حصن الطائف، ببكرة، فاشتهر بأبي بكر، وهو مولى رسول الله - ﷺ -، روى عن النبي - ﷺ -، روى عنه أولاده، والأحفاد، والحسن البصري، وغيرهم، توفي بالبصرة سنة: (51 هـ)، وقيل: (52 هـ)، ينظر: الإصابة: 467/6، أسد الغابة: 41/6.

ليلة، يعني التمسوا ليلة القدر"، رواه النسائي، والترمذي، وصححه⁽¹⁾، قال الشافعي: في هذه الروايات التي صدرت من النبي -ﷺ- جوابا للسائل، إذا قيل له: التمس ليلة القدر في الليلة الفلانية، يقول: نعم، وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل، نقل الترمذي هذا المعنى⁽²⁾، ورؤي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر⁽³⁾، وبه قال مالك، وأحمد، وكثيرون⁽⁴⁾، وهو محكي عن الشافعي أيضا، وهو الأشبه⁽⁵⁾، مستأنسين بما ثبت في الصحيحين: عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: أن رجالا من أصحاب رسول الله -ﷺ- أروا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر، من رمضان فقال رسول الله -ﷺ-: "أرى رؤياكم، قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحرّجها فليتحرّجها في السبع الأواخر"⁽⁶⁾، وفيهما أيضا عن عائشة - رضي الله عنها -: أن رسول الله -ﷺ- قال: "تحروا ليلة القدر في الوتر، من العشر الأواخر، من رمضان"، ولفظه للبخاري⁽⁷⁾، وقد حكى الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات، وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في الأوتار أكثر، وأن يُكثَرَ من هذا الدعاء: "اللهم، إنك عفو تحب العفو، فاعف عني"، رواه الترمذي، والنسائي، وأحمد مثله، وقال الحاكم هذا صحيح، على شرط الشيخين⁽⁸⁾، وفي الأصل ههنا أثر غريب، ونبا عجيب، عن كعب الأحبار -رضي الله عنه-⁽⁹⁾، فما طولنا الكتاب به .

-
- (1) سنن النسائي الكبرى، باب: التماس ليلة القدر لآخر ليلة، حديث رقم: (3404)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في ليلة القدر، حديث رقم: (794)، واللفظ مختلف.
- (2) ينظر: سنن الترمذي، باب: ما جاء في ليلة القدر، في شرح حديث رقم: (792).
- (3) المصدر نفسه.
- (4) وهو أيضا عن: أبي قلابة، والثوري، وإسحاق، وغيرهم، وزعم الماوردي أنه متفق عليه، ينظر: فتح الباري: 4/265، المدونة الكبرى: 1/301، الإنصاف: 3/355.
- (5) فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير): 476/6، الأم: 60/1، الإنصاف: 3/355.
- (6) صحيح البخاري، كتاب: صلاة التراويح، باب: التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، حديث رقم: (1911)، صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر، والحث على طلبها، وبيان محلها، وأرجى أوقات طلبها، حديث رقم: (1165)، واللفظ متفق، إلا أنه لم يذكر: "من رمضان".
- (7) صحيح البخاري، كتاب: صلاة التراويح، باب: تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، حديث رقم: (1913)، صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر، والحث على طلبها، وبيان محلها، وأرجى أوقات طلبها، حديث رقم: (1169).
- (8) سنن الترمذي، باب: جامع الدعوات عن النبي -ﷺ-، حديث رقم: (3513)، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، سنن النسائي الكبرى، باب: العفو، حديث رقم: (7712)، وباب: ما يقول إذا وافق ليلة القدر، حديث رقم: (10708)، مسند أحمد: 6/171، حديث رقم: (25423)، المستدرک على الصحيحين للحاكم: 1/712، حديث رقم: (1942)، واللفظ متفق عليه، إلا عند الترمذي، ففيه زيادة: (كريم)، بعد (عفو).
- (9) ينظر: تفسير ابن كثير: 8/452.

تفسير سورة: لم يكن [البينة]

"وهي مدنية"

عن أبي حية البدرى الأنصاري⁽¹⁾ قال: لما نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله، إن ربك يأمرك أن تُقْرِئَهَا أَبْيَا، فقال رسول الله -ﷺ- لأبي: "إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة، قال أبي: وقد ذُكِرْتُ ثُمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: نعم، قال: فبكى أبي"، رواه أحمد⁽²⁾، وفي الصحيحين: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- لأبي بن كعب: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قال: وسماني لك، قال: نعم، فبكى"⁽³⁾، وعن أبي بن كعب قال: إن رسول الله -ﷺ- قال لي: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال: فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قال: فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال، فأعطيته، لسأل ثانيا، ولو سأل ثانيا، فأعطيته، لسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية، غير المشركة، ولا اليهودية، ولا النصرانية، ومن يفعل خيرا، فلن يُكْفَرَهُ"، رواه أحمد، والترمذي، وصححه⁽⁴⁾، وإنما قرأ - عليه الصلاة والسلام - هذه السورة؛ تثبيتا له، وزيادة لإيمانه، قراءة إبلاغ، وتثبيت، وإنذار، لا قراءة تعليم، واستنكار، ولأن فيها من قوله -ﷺ-: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾⁽⁵⁾ فيها كُتِبَ قِيمَةٌ، وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله -ﷺ- يوم الحديبية عن تلك الأسئلة، وقال فيما قال: أولم تكن

(1) هو: مالك بن عمرو بن ثابت بن كلفة بن عوف، قيل: أبو حية، وقيل: أبو حنة، وقيل: اسمه عامر، وقيل: مالك، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه، ينظر: أسد الغابة: 70/6، الاستيعاب: 1628/4.

(2) مسند أحمد: 489/3، حديث رقم: (16044)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن لغيره.

(3) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب أبي بن كعب -رضي الله عنه-، حديث رقم: (3598)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، والخُذَّاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، حديث رقم: (799)، واللفظ متفق، إلا أنه في البخاري من غير قوله: (لك).

(4) مسند أحمد: 131/5، حديث رقم: (21240)، سنن الترمذي، باب: مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم -، حديث رقم: (3793)، واللفظ مختلف.

تخبرنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: "بلى، فأخبرتك⁽¹⁾ أنك تأتيه عامك هذا؟" قال: لا، قال: "فإنك آتية، ومطوف به" فلما رجعوا من الحديبية وأنزل على النبي ﷺ - سورة: الفتح، دعا عمر بن الخطاب، فقرأها عليه، وفيها قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁽²⁾ كما سبق⁽³⁾ فقوله تعالى:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾⁽¹⁾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً⁽²⁾ فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ⁽³⁾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ⁽⁴⁾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ⁽⁵⁾

أما أهل الكتاب، فهم اليهود، والنصارى، والمشركون، عبدة الأوثان، والنيران، من العرب، والعجم، قال مجاهد، وقتادة - رحمهما الله: - لم يكونوا ﴿مُنْفِكِينَ﴾، أي: منتهين، حتى يتبين لهم الحق⁽⁴⁾، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، يعني: القرآن، ثم فسر البيينة: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾، يعني: محمداً - ﷺ -، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مُكْتَتَبٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، في صحف مطهرة، أي: من الباطل، والكذب، فإنه - عليه الصلاة والسلام - كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه، لا عن كتاب، وقوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾، قال ابن جرير: أي: في الصحف المطهرة كتب، من كتب الله، قيمة، عادلة، مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنه من عند الله تعالى⁽⁵⁾، قال قتادة - رحمه الله: - ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، أي: يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويثني عليه بأحسن الثناء⁽⁶⁾، وقال:

(أ/561)

(1) لعل الصواب أفأخبرتك.

(2) سورة الفتح، الآية: 27.

(3) المخطوط نفسه، اللوحة: (468/ب).

(4) ينظر: تفسير مجاهد: 774/2، تفسير ابن أبي حاتم: 3454/10، حديث رقم: (19430).

(5) ينظر: جامع البيان: 540/24.

(6) ينظر: المصدر نفسه.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾، يعني: بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج، والبيّنات، فإنهم تفرقوا، واختلفوا، في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافا كبيرا، كما جاء في الحديث من طرق: "أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه، وأصحابي"⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، قال ابن عباس: يعني: ما أمرُوا في التوراة، والإنجيل، إلا بإخلاص العبادة لله وحده⁽²⁾، وهو كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽³⁾، ولهذا قال: ﴿حُنَفَاءَ﴾، أي: مائلين عن الأديان كلها، إلى دين الإسلام، والتوحيد، وقد سبق تقرير الحنيف في سورة: الأنعام⁽⁴⁾، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، في أوقاتها، وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، وهي الإحسان إلى الفقراء، والمستحقين، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾، أي: الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة، وقد استدل كثير من الأئمة، كالزهري⁽⁵⁾، والشافعي، - رحمهما الله -، بهذه الآية على أن الأعمال داخلة في الإيمان⁽⁶⁾، ولهذا قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾

(1) مسند أحمد: 102/4، حديث رقم: (16979)، سنن ابن ماجه، باب: افتراق الأمم، حديث رقم: (3993)، سنن أبي داود، باب: شرح السنة، حديث رقم: (4596)، سنن الترمذي، باب: افتراق الأمة، حديث رقم: (2641)، المعجم الكبير للطبراني: 376/19، حديث رقم: (884)، المستدرک على الصحيحين للحاكم: 218/1، حديث رقم: (443)، قال الحاكم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث، وواقفه الذهبي في الترخيص.

(2) ينظر: جامع البيان: 541/24.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 25.

(4) المخطوط نفسه، اللوحة: (157/ب).

(5) هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر، الحافظ، المدني، الفقيه، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز، والشام، ثقة، كثير الحديث، والعلم، والرواية، روى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن جعفر، وعبدالرحمن بن أزهر، وغيرهم، وروى عنه عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبدالعزيز، وعمرو بن دينار، وغيرهم، توفي سنة: (123 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 395/9.

(6) ينظر: الدر المنثور: 588/8، تهذيب الأسماء: 92/1، أحكام القرآن للشافعي: 40/1، فتح الباري: 48/1، تفسير

ابن كثير: 457/8

حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾

أخبر تعالى عن عاقبة الفجار من كفره أهل الكتاب، والمشركين، المخالفين لله، ورسله، أنهم يوم القيامة ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾، ماكثين فيها، لا يحولون عنها، ولا يزولون، ﴿ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾، الخليقة التي برأها الله، وذراها، ثم أخبر عن حال الأبرار: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، بقلوبهم، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، بأبدانهم، بأنهم: ﴿ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة - رضي الله عنه -، وطائفة من العلماء، على تفضيل البشر على الملائكة؛ لعموم البرية⁽¹⁾، ثم قال: ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾، أي: يوم القيامة، ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾، أي: بلا انفصال، ولا انقضاء، ولا فراغ، ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم القيم، ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾، فيما منحهم من الفضل العظيم، وقوله: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾، أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله، وانتقاه حق تقواه، وعبده، كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره، فإنه يراه، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: رجل يأخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هيعة، استوى عليه، ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى، يا رسول الله؟ قال رجل في ثلة في غنمه، يُقيم الصلاة، ويُؤتي الزكاة، ألا أخبركم بشر البرية؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: الذي يسأل الله، ولا يعطى به"، رواه أحمد⁽²⁾، قال السدي: إذا كنت لا ترضى عن الله، فكيف تسأله الرضا عنك⁽³⁾.

(1) ينظر: الدر المنثور: 589/8.

(2) مسند أحمد: 396/2، حديث رقم: (9131)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أبي معشر، واللفظ مختلف.

(3) معالم التنزيل: 497/8.

تفسير سورة: إذا زلزلت [الزلزلة]

"وهي مكية"

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: أتى رجل إلى رسول الله - ﷺ -، فقال: أقرئني، يا رسول الله، قال له: اقرأ ثلاثاً من نوات (الراء)، فقال الرجل: كبر سني، وانشد قلبي، وغلظ لساني، فقال: اقرأ من نوات (حم)، فقال مثل مقالته الأولى، فقال: اقرأ ثلاثاً من (المسبحات)، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: ولكن أقرئني يا رسول الله، سورة جامعة، فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدير الرجل، فقال رسول الله - ﷺ -: أفلح الرويحل، أفلح الرويحل"، الحديث رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي⁽¹⁾، وعن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من قرأ: إذا زلزلت، عدلت له بنصف القرآن"، رواه الترمذي، وغربه⁽²⁾.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ١ ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٢ ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ٣
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا الصَّبْرَ الْقَائِمَ ﴿٥﴾ وَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿٦﴾ فَسُفِّتِ الْأَرْضُ وَجَبَتْ ﴿٧﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٨﴾ وَأَنْجَلَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٩﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿١٠﴾
﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

(561/ب)

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، أي: تحركت من أسفلها⁽³⁾، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، يعني: ألقط ما فيها من الموتى، قاله غير واحد⁽⁴⁾، وهو كقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَنَخَلَتْ﴾⁽⁵⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال

(1) مسند أحمد: 169/2، حديث رقم: (6575) وزاد فيه: "ثم قال: عليّ به فجاهه، فقال له: أمرت بيوم الأضحى، جعله الله عيداً لهذه الأمة، فقال الرجل: رأيت، إن لم أجد إلا منيحة ابني، فأضحى بها، قال: لا، ولكن تأخذ من شعرك، وتعلم أضفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذلك تمام أضحيتك عند الله"، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، سنن أبي داود باب: تحزيب القرآن، حديث رقم: (1399)، سنن النسائي الكبرى، باب: إذا زلزلت، حديث رقم: (8027)، واللفظ مختلف.

(2) سنن الترمذي، باب: ماجاء في إذا زلزلت، حديث رقم: (2893).

(3) الدر المنثور: 592/8.

(4) وهو قول عن: ابن عباس، ومجاهد، وعطية، وعكرمة، ينظر: جامع البيان: 547/24، الدر المنثور: 592/8.

(5) سورة الانشقاق، الآية: 4.

رسول الله - ﷺ -: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأسطوان، من الذهب، والفضة، فيجئ القاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجئ القاطع، فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجئ السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يدعونه، فلا يأخذون منه شيئاً"، رواه مسلم⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾، أي: استكر أمرها، بعد ما كانت قارة، ثابتة، ساكنة، وهو مستقر على ظهرها، يعني: تقلبت الحال، فصارت متحركة، مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أعده لها، من الزلزال، وألقت ما في باطنها، من الدخائر، والأموال، فحينئذ استنكر الناس أمرها، وتبدلت الأرض غير الأرض، و﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، أي: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "قرأ رسول الله - ﷺ - هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، [قال]⁽²⁾: أتدرون ما أخبرها؟ قالوا: الله، ورسوله أعلم، قال: أن تشهد على كل عبد، أو أمة، بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا، وكذا، يوم كذا، وكذا، قال: فهذه أخبارها"، رواه أحمد، والنسائي، والترمذي، وصححه⁽³⁾، وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾، قال البخاري - رحمه الله -: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها، واحد⁽⁴⁾، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أوحى لها، أي: أوحى إليها⁽⁵⁾، والظاهر: أن هذا مضمن بمعنى: أذن لها، أي: قال لها ربها: قولي، فقالت، وقال مجاهد - رحمه الله -: أي: أمرها، أي: أن تحدث عنهم⁽⁶⁾، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، أي: يرجعون عن موقف الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾، أي: أنواعا، وفرقا، وأصنافا، ما بين شقي، وسعيد، ومأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار، فلا يجتمعون آخر ما عليهم، وقوله:

(1) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة، قبل أن لا يوجد من يقبلها، حديث رقم: (1013).

(2) في المخطوط: (قالوا).

(3) مسند أحمد: 374/2، حديث رقم: (8854)، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة الزلزلة، حديث رقم: (11693)، سنن الترمذي، باب: سورة الزلزلة، حديث رقم: (3353)، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، واللفظ للنسائي.

(4) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: الزلزلة، فتح الباري: 727/8.

(5) معالم التنزيل: 502/8.

(6) ينظر: تفسير مجاهد: 775/2.

﴿لَيُرَوَّأَ أَعْمَلَهُمْ﴾، أي: ليعلموا، أو يجازوا بما عملوه في الدنيا، والآخرة، من خير،
 وشر، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
 شَرًّا يَرَهُ﴾، في الصحيحين: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:
 "الخير لثلاثة؛ لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر، فأما الذي له أجر، فرجل ربطها
 في سبيل الله، فأطال طيلها في مرج، أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في
 المرج، والروضة، كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها، فاستتت شرفا، أو شرفين،
 كانت آثراها، وأرواتها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر، فشربت منه، ولم يرد أن
 يسقيه، وهي لذلك الرجل أجر، ورجل ربطها تغنيا، وتعففا، ولم ينس حق الله في
 رقابها، ولا ظهورها، فهي له ستر، ورجل ربطها فخرا، ورياء، ونواء، فهي على ذلك
 وزر، فسئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: عن الحمر، فقال: ما أنزل الله فيها شيئا، إلا هذه
 الآية، الفاذة، الجامعة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (1)، أي: مثقال وزن نملة صغيرة، أصغر ما يكون من النمل، قال ابن
 عباس - رضي الله عنهما -: ليس مؤمن، ولا كافر، عمل خيرا، أو شرا، في الدنيا، إلا
 أراه الله يوم القيامة، فأما المؤمن، فيرى حسناته، وسيئاته، فيغفر الله سيئاته، ويثبت
 حسناته، وأما الكافر، فتزد حسناته، ويعذب بسيئاته (2)، وعن صعصعة بن معاوية
 -عم الفرزدق- (3): أنه أتى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقرا عليه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
 يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، قال: "حسبي، لا أبالي أن لا أسمع
 غيرها"، رواه أحمد، والنسائي (4)، وعن عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي -صلى الله عليه وسلم-

(1) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: الزلزلة، حديث رقم: (4678)، صحيح مسلم، كتاب:
 الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، حديث رقم: (987)، واللفظ مختلف.

(2) ينظر: جامع البيان: 550/24.

(3) هو: صعصعة بن معاوية بن حصن التيمي السعدي، عم الأحنف بن قيس، اختلف في صحبته، وقال بعضهم: هو
 صعصعة، عم الأحنف ولا يوجد لصعصعة عم، اسمه الفرزدق، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعمر، وأبي ذر، وأبي هريرة،
 وغيرهم، وروى عنه ابنه عبدالله، والأحنف، والحسن البصري، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 428/3، أسد الغابة: 23/2.

(4) مسند أحمد: 59/5، حديث رقم: (20612)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات، سنن النسائي
 الكبرى، باب: سورة الزلزلة، حديث رقم: (11694)، واللفظ لأحمد.

كان يقول: "يا عائشة، إياك، ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا"، رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجة⁽¹⁾، وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إياكم، ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل، حتى يهلكنه، وإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ضرب لهن مثلا، كمثل قوم، نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق، فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا، وأججوا نارا، وأنضجوا ما قذفوا فيها"، رواه أحمد⁽²⁾، وعن سعيد بن جبير قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾⁽³⁾، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل، إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يطعموه التمرة، والكسرة، والجوزة، ونحو ذلك⁽⁴⁾، فيردونه، ويقولون: ما هذا بشيء، إنما نؤجر على ما نعطي، ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير، الكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغبهم في القليل من الخير، أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽⁵⁾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽⁶⁾، يعني: وزن أصغر نملة، خيرا، يره، يعني: في كتابه، ويسره ذلك، قال: يُكْتَبُ لِكُلِّ بَرٍّ، وفاجر، بكل سيئة، سيئة، وبكل حسنة، عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة، ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا، بكل واحدة عشرا، فمما عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته، مثقال ذرة، دخل الجنة، رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، والله أعلم .

(562/أ)

(1) مسند أحمد: 151/6، حديث رقم: (25218)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، سنن ابن ماجة، باب: ذكر الذنوب، حديث رقم: (4243)، لم أقف عليه عند النسائي.
(2) مسند أحمد: 402/1، حديث رقم: (3818)، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.
(3) سورة الإنسان، الآية: 8.
(4) ينظر: معالم التنزيل: 503/8، وهو عن مقاتل، تفسير ابن أبي حاتم: 3456/10.
(5) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر.

تفسير سورة: العاديات

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحَبِّ الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾
﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِمَا يَوْمِيذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

أقسم الله بالخيول إذا أُجريت في سبيله، فعدت، وضبحت، وهو الصوت الذي يسمع من الفرس، حين يعدو⁽¹⁾، ﴿فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا﴾، يعني: اصطكاك نعالها بالصخرة، فتخرج منه النار، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾، يعني: الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله ﷺ - يغير صباحا، ويتسمع، فإن سمع أذانا، أمسك، وإلا، أغار، وقوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾، يعني: غبارا في مكان معترك الخيول، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، أي: توسطن ذلك المكان كلهن، جُمع، وقال علي، وابن مسعود - رضي الله عنهما - ﴿وَالْعَادِيَاتِ صُبْحًا﴾: هي الإبل⁽²⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هي الخيل⁽³⁾، فبلغ عليا قول ابن عباس، فقال: ما كان لنا خيل يوم بدر، قال ابن عباس إنما كان في سرية بعثت، فقال علي: والله لئن، كان أول غزوة في الإسلام بدراً وما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير⁽⁴⁾، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحا، إنما العاديات ضبحا من عرفة، إلى مزدلفة، ومن مزدلفة، إلى منى، فرجع ابن عباس إلى الذي قال

(1) ينظر: لسان العرب، مادة: ضبح.

(2) ينظر: جامع البيان: 559/24.

(3) المصدر نفسه: 557/24.

(4) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى القرشي، الأسدي، أبو عبدالله، حوارى رسول الله ﷺ -، وابن عمته، أمه صفية بنت عبدالمطلب، صحابي، جليل، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، هاجر الهجرتين، وهو أول رجل سلَّ سيفه في الله، شهد بدراً، وأحداء، والمشاهد كلها، وكان رابعاً، أو خامساً، في الإسلام، له أحاديث قليلة عن النبي ﷺ -، قُتِلَ يوم وقعة الجمل، بعد أن انصرف منها، وتركها، سنة: (36 هـ)، ينظر: الإصابة: 553/2، أسد الغابة: 295/2.

علي، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽¹⁾، واختار ابن جرير أنها الخيل⁽²⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: ما ضبحت دابة قط، إلا فرس، أو كلب⁽³⁾، وقال عطاء سمعت ابن عباس - رضي الله عنهما- يصف الضبج، أخ أخ⁽⁴⁾، وقال الأكثر في قوله: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾، يعني: بحوافرها⁽⁵⁾، وقيل: يعني: مكر الرجال في الحرب⁽⁶⁾، والعرب تقول إذا أرادت أن يمكر بصاحبه، أما والله، لأقدحن لك، ولأورينن، وقيل: هو إيقاد النار، إذا رجعوا إلى منازلهم بالليل⁽⁷⁾، قال ابن جرير: والصواب الأول، أنه الخيل، حين تَقْدَح بحوافرها⁽⁸⁾، وقوله: ﴿فَالْمُغِيرَتِ صَبْحًا﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: يعني: إغارة الخيل صباحاً، في سبيل الله⁽⁹⁾، ومن فسرها بالإبل، قال: هو الدفع صباحاً، من المزدلفة، إلى منى⁽¹⁰⁾، وقالوا كلهم ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾: هو المكان الذي حلت فيه، أثارت به الغبار، إما في حج، أو غزو، وقوله: ﴿فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: يعني: جمع الكفار من العدو⁽¹¹⁾، ويحتمل أن يكون ﴿فَوَسَّطْنَ﴾، بذلك المكان جميعهن، ويكون ﴿جَمْعًا﴾، منصوباً على الحال المؤكدة، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- أيضاً قال: بعث رسول الله ﷺ - خيلاً، فأشهرت شهراً، لا يأتيه منها خبر، فنزلت: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾، ضبحت

(1) ينظر: جامع البيان: 559/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3457/10، حديث رقم: (19442).

(2) ينظر: جامع البيان: 559/24.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 558/24.

(4) المصدر نفسه: 560/24.

(5) وهو قول عن: ابن عباس، وقتادة، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، ومقاتل، ينظر: المصدر نفسه، تفسير القرطبي: 156/20، تفسير مقاتل: 510/3.

(6) وهو قول عن: مجاهد، وابن عباس، والحسن، وزيد بن أسلم، ينظر: جامع البيان: 561/24، معالم التنزيل: 508/8.

(7) وهو قول سعيد بن جبير عن ابن عباس، ينظر: جامع البيان: 561/24.

(8) ينظر: المصدر نفسه.

(9) وهو أيضاً عن: عكرمة، وقتادة، ومجاهد، والحسن، ينظر: المصدر نفسه: 562/24.

(10) وهو قول عن: عبدالله بن مسعود، والقرظي، وعلي بن أبي طالب، ينظر: تفسير القرطبي: 158/20.

(11) وهو أيضاً عن: عكرمة، وعطاء، وقتادة، ينظر: جامع البيان: 464/24.

بأرجلها، ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾، قدحت بحوافرها الحجارة، فأورت نارا، ﴿فَالْمُنِيرَتِ صُبْحًا﴾، صبّحت القوم بغارة، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾، أثارت بحوافرها التراب، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، قال: صبحت القوم جميعا، حديث غريب، رواه البزار⁽¹⁾، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قال: "الكنود: الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفته"، رواه ابن أبي حاتم، وهو ضعيف، والراجح: أنه موقوف، كما رواه ابن جرير⁽²⁾، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قال قتادة، وسفيان الثوري: أي: وإن الله على ذلك لشهيد⁽³⁾، ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان، قال ابن كعب القرظي: فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنودا لشهيد، أي: بلسان حاله، يعني: ظاهر ذلك في أقواله، وأفعاله⁽⁴⁾، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، أي: وإنه في حب المال لشديد، يعني: لشديد المحبة للمال، أو لحريص، بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح، ثم قال مُزْهَدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرَغَّبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْبَهًا عَلَىٰ مَا هُوَ كَائِنٌ، بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾، أي: أُخْرِجَ مَا فِيهَا، مِنَ الْأَمْوَاتِ، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني: أُبْرِرَ، وَأُظْهِرَ، مَا كَانُوا يَسْرُونَ فِي نَفْسِهِمْ⁽⁶⁾، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾، أي: لعالم بجميع ما كانوا يصنعون، ويعملون، ويجازيهم عليه أوفر الجزاء .

(562/ب)

(1) كشف الأستار عن زوائد البزار: 82/3، حديث رقم: (2291)، مجمع الزوائد: 297/7، حديث رقم:

(11515)، قال أبو بكر الهيثمي: حديث ضعيف، فتح الباري: 527/8، قال ابن حجر: في إسناده ضعف.

(2) ينظر: جامع البيان: 566/24، الدر المنثور: 603/8، سلسلة الأحاديث الضعيفة: 733/12، حديث رقم:

(5833)، قال الألباني: حديث ضعيف.

(3) ينظر: جامع البيان: 567/24.

(4) ينظر: الدر المنثور: 604/8.

(5) سورة التوبة، من الآية: 17.

(6) ينظر: جامع البيان: 569/24.

تفسير سورة: القارعة

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴾

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ : من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك، ثم قال معظما أمرها، ومُهَوِّلا لشأنها: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾، أي: في انتشارهم، وتفرقهم، وذهابهم، ومجيئهم، من حيرتهم، بما هم فيه، كأنهم فراش مبعوث، وهو شبه الجراد الصغير، يطير حول النار، ويتهافت فيها، كما قال في آية أخرى: ﴿ كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ ٧ ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾، يعني: تصير كأنها الصوف المنفوش، الذي تمزق: ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة، والإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾، أي: رجحت حسناته على سيئاته، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾، يعني: في الجنة، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾، أي: رجحت سيئاته على حسناته، وقوله: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾، قيل: أي: ساقط هاو، بأم رأسه في نار جهنم⁽²⁾، وعبر عنه بأمه، يعني: دماغه وقال قتادة: يهوي في النار على رأسه⁽³⁾، وقيل: معناه: فأمه التي يرجع إليها في المعاد هاوية⁽⁴⁾، وهي اسم من أسماء النار، قال ابن جرير: إنما قيل

(1) سورة القمر، من الآية: 7.

(2) وهو قول عن: خالد الوابلي، وعكرمة، وأبي صالح، ينظر: جامع البيان: 575/24، الدر المنثور: 606/8.

(3) جامع البيان: 576/24.

(4) وهو قول عن: ابن عباس، وابن زيد، ينظر: المصدر نفسه، الدر المنثور: 606/8.

للهاوية: أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها⁽¹⁾، وقال ابن زيد: الهاوية: النار، وهي أمه، ومأواه، التي يرجع إليها، وقرأ: ﴿مَأْوَهُمُ النَّارُ﴾⁽²⁾⁽³⁾، ولهذا قال تعالى، مفسراً لها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۗ نَارُ حَامِيَةٍ﴾⁽⁴⁾، أي: حارة، شديدة الحر، قوية اللهب، والسعير، وعن الأشعث بن عبد الله⁽⁴⁾ قال: إذا مات المؤمن، ذهب [أرواحه]⁽⁵⁾ إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوْحُوا أَخَاكُمْ، فإنه كان في غم الدنيا، قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم، فيقول: ذهب به إلى أمه الهاوية⁽⁶⁾، وقد رواه ابن مردويه⁽⁷⁾، من طريق أنس بن مالك مرفوعاً⁽⁸⁾، وفي الصحيحين: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "نار بني آدم التي توقدون، جزء من سبعين جزءاً، من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكفاية، فقال: إنها فضّلت بتسعة وتسعين جزءاً، كلهن مثل حرها"⁽⁹⁾، وفي رواية أحمد: "وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك، ما جعل الله فيها منفعة لأحد"⁽¹⁰⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أوقد على النار ألف سنة، حتى احمرت، ثم أوقد ألف سنة، حتى ابيضت، ثم أوقد"

(1) ينظر: جامع البيان: 575/24.

(2) سورة يونس، من الآية: 8.

(3) جامع البيان: 576/24.

(4) هو: أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني، أبو عبد الله، الأعمى، البصري، وقد ينسب إلى جده، صالح الحديث، وكان من علماء البصرة، روى عن أنس، والحسن، ومحمد بن سيرين، وغيرهم، وروى عنه شعبة، وحماد بن سلمة، وابنه عبد الله بن أشعث، وغيرهم، ينظر: تهذيب التهذيب: 301/1، سير أعلام النبلاء: 340/11.

(5) الصواب بروحه.

(6) ينظر: جامع البيان: 275/24.

(7) هو: أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، ويقال له أبوبكر الكبير، الحافظ، له كثير الحديث، له مصنفات عدة منها: التفسير الكبير، والتاريخ، والأمال، وغيرها، روى عن أبي سهل بن زياد القطان، وميمون بن إسحاق، وعبد الله بن إسحاق الخراساني، وغيرهم، وروى عنه أبو القاسم، عبدالرحمن بن منده، وأخوه عبدالوهاب، وأبو عبد الله الثقفى الرئيس، وغيرهم، توفي سنة: (410 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 298/33.

(8) ينظر: البداية والنهاية: 162/20.

(9) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار، وأنها مخلوقة، حديث رقم: (3029)، صحيح مسلم، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب: في شدة جر نار جهنم، وتعدّ قعرها، وما تأخذ من المعذبين، حديث رقم: (2843)، واللفظ مختلف.

(10) مسند أحمد: 244/2، حديث رقم: (7323)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، على شرط الشيخين، ولفظ الزيادة موافق، والاختلاف في نص الحديث.

عليها ألف سنة، حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة"، رواه الترمذي، وابن ماجة⁽¹⁾، وفي الصحيحين: أن رسول الله - ﷺ - قال: "اشتكت النار على ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها"⁽²⁾.

(1) سنن الترمذي، باب: ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، حديث رقم: (2591)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، سنن ابن ماجة، باب: ذكر الشفاعة، حديث رقم: (4320)، واللفظ للترمذي وفيه: "أوقد عليها".

(2) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار، وأنها مخلوقة، حديث رقم: (3087)، صحيح مسلم، كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، باب: استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر، لمن يمضي إلى جماعة، وبناله الحر في طريقه، حديث رقم: (617)، واللفظ مختلف.

[تفسير سورة التكاثر]

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧ ﴿﴾

يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا، ونعيمها، وزهرتها، عن طلب الآخرة، وابتغائها، وتمادى بكم ذلك، حتى جاءكم الموت، وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها، وقال زيد بن أسلم: قال رسول الله -ﷺ-: "﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ﴾، عن الطاعة، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حتى يأتيكم الموت"، رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وفي البخاري: عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: "كنا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ﴾، يعني: لو كان لابن آدم واد من ذهب"⁽²⁾، وهذا يوهم أن تكون السورة مدنية، وعن عبد الله بن الشَّخِير⁽³⁾: قال انتهيت إلى رسول الله -ﷺ-، وهو يقول: "﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ﴾، يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك، إلا ما أكلت، فأفنت، وألبست، فأبليت، أو تصدقت، فأمضيت" رواه أحمد⁽⁴⁾، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يقول العبد: مالي، مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل، فأفنى، أو لبس، فأبلى، أو تصدق، فاقتنى، وما سوى ذلك، فذاهب، وتاركه للناس"، رواه مسلم⁽⁵⁾، وفي الصحيحين: عن أنس قال: قال رسول الله -ﷺ-: "يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد،

(أ/563)

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3459/10، حديث رقم: (19451)، وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف، ينظر: تهذيب التهذيب: 161/6.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما يبقى من فتنة المال، حديث رقم: (6075)، واللفظ مختلف.

(3) هو: عبدالله بن الشخير العوف الحرشي العامري، (بكر المعجمتين والثانية ثقيلة)، صحابي، جليل، يُعدُّ من أهل البصرة، قد وفد في وفد بني عامر، روى عن النبي -ﷺ-، وروى عنه بنوه مطرف، وهاني، ويزيد، ينظر: الإصابة: 27/4، أسد الغابة: 279/3، تهذيب التهذيب: 221/5.

(4) مسند أحمد: 24/4، حديث رقم: (16349)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، واللفظ مختلف.

(5) صحيح مسلم، كتاب: الزهد، حديث رقم: (2959)، وفيه: (أو أعطى، فاقتنى).

يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع ماله، وأهله، ويبقى عمله⁽¹⁾، وعن بريدة في قوله: ﴿أَلْهَكُمْ أَتْكَأْرُ﴾، قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار، من بني حارثة، وبنو [الحرث]⁽²⁾ تفاخروا، وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان، وفلان، وفلان، [وقال]⁽³⁾ الأخرى: مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان، يشيرون إلى القبر، ومثل ذلك، وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَكُمْ أَتْكَأْرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك، حتى صاروا من أهل القبور كلهم، رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾، وهذا دليل آخر على أن السورة مدنية، والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، أي: صرتم إليها، ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: أن رسول الله - ﷺ - دخل على رجل من الأعراب، يعوده، فقال: "لا بأس، طهور إن شاء الله"، فقال: قلت: طهور، بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيّره القبور، قال: "فنعم، إذا"⁽⁵⁾، وعن علي - رضي الله عنه - قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر، حتى نزلت: ﴿أَلْهَكُمْ أَتْكَأْرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، رواه الترمذي⁽⁶⁾، قال عمر بن عبد العزيز: ما للزائر بُدٌّ من أن يرجع إلى منزله⁽⁷⁾، يعني: إلى الجنة، أو إلى النار، قاله ابن أبي حاتم⁽⁸⁾، وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٢﴾، قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد⁽⁹⁾، وقال

(1) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: سكرات الموت، حديث رقم: (6149)، صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرفائق، حديث رقم: (2960)، واللفظ مختلف.

(2) في المخطوط: (الحرث)، الصواب: (الحارث).

(3) في المخطوط: (وقال)، الصواب: (وقالت).

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3459/10، حديث رقم: (19453)، وقول ابن حاتم إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، وباقي الكلام هو من قول قتادة، جامع البيان: 579/24.

(5) صحيح البخاري، كتاب: المرضى، باب: ما يقال للمريض، وما يجب، حديث رقم: (5338).

(6) سنن الترمذي، باب: ومن سورة: التكاثر، حديث رقم: (3355)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(7) تفسير ابن أبي حاتم: 3459/10، حديث رقم: (19455).

(8) وهو قول ابن كثير، ينظر: تفسير ابن كثير: 474/8.

(9) معالم التنزيل: 518/8.

الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يعني: الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يعني: أيها المؤمنون⁽¹⁾، وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أي: لو علمتم حق العلم، لما ألهاكم التكاثر، عن طلب الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر، ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^(٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، هذا تفسير الوعيد المتقدم، توعدهم بهذا الحال، وهو رؤية النار، التي إذا زفرت زفرة، خر كل ملك مقرب، ونبي مرسل، على ركبتيه من المهابة، والعظمة، ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك، وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، أي: عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة، والأمن، والرزق، وغير ذلك، ما إذا قابلتم نعمه من شكره، وعبادته، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله -ﷺ- ذات يوم، أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر، وعمر، فقال: "ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالوا: الجوع، قال: وأنا، والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا، فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحبا، وأهلا، فقال لها رسول الله -ﷺ-: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر الأنصاري إلى رسول الله -ﷺ-، وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، قال: فانطلق، فجاءهم بعذق فيه بسر، وتمر، ورطب، وقال: كلوا من هذه، وأخذ المدينة، فقال له رسول الله -ﷺ-: إياك، والحبوب، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا، ورووا، قال رسول الله -ﷺ- لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده، لتُسألنَّ عن هذا النعيم، يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا، حتى أصابكم هذا النعيم"، رواه مسلم⁽²⁾، وقد رواه الأئمة الأربعة، وابن جرير، بنحو هذا السياق⁽³⁾، والرجل الأنصاري هو: أبو الهيثم التيهان⁽⁴⁾، وعن

(1) ينظر: معالم التنزيل: 518/8، جامع البيان: 581/24.

(2) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ويتحققه تحقيقاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، حديث رقم: (2038).

(3) سنن ابن ماجه، باب: النهي عن ذبح نوات الدر، حديث رقم: (3181)، سنن أبي داود، باب: في المشورة، حديث رقم:

(5128)، سنن الترمذي، باب: في معيشة أصحاب النبي -ﷺ-، حديث رقم: (2369)، قال أبو عيسى: حديث حسن

صحيح، غريب، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة: التكاثر، حديث رقم: (11697)، جامع البيان: 583/24.

(4) هو: مالك بن التيهان بن مالك الأنصاري، أبو الهيثم التيهاني، (يفتح المثناة الفوقانية، مع كسر الياء)، صحابي، جليل مشهور بكنيته، وكان أحد الستة الذين لقوا الرسول -ﷺ- أول ما لقيه الأنصار، وشهد العقبة الأولى، والثانية =

محمود بن الربيع⁽¹⁾ قال: لما نزلت: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل؟ وإنما هو الأسودان: الماء، والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: أما إن ذلك سيكون"، رواه أحمد⁽²⁾ وللترمذي نحوه، وفيه أن القائل: عن أي نعيم نسأل؟ هو الزبير، وكذا، لابن ماجة⁽³⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "إن أول ما يسأل عنه - يعني يوم القيامة - العبد النعيم، أن يقال له: ألم تُصِحَّ جسمك؟ ونروك من الماء البارد؟" تفرد به أحمد، والترمذي⁽⁴⁾، وقال زيد بن أسلم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿تُرَلَّ تُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، يعني: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا⁽⁶⁾، وقال الحسن: النعيم: الغذاء، والعشاء⁽⁷⁾، وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: النعيم: صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، يسأل الله العباد: فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽⁸⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -

= وكان نقيب بني عبد الأشهل، وهو أول من بايعه، وقيل: غير ذلك، وقيل: شهد صفين مع علي، ومات بعدها، ينظر: الإصابة: 449/7، أسد الغابة: 15/5.

(1) هو: محمود بن الربيع بن سراقبة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا نعيم، وقيل: أبا محمد، والثاني أثبت، صحابي، جليل، سكن المدينة، وقيل: هو نفسه محمود بن لبيد، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعتبان بن مالك، وعبادة، وغيرهم، وروى عنه أنس بن مالك، والزهري، ورجاء بن حيوة، ومكحول، وغيرهم، توفي سنة: (99 هـ)، وقيل: (96 هـ)، ينظر: الإصابة: 39/6، أسد الغابة: 120/5، تهذيب التهذيب: 57/10.

(2) مسند أحمد: 429/5، حديث رقم: (23690)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(3) سنن الترمذي، باب: سورة التكاثر، حديث رقم: (3356)، قال أبو عيسى: حديث حسن، سنن ابن ماجة، باب: معيشة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، حديث رقم: (4158).

(4) سنن الترمذي، باب: سورة: التكاثر، حديث رقم: (3358)، قال أبو عيسى: حديث غريب، وروى الحاكم نحوه، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، المستدرک على الصحيحين للحاكم: 153/4، حديث رقم: (7203)، ولم أقف عليه عند أحمد، ولعله سهو، وإنما تفرد به الترمذي.

(5) الدر المنثور: 611/8.

(6) ينظر: جامع البيان: 582/24.

(7) النكت والعيون: 332/6.

(8) سورة الإسراء، من الآية: 36.

قال: قال رسول الله -ﷺ-: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ" رواه البخاري⁽²⁾، يعني: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: عن النبي -ﷺ- قال: "يقول الله -عز وجل- يوم القيامة: يا ابن آدم، حملتك على الإبل، والخيول، وزوجتك النساء، وجعلتك تربع، وترأس، فأين شكر ذلك؟"، رواه أحمد⁽³⁾.

(1) جامع البيان: 582/24.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة، والفراغ، وأن لا عيش، إلا عيش الآخرة، حديث رقم: (6049).

(3) مسند أحمد: 492/2، حديث رقم: (10383)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، على شرط مسلم، وفي أحمد: "حملتك على الخيل والإبل".

تفسير سورة: العصر

"وهي مكية"

ذكروا أن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- (1) وفد على مسيلمة الكذاب (2)، وذلك بعد ما بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقبل أن يسلم عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة؟ فقال: لقد أنزل عليه سورة وجيزة، بليغة، فقال: وما هي؟ قال: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، ففكر مسيلمة هنيئة، ثم قال: وقد أنزل علي مثلها، فقال له عمرو: وما هي؟ قال: يا وَبْر، يا وَبْر، إنما أنت أذنان، وصدر، وسائر كحفر نقر، ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله، إنك لتعلم أي أعلم أنك تكذب (3)، والوبر: دويبة تشبه الهر، أعظم شيء منه أذناه، وصدرة، وباقيه لطيف، دميم، فأراد مسيلمة أن يُرَكِّب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابدي الأوثان في ذلك الزمان، وقال الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة، لوسعتهم (4).

(1) هو: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، صحابي، جليل، يكنى بأبي عبدالله، وأبي محمد، أسلم قبل الفتح سنة: (8 هـ)، وقيل: بين الحديبية، وخيبر، وهو من دهاة العرب في الإسلام، كان أمير مصر في زمن عمر، وقليل من زمن عثمان، فعندما نشبت الفتنة، كان مع معاوية، يدير له في أمر الحرب، ثم سار في جيش جهزه معاوية إلى مصر، فوليتها لمعاوية سنة: (38 هـ)، إلى أن توفي سنة: (43 هـ)، وقيل: قبلها بسنة، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وروى عنه ولداه عبدالله، ومحمد، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 650/4.

(2) هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حنيفة، يكنى بأبي ثمامة، وقيل: (أبي هارون)، وهو أول من أدخل بيضة في قارورة، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص، وكانت آياته منكوسة، تفل في بئر، سأله ذلك تبركاً، فمَلَح ماؤها، ومسح على عيني رجل، استشفى بمسحه، فابيضت عيناه، وغير ذلك كثير، ادعى النبوة في السنة العاشرة هجرية، وقتل زمن (أبوبكر الصديق)، بعد أن بعث له بجيش قوي بقيادة خالد بن الوليد، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين سنة: (12 هـ)، ينظر: الروض الأنف: 354/4، البداية والنهاية: 256/7، الأعلام للزركلي: 226/7.

(3) هذه القصة بعد إسلام عمر بن العاص، وعندما بعثه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى البحرين، وتوفي الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وعمرو هناك، ولأن عمرو بن العاص أسلم سنة: (8 هـ)، ومسيلمة ادعى النبوة سنة: (10 هـ)، ينظر: تاريخ مدينة دمشق: 153/46.

(4) تفسير ابن كثير: 479/8.

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

العصر: الزمان الذي تقع فيه حركات ابن آدم، من خير، وشر⁽¹⁾، وقيل: هو الوقت الذي يلي المغرب من النهار⁽²⁾، وقيل: هو صلاة العصر⁽³⁾، والمشهور الأول، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسارة، وهلاك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فاستثناهم عن جنسهم بالإيمان، بقلوبهم، والعمل الصالح، بجوارحهم، ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ﴾، أي: أوصى بعضهم بعضا بالإيمان، والقرآن، وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، أي: على المصائب والأقذار، وأذى من يؤدي ممن يأمرونه بالمعروف، وينهونه عن المنكر.

(1) وهو قول عن: ابن عباس، وزيد بن أسلم، ينظر: النكت والعيون: 333/6.

(2) وهو قول عن: قتادة، والحسن، ينظر: تفسير القرطبي: 179/20.

(3) وهو قول عن: مقاتل، ينظر: معالم التنزيل: 522/8، تفسير مقاتل: 516/3.

تفسير سورة: ويل لكل همزة لمزة [الهمزة]

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴿٤﴾ لِيُبَدِّلَنَّا فِي الْأَخْطَةِ ﴿٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْأَخْطَةُ ﴿٦﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٧﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٨﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٩﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿١٠﴾﴾

الهماز بالقول⁽¹⁾، واللاماز بالفعل⁽²⁾، يعني: الذي يزدري بالناس، وينتقص، وقد سبق ذلك في: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾⁽³⁾⁽⁴⁾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ﴾، طعان، يغتاب⁽⁵⁾، وقال الربيع: يهمزه في وجهه، ويلمزه في خلفه⁽⁶⁾، وقال قتادة: يهمزه، ويلمزه بلسانه، وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم⁽⁷⁾، وقال مجاهد: الهمزة باليد، والعين، واللمزة باللسان، وهي عامة⁽⁸⁾، وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، أي: جمعه، بعضه على بعض، وأحصى عدده، كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾⁽⁹⁾، قاله السدي، وابن جرير⁽¹⁰⁾، وقال محمد بن كعب: ألهاه ماله بالنهار، هذا في هذا، فإذا كان الليل، قام كأنه جيفة⁽¹¹⁾، وقوله: ﴿يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾، أي: يظن أن جمعه

(1) ينظر: لسان العرب، مادة: همز.

(2) ينظر: المصدر نفسه: مادة: لمز.

(3) سورة القلم، الآية: 11.

(4) المخطوط نفسه، اللوحة: (522/أ).

(5) ينظر: جامع البيان: 596/24.

(6) المصدر نفسه.

(7) المصدر نفسه: 597/24.

(8) ينظر: المصدر نفسه.

(9) سورة المعارج، الآية: 18.

(10) ينظر: جامع البيان: 598/24، النكت والعيون: 336/6.

(11) تفسير ابن كثير: 481/8.

المال يخلده في هذه الدار، ﴿كَلَّا﴾، أي: ليس الأمر كما زعم، ولا كما حسب، ثم قال: ﴿لِيُبْدَنَّ فِي الْحُطْمَةِ﴾، وهي: اسم من أسماء النار، يصفه بها؛ لأنها تُحَطَّم من فيها، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، قال ثابت البناني⁽¹⁾: أي: تحرقهم إلى الأفئدة، وهم أحياء⁽²⁾، وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى بلغت فؤاده، ثم يجدد خلقه، فترجع على جسده⁽³⁾، وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني: الأبواب، هي الممدودة⁽⁴⁾، وقال العوفي: في عمد من حديد⁽⁵⁾، وقال السدي: من نار⁽⁶⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أدخلهم في عمد، فمُدَّت عليهم بعماد، في أعناقهم السلاسل، فسُدَّت بها الأبواب⁽⁷⁾، وقال قتادة: كنا نُحَدِّثُ أنهم يعذبون بعمد في النار، واختاره ابن جرير⁽⁸⁾، وقال أبو صالح: يعني: القيود الطوال⁽⁹⁾، والله أعلم .

(أ/564)

-
- (1) هو: ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري، ثقة، محدث، كثير العبادة، وكثير قراءة القرآن، روى عن أنس، وابن الزبير، وابن عمر، وغيرهم، وروى عنه عطاء بن أبي رباح، وقتادة، وسليمان التيمي، وغيرهم، توفي سنة: (127 هـ)، وقيل: (123 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 3/2، سير أعلام النبلاء: 254/9.
- (2) لم أقف على هذا القول منسوباً لثابت، إلا عند ابن كثير، ينظر: تفسير ابن كثير: 481/8، وقد تُسبب إلى محمد بن المنكدر، ينظر: الدر المنثور: 625/8، تاريخ مدينة دمشق: 50/56.
- (3) ينظر: تفسير القرطبي: 185/20، الدر المنثور: 625/8.
- (4) ينظر: الدر المنثور: 625/8.
- (5) ينظر: المصدر نفسه.
- (6) ينظر: المصدر نفسه.
- (7) ينظر: جامع البيان: 600/24.
- (8) ينظر: المصدر نفسه.
- (9) ينظر: الدر المنثور: 625/8.

تفسير سورة: الفيل

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ

طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنوفهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وكانوا قوما نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا، مما كان عليه من قريش، من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص، والتوطئة، لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد، على أشهر الأقوال، ولسان الحال يقول: [الم] (1) ننصركم يا معشر قريش على الحبشة، لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق، الذي سنشرفه، ونعظمه، ونوقره، ببعثة النبي الأمي خاتم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه-، وقصة أصحاب الفيل (على وجه الاختصار): أن ذا نواس، وكان آخر ملوك حمير، وكان مشركا، وهو الذي قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارى، قريبا من عشرين ألفا، فلم يفلت منهم إلا دوس، ذو ثعلبان (2)، فذهب، فاستغاث بقيصر، ملك الشام، وكان نصرانيا، فكتب له [إلى] (3) النجاشي، ملك الحبشة (4)، لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أميرين: أرياط (5)، وأبرهة بن

(1) في المخطوط (الم)، والصواب: (لم).

(2) هو: رجل من أصحاب الأخدود، أفلت من ذي نواس، وهرب منهم، فقدم على قيصر، فانتصره على ذي نواس، وجنوده، وأخبره بما فعل، فقال له: بعدت بلادك مني، فأرسله إلى النجاشي، ملك الحبشة، بكتاب، فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفا، وأمر عليهم أرياط، وفي جنوده أبرهة، فساروا في البحر، حتى قدموا لساحل اليمن، وظهروا على ذي نواس، ينظر: الكامل في التاريخ: 344/1.

(3) ساقطة من المخطوط، ولا يصح السياق إلا بها.

(4) هو: غير النجاشي الذي في زمن الرسول ﷺ، ينظر: سير أعلام النبلاء: 373/1، الكامل في التاريخ: 334/1.

(5) هو: قائد لجيش النجاشي مع أبرهة على اليمن، وذكره ابن إسحاق باسم: روزبة، ينظر: سيرة ابن إسحاق: 36/1، الكامل في التاريخ: 334/1، تاريخ الرسل والملوك: 438/1.

الصباح، أبا يكسوم⁽¹⁾، في جيش كثيف، فدخلوا اليمن، فجاسوا خلال الديار، واستلبوا الملك من حمير، وهلك ذو نواس غريقاً في البحر، واستقل الحبشة بملك اليمن، وعليه هذان الأميران أرياط، وأبرهة، فاختلفا في أمرهما، وتساولا، وتقاولا، وتقاتلا، وتصافا، فقال أحدهما للآخر: إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا، ولكن أُبْرز إلي، وأبرز إليك، فأينا قتل الآخر، استقل بعده بالملك، فأجابه إلى ذلك، فتبارزا، وأخلف كل واحد منهما قناة، فحمل أرياط على أبرهة، فضربه بالسيف، فشرم أنفه، وشففته، وشق وجهه بالسيف، وحمل عتودة⁽²⁾، فولى أبرهة جريحا، فلما برأ، واستقل تدييره الحبشة باليمن، كتب إليه النجاشي يلومه، على ما كان منه، ويتوعده ويحلف، ليطأن بلاده، ويجز ناصيته، فأرسل إليه أبرهة يترفق له، ويصانعه، وبعث معه رسوله بهدايا، وتحف، وبجراب فيه من تراب اليمن، وجز ناصيته، وأرسلها معه، وكتب إليه؛ ليطأ الملك على هذا الجراب، فيبر قسمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك، فلما وصل ذلك إليه، أعجبه منه، ورضي عنه، وأقره على عمله، وأرسل أبرهة إلى النجاشي، يقول: إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن، لم يُبْنِ قبلها مثُلاً، فشرع في بناء كنيسة، هائلة، بصنعاء، رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء، سمَّتها العرب: القُلَيْس؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه؛ لارتفاع بنائها، وعزم أبرهة الأشرم على أن يصرف حج العرب إليها، كما يُحجَّ إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية، والقحطانية، ذلك، وغضبت قريش غضبا شديداً، حتى قصدها بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً، فأحدث فيها، وكر راجعا، فلما رأى السدنة⁽³⁾ ذلك الحدث، رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة، وقالوا: إنما صنع هذا بعض قريش، غضبا لبيتهم، الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيّر إلى بيت مكة، وليخرينه حجرا حجرا، وذكر مقاتل بن سليمان: أن فئة من قريش دخلوها، فأججوا فيها

(1) ويقال له: أبرهة الأشرم، وهو حبشي، ينظر: المصادر نفسها، البداية والنهاية: 137/3.

(2) وهو: غلام مملوك، وضعه أبرهة؛ ليقتل أرياط، أثناء المباراة، ففعل ذلك، وكان قد عاهده أبرهة بتلبية كل ما يطلب، فطلب من أبرهة ألا تدخل عروس من أهل اليمن على زوجها، حتى يصيبها، فقال له أبرهة: لك ذلك، فغضب منه أهل اليمن، فقتلوه، ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 439/1، الروض الأنف: 99/1.

(3) السدنة: جمع سادين، وهو خادم الكعبة، وبيت الأصنام، والسدنة: حجاب البيت، وقومة الأصنام في الجاهلية، وهو الأصل، ينظر: لسان العرب، مادة: سدن.

نارا، وكان يومئذ هواء شديد، فاحترقت، وسقطت إلى الأرض⁽¹⁾، فتأهب الملك، وسار في جيش كثيف كثير؛ لئلا يصدّه أحد عنه، واستصحب معه فيلا عظيما، كبير الجثة، لم يُر مثله⁽²⁾، يقال له محمود، وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة، لذلك، ويقال: معه أيضا ثمانية أفيال⁽³⁾: وقيل: اثنا عشر فيلا⁽⁴⁾، والله أعلم، يعني: (564/ب)

ليهدم به الكعبة، بأن يجعل السلاسل في الأركان، وتوضع في عنق الفيل، ثم يزجر؛ ليلقى الحائط جملة واحدة، فلما سمعت العرب بمسيره، أعظموا ذلك جدا، ورأوا أن حقا عليهم المحاربة دون البيت، وردّ من أراده بكيده، فخرج إليه رجل كان من أشرف اليمن، وملوكها، يقال له ذو نفر⁽⁵⁾، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه، وإخراجه، فأجابوه، وقاتلوا أبرهة، فهزمهم؛ لما يريد الله من كرامة البيت، وتعظيمه، وأسر ذا نفر، فاستصحبه معه، ثم مضى لوجهه، حتى إذا كان بأرض خثعم، فعرض له نفيل بن حبيب الخثعمي⁽⁶⁾، في قومه شهران، وناهس، فقاتلوه، فهزمهم أبرهة، وأسر نفيل بن حبيب، فأراد قتله، ثم عفا عنه، واستصحبه معه؛ ليدله في بلاد الحجاز، فلما اقترب من أرض الطائف، خرج إليه أهلها، وصانعوه، خيفة على بيتهم، الذي عندهم، الذي يسمونه: اللات، فأكرمهم، وبعثوا معه أبا رغال⁽⁷⁾ دليلا، فلما انتهى أبرهة إلى المغمس، وهو قريب من مكة، نزل به، وأغار جيشه إلى مرج أهل مكة، من الإبل، وغيرها، فأخذه، وكان في المرح مائتا بعير لعبد المطلب، وكان الذي أغار على المرح باسم أبرهة أمير المقدمة، يقال له

(1) ينظر: تفسير مقاتل: 520/3.

(2) وهو قول مقاتل، وأكثر المفسرين، ينظر: تفسير القرطبي: 193/20، معالم التنزيل: 532/8، 540/8.

(3) وهو قول عن: الضحاك، ينظر: الكشف والبيان: 296/10.

(4) هذا القول لم يُذكر قائله في التفاسير التي وقفت عليها، ينظر: تفسير البحر المديد: 535/8، الكشف والبيان: 295/10، السراج المنير: 430/4، معالم التنزيل: 538/8.

(5) هو: ذو نفر الحميري، من أشرف أهل اليمن، وملوكهم، وكان هو من أوصى سائس الفيل، ليدع عبدالمطلب يدخل على أبرهة، ويكلمه بشأن الإبل، ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 440/1، البداية والنهاية: 141/3.

(6) هو: نفيل بن حبيب الخثعمي، شاعر جاهلي، يلقب بنذي اليبدين، كان دليلاً لأبرهة الحبشي، في زحفه على مكة، ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 440/1، الكامل في التاريخ: 342/1، الأعلام للزركلي: 45/8.

(7) هو: قسي بن منبه بن النبييت بن يقدم من بني إباد، أبو رغال، صاحب القبر، الذي يرجع إلى اليوم بين مكة، والطائف، وهو جاهلي، اختلفوا في اسمه، ونسبه، ومنشئه، وكان في الطائف، في ديار ثقيف، وكانت ثقيف تُعبر به، وكان دليل الحبشة، لما غزوا الكعبة، ودُفن في المغمس، مات سنة: (50 ق . هـ)، ينظر: البداية والنهاية: 142/3، الأغاني: 299/4، تأليف: (أبو فرج الأصفهاني)، تح: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط: الثالثة.

الأسود بن مقصود⁽¹⁾، وبعث أبرهة حناطة الحميري⁽²⁾ إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجرئ لقتالكم، إلا أن تصدوه عن البيت، فجاء حناطة، فدل على عبد المطلب بن هشام، وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله، ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه، فهو بيته، وحرمته، وإن لم يخل بينه، وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطة: فاذهب معي إليه، فذهب معه، فلما رآه أبرهة، أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً، حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له حاجتك، فقال للترجمان: حاجتي أن يرد عليّ الملك ماأتي بهير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتي حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك، حين كلمتني، أتكلمني في ماأتي بهير، أصبتها لك، وتترك بيتا، هو دينك، ودين آبائك، قد جئت؛ لهدمه، لا تكلمني فيه، فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: أنت وذاك، ويقال: إنه ذهب مع [عبد]⁽³⁾ المطلب جماعة من أشرف العرب، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع إلى البيت، فأبى عليهم، ورد أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤوس الجبال، تخوفاً عليهم، من معرة الجيش، ثم قام عبدالمطلب، فأخذ بحلقة الباب، وقام معه نفر من قريش، يدعون الله، ويستتصرونه على أبرهة، وجنده، وقال عبد المطلب: وهو آخذ بحلقة الباب:

لاهم إنَّ المرءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ * * وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبنَّ صلبهم ومخالهم غدواً مخالك⁽⁴⁾

(1) هو: الأسود بن مقصود بن الحارث الحبشي، كان قائد جيش أبرهة، الذي هاجم مكة، وأخذ أموالها، ومن بين تلك الأموال إبل عبدالمطلب، ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 441/1، الكامل في التاريخ: 342/1، الروض الأنف: 126/1، السيرة لابن هشام: 167/1.

(2) هو رسول أبرهة إلى أهل مكة، يخبرهم أن أبرهة لم بأت لقتالهم، وإنما قدم لهدم الكعبة، ينظر: تاريخ الرسل والملوك: 441/1، الكامل في التاريخ: 342/1.

(3) ساقطة من النص.

(4) ينظر: تفسير القرطبي: 190/20، سيرة ابن إسحاق: 39/1، المستدرک على الصحيحين: 583/2، حديث رقم: 3974، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، وخرجوا إلى رؤوس الجبال، فلما أصبح أبرهة، تهباً لدخول مكة، وهياً فيه، وكان اسمه: (محمود)، وعباً جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة، أقبل نفيل بن حبيب، حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه: ابرك محمود، أو ارجع راشداً، من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج [حبيب بن نفيل]⁽¹⁾ يشتد، حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل؛ ليقوم، فأبى فضربوا في رأسه بالطبرزين، وهو الذي يضرب به رأس الفيل، وأدخلوا محاجن لهم في مرقاه، فبزغوه بها؛ ليقوم؛ فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة، فبرك، وأرسل الله طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، والبلسان مع كل طائر، منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص، والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هارين، بيتدرون الطريق، ويسألون عن نفيل؛ ليدلهم على الطريق، هذا، ونفيل على رأس الجبل مع قریش، وعرب الحجاز ينظرون، ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة⁽²⁾، وطفق نفيل يقول:

أين المفر وإليه الغالب * * والأشرم المغلوب غير الغالب⁽³⁾

وفي رواية للواقدي⁽⁴⁾: فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل، أي: قطعاً، قطعاً، صفراً، دون الحمام، وأرجلها حمر، ومع كل طائر ثلاثة أحجار، وجاءت، وأرسلت تلك الأحجار عليهم، فهلكوا⁽⁵⁾، وقال وهب بن منبه: فربض الفيل المحمود؛

(1) في المخطوط: (حبيب بن نفيل)، والصواب (نُفيل بن حبيب).

(2) ينظر: سيرة ابن إسحاق: 39/1.

(3) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: 172/1، جامع البيان: 614/24، النكت والعيون: 341/6، وفيها: أين المفر، وإليه الطالب، .. والأشرم المغلوب غير الغالب.

(4) هو: محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي، مولاها، أبو عبدالله المدني، مشهور بالسخاء، عالم بالسير والمغازي، أحد أوعية العلم، متفق على ضعفه، لا يتقن الحديث، له تصانيف كثيرة منها: تاريخ الفقهاء، ذم الهوى، وترك الخوارج في الفتن، الحدود، والشبهات، وغيرها، روى عن محمد بن عجلان، والأوزاعي، وابن جرير، وغيرهم، وروى عنه الشافعي، وسليمان بن داود الشاذكوني، ومحمد بن يحيى الأزدي، وغيرهم، ولاه المأمون قاضياً، فلم يزل كذلك، إلى أن توفي سنة: (207 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 480/17، تهذيب التهذيب: 323/9، معجم المؤلفين: 95/11.

(5) ينظر: الكشف والبيان: 295/10، تفسير ابن كثير: 486/8.

ليقتدي به بقية الفيلة، وكان فيها فيل تشجع، فحصب، فهربت بقية الفيلة⁽¹⁾، قال عطاء، وغيره: وليس كلهم أصابه العذاب في الساعة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً، عضواً، وهم هاربون، وكان أبرهة ممن يتساقط عضواً، عضواً، حتى مات ببلاد خثعم⁽²⁾، قال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، فخرجوا به معهم، يسقط أئملة، أئملة، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فما مات، حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما زعموا⁽³⁾، وذكر مقاتل بن سليمان: أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم، وما كان معهم، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب، ما ملأ حفرة⁽⁴⁾، قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمداً -ﷺ-، كان فيما يعد به على قريش، من نعمته عليهم، وفضله، ما رد عنهم عن أمر الحبشة؟ لبقاء أمرهم، ومدتهم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾، ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ (١) إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾⁽⁵⁾، أي: لئلا يغير شيئا من حالهم، التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير، لو قبلوه⁽⁶⁾.

قال ابن هشام: الأبايل: الجماعات، ولم يتكلم العرب بواحدة، قال: فأما السجيل، فهو: عند العرب الشديد الصلب، قاله يونس النحوي⁽⁷⁾، وأبو عبيدة⁽⁸⁾، وذكر بعضهم: أنهما

(1) لم أقف عليه من رواية: "وهب بن منبه" إلا في تفسير ابن كثير: 486/8، ويحتمل أن يكون هذا الكلام للواقدي، ينظر: الكشف والبيان: 295/10، معالم التنزيل: 539/8.

(2) ينظر: الدر المنثور: 632/8.

(3) ينظر: سيرة ابن إسحاق: 40/1.

(4) ينظر: تفسير مقاتل: 523/3.

(5) سورة قريش، الآيات من: 1 - 4.

(6) ينظر: السيرة لابن هشام: 173/1.

(7) هو: يونس بن حبيب الضبي الولاء البصري، أبو عبد الرحمن، بارع في النحو، وكانت له حلقة بالبصرة، ينتابها أهل العلم، وله قياس في النحو، ومذاهب يتفرد بها، سمع من العرب، وله مؤلفات منها: كتاب معاني القرآن الكريم، اللغات، النوادر، الأمثال، وغيرها، وكان يعرف بيونس النحوي، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وحمام بن سلمة، وأخذ عنه الكسائي، وسيبويه، والفرء، وآخرون، توفي سنة: (182 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: بغية الوعاة: 365/2، وفيات الأعيان: 244/7.

(8) هو: معمر بن المثني التيمي البصري، أبو عبيدة النحوي، مولى بني تميم (تميم قريش)، كان كثير العلم، والفائدة، وهو أول من صنف غريب الحديث، قيل: إنه كان يرى رأي الخوارج الإباضية، له مصنفات منها: المجاز في غريب القرآن، الأمثال في غريب الحديث، معاني القرآن وغيرها، أخذ عن: يونس، وأبي عمرو، وهشام بن عروة، وأخذ عنه أبو عبيدة، وأبو حاتم، والمازني، وغيرهم، توفي سنة: (209 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: بغية الوعاة: 221/10، وفيات الأعيان: 235/5.

كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سنج، وجل، يعني: الحجر، والطين، أي: الحجارة، كانت من هذين الجنسين، الحجر، والطين، والعصف: ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب، واحدته: عصفة⁽¹⁾.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-، وغيره: أبابيل: الفرقُ يتبع بعضها بعضاً⁽²⁾، وقال الحسن، وقتادة: الأبابيل المختلفة تأتي من ههنا، ومن ههنا، أتتهم من كل مكان⁽³⁾، وقال بعض النحويين: واحد الأبابيل، إِبَيْلٌ⁽⁴⁾، وقيل: هي الأقاطيع، كالإبل المؤبلة⁽⁵⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: كانت لها خراطيم، كخراطيم الطير، وأكف، كأكف الكلاب⁽⁶⁾، وقال عكرمة: كانت طيراً، خضراً، خرجت من البحر، لها رؤوس، كرؤوس السباع⁽⁷⁾، وقيل: طير سودٌ بحرية، في مناقيرها، وأظافيرها الحجارة⁽⁸⁾، وقال عطاء: هي مثل التي يقال: عنقاء المُعْرَبِ⁽⁹⁾، وقال عبيد بن عمير⁽¹⁰⁾: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث عليهم طيراً، أنشئت من البحر، أمثال الخطاطيف، كل طير منها تحمل على ثلاثة أحجار، مجزعة، حجرتين في رجليه، وحجراً في منقاره، فجاءت، حتى صفت على رؤوسهم، ثم صاحت، وألقت ما في رجليها، ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل، إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده، إلا خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحاً شديدة، فضربت

(1) ينظر: السيرة لابن هشام: 174/1.

(2) وهو أيضاً عن: الضحاك، ومجاهد، ينظر: تفسير مجاهد: 782/2، تفسير القرطبي: 197/20.

(3) هذا القول لابن زيد، وليس للحسن، وقتادة، هكذا، ذكره ابن جرير، ينظر: جامع البيان: 606/24.

(4) ينظر: لسان العرب: 3/11، جامع البيان: 605/24.

(5) وهو قول عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، جامع البيان: 606/24.

(6) المصدر نفسه: 607/24.

(7) المصدر نفسه.

(8) وهو قول عن عبيد بن عمير، المصدر نفسه.

(9) هذا القول لعكرمة، ومجاهد، ولم أقف عليه منسوباً لعطاء، إلا عند ابن كثير، في تفسيره هذه الآية، ينظر:

النكت والعيون: 342/6، تفسير مجاهد: 783/2.

(10) هو: عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ثم الجندعي، أبو عاصم المكي، ثقة، مفسر، من كبار التابعين، روى

عن أبيه، وله صحبة، وعمر، وعلي، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه عطاء، ومجاهد، وعمرو بن دينار،

وغيرهم، توفي سنة: (68 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 65/7، سير أعلام النبلاء: 172/7.

الحجارة، فزادتها شدة، فَأَهْلِكُوا جميعاً، رواهما ابن أبي حاتم⁽¹⁾، وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، قال ابن جبیر: یعنی: التبن، الذي تسميه العامة "هُبُور، أو ورق الحنطة"⁽²⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: العصف: القشرة التي على الحبة، كالغلاف على الحنطة⁽³⁾، والمعنى: أن الله - سبحانه - أهلکهم، وردهم بكيدهم، وغيظهم، لم ينالوا خيراً، ولم يرجع منهم مخبر، إلا وهو جريح، كما جرى لِمَلِكِهِمْ أبرهة، فإنه انصدع صدره عن قلبه، حين وصل صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات، ثم ملك بعده ابنه يَكْسُوم⁽⁴⁾، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة⁽⁵⁾، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري⁽⁶⁾، إلى كسرى، فاستغاثه على الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه، وقاتلوا معه، فرد الله إليه الملك، وجاءته وفود العرب؛ للتهنئة وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لقد رأيت قائد الفيل، وسائسه بمكة، أعميين، مقعدين، يَسْتَنْطَعِمَانِ، قاله ابن إسحاق، والواقدي عنها⁽⁷⁾، وعن أسماء بنت الصديق⁽⁸⁾، قالت:

(1) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3466/10، حديث رقم: 19483.

(2) ينظر: جامع البيان: 18/22، الدر المنثور: 633/8، تفسير ابن كثير: 488/8.

(3) ينظر: تفسير القرطبي: 199/20.

(4) هو: يكسوم بن أبرهة، وبه كان يكنى أبرهة، وهو الذي تولى المُلْكَ بعد والده، واستمرت مدة ملكه تسع عشرة سنة، ينظر: السيرة لابن هشام: 182/1، الأغاني: 312/17.

(5) هو: مسروق بن أبرهة ملك الحبشة، تولى الملك من بعد أخيه يكسوم، واستمر في ملكه اثنتي عشرة سنة، وهو آخر ملك من ملوك الحبشة، مات على يد "وهرز" رامياً من الفرس، قد بعث به كسرى ملكهم، ينظر: الأغاني: 308/17، السيرة لابن هشام: 182/1.

(6) هو: سيف بن ذي يزن بن ذي أصفح الحميري، من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم، قيل: اسمه معدكرب، استجد بملك الروم، فلم يلتفت إليه، فذهب إلى النعمان بن المنذر، فأوصله إلى كسرى، ملك الفرس، فحدثه بأمره، فبعث معه كسرى نحو ثمانمائة رجل، ممن كانوا في سجنونه، وأمر عليهم "وهرز"، فقتلوا مسروقاً، وأصبح سيف بن ذي يزن هو الملك، المتصرف بالحبشة، ومكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة، وقيل: غير ذلك، إلى أن قتله بقايا الأحباش، الذين عطف عليهم، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، مات قبل الهجرة بـ(50) عاماً، ينظر: السيرة لابن هشام: 182/1، الأغاني: 308/17.

(7) السيرة لابن إسحاق: 42/1، الدر المنثور: 633/8، كشف الأستار عن زوائد البزار: 48/2، حديث رقم: (1176)، مجمع الزوائد: 619/3، حديث رقم: (5704)، قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله ثقات.

(8) هي: أسماء بنت عبد الله بن عثمان التيمية، بنت أبي بكر الصديق، والدة عبد الله بن الزبير بن العوام، أسلمت قديماً، بمكة، قال ابن إسحاق: بعد سبعة عشر نفساً، ولقبت بذات النطاقين؛ لأنها صنعت للنبي - ﷺ -، وأبيها، سفرة، لما هاجرا، فلم تجد ما تشدها به، فشقت نطاقها، وشدت السفرة به، فسمها النبي - ﷺ - ذات النطاقين، وطال عمرها، وعميت، وبقيت إلى أن قتل ابنها سنة (73 هـ)، وعاشت بعد قتله عشرين يوماً، وقيل: غير ذلك، روت عن النبي - ﷺ -، وروى عنها ابناها عبد الله، وعروة، وابن عباس، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 486/7، أسد الغابة: 12/7.

كانا مقعدين، يستطعمان الناس عند إساف، ونائلة، حيث يذبح المشركون ذبائحهم⁽¹⁾،
ومما قيل في قصة الفيل شعر عبد الله بن الزبيري⁽²⁾:

(565/ب) تتكلموا عن بطن مكة إنها * * كانت قديماً لا يُرام حريمها
لم تُخلق الشعري ليالي حُرمت * * إذ لا عزيز من الأنام يرُومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى * * فلسوف يُنبي الجاهلين علمها
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم * * بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عادٌ وجُزهم قبلهم * * والله من فوق العباد يُقيمها⁽³⁾

وفي الصحيحين: أن رسول الله - ﷺ -، قال يوم فتح مكة: "إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله، والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الغائب الشاهد"⁽⁴⁾.

(1) لم أقف عليه منسوباً إلى أسماء، إلا عند ابن كثير، ينظر: تفسير ابن كثير: 489/8.
(2) هو عبد الله بن الزبيري (بكسر الزاي، والموحدة، وسكون المهملة، بعدها راء مقصورة) بن قيس بن عدي القرشي، السهمي، كان شديداً على المسلمين في الجاهلية، وهرب يوم الفتح إلى نجران، فقال فيه حسان بن ثابت شعراً، فلما بلغه ذلك الشعر، رجع إلى مكة، وأسلم، واعتذر للنبي - ﷺ -، ومدحه، توفي سنة: (15 هـ) تقريباً، ينظر: الإصابة: 87/4، أسد الغابة: 242/3.
(3) ينظر: السيرة لابن هشام: 177/1.
(4) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، حديث رقم: (112)، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة، وصيدها، وخلاها، وشجرها، ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، حديث رقم: (1355)، واللفظ مختلف.

تفسير سورة: لإيلاف [قريش]

"وهي مكية"

عن أم هانئ بنت أبي طالب⁽¹⁾ - رضي الله عنها - : أن رسول الله - ﷺ - قال: "فَضَّلَ اللهُ قريشًا بسبع خِلالٍ: أُنِي فيهِم، وَأُنِ النَّبوَّةُ فيهِم، والحِجابَةُ، والسَّقايةُ فيهِم، وَأُنِ اللهُ نَصَرَهُم على الفيل، وَأُنِهِم عَبدوا اللهُ عَشرَ سَنين، لا يَعبُدُهُ غَيرُهُم، وَأُنِ اللهُ أَنزَلَ فيهِم سورَةَ مِنَ القُرآن، ثم تلاها رسول الله - ﷺ - سورة: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾"، حديث غريب، رواه البيهقي في كتاب الخلافيات⁽²⁾، والله أعلم بصفاتها.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم) وإن كانت متعلقة بما قبلها، كما صرح به ابن إسحاق، وابن زيد؛ لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أصحابه، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، لائتلافهم، واجتماعهم، في بلادهم آمين⁽³⁾، وقيل: المراد بذلك: ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء، إلى اليمن، وفي الصيف، إلى الشام، في المتاجر، وغير ذلك⁽⁴⁾،

(1) هي: أم هانئ، بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، ابنة عم النبي - ﷺ -، قيل: اسمها فاتخة، وقيل: فاطمة، وقيل: هند، والأول أشهر، أسلمت عام الفتح، بمكة، وهرب زوجها (هبيرة) إلى نجران، وماتت بعد أخيها، علي بن أبي طالب، روت عن النبي - ﷺ -، وروى عنها ابنها جعدة، وابنه يحيى، وحفيدها هارون، وعبدالله بن عباس، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 317/8، أسد الغابة: 442/7.

(2) لم أقف عليه عند البيهقي، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: 584/2، حديث رقم: (3975)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(3) ينظر: جامع البيان: 620/24، الروض الأنف: 131/1.

(4) وهو قول عن: ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، ينظر: جامع البيان: 622/24، تفسير القرطبي: 201/20.

ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين، لعظمتهم عند الناس، لكونهم أهل حرم الله، فمن عرفهم، أكرمهم، هذا حالهم في أسفارهم، وفي رحلتهم، في شتائهم، وصيفهم، وأما في حال إقامتهم، في بلدهم، فكما قال الله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾⁽¹⁾، ولهذا قال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١١٠﴾⁽²⁾، وهو بدل من الأول مفسراً، ولهذا قال ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، وقال ابن جرير: الصواب أن اللام لام تعجب، كأنه يقول: "اعجبوا لإيلاف قريش، ونعمتي عليهم في ذلك"⁽²⁾، قال: وذلك، لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان، مستقلتان، ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أي: فليؤحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً، وبيتاً، مُحَرَّمًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١١١﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾، أي: هو رب البيت، وهو: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، أي: تفضل عليهم بالأمن، من الأوقات، والعاهات، وبالرخص، فليفردوه وحده، لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنما، ولا ندا، ولا وثناً، ولهذا من استجاب لهذا الأمر، جمع الله له من أمن الدنيا، وأمن الآخرة، ومن عصاه، سلبها منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٣﴾⁽⁴⁾ ولقد جاءهم رسولٌ منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ۝١١٣﴾⁽⁴⁾، وعن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١١٠﴾⁽⁵⁾، إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، وَيَحْكُمُ! يا معشر قريش، اعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف"، رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، وذكر البغوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -:

(1) سورة العنكبوت، من الآية: 67.

(2) ينظر: جامع البيان: 621/24.

(3) سورة النمل، الآية: 91.

(4) سورة النحل، الآيتان: 112 - 113.

(5) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 3467/10، حديث رقم: (19486) مسند أحمد: 460/6، حديث رقم: (27648)،

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

أنهم كانوا في ضُرٍّ، ومجاعة، حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني، حتى كان فقيرهم كغنيهم⁽¹⁾، قال الكلبي: وأول من حمل السمراء، من الشام، ورحل إليها الإبل، هاشم بن عبد مناف⁽²⁾، وفيه قال الشاعر⁽³⁾:

قل للذي طلب السماحة والندى * * هَلَّا مَرَّرْتُ بآلِ عَبْدِ مَنْفٍ
هَلَا مَرَّرْتُ بِهِمْ تَرِيدَ قِرَاهِم * * يَمْنَعُوكَ مِنْ ضَرٍّ وَمِنْ أَكْنَفِ
الرَّائِثِينَ وَلَيْسَ يُوْجِدُ رَائِش * * وَالْقَائِلِينَ: هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
وَالخَالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ * * حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
وَالْقَائِلِينَ بِكُلِّ وَعْدٍ صَادِقٍ * * وَالرَّاحِلِينَ بِرِحْلَةِ الْإِيْلَافِ
عَمَّرُوا الْعُلَى هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ * * وَرَجَالَ مَكَّةَ مُسْنِنُونَ عِجَافِ
سَفَرَيْنِ سَنَهُمَا لَهُ وَلِقَوْمِهِ * * سَفَرَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَضْيَافِ⁽⁴⁾

(1) معالم التنزيل 548/8.

(2) هو: هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة من قريش، ولد بمكة، وتولى بعد موت أبيه سقاية الحاج ورفادته، وهو أحد من انتهت إليه السيادة في الجاهلية، وكان اسمه: عمرو، وغلب عليه لقبه هاشم؛ لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة، في إحدى المجاعات، وهو أول من سن الرحلتين لقريش؛ للتجارة، رحلة الشتاء إلى اليمن، والحبشة، ورحلة الصيف إلى غزة، وبلاد الشام، وإليه نسبة الهاشميين، توفي في غزة، عندما كان خارجاً في تجارة إلى اليمن، فمرض في الطريق، فتوجه إلى غزة، ومات فيها، شاباً، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 75/1، تأليف: محمد بن سعد بن منيع (أبو عبدالله) البصري، الزهري، دار صادر، بيروت، بلا: (تح، ط)، الأعلام للزركلي: 66/8.

(3) هو: ابن الزبير، ينظر: الكشف والبيان: 303/10، نهاية الأرب في فنون الأدب: 369/2، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تح: مفيد قمحية، وجماعة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت (2004م).

(4) ينظر: معالم التنزيل: 548/8.

تفسير سورة: الماعون

"وهي مكية"

(أ/566)

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

يعني: أرايت يا محمد، الذي يكذب بالدين، وهو المعاد، والجزاء، والثواب، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، أي: يقهره، ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع بالعنف⁽¹⁾، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٨﴾﴾⁽²⁾، أي: لا يأمر بإطعامه، ولا يحث على ذلك، ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغيره: يعني: المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في السر⁽³⁾، ولهذا قال: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾، أي: الذين هم من أهل الصلاة، وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها، بالكلية، كما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -، وإما عن فعلها، في الوقت المقدر لها شرعا، فيخرجها عن وقتها، بالكلية، كما قاله مسروق⁽⁴⁾، وغيره⁽⁵⁾، [قال عطاء]⁽⁶⁾: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولم يقل في

(1) ينظر: لسان العرب، مادة: دع.

(2) سورة الفجر، الآيتان: 17 - 18.

(3) وهو أيضاً عن: علي بن أبي طالب، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 633/24.

(4) هو: مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الوادعي، أبو عائشة، فقيه، عابد، ثقة من التابعين، شلت يده في القادسية، ولم يتخلف عن حروب علي، وكان أحد أصحاب ابن مسعود، الذين يُقرئون الناس، ويفتون، روى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم، وروى عنه الشعبي، وإبراهيم النخعي، وأبو إسحاق السبيعي، وغيرهم، توفي سنة: (63 هـ)، وقيل: (62 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 100/10.

(5) وهو أيضاً عن: سعد بن أبي وقاص، وابن عباس، والحسن، ومصعب بن سعد، وابن أبيزى، وأبي الضحى، ومسلم بن صبيح، ينظر: جامع البيان: 630/24، الدر المنثور: 642/8.

(6) زيادة يستدعيها السياق.

صلاتهم ساهون⁽¹⁾، وإما عن وقتها الأول، فيؤخرونها إلى آخرها، دائماً، أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها، وشروطها، على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها، والتدبر لمعانيها، فاللفظ هذا يشمل كله⁽²⁾، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي، كما في الصحيحين: عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني شيطان، قام، فنقر أربعاً، لا يذكر الله فيها، إلا قليلاً"⁽³⁾، فهذا آخر صلاة العصر، التي هي الوسطى، كما ثبت به النص إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها، فنقرها نقر الغراب، بلا طمأنينة، ولا خشوع، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽⁴⁾، ولعله، إنما حمله على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يصل بالكلية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽⁵⁾، وقال ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾⁽⁶⁾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ، وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من سمع الناس بعمله، سمع الله به سامع خلقه، وحقره، وصغره"، رواه أحمد، والبيهقي⁽⁶⁾، ومما يتعلق بهذه الآية: أن من عمل عملاً، فأطلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياءً، بدليل ما روي عن أبي هريرة قال: كنت أصلي، فدخل علي رجل، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: كُتِبَ لَكَ أَجْرَانِ: أجر السر، وأجر العلانية"، رواه الحافظ أبو يعلى

(1) تفسير القرطبي: 212/20.

(2) ينظر: جامع البيان: 632/24.

(3) صحيح مسلم، كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، باب: استحباب التكبير بالعصر، حديث رقم: (622)، واللفظ متفق، إلا أنه لم يكرر قوله: "تلك صلاة المنافق"، ولم أقف عليه في صحيح البخاري، ولعله سهو من المؤلف، أو الناسخ، ولعله أراد كما في الصحيح.

(4) هذا فيه تكرار للآية، ولعل السؤال ما ذكره ابن كثير: "لا يذكر الله فيها، إلا قليلاً"، ينظر: تفسير ابن كثير: 493/8.

(5) سورة النساء، من الآية: 142.

(6) مسند أحمد: 223/2، حديث رقم: (7085)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، على شرط الشيخين، شعب الإيمان للبيهقي: 331/5، حديث رقم: (6821)، واللفظ لأحمد.

الموصلية⁽¹⁾⁽²⁾، قال ابن المبارك⁽³⁾: نَعَمْ، الحديث للمرائين⁽⁴⁾، وفي رواية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال⁽⁵⁾ رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل، يسره، فإذا أطلع عليه، أعجبه، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "له أجران أجر السر، وأجر العلانية"، رواه الترمذي، وغيره⁽⁶⁾، وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها"، رواه ابن جرير⁽⁷⁾، وتأخير الصلاة عن وقتها، أو تركها بالكلية، أو صلاحها بعد وقتها، أو تأخرها عن أول الوقت، قال البيهقي، والحاكم⁽⁸⁾: الصحيح أنه موقوف⁽⁹⁾، وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما يُنْتَفَعُ به من الأثاث، وما يستعان به من الآلات، مع بقاء العين لهم، والرد عليهم، قال علي، وغير واحد: الماعون: الزكاة⁽¹⁰⁾، وقال الحسن: إن صلَّ راءً، وإن

(1) لم أقف عليه عند الحافظ (أبو يعلى) الموصلية، ولكن أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: 71/5، حديث رقم: (4702)، مجمع الزوائد: 715/10، حديث رقم: (18091)، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

(2) هو: أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلية، ثقة، محدث الموصل، صاحب المسند، والمعجم، روى عن أحمد بن حاتم الطويل، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن إبراهيم الموصلية، وغيرهم، وروى عنه الحافظ، أبو عبد الرحمن النسائي، والطبراني، وأبو الفتح الأزدي، وغيرهم، توفي سنة: (307 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 190/27.

(3) هو: عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة، عالم، فقيه، كثير الحديث، روى عن سليمان التيمي، وحميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهم، وروى عنه الثوري، وابن عيينة، وفضيل بن عياض، وغيرهم، توفي سنة: (181 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 334/5.

(4) لم أقف على هذا القول، إلا عند ابن كثير، في تفسيره، ينظر: تفسير ابن كثير: 494/8.

(5) زيادة يقتضيها السياق.

(6) سنن الترمذي، باب: عمل السر، حديث رقم: (2384)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، المعجم الأوسط 71/5 حديث رقم: (4702).

(7) جامع البيان: 633/24، مسند البزار: 344/3، حديث رقم: (1145)، قال: وهذا الحديث قد رواه الثقات، الحفاظ عن عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه، موقوفاً، ولا نعلم من أسنده، إلا عروة بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، وعكرمة لئن الحديث.

(8) هو: الحاكم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن حمويه، الإمام، الحافظ، شيخ المحدثين، أبو عبدالله النيسابوري، كان من بحور العلم، على تشيع قليل فيه، له تصانيف كثيرة منها: المستدرک على الصحيحين، تاريخ نيسابور، الإكليل في الحديث، وغيرها، روى عن أبيه، ومحمد بن علي المنكر، ومحمد بن يعقوب الأصم، وغيرهم، وروى عنه الدارقطني، وهو من شيوخه، وأبو العلاء الواسطي، وأبو بكر البيهقي، وغيرهم، توفي سنة: (403 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 157/33.

(9) السنن الكبرى للبيهقي: 214/2، حديث رقم: (2983)، ولم أقف عليه عند الحاكم.

(10) وهو أيضاً عن: ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وقتادة، ومجاهد، والسدي عن أبي صالح عن علي، وسعيد بن جبیر، والضحاك، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 635/24.

فاته، لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله⁽¹⁾، وسئل ابن مسعود عن الماعون، قال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم، من الفأس، والقدر، والدلو، وأشباه ذلك، مما لا يستغنى عنه⁽²⁾، كما رواه أبو داود، والنسائي، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كل معروف صدقة، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عارية القدر، والدلو⁽³⁾، وقال مجاهد، وغيره: إنها العارية للأمتعة⁽⁴⁾، وقال عكرمة: رأس الماعون: زكاة المال، وأدناه: المنخل، والدلو، والإبرة، رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، وهذا الذي قاله عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو ترك المعاونة، أو منفعة، ولهذا قال القرظي: الماعون المعروف⁽⁶⁾، وذكر ابن الأثير⁽⁷⁾: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "المسلم أخو المسلم، إذا لقيه، حياه بالسلام، ورد عليه بما هو خير منه، لا يمنع الماعون"، قيل يا رسول الله: ما الماعون؟ قال: "الحجر، والحديد، والماء، وأشباه ذلك"، والمراد بالحجر: البرمة، وبالحديد: القدر، وما ينتفع به الناس من الآلات⁽⁸⁾، والحديث غريب جداً، والله أعلم.

(1) جامع البيان: 637/24.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 638/24.

(3) سنن (أبو داود)، باب: في حقوق المال، حديث رقم: (1675)، قال الألباني: حديث حسن، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة الماعون، حديث رقم: (11701)، واللفظ للنسائي.

(4) وهو أيضاً عن: ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، ينظر: جامع البيان: 640/24.

(5) تفسير ابن أبي حاتم: 3469/10، حديث رقم: 19505.

(6) جامع البيان: 641/24.

(7) هو علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري الشيباني، وكان يكثر اسمه كثيراً بـ (علي بن محمد بن عبدالكريم)، ولكن الصواب كما ذكرناه، وكما هو مذكور في نسب أخويه، كان إماماً، عالماً، أديباً، له مصنفات عدة منها: التاريخ الكبير الملقب بالكامل، مصنف: كتاب معرفة الصحابة، تاريخ الموصل، ولم يتمه، وغيرها، روى عن الخطيب (أبو الفضل الطوسي)، ويحيى بن محمود الثقفي، وعبدالمنعم بن كليب، وغيرهم، وروى عنه القوسي، ومجد الدين بن العديم، وأبو الفضل بن عساكر، وغيرهم، توفي سنة: (630 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: 387/42.

(8) ينظر: أسد الغابة: 136/4، تفسير ابن كثير: 497/8.

تفسير سورة: الكوثر

"وهي مدنية"⁽¹⁾ وقيل: "مكية"⁽²⁾

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه، متبسماً، قلنا: ما أضحكك، يا رسول الله؟ قال: "أُنزِلت عليّ أنفا سورة"، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾، قال: "أتدرون ما الكوثر؟" قلنا: الله، ورسوله، أعلم، قال: "فإنه نهر، وعدنيه ربي - عجل -، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيُخْتَلَجُ العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك"، رواه مسلم⁽³⁾، وقد استدل كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسمة من السورة، وأنها مُنزلةٌ معها⁽⁴⁾، فأما تفسير: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾، فقد مر أنفا أنه نهر في

(1) وهو قول عن: الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، ينظر: تفسير القرطبي: 216/20.

(2) وهو قول عن: ابن عباس، وابن مردويه عن ابن الزبير، وعائشة، ومقاتل، والكلبي، ينظر: المصدر نفسه، الدر المنثور: 646/8.

(3) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال: "البسمة آية من أول كل سورة"، سوى براءة، حديث رقم: (400)، واللفظ مختلف.

(4) أقوال العلماء في البسمة، والمذاهب في كونها من القرآن: ثلاثة، طرفان، ووسط:
- فالطرف الأول: قول من يقول: إنها ليست من القرآن إلا في سورة النمل، كما قاله مالك، وطائفة من الحنفية، وقاله بعض أصحاب أحمد، مدعياً أنه مذهبه، أو ناقلاً لذلك، رواية عنه.
- الطرف الثاني: المقابل له قول من يقول: إنها آية من كل سورة، أو بعض آية، كما هو مشهور عن الشافعي، ومن وافقه، فقد نقل عن الشافعي: إنها ليست من أوائل السور، غير الفاتحة، وإنما يستفتح بها في السور تبركاً.
- القول الوسط: إنها من القرآن، حيث كتبت، وإنها مع ذلك ليست من السور، بل كتبت آية في كل سورة، وكذلك تتلى آية مفردة، في أول كل سورة، كما تلاها النبي - صلى الله عليه وسلم -، حين أنزلت عليه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾، رواه مسلم، وهذا قول ابن المبارك، وداود، وأتباعه، وهو المنصوص عن أحمد بن حنبل، وبه قال جماعة من الحنفية، وذكر أبو بكر الرازي: أنه مقتضى مذهب أبي حنيفة، وهذا قول المحققين من أهل العلم، ينظر: نصب الرأية لأحاديث الهداية: 327/1، تأليف: عبدالله بن يوسف، (أبو محمد) الحنفي، الزيلعي، تح: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، بلا: (ط).

الجنة، وعن أنس أيضا قال: قال رسول الله - ﷺ -: "أعطيت الكوثر، إذا هو نهر يجري، و[لم] (1) يُشَقَّ شقًا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى تربته، فإذا مسكه ذفرة، وإذا حصاه اللؤلؤ"، رواه أحمد (2)، وفي رواية عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: "دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر، الذي أعطاكه الله"، رواه أحمد، وفي الصحيحين مثله (3)، وعن أنس - ﷺ -: أيضا: أن رجلا قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: "نهر في الجنة، أعطانيه ربي، لهو أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور، أعناقها كأعناق الجزر"، قال عمر - ﷺ -: يا رسول الله، إنها لناعمة، قال: "أكلها أنعم، يا عمر"، رواه أحمد، والترمذي، وابن جرير (4)، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه ذهب، وفضة، يجري على الياقوت، والدر، مأؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل (5)، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - نحوه، رواه ابن جرير، وكذا، رواه الترمذي، موقوفا (6)، وأصل حديث الكوثر - كما سبق - متواتر عند أئمة الحديث، تفيد القطع، وكذلك، أحاديث الحوض، وقد روى كثيرون من السلف: أن الكوثر نهر في الجنة (7)، وقال عطاء: هو حوض في الجنة (8)، وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾، أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا، والآخرة، ومن ذلك النهر، الذي سبق ذكره، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة، والنافلة، ونحرك، فاعبده وحده، لا شريك له، وانحر على اسمه

(1) ساقطة من النص.

(2) مسند أحمد: 247/3، حديث رقم: (13603)، قال شعيب الأرنؤوط: اسناده صحيح، على شرط مسلم.

(3) المصدر نفسه: 103/3، حديث رقم: (12027)، صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: الكوثر، حديث رقم: (4680)، صحيح مسلم، حديث رقم: (400)، سبق تخريجه في أول السورة.

(4) مسند أحمد: 220/3، حديث رقم: (13330)، سنن الترمذي، باب: صفة طير الجنة، حديث رقم: (2542)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، جامع البيان: 650/24، واللفظ مختلف.

(5) جامع البيان: 645/24.

(6) المصدر نفسه، سنن الترمذي، باب: ومن سورة: الكوثر، حديث رقم: (3361)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والحديث الذي أخرجه الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً، ولم أقف عليه أنه رواه موقوفاً، واللفظ للترمذي.

(7) وهو قول عن: ابن عمر، وابن عباس، وعائشة، ومجاهد، و(أبو العالية)، شريك بن أبي نعيم، وسعيد بن جبير، وعطاء، ينظر: جامع البيان: 646/24.

(8) المصدر نفسه: 648/24.

وحده، لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾⁽¹⁾، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -
 وغير واحد: يعني: فذلك نحر البدن، ونحوها⁽²⁾، وقيل: المراد: وضع اليد اليمنى على
 اليسرى، تحت النحر⁽³⁾، وقال أبو جعفر الباقر: يعني: ارفع اليدين عند افتتاح
 الصلاة⁽⁴⁾، وقيل: أي: استقبل بنحرك القبلة⁽⁵⁾، وذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير،
 وقال عطاء: أي: ارفع صلبك بعد الركوع، واعتدل، وأبرز نحر، يعني: به الاعتدال،
 رواه ابن أبي حاتم⁽⁶⁾، والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر: ذبح المناسك، ولهذا
 كان رسول الله - ﷺ - يصلي يوم العيد، ثم ينحر نسكه، ويقول: "من صلَّ صلاتنا،
 ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك" وفي الصحيحين نحوه⁽⁷⁾، وعن ابن عمر - رضي الله
 عنهما - قال: "كان النبي - ﷺ - يذبح، وينحر بالمصلى" رواه البخاري⁽⁸⁾، وقوله:
 ﴿إِنَّكَ شَانِعُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾⁽⁹⁾، أي: إن مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من
 الهدى، والحق، والبرهان الساطع، والنور الساطع، والنور المبين، هو الأبتَر الأقل،
 الأذل، المنقطع ذكروه، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وغير واحد: نزلت في
 العاص بن وائل⁽⁹⁾، وذلك أنه كان إذا ذكر رسول الله - ﷺ - يقول: دعوه، فإنه رجل

(1) سورة الأنعام، الآيتان: 162 - 163.

(2) وهو أيضاً عن: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة، والربيع، وقتادة، وأبي نجيح، وابن زيد، ينظر: جامع
 البيان: 452/24.

(3) وهو قول عن: علي بن أبي طالب، والشعبي، ينظر: المصدر نفسه.

(4) ينظر: المصدر نفسه.

(5) وهو قول مأخوذ عن بعض أهل العربية، كانوا يتأولون ذلك، ينظر: المصدر نفسه: 655/24.

(6) ينظر: الدر المنثور: 651/8.

(7) صحيح البخاري، كتاب: العيدين، باب: الأكل يوم النحر، حديث رقم: (912)، صحيح مسلم، كتاب: الأضاحي،
 باب: وقتها، حديث رقم: (1961)، واللفظ للبخاري.

(8) صحيح البخاري، كتاب: الأضاحي، باب: الأضحي، والنحر بالمصلى، حديث رقم: (5232).

(9) هو: العاص بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش، أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام، وظل على الشرك،
 وكان من المستهزئين برسول الله - ﷺ -، وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار، وهو القائل لما مات ابن
 النبي - ﷺ -: إن محمداً أبتَر، لا يعيش له ولد ذكر، مات سنة: (3 ق.هـ)، وقيل: سنة الهجرة بعد هجرة النبي -
 ﷺ - بشهرين، ينظر: الكامل في التاريخ: 593/1، الأعلام للزركلي: 247/3.

(567/أ)

أبتر، لا عقب له، فإذا هلك، انقطع ذكره، فأنزل الله هذه السورة⁽¹⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضاً: أنها نزلت في كعب بن الأشرف⁽²⁾، وجماعة من كفار قريش⁽³⁾، وقال: (قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى إلى هذا المنصبر، المنبتر، من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيح، وأهل السدانة، وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾⁽⁴⁾، رواه الحافظ البزار⁽⁴⁾، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك، ممن ذكر، وغيرهم، وقال عكرمة: الأبتر: الفرد⁽⁵⁾، وقال السدي: إذا مات ذكور الرجل، قالوا بتر، فلما مات أبناء رسول الله - ﷺ -، قالوا بتر محمد، فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾⁽⁶⁾، وهذا كما سبق، أن الأبتر: الذي إذا مات، انقطع ذكره، فتوهموا بجهلهم إذا مات بنوه، ينقطع ذكره، وحاشا، وكلا، بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر، والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً، إلى يوم التتاد.

-
- (1) وهو أيضاً عن: سعيد بن زبير، ومجاهد، وقتادة، ينظر: جامع البيان: 656/24، الدر المنثور: 652/8.
- (2) هو: كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، توفي أبوه وهو صغير، فحملته أمه عند أخواله، فعاش بينهم، وساد فيهم، وكانت أمه من بني النظير، كان شاعراً، فارساً، وهو يعد من شعراء اليهود، ومن فصحاءهم، وكان عدواً للنبي - ﷺ -، يهجو، ويهجو أصحابه، وكان يحرض كفار قريش على النبي - ﷺ - في شعره، فأمر النبي - ﷺ - سعداً بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً؛ ليقتلوه ففعلوا ذلك، سنة: (3 هـ)، ينظر: الأغاني: 137/22، الأعلام للزركلي: 225/5.
- (3) ينظر: جامع البيان: 658/24.
- (4) كشف الأستار عن زوائد البزار: 83/3، حديث رقم: 2293، صحيح ابن حبان: 534/14، حديث رقم: (6572).
- (5) ينظر: النكت والعيون: 356/6.
- (6) ينظر: المصدر نفسه.

تفسير سورة: قل يا أيها الكافرون [الكافرون]

"وهي مكية"

عن جابر - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ بهذه السورة، وب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽¹⁾، في ركعتي الطواف⁽²⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ بهما في [ركعتي الفجر]⁽³⁾، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة، أو بضع عشرة مرة، ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾⁽⁴⁾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽⁵⁾، وفي رواية: "أربعا وعشرين، أو خمسا وعشرين مرة"، رواه أحمد⁽⁶⁾، وفي رواية عنه قال: "رافقت النبي - صلى الله عليه وسلم - شهرا، فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾⁽⁷⁾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽⁸⁾، رواه أحمد، والنسائي، والترمذي وحسنه⁽⁹⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا" ⁽¹⁰⁾، تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽¹¹⁾، تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾⁽¹²⁾ تعدل ربع القرآن"، رواه الترمذي⁽¹³⁾، وعن فروة بن نوفل⁽¹⁴⁾ قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئا، أقوله عند منامي، قال: "إذا أخذت مضجعاك

(1) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(2) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي - صلى الله عليه وسلم -، حديث رقم: (1218)، واللفظ مختلف.

(3) في المخطوط (ركعتي الفجر)، والصواب: (الركعتين قبل الفجر).

(4) مسند أحمد: 24/2، حديث رقم: (4763)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، على شرط الشيخين، وهذا الحديث الذي عند أحمد هو عن ابن عمر.

(5) المصدر نفسه: 95/2، حديث رقم: (5699)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، على شرط الشيخين.

(6) المصدر نفسه: 94/2، حديث رقم: (5691)، سنن النسائي الكبرى، باب: القراءة في الركعتين بعد المغرب، حديث رقم: (1064)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر، وما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فيهما، حديث رقم: (417)، ولفظ النسائي مختلف.

(7) سورة الزلزلة، من الآية: 1.

(8) سنن الترمذي، باب: إذا زلزلت، حديث رقم: (2894)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث: يمان بن المغيرة.

(9) هو: فروة بن نوفل الأشجعي، وقيل ابن مالك، وهو من الخوارج، خرج عن المغيرة بن شعبة، في صدر خلافة معاوية مع المستورد، قال ابن أبي حاتم: ليس له صحبة، وقال ابن حبان: يقال له صحبة، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلًا، وعن أبيه، وعن عائشة، وعن علي بن أبي طالب، وغيرهم، وروى عنه أبو إسحاق، وهلال بن يساف، وشريك بن طارق، بعث إليهم المغيرة، فقتلوا، سنة: (45 هـ)، ينظر: الإصابة: 366/5، أسد الغابة: 381/4.

من الليل، فاقراً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾، فإنها براءة من الشرك"، رواه أحمد (1).

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا
أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

هذه سورة البراءة من الشرك في العمل، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾، شمل كل كافر، على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب، هم كفار قريش، وقيل: إنهم من جهلهم، دعوا رسول الله إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله - عليه الصلاة والسلام- أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، يعني: من الأصنام، والأنداد، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وهو الله وحده، لا شريك له، فما ههنا بمعنى: من، ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أي: ولا أعبد عبادتكم، ولا أفتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه، الذي يحبه، ويرضاه، ولهذا قال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أي: لا تعتبرون أوامر الله في عبادته، بل اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾﴾ (2)، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود، يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول- عليه الصلاة والسلام-، وأتباعه، يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أي: لا مقصود، إلا الله، ولا طريق إليه، إلا بما جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام-، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ (3)، وقال: ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ (4)، وقال البخاري: يقال: ﴿لَكُمْ

(1) مسند أحمد: 456/5، حديث رقم: (23858)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، على اضطراب في إسناده، واللفظ مختلف، وفي مسند أحمد: فروة بن نوفل عن أبيه.

(2) سورة النجم، الآية: 23.

(3) سورة يونس، الآية: 41.

(4) سورة القصص، الآية: 55، وسورة الشورى، الآية: 15.

دِينَكُمْ ﴿﴾، الكفر، ﴿وَلِي دِينٍ﴾، الإسلام، ولم يقل: ديني؛ لأن الآيات بالنون، فحذف الياء، كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) (1)، و﴿يَشْفِينِ﴾ (٨٠) (2)، وقال غيره: لا أعبد ما تعبدون الآن، ولا أحببكم فيما بقي من عمري، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (3) (4).

وعن بعض أهل العربية: أن ذلك من باب التأكيد كقوله ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) إن مع العسر يسراً (6) (7)، وقيل: (567/ب) المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، نفي الفعل؛ لأنها جملة فعلية، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾، نفي قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الاسمية أكد، فكأنه نفي الفعل، وكونه قابلاً لذلك، ومعناه: نفي الوقوع، ونفي الإمكان الشرعي أيضاً (8)، وهو قول حسن أيضاً، وقد استدلل الإمام الشافعي، وغيره، بهذه الآية، أن الكفر كله ملة واحدة، فورث اليهودي من النصراني، وبالعكس، إذا كان بينهما نسب، أو سبب، تتوارث به؛ لأن الأديان، ما عدا الإسلام، كلها كالشيء الواحد في البطلان (9)، وذهب أحمد، ومن وافقه: إلى عدم توريث النصارى من اليهود، وبالعكس (10)، بحديث عمرو بن

(1) سورة الشعراء من الآية 78.

(2) سورة الشعراء من الآية 80.

(3) سورة المائدة: 64، وكذلك: 68.

(4) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: (الكافرون).

(5) سورة الشرح، الآيتان: 5 - 6.

(6) سورة التكاثر، الآيتان: 6 - 7.

(7) رواه ابن جرير، ينظر: جامع البيان: 663/24.

(8) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 553/16، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (أبو العباس)، بلا: (تح، ط)، تفسير ابن كثير: 508/8.

(9) وبه قال الأحناف، ورواية عن أحمد، ينظر: المبسوط للسرخسي: 78/5، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل: 168/7، تأليف: عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، (أبو محمد)، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، (1405)، بلا: (تح)، الحاوي في فقه الشافعي: 79/8، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1994م)، بلا: (تح).

(10) وهو أيضاً عن: شريح، وعطاء، وعمر بن عبدالعزيز، والضحاك، والثوري، وبه قال مالك، ومن معه من المالكية، وغيرهم، ينظر: المغني: 168/7، الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: 370/5، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري القُرطُبي، تح: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت: (2000م)، بلا: (ط)، المدونة الكبرى: 598/2.

شعيب⁽¹⁾، عن أبيه⁽²⁾، عن جده⁽³⁾ قال: قال رسول الله - ﷺ -: "لا يتوارث أهل ملتين شيء"⁽⁴⁾، والله أعلم .

-
- (1) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي، أبو إبراهيم، ويقال: أبو عبدالله، تابعي، اختلف في توثيقه، فضعه بعض العلماء، ووثقه الجمهور، وضعفه بعضهم، روايته عن أبيه، عن جده، قال ابن حجر: ويعني بجدّه: الجد الأعلى، عبدالله بن عمرو، لا محمد بن عبدالله، وقد صرح شعيب من سماعه من عبدالله في أماكن، وصح سماعه منه، فأحاديثه عن جده إما منقطعة، وإما مرسلة، وهي التي فيها الإشكال، وأخذ صحيفة كانت عنده، فرواها، روى عن أبيه، وجل روايته عنه، وعن عمته زينب بنت محمد، وعن زينب بنت أبي سلمة، ربيعة رسول الله - ﷺ -، وغيرهم، وروى عنه عمرو بن دينار، وحמיד الطويل، والزهرى، وغيرهم، توفي سنة: (118 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 43/8، سير أعلام النبلاء: 193/9.
- (2) هو: شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي، وقد ينسب إلى جده، تابعي، ثقة، وذكر البخاري، وأبو داود: أنه سمع من جده، ولم ينكر أحد منهم: أنه يروي عن أبيه، روى عن جده، وابن عباس، وابن عمر، ومعاوية، وغيرهم، وروى عنه ابنه عمرو، وعمر، وثابت البناني، وغيرهم، ينظر: تهذيب التهذيب: 311/4.
- (3) هو: محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي، روى عنه: حكيم بن الحارث الفهمي، في أخبار سعيد، وابنه شعيب بن محمد، وقد روى عن أبيه الشيء اليسير، مع اختلاف فيه، والراجح أن المراد بجدّه: هو عبدالله بن عمرو بن العاص، والله أعلم، ينظر: تهذيب التهذيب: 237/9، تهذيب الكمال: 514/25.
- (4) مسند أحمد: 195/2، حديث رقم: (6844)، سنن ابن ماجه، باب: ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك، حديث رقم: (2731)، سنن أبي داود، باب: هل يرث المسلم الكافر؟ حديث رقم: (2911)، سنن النسائي الكبرى، باب: سقوط الموارثة بين الملتين، حديث رقم: (6384)، قال الألباني: حديث حسن صحيح، واللفظ لأحمد وأبي داود.

تفسير سورة: إذا جاء نصر الله والفتح [النصر]

"وهي مدنية"

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [قال] (1) لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا، والله، يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج [به] (2)، قال: ليس معك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (3)، قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (4)، قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (5)، قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ (6)، قال: بلى، قال: ربع القرآن، تزوج [تزوج] (6)، تفرد به الترمذي، وحسنه (7)، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (8) قال: قال لي ابن عباس: "يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت، قلت: نعم، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قال: صدقت"، رواه النسائي (9)، وعن ابن عمر قال: "أنزلت هذه السورة آخر أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء، فرحلت، ثم قام، فخطب الناس خطبته المشهورة" رواه الحافظ البزار، والبيهقي (10)، فهذا التقدير تكون السورة

(1) ساقط من المخطوط.

(2) ساقط من المخطوط.

(3) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(4) سورة الكافرون، الآية: 1.

(5) سورة الزلزلة، من الآية: 1.

(6) زيادة عند الترمذي.

(7) سنن الترمذي، باب: ماجاء في إذا زلزلت، حديث رقم: (2895).

(8) هو: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله المدني، تابعي، ثقة، كثير العلم، والحديث، قال ابن عبد البر: كان من الفقهاء العشرة، ثم السبعة، الذين يدور عليهم الفتوى، وهو أفة الشعراء، وأشعر الفقهاء، روى عن أبيه، وعائشة، وابن عباس، وأبو هريرة، وغيرهم، وروى عنه أخوه عون، والزهرى، وسعد بن إبراهيم، وصالح بن كيسان، وغيرهم، توفي سنة: (94 هـ)، أو (95 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 22/7.

(9) سنن النسائي الكبرى، باب: سورة النصر، حديث رقم: (11713)، صحيح مسلم، كتاب: التفسير، حديث رقم: (3024).

(10) كشف الأستار عن زوائد البزار: 33/2، حديث رقم: (1141)، السنن الكبرى للبيهقي: 152/5، حديث رقم: 9464، قال الهيثمي: وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، مجمع الزوائد: 587/3، حديث رقم (5623).

مكية، وعن ابن عباس: " لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، دعا رسول الله -ﷺ- فاطمة⁽¹⁾، وقال: إنه نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسي، فبكت، ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نُعِيَتْ إِلَيْهِ نفسه، فبكيته، ثم قال: اصبري، فإنك أول أهلي لحاقا بي، فضحكت"، رواه البيهقي، والنسائي، مختصرا⁽²⁾.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ٢
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنا، ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه ممن علمتم، فدعاهم ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ، إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله، ونستغفره، إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئا، فقال لي كذا تقول يا ابن عباس، فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله -ﷺ-، أعلم له، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول"، رواه البخاري⁽³⁾ و [قال]⁽⁴⁾ ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا

(1) هي: فاطمة بنت رسول الله محمد -ﷺ- بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم، كانت تكنى بأُم أبيها، وتلقب بالزهراء، وهي أحب بنات النبي -ﷺ- إليه، وهي سيدة نساء الجنة، روت عن أبيها، وروى عنها ابناها الحسن، والحسين، وزوجها علي بن أبي طالب، وعائشة أم المؤمنين، وغيرهم، توفيت سنة: (11 هـ)، وصلى عليها العباس، ينظر: الإصابة: 53/8.

(2) دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: 167/7، تأليف: (أبو بكر)، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: عبدالمعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى: (1988م)، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة العصر، حديث رقم: (11712)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب، وهو ثقة، وفيه ضعف، مجمع الزوائد: 591/8، حديث رقم: (14242)، واللفظ للبيهقي.

(3) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة النصر، حديث رقم: (4686)، واللفظ مختلف.

(4) في المخطوط (قال)، والصواب: (عن).

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾، قال رسول الله - ﷺ -: " نُعِيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي، فَإِنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ"، رواه أحمد⁽¹⁾، وبه قال مجاهد، وغير واحد، أنها أجل رسول الله - ﷺ - نُعِيَ إِلَيْهِ⁽²⁾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، حتى ختم السورة، قال نُعِيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - نَفْسَهُ، حِينَ نَزَلَتْ، قَالَ: فَأَخَذَ بِأَشَدِّ مَا كَانَ قَطُّ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "جاء الفتح، ونصر الله، وجاء أهل اليمن، فقال رجل: يا رسول الله، ما أهل اليمن؟ قال قوم رقيقة قلوبهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان"، رواه النسائي، والطبراني، ولابن جرير نحوه⁽³⁾، فالذي فسره بعض الصحابة من جلساء عمر - رضي الله عنهم - من: أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن، والحصون، أن نحمد الله، ونشكره، يعني: نصلي له، ونستغفره، معنى مليح، صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي - ﷺ - يوم فتح مكة، وقت الضحى، ثماني ركعات، فقال قائلون: هي صلاة الضحى، وأجيبوا بأنه: لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم، وقد كان مسافرا، لم ينو الإقامة بمكة، ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان، قريبا من سبعة عشر يوما، يقصر الصلاة، ويفطر، هو وجميع الجيش، وكانوا نحو من عشرة آلاف، قال هؤلاء، إنما كانت صلاة الفتح، فيستحب لأمرير الجيش إذا فتح بلدا، أن يصلي فيه، أول ما يدخل ثماني ركعات، وهكذا، فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، ثم قال بعضهم: فصلاها كلها بتسليمة واحدة، والصحيح: أنه يسلم عن كل ركعتين، كما ورد في سنن أبي داود: أن رسول الله - ﷺ - كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين⁽⁴⁾، وأما ما فسره ابن عباس، وعمر - رضي الله عنهم -، من أن هذه السورة نُعِيَ فِيهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - رُوحَهُ الْكَرِيمَةَ، واعلم أنك إذا فتحت مكة، وهي قريتك، التي أخرجت منها، فأَدْخَلَ النَّاسَ فِي

(1) مسند أحمد: 217/1، حديث رقم: (1873)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(2) وهو أيضاً عن: ابن عباس، وعمر، وعطاء بن يسار، وأبي العالية، وقتادة، والضحاك، ينظر: جامع البيان: 669/24، الدر المنثور: 659/8.

(3) سنن النسائي الكبرى، باب: سورة النصر، حديث رقم: (11712)، المعجم الأوسط للطبراني: 284/2، حديث رقم: (1996)، جامع البيان: 667/24، السلسلة الصحيحة للألباني: 172/13، حديث رقم: (3369)، واللفظ مختلف.

(4) سنن أبي داود، باب: صلاة الضحى، حديث رقم: (1290)، قال الألباني: حديث ضعيف.

دين الله أفواجا، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا، فتهيأ للقدوم علينا، والوفود إلينا، فالآخرة خير لك، من الأولى، ولسوف يعطيك ربك، فترضى، ولهذا قال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾، وعن عائشة قالت: كان رسول الله - ﷺ - يكثر أن يقول في ركوعه، وسجوده: "سبحانك، اللهم، ربنا، وبحمدك، اللهم، اغفر لي"، يتأول القرآن، رواه البخاري، وأكثر أصحاب السنن⁽¹⁾، ومنها أيضا: " كان رسول الله - ﷺ - يكثر في آخر أمره من قول: سبحان الله، وبحمده، أستغفر الله، وأتوب إليه، وقال: إن ربي أخبرني أنني سأرى علامة في أمتي، وأمرني، إذا رأيتها، أن أسبح بحمده، وأستغفره، إنه كان توابا، فقد رأيتها: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۗ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ ﴾ ۝ ٢ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۗ ﴾ ۝ ٣ ﴾"، رواه مسلم⁽²⁾، وعن ابن مسعود - ﷺ - قال: " لما نزلت على رسول الله - ﷺ -: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۗ ﴾ ۝ ١ ﴾، كان يكثر إذا قرأها، وركع، أن يقول: سبحانك، اللهم، وبحمدك، اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب الرحيم"، تفرد به أحمد⁽³⁾، والمراد بالفتح ههنا فتح مكة، قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تُلَوِّمُ بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه، فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان، حتى استراحت جزيرة العرب، [إيماناً، ولم يبق] ⁽⁴⁾ في سائر القبيلة إلا مظهر الإسلام، وعن عمرو بن سلمة⁽⁵⁾ قال: لما كان الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله - ﷺ -، وكانت الأحياء تَلَوِّمُ بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه، وقومه، فإن ظهر عليهم، فهو نبي

(1) صحيح البخاري، كتاب: صفة الصلاة، باب: التسييح، والدعاء في السجود، حديث رقم: (784)، صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع، والسجود، حديث رقم: (484)، سنن ابن ماجه، باب: التسييح في الركوع، والسجود، حديث رقم (889)، سنن أبي داود، باب: في الدعاء في الركوع، والسجود، حديث رقم: (877)، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة: النصر، حديث رقم: (11710).

(2) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع، والسجود، حديث رقم: (484)، واللفظ مختلف.

(3) مسند أحمد: 455/1، حديث رقم: (4352)، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغیره، واللفظ مختلف.

(4) بياض في المخطوط، ينظر: تفسير ابن كثير: 513/8.

(5) هو: عمرو بن سلمة بن قيس الجرمي، أبو بريد، ويقال: أبو يزيد البصري، وفد أبوه على النبي - ﷺ -، وكان معه، وكان عمرو يصلي بقومه، في عهده، وله من العمر سبع، أو ثمان، سنوات، قيل: له صحبة، روى عن أبيه، وروى عنه أبو قلابة الجرمي، وعاصم الأحول، ومسعر بن حبيب الجرمي، وغيرهم، ينظر: الإصابة: 643/4، أسد الغابة: 249/4، الاستيعاب: 1179/3، تهذيب التهذيب: 38/8.

الحديث، رواه البخاري⁽¹⁾، وعن جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر، ف جاء جابر بن عبد الله، يُسَلِّمُ عَلَيَّ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس، وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وسيخرجون أفواجا"، رواه أحمد⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: من شهد الفتح، حديث رقم: (4051)، واللفظ مختلف.
(2) مسند أحمد: 3/343، حديث رقم: (14737)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لجهالة جار جابر بن عبد الله، واللفظ مختلف.

تفسير سورة: تبت [المسد]

"وهي مكية"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾

عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن النبي - ﷺ - خرج إلى البطحاء، يصعد الجبل، فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: "أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم، وممسيكم، أكنتم تصدقوني"، قالوا: نعم، قال: "فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب⁽¹⁾: ألهذا جمعتنا، تبا لك، فأنزل الله: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، رواه البخاري⁽²⁾، والأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه، وأبو لهب هذا، هو أحد أعمام النبي - ﷺ -، واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته: أبو عتبة، وإنما سُمِّيَ: أبا لهب؛ لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله - ﷺ -، والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له، ولدينه، وعن ربيعة بن عبّاد الديلي⁽³⁾ وكان جاهلياً، فأسلم، قال: رأيت النبي - ﷺ - في الجاهلية، في سوق ذي المجاز، وهو يقول: "يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا"، والناس يجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابى، يتبعه حيث يذهب، فسألت عنه،

(1) هو: عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم النبي - ﷺ -، وكنيته: أبو عتبة، وكان يكنى بأسماء بنيه كلهم، وأبو لهب: لقب اشتهر به، وسماه بذلك عبدالمطلب، وذلك لحسن وجهه، وكان من أشد الناس عداوة، ونكاية للرسول - ﷺ -، والإسلام، مات بعد غزوة بدر بأيام، سنة: (2 هـ)، بمرض يسمى العدسة، ينظر: الكامل في التاريخ: 529/1، تاريخ مدينة دمشق: 161/67، نسب قريش: 31/1، الأعلام للزركلي: 12/4.

(2) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة: المسد، حديث رقم: (4688).

(3) هو: ربيعة بن عبّاد الديلي بن بكر بن مناه، مدني، عمر كثيراً، وتوفي في زمن الوليد بن عبدالملك، في حدود سنة: (90 هـ)، يحتمل سماعه من النبي - ﷺ -، لكن قبل إسلامه، روى عنه ابن المنكدر، وأبو الزناد، وزيد بن أسلم، بنظر: الإصابة: 469/2، الاستيعاب: 492/2، سير أعلام النبلاء: 18/6.

[فقال]⁽¹⁾ هذا عمه أبو لهب، تقرد به أحمد⁽²⁾، فقله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، أي: خسرت، وخابت، وضل عمله، وسعيه، ﴿وَتَبَّ﴾، أي: وقد تب تحقق خسارته، وهلاكه، وقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، قال ابن عباس - رضي الله (568/ب) عنهما-، وغير واحد: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، يعني: ولده⁽³⁾، أي: ما يدفع عنه عذاب الله، ما جمع من المال، والولد؛ لأن ولد الإنسان من كسبه، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: إن رسول الله - ﷺ - دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إن كان ما يقول حقا، فإني أفندي نفسي يوم القيامة من العذاب، بمالي، وولدي⁽⁴⁾، فأنزل الله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي: ذات شرر، ولهيب، وحريق شديد، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي: كانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي أم جميل، واسمها: أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، وكانت عوناً لزوجها، على كفره، وجحوده، وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه، في نار جهنم، ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، يعني: تحمل الحطب، فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهياة لذلك، مستعدة له، ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، قال مجاهد، وعروة: أي: من نار⁽⁵⁾، قالوا: وكانت تمشي بالنميمة⁽⁶⁾، [واختاره ابن جرير]⁽⁷⁾، قال ابن عباس، وغيره: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله⁽⁸⁾ - ﷺ -، وقيل: كانت تعير النبي - ﷺ - بالفقر، وكانت

(1) في المخطوط (فقال)، والصواب: (فقالوا).

(2) مسند: أحمد 4/341، حديث رقم: (19026)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، ولفظ القصة فيه اختلاف.

(3) وهو أيضاً عن: عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، ينظر: جامع البيان: 24/677، تفسير مجاهد: 2/793، الدر المنثور: 8/666.

(4) ينظر: الكشف والبيان: 10/325.

(5) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 10/3473، حديث رقم: (19528)، وحديث رقم: (19531).

(6) وهو قول عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وسفيان الثوري، ينظر: جامع البيان: 24/679.

(7) الصواب: أن ابن جرير اختار قول من قال: إنها كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله - ﷺ -؛ لأن ذلك هو أظهر، ينظر: المصدر نفسه: 24/680.

(8) وهو أيضاً عن: عطية الجدلي، والضحاك، وابن زيد، ينظر: المصدر نفسه: 24/678.

تحتطب، فُعِيرَتْ بذلك⁽¹⁾، والصحيح الأول، قال ابن المسيب⁽²⁾: كانت لها قلادة، فاخرة، فقالت: لَأُنْفِقَنَّهَا عَلَى عداوة محمد - ﷺ -، فأعقبها الله منها حبلا في جيدها، من مسد النار⁽³⁾، والمسد: الليف، وحبله، أو من خوص، وقد تكون من جلود الإبل، وأوبارها، قاله الجوهري⁽⁴⁾، وقال عروة: المسد: سلسلة زرعتها سبعون ذراعا⁽⁵⁾، قال الثوري: هو قلادة من نار، طولها سبعون ذراعا⁽⁶⁾، وقال مجاهد: أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدا⁽⁷⁾، وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: لما نزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، أقبلت العوراء، أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول: مُدْمَمًا أَبِينَا، ودينه قَلِينَا، وأمره عَصِينَا، ورسول الله - ﷺ - جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، إنها قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك، فقال رسول الله - ﷺ -: " إنها لن تراني"، وقرأ قرآنا، اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾⁽⁸⁾، فأقبلت، حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله - ﷺ - فقالت: يا أبا بكر، إني أُخْبِرْتُ أن صاحبك هجاني، قال لا ورب هذا البيت، ما هجاك، فولت، وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها، رواه ابن أبي حاتم⁽⁹⁾، وفي رواية الحافظ البزار: عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما

(1) وهو رواية معمر عن قتادة، الكشف والبيان: 326/10.

(2) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن مخزوم القرشي، المخزومي، من أئمة التابعين، وكان لا يأخذ العطاء، وله بضاعة يتجر بها في الزيت، وكان يفتي، والصحابة بالمدينة أحياء، وكان يفسر الرؤيا للناس، روى عن أبي بكر مرسلًا، وعن عمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم، وروى عنه ابنه محمد، وسالم بن عبدالله بن عمر، والزهري، وغيرهم، توفي سنة: (94 هـ)، وقيل: (93 هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب: 74/4، الطبقات الكبرى لابن سعد: 119/5.

(3) ينظر تفسير القرطبي 242/20.

(4) ينظر: الصحاح، تاج اللغة، وصحاح العربية، مادة: مسد.

(5) جامع البيان: 681/24.

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) ينظر: المصدر نفسه.

(8) سورة الإسراء، الآية: 45.

(9) تفسير ابن أبي حاتم: 3472/10، حديث رقم: (19522)، المستدرک على الصحيحين: 393/2 حديث رقم: (3376)، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد.

نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، جاءت امرأة أبي لهب، ورسول الله -ﷺ- جالس، ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تَنَحَّيْتُ، لا تُؤذيك بشيء، فقال رسول الله -ﷺ-: "إنه سَيُحَال بيني وبينها"، فأقبلت، حتى وقفت على أبي بكر، وقالت: هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا، ورب هذه البيت، ما ينطق بالشعر، ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمُصَدِّق، فلما ولت، قال أبو بكر: لا رأيتك، قال: "لا، ملك يسترني، حتى ولت"⁽¹⁾، وقال بعضهم: أي: في عنقها حبل، من نار جهنم، ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى بها، إلى أسفلها، ثم كذلك، دائماً، وعبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينوري⁽²⁾ في كتاب: النبات: كل مسد رشا، وأنشد في ذلك:

وبكرة ومحور صرارا * * * ومسدا من أبق مغارا⁽³⁾

والأبق: القنب⁽⁴⁾، قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة، بأنه منذ نزلت: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾، أخبر عنهما بالشقاء، وعدم الإيمان، ولم يقتض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما، لا ظاهراً، ولا باطناً، ولا سرا، ولا علناً، فكان هذا من أقوى الأدلة على النبوة الظاهرة.

(1) مسند البزار: 68/1، كشف الأستار عن زوائد البزار: 83/3، حديث رقم: (2294)، قال البزار: وهذا أحسن الإسناد، مجمع الزوائد: 302/7، حديث رقم: (11529)، قال الهيثمي: ولكن فيه عطاء بن السائب، وقد اختلط.

(2) هو: أحمد بن داود، أبو حنيفة الدينوري، كان نحويًا، لغويًا، مع علمه بالهندسة، والحساب، له مؤلفات كثيرة منها: الشعر والشعراء، تفسير القرآن، الجبر والمقابلة، وغيرها، وجمع بين آداب العرب، وحكم الفلاسفة، أخذ عن البصريين، والكوفيين، وأكثر عن ابن السكيت، توفي سنة: (282 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: بغية الوعاة: 306/1، الوافي بالوفيات: 233/6.

(3) ينظر: الروض الأنف: 136/2.

(4) لسان العرب، مادة: قنب.

تفسير سورة: الإخلاص

"وهي مكية"

وسبب نزولها: ما روى أبي بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ - يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾، رواه أحمد⁽¹⁾، والترمذي، وابن جرير، وزاد هو، والترمذي: "الصمد: الذي لم يلد، ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد، إلا سيموت، وليس شيء يموت، إلا سيورث، وإن الله لا يموت، ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾"، ولم يكن له شبه ولا عدل⁽²⁾، وعن ابن مسعود، وجابر - رضي الله عنهما - مثله في السبب⁽³⁾، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ -: " لكل شيء نسبة، ونسبة الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾، والصمد: ليس بأجوف"، رواه الطبراني⁽⁴⁾.

وأما فضلها، ففي الصحيحين: عن عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي ﷺ - بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم ب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي ﷺ -، فقال: " سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟" فسألوه، فقال: [لأنه]⁽⁵⁾ صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ -:

(1) مسند أحمد: 133/5، حديث رقم: (21227)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(2) سنن الترمذي، باب: ومن سورة الإخلاص، حديث رقم: (3364)، قال الألباني: حسن، دون قوله: "والصمد، الذي"، المستدرک على الصحيحين: 589/2، حديث رقم: (3987)، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، جامع البيان: 691/24، واللفظ للترمذي.

(3) مجمع الزوائد: 306/7، حديث رقم: (11542)، العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني: 376/1، حديث رقم: (89)، قال: وهو عن أبي وائل مرسل، ولم أقف عليه عن ابن مسعود مرفوعاً، تأليف: عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، (أبو محمد)، تح: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط: الأولى، (1408 هـ).

(4) المعجم الأوسط: 222/1، حديث رقم: (732)، مجمع الزوائد: 306/7، حديث رقم: (11543)، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الوازع بن نافع، وهو متروك، واللفظ مختلف.

(5) في المخطوط (لأنه)، والصواب: (لأنها).

"أخبروه أن الله يحبه"⁽¹⁾، وعن أنس قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة، فقرأ بها لهم في الصلاة، مما يقرأ به، افتتح ب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تُجزئك، حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها، وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك، فعلت، وإن كرهتم، تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيرُهُ، فلما أتاهم النبي -ﷺ-، أخبروه الخبر، فقال: "يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟" قال: إني أحبها، قال: "حُبك إياها أدخلك الجنة"، رواه البخاري⁽²⁾، وعن أنس -ﷺ- قال: جاء رجل إلى رسول الله -ﷺ-، فقال: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله -ﷺ-: "حُبك إياها أدخلك الجنة"، رواه أحمد، والترمذي⁽³⁾، وعن أبي سعيد -ﷺ-: أن رجلا سمع رجلا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ويردها، فلما أصبح، جاء إلى النبي -ﷺ-، وذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالتها، فقال رسول الله -ﷺ-: "والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن"، رواه البخاري⁽⁴⁾، وعنه أيضا قال: قال رسول الله -ﷺ- لأصحابه: "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة"، فشق ذلك عليهم، فقالوا: أيُّنا يطيق ذلك؟ يا رسول الله، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثلث القرآن، تفرد به البخاري⁽⁵⁾، وفي رواية لأحمد عنه

(1) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ماجاء في دعاء النبي -ﷺ- أمته إلى توحيد الله، تبارك، وتعالى، حديث رقم: (6940)، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: (813).

(2) صحيح البخاري، كتاب: صفة الصلاة، باب: الجمع بين السورتين في الركعة، حديث رقم: (741)، واختلاف اللفظ في كلام الصحابي فقط.

(3) مسند أحمد: 141/3، حديث رقم: (12455)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في سورة: الإخلاص، حديث رقم: (2901)، قال الألباني: حديث صحيح، واللفظ لأحمد.

(4) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: (4726).

(5) المصدر نفسه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: (4727)، واللفظ مختلف.

أيضاً: أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: "والذي نفسي بيده، إنها لتعدل نصف القرآن، وثلثه"⁽¹⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "احشدوا، فإنني سأقرأ عليكم ثلث القرآن"، فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فقراً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم دخل، فقال [بعضنا بعضاً]⁽²⁾، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فإنني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إنني لأرى هذا خبراً من السماء ثم خرج نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "إنني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا، وإنها لتعدل ثلث القرآن"، رواه مسلم⁽³⁾، وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن"، قالوا: نعم، نحن أضعف عن ذلك، وأعجز، قال: "فإن الله جزأ القرآن بثلاثة أجزاء، ف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثلث القرآن"، رواه مسلم⁽⁴⁾، ولحديث: أنها تعدل في ثلث القرآن طرق كثيرة، وروايات متعددة، في الصحاح، والسنن، والمسانيد، بحيث يُقْرَب من التواتر، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أقبلت مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فسمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "وجبت"، فقلت: وما وجبت؟ قال: "الجنة"، رواه مالك والنسائي، والترمذي، وصححه⁽⁵⁾، وعن تميم الداري⁽⁶⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من قال: لا إله إلا الله، واحداً أحداً، صمداً، لم يتخذ صاحبة، ولا

(1) مسند أحمد: 15/3، حديث رقم: (11130)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث ضعيف، واللفظ مختلف.

(2) الصواب [بعضنا لبعض].

(3) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم 812. ولفظ الحديث موافق والاختلاف في ألفاظ القصة.

(4) المصدر نفسه، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: (811)، واللفظ مختلف.

(5) الموطأ: 208/1، حديث رقم: (486)، سنن النسائي الكبرى، باب: سورة الإخلاص، حديث رقم: (11715)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في سورة الإخلاص، حديث رقم: (2897)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، واللفظ للنسائي، والترمذي.

(6) هو: تميم بن أوس بن خارجة، وقيل: حارثة بن سود بن الدار، أبو رقية الداري، صحابي، جليل، كان نصرانياً وقدم المدينة، فأسلم هو وأخوه، سنة تسع من الهجرة، وكان راهب أهل فلسطين، وهو أول من أسرج السراج في المسجد، عاش بالمدينة، وانتقل إلى الشام، بعد مقتل عثمان، روى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - قصة الجساسة، والدجال، على المنبر، وعد ذلك من مناقبه، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنه عبدالله بن وهب، وسليمان بن عامر، وشرحبيل بن مسلم، وغيرهم، توفي سنة: (40 هـ)، ينظر: الإصابة: 368/1، أسد الغابة: 319/1، تهذيب التهذيب: 449/1.

ولدا، ولم يكن له كفؤاً أحداً، عشر مرات، كُتِبَ له أربعون ألف حسنة"، تفرد به أحمد⁽¹⁾، وعن معاذ بن أنس الجهني⁽²⁾: عن رسول الله - ﷺ - قال: "من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصراً في الجنة"، فقال عمر: إذا نستكثر، يا رسول الله، فقال رسول الله - ﷺ -: "الله أكثر وأطيب"، رواه أحمد، والدارمي⁽³⁾، وعن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من قرأ كل يوم مائتي مرة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، مُجِي عنه ذنوب، خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين"، رواه الترمذي، وقال بهذا الإسناد عن النبي - ﷺ -: "من أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة، يقول له الرب يا عبدي، أَدْخُلْ عن يمينك الجنة"⁽⁴⁾، وعن بريدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: أنه دخل مع رسول الله (569/ب) - ﷺ - المسجد، فإذا رجل يصلي، يدعو يقول في دعائه: اللهم، إني أسألك بأني أشهد: أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، قال: "والذي نفسي بيده، لقد سأله باسمه الأعظم، الذي إذا سُئِلَ به، أعطى، وإذا دُعِيَ به، أجاب"، رواه النسائي، وبقية أصحاب السنن، وحسنه الترمذي⁽⁵⁾، وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حين يدخل

(1) مسند أحمد: 103/4، حديث رقم: (16993)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ولم يتفرد به أحمد، فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير: 57/2 حديث رقم: (1278).

(2) هو: معاذ بن أنس الجهني، حليف الأنصار، صحابي، جليل، روى عن النبي - ﷺ -، وأبي الدرداء، وكعب الأحبار، وروى عنه ابنه سهل بن معاذ وحده، قال العسكري: بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان، ينظر: الإصابة: 136/6، أسد الغابة: 203/5.

(3) مسند أحمد: 437/3 حديث رقم: (15668)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، سنن الدارمي: 551/2 حديث رقم: (3429)، وهو عن سعيد بن المسيب مرسلًا، واللفظ لأحمد.

(4) سنن الترمذي، باب: ما جاء في سورة: الإخلاص، حديث رقم: (2898)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، من حديث ثابت، وقد رُوِيَ من غير هذا الوجه.

(5) سنن ابن ماجة، باب: اسم الله أعظم، حديث رقم: (3857)، سنن أبي داود، باب: الدعاء، حديث رقم: (1493)، سنن الترمذي، باب: جامع الدعوات عن النبي - ﷺ -، حديث رقم: (3475)، سنن النسائي الكبرى، باب: الله الواحد الأحد، الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، حديث رقم: (7666)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، واللفظ مختلف.

منزله، نفت الفقر عن ذلك المنزل"، رواه أبو القاسم الطبراني⁽¹⁾، وعن أنس -رضي الله عنه- قال: نزل جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: [مات] ⁽²⁾ معاوية بن معاوية الليثي⁽³⁾، ففتح أن تصلي عليه، قال: "نعم"، فضرب بجناحه الأرض، فلم تبق شجرة، ولا أكمة⁽⁴⁾، إلا تضععت⁽⁵⁾، فرفع سريره، فنظر إليه، فكبر عليه، وخلفه صفان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا جبريل، بم نال هذه المنزلة من الله؟ قال: بحبه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقراءته إياها، ذاهبا، وجائيا، وقائما، وقاعدا، وعلى كل حال"، رواه البيهقي، في دلائل النبوة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده⁽⁶⁾، وعن عقبه بن عامر -رضي الله عنه- قال: لقيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، ما نجاة المؤمن؟ قال: يا عقبه، أحرص لسانك، وليسعك بيتك، وابنك على خطيئتك، قال: ثم لقيني رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فابتدأني، فأخذ بيدي، فقال: "يا عقبه بن عامر، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة، والإنجيل، والزيور، والفرقان العظيم؟ قال: قلت: يا رسول الله، بلى، جعلني الله فداك، قال: فأقرأني: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾⁽⁷⁾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾⁽⁸⁾، ثم قال: يا عقبه، لا تنساهن، ولا تبيت ليلة حتى تقرأهن"، قال: فما نسيتهن، منذ قال، فلا تنساهن، وما بت ليلة قط، حتى أقرأهن، قال: ثم لقيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال، فقال يا

(1) المعجم الكبير: 340/2، حديث رقم: (2419)، مجمع الزوائد: 179/10، حديث رقم: (17075)، قال الهيثمي: وفيه مروان بن سالم الغفاري، وهو متروك، واللفظ مختلف.

(2) ثابت في النص، ولعلها سهو من المؤلف، أو الناسخ.

(3) هو: معاوية بن معاوية المزني، ذكره البغوي، وجماعة، ويقال الليثي، مات على عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كما وردت قصته بذلك، وهو غير معروف بغير هذا الحديث، ينظر: الإصابة: 160/6، أسد الغابة: 226/5.

(4) ينظر: لسان العرب، مادة: أكم.

(5) أي: ساخ في الأرض، ودخل فيها، ينظر: المصدر نفسه، مادة: جلل.

(6) دلائل النبوة للبيهقي: 246/5، حديث رقم: 1994، مسند أبي يعلى الموصلي: 258/7، حديث رقم: (4268)، مجمع الزوائد: 148/3، حديث رقم: (4197)، قال الهيثمي: حديث ضعيف، واللفظ للموصلي.

(7) سورة الفلق، الآية: 1.

(8) سورة الناس، الآية: 1.

عقبة: "صِلْ مِنْ قِطْعِكَ، وَأَعْطِ مِنْ حَرْمِكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ"، تفرد به أحمد، وروى الترمذي بعضه في الزهد، وحسنه⁽¹⁾، وعن عائشة: أن النبي -ﷺ- كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾⁽²⁾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾⁽³⁾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات، رواه البخاري، وأهل السنن⁽³⁾، والله أعلم .

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) اللَّهُ الصَّكْمَدُ^(٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ^(٤)

قال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عزيزا، ابن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس، والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد اللات، والعزى، أنزل الله على رسوله -ﷺ-: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽⁴⁾، يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا شبيه، لا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ أحد في الإثبات، إلا على الله تعالى؛ لأنه الكامل في جميع صفاته، وأفعاله، وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّكْمَدُ﴾، قال ابن عباس: يعني: الذي تصمد الخلائق إليه في حوائجهم⁽⁵⁾، وعنه هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي

(1) مسند أحمد: 148/4، حديث رقم: (17372)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف علي بن يزيد، سنن الترمذي، باب: ما جاء في حفظ اللسان، قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

(2) سورة الفلق، الآية: 1.

(3) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، حديث رقم: (4729)، سنن ابن ماجه، باب: ما يدعو به، إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم: (3875)، سنن أبي داود، باب: ما يقول عند النوم، حديث رقم: (5056)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في من يقرأ القرآن عند المنام، حديث رقم: (3402)، سنن النسائي الكبرى، باب: وما يقول من يفرغ في منامه، حديث رقم: (10624)، ولفظ ابن ماجه مختلف.

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 2493/7، حديث رقم: (14663).

(5) ينظر: النكت والعيون: 371/4.

قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف، والسؤدد⁽¹⁾، وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- مثله⁽²⁾، وهو الله سبحانه، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤ، وليس كمثل شيء، سبحان الله، الواحد، القهار، وقال قتادة، والحسن: ﴿الْصَّكْمُ﴾: الحي القيوم، الذي لا زوال له، وهو الباقي بعد خلقه⁽³⁾، وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد، ولم يولد⁽⁴⁾، فجعل ما بعده تفسيراً له، وهو جيد صريح فيه، وعن ابن مسعود، وابن عباس، وخلاتق - رضي الله عنهم -: ﴿الْصَّكْمُ﴾: المصمت، الذي لا جوف له⁽⁵⁾، [قال عبد الله بن بريدة]⁽⁶⁾: ﴿الْصَّكْمُ﴾، نور يتلأل⁽⁷⁾، وفي كتاب السنة له، بعد إيراد كثير من الأقوال، في تفسير الصمد، وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا -عز وجل-، وهو الصمد الذي يُصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الذي لا جوف له، ولا يأكل، ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك أيضاً⁽⁸⁾، وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، أي: ليس له ولد، ولا والد، ولا صاحبة، وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁹⁾، أي: هو مالك كل شيء، وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه تعالى، وتقدس، وتنزه؟ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(١٠) لَقَدْ

(1) ينظر: جامع البيان: 692/24.

(2) وهو: عن أبي وائل، ينظر: المصدر نفسه، وعند ابن كثير، عن وائل، عن ابن مسعود، ينظر: تفسير ابن كثير: 528/8.

(3) ينظر: جامع البيان: 692/24.

(4) ينظر: الكشف والبيان: 334/10.

(5) وهو أيضاً عن: مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبيرة، والضحاك، وعبدالله بن بريدة، عن أبيه، وعكرمة، وسعيد بن المسيب، ينظر: جامع البيان: 690/24.

(6) في المخطوط بياض، ينظر: تفسير ابن كثير: 528/8.

(7) لم أقف على هذا القول، إلا عند ابن كثير في تفسيره: 528/8.

(8) ينظر: شعب الإيمان للبيهقي: 113/1، وقد أطنب ابن تيمية في ذكر الصمد كثيراً، ينظر: مجموع الفتاوى: 223/5.

(9) سورة الأنعام، الآية: 101.

جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا
لِلرَّحْمَنِ وُلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وُلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ
عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴿١﴾ وَقَالَ
﴿٩٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وُلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٩٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴿٢﴾، وفي الصحيحين: عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلوات الله عليه -
" ما أحد أصبر على أذى يسمعه، من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيه، ويرزقهم" ﴿٣﴾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلوات الله عليه -: " [قال
الله] ﴿٤﴾ كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذبيه إياي،
فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه
إياي، فقلوه اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفوا
أحد" ﴿٥﴾، وفي رواية ابن عباس - رضي الله عنهما -: "وأما شتمه إياي، فقلوه: لي
ولدا، فسبحاني! أتخذ صاحبة، أو ولدا"، رواه البخاري ﴿٦﴾، والله أعلم .

(1) سورة مريم، الآيات: 88 - 95.

(2) سورة الأنبياء، الآيتان: 26 - 27.

(3) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾، حديث رقم: (6943)،
صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين، وأحكامهم، باب: لا أحد أصبر على أذى، من الله - صلوات الله عليه -، حديث
رقم: (2804)، واللفظ للبخاري.

(4) ساقطة من المخطوط، وهي ثابتة عند البخاري، ولا يصح السياق إلا بها.

(5) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: (4690).

(6) المصدر نفسه، كتاب: التفسير، باب: قول الله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، حديث رقم: (4212).

تفسير سورتي: المعوذتين

"وهما مدنيتان"

عن زر بن حبيش قال: قلت: لأبي بن كعب: إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فقال أشهد أن رسول الله - ﷺ - أخبرني: أن جبريل قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، فقلتها، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي - ﷺ -، رواه أحمد⁽¹⁾، وعن زر قال: سألت أبي بن كعب، فقلت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا، وكذا، [فقلت إني]⁽²⁾: سألت رسول الله - ﷺ -، فقال: "قيل: لي، فقلت، فنحن نقول، كما قال رسول الله - ﷺ -"، رواه البخاري⁽³⁾، وهذا مشهور عند كثير من القراء، والفقهاء، أن ابن مسعود - رضى الله عنه - كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعها من النبي - ﷺ -، ولم يتواتر عنده، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك، إلى قول الجماعة، فإن الصحابة - رضي الله عنهم - أثبتوها في المصاحف الأئمة، وأنفذوها إلى سائر الآفاق، والأقطار، كذلك، ولله الحمد، والمنة، وروى مسلم في صحيحه: عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله - ﷺ -: "ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة، لم ير مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾"، رواه أحمد والنسائي، والترمذي، وصححه⁽⁴⁾، وعن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: [بيننا]⁽⁵⁾ أنا أقود برسول الله - ﷺ -، في نعب من تلك النقاب، إذ قال لي: "يا عقبة بن عامر"، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: "ألا أعلمك سورتين [من خير سورتين قرأ بهما الناس]"⁽⁶⁾، قلت: بلى، يا رسول الله، فأقراني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

(1) مسند أحمد: 129/5، حديث رقم: (21224)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(2) لعل الصواب: (فقال: أبي).

(3) صحيح البخاري، باب: تفسير سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، حديث رقم: (4693).

(4) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل قراءة المعوذتين، حديث رقم: (814)، مسند

أحمد: 153/4، حديث رقم: (17430)، سنن النسائي الكبرى، باب: الفضل في قراءة المعوذتين، حديث رقم:

(1026)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في المعوذتين، حديث رقم: (2902)، واللفظ لمسلم من دون (هذه).

(5) يقتضيا السياق، ولا يصح إلا بها، وهي ثابتة في النص.

(6) في المخطوط بياض، ينظر: تفسير ابن كثير: 531/8.

أَلْفَلَقِ ﴿١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم أقمت الصلاة، فتقدم رسول الله -ﷺ-، فقرأ بهما، ثم مر بي، فقال: "كيف رأيت يا عقبة؟ اقرأهما كلما نمت، وكلما قمت"، رواه أحمد وأبو داود، والنسائي⁽¹⁾، وعن عقبة أيضا قال: "أمرني رسول الله -ﷺ- أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة"، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي⁽²⁾، وعن عقبة أيضا قال: كنت أمشي مع رسول الله -ﷺ-، فقال: "يا عقبة، قل"، فقلت: ماذا أقول؟ فسكت عني، ثم قال: "قل"، فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال: "﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾"، فقرأتها، حتى أتيت على آخرها، ثم قال: "قل"، فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: "﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾"، فقرأتها، حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله -ﷺ-: "ما سألت سائل بمثلها، ولا استعاذ مستعيز بمثلها"، رواه النسائي⁽³⁾، وعن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: "اقرأ يا جابر"، قلت: وما أقرأ؟ بأبي أنت، وأمي، قال: "اقرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ ١ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ٢ ﴿و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ٣"، فقرأتها، فقال: "اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلها"، رواه النسائي⁽⁴⁾، وقد سبق في سورة الإخلاص: حديث عقبة بن عامر في فضيلة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ ﴿والمعوذتين⁽⁵⁾، وعن ابن عباس الجهني⁽⁶⁾: أن النبي -ﷺ- قال له: "يا ابن عباس، ألا أدلك أو (ألا أخبرك) بأفضل ما يتعوذ المتعوذون؟" قال: بلى، يا رسول الله، قال: "﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، هاتان السورتان"⁽⁷⁾،

(1) مسند أحمد: 144/4، حديث رقم: (17336)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، سنن أبي داود، باب: في المعوذتين، حديث رقم: (1462)، سنن النسائي الكبرى، باب: الاستعاذة، حديث رقم: (7843)، واللفظ مختلف.

(2) مسند أحمد: 155/4، حديث رقم: (17453)، سنن أبي داود، باب: في الإستغفار، حديث رقم: (1523)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في المعوذتين، حديث رقم: (2903)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، سنن النسائي الكبرى، باب: الأمر بقراءة المعوذات، بعد التسليم من الصلاة، حديث رقم: (1259)، ولفظ الترمذي مختلف.

(3) سنن النسائي الكبرى، باب: الاستعاذة، حديث رقم: (7838)، واللفظ مختلف.

(4) المصدر نفسه، باب: الاستعاذة، حديث رقم: (7854)، صحيح ابن حبان: 76/3، حديث رقم: (796)، واللفظ مختلف.

(5) ينظر: تفسير سورة: الإخلاص.

(6) هو: ابن عباس الجهني، وقيل: ابن عائش الجهني، ذكره جعفر في الصحابة، وابن عاصم، روى عن النبي -ﷺ-، روى عنه أبو عبد الله، ينظر: أسد الغابة: 360/6، تهذيب التهذيب: 12325.

(7) مسند أحمد: 152/4، حديث رقم: (17427)، سنن النسائي الكبرى، باب: الاستعاذة، حديث رقم: (7841)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

وما رَوَى عقبه في المعوذتين بطرق، قد نقلها الأئمة كالمتواتر عنه، يفيد القطع عند (570/ب) كثير من المحققين في الحديث، وقد سبق حديث عائشة: أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ بهن عند منامه، وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده⁽¹⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها -: أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه، كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه؛ رجاء بركتها، رواه البخاري⁽²⁾، وسبق عن أبي سعيد - رضي الله عنه -: أن رسول الله - ﷺ - كان يتعوذ من أعين الجان، وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان، أخذ بهما، وترك ما سواهما، رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة⁽³⁾.

(1) سبق تخريجه في تفسير سورة: الإخلاص.

(2) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، حديث رقم: (4728)، وفيه: "كان إذا اشتكى، يقرأ".

(3) سبق تخريجه في تفسير آخر سورة: القلم ص 44.

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

قال ابن عباس وجابر - رضي الله عنهم-، وغير واحد: ﴿الْفَلَقِ﴾: الصبح⁽¹⁾، قال ابن جرير: هو كقوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾⁽²⁾(3)، وقال الضحاك: ﴿الْفَلَقِ﴾: الخلق⁽⁴⁾، أمر الله رسوله أن يتعوذ من الخلق كله، وقال كعب الأحبار: ﴿الْفَلَقِ﴾: بيت في جهنم، إذا فُتِحَ، صاح جميع أهل النار، من شدة حره⁽⁵⁾، وفي رواية: عن ابن عباس، وعمرو بن عبسة - رضي الله عنهم-، وغير واحد: ﴿الْفَلَقِ﴾: جب في قعر جهنم، عليه غطاء، فإذا كشف عنه، خرجت منه نار، تصيح منه، من شدة ما تخرج منه⁽⁶⁾، والصواب الأول، أنه: فلق الصبح، وهو اختيار البخاري⁽⁷⁾، وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أي: من شر جميع المخلوقات، وقال ثابت: والحسن: جهنم، وإبليس، وذريته، مما خلق⁽⁸⁾، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما- الغاسق: الليل، إذا أقبلت بظلمته، من المشرق، ودخل في كل شيء، وأظلم، والغسق الظلمة⁽⁹⁾، وقال مجاهد: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: غروب

(1) وهو أيضاً عن: الحسن، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 700/24.

(2) سورة الأنعام، الآية: 96.

(3) وهذا القول ذكره ابن جرير عن: القرظي، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 701/24.

(4) معالم التنزيل: 595/8.

(5) جامع البيان: 700/24.

(6) أما قوله: هو جب في جهنم، فهو قول عن: السدي، ومحمد بن كعب القرظي، في حديث مرفوع منكر، وقوله: "عليه غطاء، فإذا كشف عنه، خرجت منه نار، تصيح منه، من شدة ما تخرج منه"، فهو قول عن: زيد بن علي عن آبائه، ولم أقف على هذا القول لعمر بن عبسة، إلا عند ابن كثير، ينظر: جامع البيان: 700/24، تفسير ابن أبي حاتم: 3475/10، حديث رقم: (19537)، تفسير ابن كثير: 535/8.

(7) ينظر: فتح الباري: 741/8، جامع البيان: 701/24.

(8) ينظر: النكت والعيون: 374/6، أما قوله: "جهنم"، هو لثابت، وقوله: "إبليس وذريته"، هو للحسن.

(9) معالم التنزيل: 595/8.

الشمس، حكاه البخاري عنه⁽¹⁾، وقال الحسن، وغير واحد: إنه الليل، إذا أقبل ظلامه⁽²⁾، وقال الزهري: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: غرب، وذهب⁽³⁾، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: كوكب⁽⁴⁾، وقال ابن زيد: كانت العرب تقول الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الوباء، والطواعين، كثر عند وقوعها⁽⁵⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيدي، فأراني القمر، حين طلع، وقال: "تعوذني بالله، من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب" رواه النسائي، والترمذي، وصححه⁽⁶⁾، وهذا لا ينافي ما سبق، فإن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان في النهار، فكذلك، النجوم لا تضيء إلا بالليل، فرجع إلى ذلك، وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ اللَّفَّثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، قال مجاهد، وغير واحد: يعني الساحرات، إذا رَقَيْنَ، ونفثن في العقد⁽⁷⁾، وقال طاوس⁽⁸⁾: ما من شيء أقرب إلى الشرك، من رقية الحية، [والمجانين]⁽⁹⁾، وجاء في الحديث: أن جبريل جاء إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا محمد، اشتكيت؟ فقال: نعم، قال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من كل نفس، أوعين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك"، رواه مسلم عن أبي سعيد -رضي الله عنه-⁽¹⁰⁾، ولعل هذا كان من شكواه، حين [سحر]⁽¹¹⁾، ثم

(1) ينظر: تفسير مجاهد: 796/2، فتح الباري: 741/8.

(2) وهو أيضاً عن: ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، ينظر: جامع البيان: 702/24، النكت والعيون: 375/6.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير: 536/8.

(4) جامع البيان: 703/24.

(5) ينظر: المصدر نفسه.

(6) سنن النسائي الكبرى، باب: ما يقول إذا رفع رأسه إلى السماء، حديث رقم: (10138)، سنن الترمذي، باب: ومن سورة المعوذتين، حديث رقم: (3366)، واللفظ مختلف.

(7) وهو أيضاً عن: ابن عباس، والحسن، وقتادة، وعكرمة، وابن زيد، ينظر: جامع البيان: 702/24.

(8) هو: طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبدالرحمن الحميري الجندي، ثقة من سادات التابعين، ومن عبّاد أهل اليمن، حج أربعين حجة، قال ابن عيينة: متجنبوا السلطان ثلاثة: (أبو ذر في زمانه، وطاوس في زمانه، والثوري في زمانه)، روى عن: العبادلة الأربعة، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه ابنه عبدالله، ووهب بن منبه، والزهري، وغيرهم، توفي سنة: (101 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 8/5.

(9) ينظر: جامع البيان: 705/24.

(10) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب، والمرض، والرقى، حديث رقم: (2186)، وفيه: "من شر كل نفس".

(11) في المخطوط بياض، ينظر: تفسير ابن كثير 537/8.

عافاه الله، وشفاه، ولم يعاتب في ذلك أحدا، كما روت عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - ﷺ - سُحِرَ، حتى كأنه يأتي النساء، ولا يأتيهن، قال سفيان بن عيينة: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا، فقال: " يا عائشة أَعْلِمْتِ أَنْ اللهُ - تعالى - قد أَفْتَانِي فيما اسْتَفْتَيْتُهُ فيه، أَتَانِي رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم⁽¹⁾، رجل من بني زُرَيْق، حليف لليهود، كان منافقًا، قال: وفيم؟ قال: في مُشَط، ومُشَاطَة، قال: في جُف طَلْعَة ذَكَر، تحت رَعُوفَة، في بئر ذُرُوان، قال: فَأتَى البئر، حتى استخرجه، فقال: هذه البئر التي أُرَيْتَها، وكأن ماءها نُقَاعَة الحنَاء، وكأن نخلها رءوس الشياطين، فاستخرج، فقلت: أفلا، أي تَنَشَّرْتِ، قال: أمَّا اللهُ شَفَانِي، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا، وفي روايته: فأمر بالبئر فُدْفِنْتُ، هذا سياق البخاري، ولمسلم مثله، ولأحمد نحوه⁽²⁾، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " لبث رسول الله - ﷺ - ستة أشهر، يرى أنه يأتي، ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم"، الحديث بتمامه⁽³⁾.

(1) هو: لبيد بن الأعصم، من يهود بني زريق، وقيل حليفاً لهم، وهو الذي سحر النبي - ﷺ -، وأعانتته أخواته، وقيل: كن أسحر منه، وأخبث، وكان أعلم اليهود بالسحر، والسموم، وكان يقول: بخلق التوراة، وقد أعطاه اليهود ثلاثة دنانير، ليسحر النبي - ﷺ -، وكان ذلك بعد الرجوع من الحديبية، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 196/2، الكامل في التاريخ: 121/6.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر؟ حديث رقم: (5432)، وباب: السحر، حديث رقم: (5433)، صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: السحر، حديث رقم: (2189)، مسند أحمد: 57/6، حديث رقم: (24345)، واللفظ مختلف.

(3) الحديث: قال: فِيم قال في مُشَط، ومُشَاطَة، في جف طلعة ذكر، في بئر ذروان، تحت رَعُوفَة؟ فاستيقظ النبي - ﷺ - من نومه، فقال: أي عائشة، ألم تَرَيَنَّ أَنَّ اللهُ أَفْتَانِي فيما اسْتَفْتَيْتُهُ، فَأتَى البئر، فأمر به، فأخرج، فقال: " هذه البئر التي أُرَيْتَها، والله، كأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين"، فقالت عائشة: لو أنك؟ كأنها تعني: أن ينتشر، قال: "أما والله، قد عافاني الله وأنا أكره أن أثير على الناس منه شرًا"، مسند أحمد: 63/6، حديث رقم: (24392)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

(أ/571)

الْخَنَاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوسَسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب تعالى، الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء، ومليكه، وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة له، عبيد له، فأمر المستعيز أن يتعوذ بهذه الصفات، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ﴾، وهو الشيطان، الموكل بالإنسان؛ لأنه ما من أحد من بني آدم، إلا وله قرين، يزين له الفواحش، ولا يقصر جهداً في إغوائه، والمعصوم من عصمه الله، وقد ثبت في الصحيح: "ما منكم من أحد، إلا وقد وُكِّلَ به قرينه"، قالوا: وأنت يا رسول الله، قال: "نعم، إلا أن الله تعالى أعانني عليه، وأسلم، فلا يأمرني إلا بخير"⁽¹⁾، رواه مسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وثبت في الصحيحين: عن أنس في قصة زيارة صفية⁽²⁾ للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً؛ ليردها إلى منزلها، فلقية رجلاً من الأنصار، فلما رأيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أسرع، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "عَلَى رَسَلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ"، فقالا: سبحان الله! يا رسول الله، فقال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً، أو قال: شيئاً"⁽³⁾، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الشيطان واضع [خرطمه]⁽⁴⁾ على قلب ابن

(1) صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين، وأحكامهم، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه؛ لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً، حديث رقم: (2814)، واللفظ مختلف.

(2) هي: صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، يرجع نسبها إلى هارون بن عمران أخي موسى - صلى الله عليه وسلم -، زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم -، كانت من السبي يوم خيبر، فعنتها النبي - صلى الله عليه وسلم -، وتزوجها، كانت زوجة سلام بن مشكم اليهودي، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل عنها كنانة يوم خيبر، روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عنها زين العابدين علي بن الحسين، وإسحاق بن عبدالله بن الحارث، ومولاهما يزيد بن متعب، وغيرهم، توفيت سنة: (50 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: الإصابة: 7/738، أسد الغابة: 7/184.

(3) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: صفة إبليس، وجنوده، حديث رقم: (3107)، صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن روي خالياً بامرأة، وكانت زوجته، أو محرماً له، أن يقول: هذه فلانة؛ ليدفع ظنَّ السوء به، حديث رقم: (2174)، وفي البخاري عن صفية، واللفظ مختلف.

(4) الصواب: (خطمه).

آدم، فإذا ذكر الله، خنس، وإن نسي، التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس"، غريب، رواه الحافظ الموصلي⁽¹⁾، وعن أبي تميم⁽²⁾: يحدث عن رديف رسول - ﷺ -: عثر بالنبي - ﷺ - حماره، فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي - ﷺ -: " لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: بسم الله، تصاغر، حتى يصير مثل الذباب"، [تفرد به أحمد]⁽³⁾، بإسناد قوي⁽⁴⁾، وفيه دلالة على أن العبد إذا ذكر الله، تصاغر [الشيطان، وغلب، وإن لم يذكر الله]⁽⁵⁾، تعاظم، وثبت، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها، وسوس، وإذا ذكر الله، خنس، ومثل ذلك عن مجاهد، وقتادة⁽⁶⁾، وقوله: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ﴾، أي: بالكلام الخفي، الذي يصل مفهومه إلى القلب، من غير سماع، ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، هل يختص هذا ببني آدم (كما هو الظاهر)، أو يعم بني آدم، والجن؟ فيه قولان، ويكونون داخلين في لفظ الناس؛ تغليبا، وقال ابن جرير: وقد أُسْتُعْمِلَ فيهم رجال من الجن، فلا بدع في إطلاق الناس عليهم⁽⁷⁾، وقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، هل هو تفصيل لقوله: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾؟ ثم بينهم، فقال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، وهذا يقوي القول الثاني، وقيل: ﴿مِنَ

(1) مسند أبي يعلى: 273/7 حديث رقم: (4301)، مجمع الزوائد: 311/7، حديث رقم: (11560)، قال الهيثمي: وفيه عدي بن عمارة، وهو ضعيف.

(2) هو: طريف بن مجالد أبو تميم البصري، تابعي، ثقة، قال ابن عبد البر: هو ثقة حجة عند جميعهم، روى عن أبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وابن عمر، وغيرهم، وروى عنه خالد الحذاء، وسليمان التيمي، وقتادة، وغيرهم، توفي سنة: (95 هـ)، وقيل: غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب: 12/5.

(3) في المخطوط بياض، وهكذا، ذكره ابن كثير في المسند، وهو خطأ فقد أخرجه غير أحمد، ينظر: تفسير ابن كثير: 539/8.

(4) مسند أحمد: 59/5، حديث رقم: (20611)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، سنن أبي داود، باب: لا يقال خبثت نفسي، حديث رقم: (4982)، سنن النسائي الكبرى، باب: ما يقول إذا عثرت دابته، حديث رقم: (10388)، وقد أخرجه غير أصحاب السنن، واللفظ لأحمد.

(5) في المخطوط بياض، وكذا، ذكره ابن كثير، ينظر: تفسير ابن كثير: 539/8.

(6) ينظر: تفسير مجاهد: 797/2، جامع البيان: 709/24.

(7) ينظر: جامع البيان: 711/24.

الْحِجَّةِ وَالنَّكَاسِ ﴿١﴾، تفسير للذي يوسوس في صدور الناس، من شياطين الإنس، والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يَقْتُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (1)، وكما قال أبو ذر - رضي الله عنه -، أتيت رسول الله - ﷺ -، وهو في المسجد، فجلست، فقال: "يا أبا ذر، هل صليت؟" قلت: لا، قال: "قم فصل"، فقمتم، فصليت، ثم جلست، فقال: "يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس، والجن"، قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: "نعم" رواه أحمد (2)، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاء الشيطان، فأبس به، كما يبس الرجل بدابته، فإذا سكن له، زنقه، أو ألقمه"، قال أبو هريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق، فتراه مائلا كذا، لا يذكر الله، وأما المُلجَم، ففاتح فاه، لا يذكر الله - ﷻ -، تفرد به أحمد (3)، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ -، فقال: يا رسول الله، إني أحدث نفسي بالشيء؛ لأن آخر من السماء أحب إلي، من أن أتكلم به، فقال النبي - ﷺ -: "الله أكبر! الله أكبر! الحمد لله، الذي رد كيده إلى الوسوسة"، رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي (4).

آخر التفسير، والحمد لله رب العالمين، حمدا يوافي نعمه، والصلاة والسلام على رسوله، محمد، المصطفى، سيد المرسلين، وآله كلهم، وسائر الصالحين، نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون، كلما ذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكره الغافلون، اللهم، صلِّ عليه، وعلى آله، وسائر النبيين، واغفر اللهم، لأبائنا، وأمهاتنا، ولأساتذتنا، ولمشايخنا، وللمن أحسن إلينا، وأعْلٍ مراتب من أرشدنا إليه، من أهل الولاية، والعرفان،

(1) سورة الأنعام، الآية: 112.

(2) مسند أحمد: 178/5، حديث رقم: (21586)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جداً.

(3) المصدر نفسه: 330/2، حديث رقم: (8352)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، وفيه: "جاءه الشيطان".

(4) المصدر نفسه: 235/1، حديث رقم: (2097)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، علي شرط الشيخين،

سنن أبي داود، باب: في رد الوسوسة، حديث رقم: (5112)، سنن النسائي الكبرى، باب: الوسوسة، وذكر

اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة في ذلك، حديث رقم: (10503)، واللفظ لأحمد، وفيه: "الله أكبر! ثلاث

مرات"، وعند أبي داود مرة واحدة.

في الدارين، وارفح درجات من حرصنا عليه، من ذوي المعرفة، والإتقان، في المنزلين،
فإن الدالَّ على الخير كفاعله، والمعاون على البر كجاعله، إنك رؤوف رحيم، جواد
كريم .

وقد تم الكتاب على أنامل أقل عباد الله، الغني: محمد، شيخ إبراهيم بن
محمود، الحافظ الجولمي، مجتهدا الجهرمي، مولدا في ثلاث وعشرين خلت من ثاني
جمادى، سنة: ثمان وعشرين وتسعمائة، بجهرم، صانها الله عن التصرم، أحسن الله
عواقبه في الدارين، وغفر له، ولوالديه، بحرمة جاه محمد، خاتم النبيين، وأصحابه
الأكرمين، والحمد لله رب العالمين.

"الخاتمة"

وفي ختام هذا العمل المبارك، بإذن الله تعالى، وبعد الوصول إلى نهايته، فإنني قد استقدت منه فوائد جمة، وأموراً عدة، أذكر منها الآتي:

1. أن هذا التفسير من كتب التفسير بالمأثور؛ لأن المؤلف قد التزم الاستدلال فيه بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، والتابعين، والأئمة السابقين.
2. اعتمد المؤلف في تفسيره (في الغالب) على أحاديث صحيحة.
3. اعتماد المؤلف في تفسيره على النقل من كتب التفسير، مثل: جامع البيان، وتفسير ابن أبي حاتم، وغيرهما.
4. اختصار الكازروني لتفسير ابن كثير لم يؤثر في قيمة الكتاب العلمية، وذلك لما فيه من دقة في الاختصار، بل فيه إثراء للمكتبة الإسلامية، وخدمة لها.
5. وقوع بعض الأخطاء، إما من الناسخ، وإما من المؤلف، وذلك في نصوص بعض الأحاديث، وأيضاً بعض الكلمات غير الواضحة، والجمل التي لا يستقيم النص، إلا بزيادة يقتضيها.
6. براعة المؤلف في تركيبه للجمل، ودقته في الحذف، والإثبات من النص، فإنه يجعل القارئ لا يشعر بالاختصار، فيظن القارئ أن هذا التفسير مستقل تام، من دون اختصار، وهذا يدل على إتقان المؤلف، وسعته العلمية، وتصوره الكامل للنص.
7. سير المؤلف على منهج، وطريقة ابن كثير، وعدم الخروج عن ذلك في أغلب المخطوط.
8. الأمانة العلمية التي ظهرت في عمل المؤلف، وهي التي يجب على كل طالب علم، أو باحث، أن يتصف بها.

والحمد لله الذي شرفني بإنجاز هذا العمل، فإن كان صواباً، فبتوفيق من الله، وإن كان خطأً، فمن نفسي الخاطئة، ومن الشيطان، والله، ورسوله منه بريئان، وأسأل الله العلي القدير: أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله من الأعمال الثلاثة، التي لا ينقطع أجرها بعد موت صاحبها، وأن ينفع طلبة العلم، وعمامة المسلمين، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم، وبارك على سيدنا، محمد، وعلى آله، وأصحابه، أجمعين.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
سورة البقرة		
18	28	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾
54	46	﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾
91	143	﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾
129	177	﴿ وَءَاتَىٰ أَمْوَالًا عَلَىٰ حُجَّتِهِ ﴾
277	185	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾
229	203	﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾
229	203	﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾
102	245	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ ﴾
151	255	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾
89	255	﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾
165	259	﴿ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾
67	283	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾
سورة آل عمران		
176	30	﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا ﴾
122	106	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾
سورة النساء		
136	133	﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾
322	142	﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتًا ﴾
سورة المائدة		
331	64	﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾
85	66	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾
88	67	﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
331	68	﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾
139	109	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾
سورة الأنعام		
172	38	﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
85	44	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾
238	62	﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾
101	91	﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أُنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾
353	96	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾
348	101	﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾
256	110	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَىٰ مَرَّةٍ﴾
358	112	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾
188	152	﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ﴾
327	162	﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
سورة الأعراف		
231	69	﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾
106	142	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي﴾
161	187	﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾
سورة الأنفال		
282	41	﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾
سورة التوبة		
296	17	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾
سورة يونس		
298	8	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾
298	8	﴿أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ﴾
203	10	﴿وَعَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
121	26	﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
330	41	﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ﴾
117	48	﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
76	88	﴿رَبَّنَا أطمسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأشددْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾
سورة هود		
127	7	﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
77	43	﴿سَاءَ وِىءٌ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾
77	43	﴿عَاصِمِ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾
158	99	﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنَسِّسُ الرِّقْدَ الْمَرْفُودُ﴾
42	102	﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنْكَ الْبَدْحَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخَذَهُ إِلَّا لِمُشِيدٍ﴾
205	103	﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾
146	104	﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾
152 - 151	105	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
148	107	﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾
31	108	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾
202	108	﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مُجْدُوزٍ﴾
27	123	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾
97	123	﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾
سورة يوسف		
101	68	﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾
سورة الرعد		
213	11	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾
سورة إبراهيم		
136	19	﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
62	27	﴿يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
76	35	﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾
117	43	﴿لَا يَزِيدُ الْيَئِيمَ طَرْفَهُمْ﴾
سورة الحجر		
138	22	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾
سورة النحل		
257	9	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾
191	24	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾
25	79	﴿الْمَيْرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾
245	97	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾
319	113 - 112	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾
سورة الإسراء		
118	14	﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾
245	19	﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾
187	35	﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾
303	36	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ ءَعْلَمُ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾
340	45	﴿وَإِذَا قُرِئَتِ الْقُرْءَانُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾
109	48	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾
25	68	﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا﴾
146	71	﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِأَمِينِهِمْ﴾
135 - 92	79	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ءَنَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾
129	90	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾
سورة الكهف		
147	47	﴿وَيَوْمَ نُسِرِ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾
118	49	﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّرُوكَ أَحَدًا﴾
152	49	﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة مريم		
25	62	﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾
349	95 - 88	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾
سورة طه		
218	50	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾
147 - 139	107 - 105	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾
119	114	﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾
سورة الأنبياء		
288	25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
349	27 - 26	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾
155	33	﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
117	38	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ الْوَعْدِ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
42	87	﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
42	88	﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ، وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾
سورة الحج		
134	23	﴿يُحَلِّقُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾
60	47	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾
سورة المؤمنون		
66	2 - 1	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾
68	11 - 10	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾
41	56 - 55	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾
195	111 - 108	﴿قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾
سورة الفرقان		
109	9	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾
190	13	﴿وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
186	26	﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾
190	61	﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾
سورة الشعراء		
331	78	﴿ الَّذِي خَلَقَ فِيهِ هَيِّبِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾
331	80	﴿ يَشْفِيهِ ﴿٨٠﴾ ﴾
49	105	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾
49	213	﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾
49	141	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾
233	149	﴿ وَتَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾
151	194 - 193	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾
59	201 - 200	﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾
179	212 - 210	﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطِينُ ﴿٢١٠﴾ ﴾
185	214	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾
سورة النمل		
117	71	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾
319	91	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾
سورة القصص		
158	38	﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾
158	41	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾
330	55	﴿ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴾
سورة العنكبوت		
91	11	﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾
319	67	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾
سورة الروم		
144	21	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
214 - 124	27	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾
250	30	﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾
145	48	﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
سورة لقمان		
-143-98 215	24	﴿نُمِئْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطْرْتُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾
سورة السجدة		
17	2 - 1	﴿الْعَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ لَأَرَبِّ فِيهِ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾
62	5	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾
92	16	﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾
سورة الأحزاب		
105	1	﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ أَتَى اللَّهُ وَلَاتُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾
161	63	﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾
سورة سبأ		
32	24	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾
117	29	﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾
75	33	﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾
سورة فاطر		
136	16	﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾
274	28	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
134	33	﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾
220	36	﴿لَا يُفَضِّلُ عَلَيْهِمْ فِيمُونُوا وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾
24	45	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظُهُرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾
سورة يس		
117	48	﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الصافات		
21	10 - 6	﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِيَّةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾
173	22	﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾
194	61	﴿ لِيُمَثِّلَ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾
سورة ص		
49	14	﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾
172	19	﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾
149	58	﴿ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ ﴿٥٨﴾ ﴾
سورة الزمر		
265	22	﴿ أَمَّنْ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾
139	69	﴿ وَجَاءَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾
22	71	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتُفْتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾
سورة غافر		
186	16	﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾
238	43	﴿ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ ﴾
118	52	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ ﴾
159 - 69	57	﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾
128	72 - 71	﴿ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾
سورة فصلت		
232	15	﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾
58	44	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا مَجْمُوعًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾
سورة الشورى		
330	15	﴿ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴾
118	47	﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾
151	52	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الزخرف		
50	13	﴿لَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾
سورة الدخان		
277	3	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾
278	4	﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾
124	49	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾
سورة الجاثية		
27	33	﴿وَبَدَّلْتُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
سورة الأحقاف		
241	15	﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾
82 - 79	29	﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾
سورة محمد		
70	38	﴿هَاتِنْتُمْ هُوًّا لَدَعْوَتِ لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾
سورة الفتح		
265	2	﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾
287	27	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾
سورة ق		
226	6	﴿أَفَأَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾
سورة الذاريات		
249	47	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾
255	49	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾
سورة الطور		
150 - 225	23	﴿لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْسِيرٌ﴾
42	40	﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾
سورة النجم		
178	6 - 5	﴿عَلَّمَهُ سَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
179	10 - 5	﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾﴾
179	13	﴿وَلَقَدْ رَاة نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾﴾
330	23	﴿إِنْ يَبْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾﴾
سورة القمر		
297	7	﴿كَانَ مِنْهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾
32	26	﴿سَبَّعَامُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٦١﴾﴾
252	30 - 29	﴿فَنَادُوا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٠﴾﴾
160	46	﴿وَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾﴾
156	50	﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا الْوَحْدَةُ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾
سورة الرحمن		
142	33	﴿يَمَعَشَرِ الْجَيْنِ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
132	54	﴿وَحِجَى الْجَنَّةِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾
سورة الواقعة		
123	85 - 83	﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾
217	96	﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾
سورة الملك		
127	2	﴿لِيَبْلُوكُمْ أَنْ كُنْتُمْ عَمَلًا﴾
117	25	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾
سورة القلم		
307	11	﴿هَمَازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾
سورة الحاقة		
231	7	﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾
155	14	﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾
132	23	﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾
135	24	﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة المعارج		
189	4	﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ﴿٤﴾
307	18	﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ ﴿١٨﴾
سورة نوح		
169	27	﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا الْفَاجِرَ كَقَارِا ﴾ ﴿٢٧﴾
سورة المزمل		
155	14	﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾
181	18	﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾
سورة المدثر		
92	1	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ﴿١﴾
36	25 - 11	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ ﴿١١﴾
36	26	﴿ سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ﴾ ﴿٢٦﴾
68	52 - 49	﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾
سورة القيامة		
70	4 - 3	﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ يَجْمَعُ عِظَامَهُ ﴾ ﴿٣﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ ﴾ ﴿٤﴾
152	13	﴿ يُبْشِرُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ﴿١٣﴾
191	23 - 22	﴿ وَجِئْتُهُ بِوَجْهِ نَاصِرَةٍ ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ﴿٢٣﴾
سورة الإنسان		
234 - 165	3	﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ﴿٣﴾
293	8	﴿ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ﴿٨﴾
سورة المرسلات		
69	20	﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴾ ﴿٢٠﴾
سورة النبأ		
255	8	﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ﴿٨﴾
سورة عبس		
64	36 - 34	﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ ﴿٣٥﴾ وَصَجِيهِ. وَبَنِيهِ ﴾ ﴿٣٦﴾

الصفحة	رقمها	الآية
131	39 - 38	﴿ وَجْهٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾
سورة التكويد		
231	18 - 17	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا انْفَسَسَ ﴿١٨﴾ ﴾
57	21 - 19	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾
57	22	﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾
57	23	﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾
57	24	﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾
57	25	﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾
سورة الإنفطار		
171	2	﴿ وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْفَثَتْ ﴿٢﴾ ﴾
241	8 - 7	﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ ﴾
سورة المطففين		
121	15	﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾
سورة الانشقاق		
276	1	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾
290	4	﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ﴿٤﴾ ﴾
سورة الطارق		
69	16 - 5	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾
سورة الأعلى		
248 - 228 254 -	1	﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾
سورة الفجر		
321	18 - 17	﴿ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْبَيْعَةَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْتَضِرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾
سورة الشمس		
254 - 228	1	﴿ وَالشَّمْسُ وَضَعَهَا ﴿١﴾ ﴾
47	11	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَانِهَا ﴿١١﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الليل		
248 - 228	1	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾
260 - 178	2 - 1	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾
249	2	﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾
سورة الشرح		
331	6 - 5	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾
97	7	﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾﴾
سورة التين		
31	6	﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾
190	6 - 5	﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
سورة العلق		
196 - 103	1	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾
30	5 - 3	﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾
سورة الزلزلة		
333 - 329	2 - 1	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾
سورة القارعة		
146	5	﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾﴾
سورة التكاثر		
331	7 - 6	﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾
سورة قريش		
314	4 - 1	﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾﴾
سورة الكافرون		
333	1	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾
سورة الإخلاص		
333 - 329	1	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفلق		
347 - 346	1	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾
سورة الناس		
346	1	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
260	أبطأ جبريل على النبي - ﷺ - ...	1
140	ابن آدم أنى تعجزني ...	2
266	أتاني جبريل فقال ...	3
290	أتى رجل إلى رسول الله - ﷺ - ...	4
142	أتيت بيت المقدس ...	5
358	أتيت رسول الله - ﷺ - وهو في المسجد ...	6
244	أتينا رسول الله - ﷺ - ...	7
92	اجتمعت قريش في دار ...	8
66	أحب الأعمال إلى الله ...	9
344	احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ...	10
94	أحيانا يأتييني في مثل صلصلة الجرس من ...	11
354	أخذ رسول الله - ﷺ - بيدي ...	12
134	إذا انتهى أهل الجنة إلى ...	13
120	إذا دخل أهل الجنة الجنة ...	14
329	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ تعدل نصف القرآن .	15
55	إذا قال الله خذوه ...	16
197	إذا كان يوم القيامة ...	17
188	إذا كان يوم القيامة أدنيت ...	18
52	أذن لي أن أحدثكم ...	19

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
285	أرى رؤياكم قد تواطأت ...	20
94	أسمع صلاصل ثم أسكت ...	21
259	اشتكى النبي - ﷺ - ...	22
299	اشتكت النار على ربها فقالت ...	23
260	اضطجع رسول الله - ﷺ - على حصير ...	24
127	أعاذك الله من إمارة السوء ...	25
282	اعتكف رسول الله - ﷺ - ...	26
326	أعطيت الكوثر إذا هو نهر يجري ...	27
55	اعملوا وسددوا وقاربوا ...	28
44	أعينكما بكلمات الله التامة ...	29
181	أفتان أنت يا معاذ؟ ...	30
213	أفتان أنت يا معاذ؟ ...	31
129	أفضل الصدقة أن تصدق ...	32
251	أفلحت نفس زكاها الله - ﷻ - .	33
344	أقبلت مع النبي - ﷺ - فسمع رجلا ...	34
276	أقرب ما يكون العبد إلى ربه...	35
189	اكتبوا كتابه في سجين .	36
44	أكثر من يموت من أمتي ...	37
206	أكثروا علي من الصلاة ...	38
184	أكرموا الكرام الكاتبين ...	39
253	ألا أحدثك بأشقى الناس ...	40

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
33	ألا أخبركم بخياركم ؟ ...	41
289	ألا أخبركم بخير البرية ...	42
34	ألا أنبؤكم بأهل الجنة ؟ ...	43
96	ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض ...	44
227	ألا كلكم يدخل الجنة ...	45
225	ألا هل مشمر للجنة ...	46
283	التمسوها في العشر الأواخر ...	47
26	الذي أمشاهم على أرجلهم ...	48
350	ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة ...	49
300	﴿أَلَهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ عن الطاعة ...	50
238	أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت .	51
219	أما أهل النار الذين هم أهلها...	52
114	أما هو فقد جاءه اليقين من ربه.	53
87	أمرت أن أسجد...	54
227	أمرت أن أقاتل الناس ...	55
351	أمرني رسول الله - ﷺ - أن أقرأ ...	56
261	إنا أهل بيت ...	57
358	إن أحدكم إذا كان في المسجد...	58
121	إن أدنى أهل الجنة منزلة ...	59
179	إن أمانة ليلة القدر ...	60
23	إنا نكون عندك في حال...	61

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
219	إن أهل النار الذين...	62
257	إن أهون أهل النار عذاباً ...	63
235	أنا وكافل اليتيم له ولغيره ...	64
30	إن أول ما خلق الله القلم...	65
303	إن أول ما يسأل عنه ...	66
354	أن جبريل جاء إلى الرسول - ﷺ - فقال يا محمد...	67
257	أنذرتكم النار حتى لو أن رجلاً ...	68
343	أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ...	69
326	أن رجلاً قال: يا رسول الله ...	70
184	أن رجلاً كان يصلي ...	71
265	أن رسول الله - ﷺ - أتاه جبريل ...	72
280	أن رسول الله - ﷺ - أُرِيَ أعمار الناس ...	73
44	أن رسول الله - ﷺ - أمرها أن تسترقي...	74
329	أن رسول الله - ﷺ - قرأ بهذه السورة ...	75
329	أن رسول الله - ﷺ - قرأ بهما ...	76
126	أن رسول الله - ﷺ - قرأ هذه...	77
216	أن رسول الله - ﷺ - قرأ...	78
126	أن رسول الله - ﷺ - كان قرأ...	79
189	أن رسول الله - ﷺ - كان يتعوذ من ...	80
352	أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ على نفسه ...	81

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
38	أن رسول الله - ﷺ - نهى عن الجذاذ بالليل ...	82
218	أن رسول الله كان إذا قرأ... ..	83
17	أن رسول الله كان لا ينام حتي يقرأ... ..	84
204	أن رسول الله كان يقرأ... ..	85
333	أنزلت هذه السورة آخر أيام التشريق ...	86
94	أنزل على رسول الله وفخذه... ..	87
16	إن سورة في القرآن ثلاثين آية ...	88
171	أن الشمس والقمر نوران ...	89
356	إن الشيطان واضع... ..	90
174	انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله... ..	91
150	إن قمص أهل الجنة... ..	92
94	إن كان ليوحى إلى رسول الله - ﷺ - ...	93
171	انكدرت في جهنم ...	94
198	إنكم تعملون أعمالا... ..	95
120	إنكم سترون ربكم عيانا .	96
134	إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.	97
212	إن اللوح المحفوظ ...	98
185	إنما سماهم الله الأبرار	99
184	إن ملائكة الله يعرفون... ..	100
191	إن العبد إذا أذنب ذنبا... ..	101
229	إن العشر عشر الأضحى ...	102

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
19	إن الله أذل بني آدم بالموت ...	103
186	إن الله أمرني أن أقرأ عليك ...	104
286	إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن...	105
317	إن الله حبس عن مكة الفيل ...	106
29	إن الله خلق النون ...	107
218	إن الله قدر مقادير الخلائق...	108
41	إن الله ليملئ للظالم حتى ...	109
121	إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك .	110
342	أن المشركين قالوا للنبي - ﷺ - يا محمد...	111
337	إن الناس يدخلون في دين الله أفواجا...	112
342	أن النبي - ﷺ - بعث رجلا على سرية ...	113
338	أن النبي - ﷺ - خرج إلى البطحاء ...	114
277	أن النبي - ﷺ - ذكر رجلا من ...	115
347	أن النبي - ﷺ - كان إذا آوى إلى فراشه ...	116
183	أن النطفة إذا استقرت ...	117
225	أنهار الجنة تفجر...	118
279	إنها ليلة سابعة أو تاسعة ...	119
284	أنها ليلة سبع وعشرين .	120
240	إن هذا البلد حرمه الله ...	121
185	أنه - عليه الصلاة - دعا قريشا...	122
33	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير...	123

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
104	إن الوليد بن المغيرة صنع ...	124
112	إني أرى ما لا ترون...	125
89	إني لأرجو أن لا تعجز...	126
32	إني لم أبعث لعانا...	127
288	أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ...	128
101	أوتروا يا أهل القرآن .	129
298	أوقد على النار ألف سنة ...	130
272	أول ما بديء به رسول الله ﷺ - من الوحي ...	131
97	أول ما نزل أول المزمّل ...	132
216	أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ...	133
287	أولم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ...	134
293	إياكم ومحقرات الذنوب ...	135
67	آية المنافق ثلاثة...	136
343	أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن ...	137
344	أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ...	138
102	أيكم ماله أحب إليه ...	139
193	أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ...	140
244	أيما مسلم أعتق مسلماً...	141
295	بعث رسول الله ﷺ - خيلاً...	142
350	بينما أنا أقود برسول الله ﷺ - ...	143
19	بينما أنا في الحطيم ...	144

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
325	بينما رسول الله - ﷺ - بين أظهرنا ...	145
81	بينما نحن جلسون مع رسول الله - ﷺ - ...	146
137	بينما نحن مع النبي - ﷺ - ...	147
285	تحروا ليلة القدر في الوتر...	148
168	تحشرون حفاة عراة غرلاً...	149
173	تَرَوُّجُهَا أَنْ تَوَلَّفَ كُلَّ شَيْعَةٍ...	150
291	تقيء الأرض أفلاذ كبدها...	151
322	تلك صلاة المنافق ...	152
100	ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن .	153
303	﴿ تَمَرَّلْتُمْ لَنْ يَوْمٍ مِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ يعني شبع البطون ...	154
163	جاء ابن أم مكتوم...	155
155	جاءت الراجفة تتبعها الرادفة...	156
343	جاء رجل إلى رسول - ﷺ - فقال ...	157
358	جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال يا رسول الله إني أُحَدِّثُ...	158
175	جاء قيس بن عاصم على رسول الله...	159
103	جاورت بحراء...	160
52	حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا...	161
219	حدث الناس بما يعرفون ...	162
31	خدمت رسول الله - ﷺ - ...	163
57	خرجت أتعرض رسول الله...	164

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
80	خرجت مع أبي إلى المدينة...	165
267	خرج الرسول - ﷺ - يوما مسرورا ...	166
302	خرج رسول الله - ﷺ - ذات يوم أو ليلة ...	167
61	خرجنا مع النبي - ﷺ - ...	168
252	خطب رسول الله - ﷺ - فذكر الناقة ...	169
102	خمس صلوات في اليوم والليله ...	170
235	خير بيت في المسلمين ...	171
292	الخيول لثلاثة ...	172
326	دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ...	173
345	دخل مع رسول الله - ﷺ - المسجد...	174
221	الدنيا دار من لا دار له...	175
101	ذاك رجل بال الشيطان في أذنه.	176
246	الراحمون يرحمهم الله ...	177
329	رافقت الرسول - ﷺ - ...	178
251	رب أعط نفسي تقواها ...	179
280	سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله ...	180
283	سألت أبي بن كعب ...	181
350	سألت أبي بن كعب فقلت يا أبا المنذر...	182
50	سألت ربي أن يجعلها أذن علي.	183
256	سألت رسول الله - ﷺ - ...	184
323	سألت رسول الله - ﷺ - عن ...	185

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
54	سأل رجل رسول الله - ﷺ - ...	186
257	سأل غلامان شابان ...	187
23	سبعة يظلهم الله في ظله...	188
196	سجدنا مع رسول الله - ﷺ - ...	189
149	سمعت رسول الله - ﷺ - قرأ...	190
34	التشديد الخلق المصحح...	191
66	شر ما في الرجل...	192
171	الشمس والقمر مكوران يوم القيامة.	193
75	صارت الأوثان التي كانت...	194
245	الصدقة على المسكين صدقة ...	195
130	الصلاة وما ملكت أيمانكم.	196
228	صلى معاذ صلاة ...	197
71	صلة الرحم تزيد في العمر.	198
176	صليت خلف النبي - ﷺ - الصبح ...	199
196	صليت مع أبي هريرة العتمة ...	200
73	طلبت الغيث بمجاديح السماء...	201
357	عثر بالنبي - ﷺ - حماره فقلت...	202
261	عُرِضَ على رسول الله ...	203
356	على رسلكما إنها صفية بنت حيي...	204
45	العين حق لتورد الرجل ...	205
44	العين حق ولو كان شيء...	206

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
112	فإذا يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ...	207
103	فبينما أنا أمشي ...	208
281	فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم .	209
318	فضل الله قریشا بسبع خلال ...	210
65	فلا توعي فيوعي الله عليك...	211
190	الفلق جب في جهنم...	212
29	فما تحفتهم؟ ...	213
191	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ...	214
284	في تسع يبقين أو سبع يبقين ...	215
284	في رمضان فالتمسوها ...	216
212	في صدر اللوح لا إله إلا الله ...	217
189	في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ...	218
183	قال الله ابن آدم...	219
349	قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ...	220
197	قال جبريل يا : محمد ...	221
114	قال ريكم أنا أهل أن أتقى ...	222
323	قال رجل يا رسول الله ...	223
333	قال لي ابن عباس يا ابن عتبة ...	224
351	قال لي رسول الله - ﷺ - اقرأ يا أبا جابر ...	225
263	قد أفلح من أسلم ...	226
278	قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك	227

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
254	قدم أصحاب عبد الله...	228
328	قدم كعب بن الأشرق مكة ...	229
291	قرأ رسول الله - ﷺ - ...	230
167	قرأ عمر بن الخطاب ...	231
259	قرأ ﴿وَالضُّحَى﴾ على ابن عباس - رضي الله عنهما - ...	232
239	قل اللهم إني أسألك نفسا بك ...	233
350	قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب ...	234
329	قلت يا رسول الله علمني شيئا ...	235
317	كانا مقعدين يستطعمان الناس ...	236
93	كانت مدّا ...	237
232	كان الرجل منهم يأتي ...	238
31	كان خلقه القرآن.	239
341	كان رجل من الأنصار يؤمهم ...	240
216	كان رسول الله - ﷺ - ...	241
32	كان رسول الله - ﷺ - أحسن الناس ...	242
208	كان رسول الله - ﷺ - إذا صلى العصر...	243
355	كان رسول الله - ﷺ - سحر حتى كأنه...	244
44	كان رسول الله - ﷺ - يتعوذ من عين...	245
119	كان رسول الله - ﷺ - يعالج من...	246
336	كان رسول الله - ﷺ - يكثر أن يقول ...	247

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
336	كان رسول الله ﷺ - يكثر في آخر أمره...	248
275	كان رسول الله يصلي عند المقام...	249
334	كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ...	250
222	كان كل هذا في صحف ...	251
207	كان ملك فيمن كان قبلكم...	252
269	كان النبي ﷺ - في سفر ...	253
327	كان النبي ﷺ - يذبح وينحر بالمصلى .	254
335	كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين .	255
93	كان يقرأ السورة فيرتلها...	256
216	كان يقرأ في العيدين ...	257
217	كان يقرأ في الوتر...	258
93	كان يقطع قراءته آية آية.	259
165	كل ابن آدم يبلي...	260
100	كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن...	261
324	كل معروف صدقة ...	262
127	كل الناس يغدوا...	263
300	كنا نرى هذا من القرآن...	264
141	كنا نعلم إلى الخشبة...	265
322	كنت أصلي فدخل علي رجل ...	266
351	كنت أمشي مع رسول الله ﷺ - ...	267
296	الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفته ...	268

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
189	كيف أنت صانع في يوم ...	269
106	كيف أنعم وصاحب القرن ...	270
42	لا إله إلا أنت سبحانك ...	271
301	لا بأس طهور إن شاء الله ...	272
77	لا تصحب إلا مؤمناً...	273
93	لا تثنوه نثر الرمل...	274
43	لا رقية إلا من عين أو حمة.	275
43	لا شيء في الهام والعين حق...	276
100	لا صلاة لمن لم يقرأ...	277
275	لئن فعله لأخذته الملائكة.	278
332	لا يتوارث أهل ملتين شيء.	279
54	لا يدخل الجنة أحد إلا...	280
34	لا يدخل الجنة الجواز الجعظري ...	281
33	لا يدخل الجنة قتات .	282
258	لا يدخل النار إلا شقي ...	283
22	لا يدخل أحد النار إلا وهو ...	284
246	لا يرحم الله من لا يرحم الناس .	285
172	لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر...	286
263	لا يشكر الله من لا يشكر الناس .	287
43	لا ينبغي لأحد أن يقول...	288
319	﴿لَا يَلْفُ فُرَيْشٌ ۝١﴾ إِيْلَفِيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿...﴾	289

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
355	لبث رسول الله - ﷺ - ستة أشهر ...	290
201	للتبع سنن من كان ...	291
316	لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة ...	292
174	لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ...	293
346	لقيت رسول الله - ﷺ - فابتدأته ...	294
342	لكل شيء نسبة ونسبة الله ...	295
254	اللهم أرزقني جليساً صالحاً ...	296
285	اللهم إنك عفو تحب العفو ...	297
251	اللهم إني أعوذ بك من العجز ...	298
198	اللهم حاسبني حساباً يسيراً ...	299
159	لما خلق الله الأرض ...	300
266	لما فرغت مما أمرني به ...	301
187	لما قدم نبي الله - ﷺ - المدينة ...	302
336	لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ...	303
335	لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختم السورة ...	304
334	لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله ...	305
334	لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ...	306
303	لما نزلت ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ﴾ فقرأ حتى بلغ ...	307
340	لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت ...	308
341	لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ جاءت ...	309

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
336	لما نزلت على رسول الله - ﷺ - ...	310
217	لما نزلت ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ...	311
286	لما نزلت ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ...	312
49	لم تنزل قطرة من ماء إلا ...	313
22	لن يدخل أحد النار إلا وهو ...	314
89	لن يعجز الله هذه الأمة ...	315
267	لن يغلب عسر يسرين ...	316
22	لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم ...	317
56	لو أن رضاضة مثل هذه ...	318
267	لو جاء العسر فدخل هذا الجحر ...	319
18	لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي ...	320
275	لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً ...	321
77	لو رحم الله من قوم نوح أحداً ...	322
263	ليس الغنى عن كثرة العرض ...	323
246	ليس منا من لم يرحم صغيرنا ...	324
279	ليلة سمحة طلقة ...	325
279	ليلة القدر في العشر البواقي ...	326
283	ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .	327
349	ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله ...	328
219	ما أنت بمحدث قوما ...	329
29	ما أول أشراط الساعة ...	330

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
238	مات ابن عباس - رضي الله عنهما - بالطائف ...	331
146	ما بين النفختين...	332
301	مازلنا نشك في عذاب القبر ...	333
48	ما فتح الله على عاد من الريح التي ...	334
115	ما في السماوات السبع موضع ...	335
88	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.	336
134	ما من أهل الجنة أحد...	337
229	ما من أيام العمل الصالح...	338
184	ما من حافظين يرفعان ...	339
128	ما من خارج يخرج إلا ببابه...	340
356	ما منكم أحد إلا وقد وكل به قرينه...	341
256	ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده ...	342
250	ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة ...	343
69	مالي أراكم عزين ؟.	344
164	الماهر بالقرآن مع السفارة...	345
224	مر عمر بن الخطاب - <small>رضي الله عنه</small> - ...	346
223	مر النبي - <small>صلوات الله عليه</small> - على امرأة تقرأ...	347
324	المسلم أخ المسلم ...	348
221	من أحب دنياه أضر بآخرته...	349
243	من أعتق رقبة مؤمنة ...	350
263	من أعطى عطاء فوجد...	351

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
258	من أنفق زوجين في سبيل الله ...	352
244	من بنى مسجداً لله ...	353
170	من سره أن ينظر إلى يوم ...	354
322	من سمع الناس بعمله...	355
220	من شهد أن لا إله إلا الله...	356
327	من صلى صلاتنا ونسك نسكنا ...	357
263	من عمل بما علم ...	358
344	من قال لا إله إلا الله واحداً واحداً صمداً ...	359
278	من قام ليلة القدر ...	360
290	من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ...	361
345	من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها ...	362
345	من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يدخل منزله ...	363
345	من قرأ كل يوم مائتي مرة ...	364
125	من قرأ منكم بالتين والزيتون ...	365
246	من لم يرحم صغيرنا ...	366
129	من نذر أن يطيع الله فليطعه...	367
198	من نوقش الحساب عذب...	368
274	منهومان لا يشبعان ...	369
298	نار بني آدم التي توقدون ...	370
175	النبي في الجنة...	371
267	نزل المعونة من السماء ...	372

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
346	نزل جبريل على النبي - ﷺ - فقال ...	373
48	نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور.	374
120	نظر رسول الله - ﷺ - إلى القمر ...	375
303	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ...	376
168	نفسي نفسي نفسي لا أسألك غيرها...	377
213	نهى أن يطرق الرجل إلى أهله...	378
97	نهى عن التبتل .	379
29	﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ...	380
248	هلا صليت ...	381
333	هل تزوجت يا فلان ...	382
173	هما الرجلان يعملان العمل ...	383
242	هما نجدان فما جعل ...	384
108	هو جبل في النار من نار ...	385
230	هي الصلاة بعضها شفع ...	386
281	هي في كل رمضان .	387
17	هي المانعة هي المنجية...	388
263	واجعلنا شاكرين لنعمتك.	389
63	والذي نفسي بيده إنه ليخفف ...	390
344	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ...	391
81	والشر ليس إليك.	392
349	وأما شتمه إياي فقلوه: لي ...	393

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
167	وأبي سماء تظلني ...	394
298	وضربت بالبحر مرتين ...	395
200	وقت المغرب ما لم يغرب الشفق...	396
131	وكان رسول الله - ﷺ - ...	397
66	وكان رسول الله - ﷺ - إذا عمل ...	398
152	ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل.	399
76	ولد لآدم أربعون ولد	400
23	ولكن يا حنظلة ساعة فساعة	401
180	ويحكم أين تذهب عقولكم...	402
190	ويل للذي يحدث الناس...	403
108	ويل واد في جهنم ...	404
205	﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة ...	405
351	يا ابن عابس ألا أدلك...	406
338	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ...	407
89	يا بني آدم إن كنتم...	408
137	يا بُنَيَّ ذكرتني بقراءتك هذه...	409
236	يؤتى بجهنم يومئذ...	410
251	يا رسول الله أرأيت ...	411
256	يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه...	412
120	يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ...	413
293	يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب ...	414

الصفحة	الحديث أو الأثر	ر.م
142	يا عبادي إنكم لن تبلغوا...	415
165	يأكل التراب كل شيء من الإنسان...	416
44	يا محمد اشتكيت؟ ...	417
110	يا محمد غلب أصحابك اليوم ...	418
45	يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ ...	419
234	يا معاذ إن المؤمن ...	420
169	يبعث الناس يوم القيامة ...	421
300	يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان...	422
54	يدنى العبد يوم القيامة...	423
214	يرفع لكل غادر لواء...	424
53	يعرض الناس يوم القيامة...	425
93	يقال لصاحب القرآن...	426
173	يقرن بين الرجل الصالح...	427
300	يقول العبد مالي مالي ...	428
250	يقول الله - عز وجل - إني خلقت ...	429
304	يقول الله - عز وجل - يوم القيامة ...	430
242	يقول الله: يا ابن آدم...	431
182	يقول الله يوم القيامة...	432
205	اليوم الموعود يوم القيامة ...	433
188	﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾...	434
40	يوم يكشف ربنا عن ساقه...	435

فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	ت
122	آدم	1
216	آمنة بنت وهب	2
157	إبراهيم التيمي	3
244	إبراهيم النخعي	4
310	أبرهة بن الصباح أبا يكسوم	5
155	أبي بن كعب	6
324	ابن الأثير	7
22	أحمد بن حنبل	8
35	الأخنس بن شريق	9
309	أرباط	10
225	أسامة بن زيد	11
316	أسماء بنت الصديق	12
13	أسماء بنت يزيد بن السكن	13
35	الأسود بن عبد يغوث الزهري	14
312	الأسود بن مقصود	15
298	الأشعث بن عبدالله	16
165	الأعشى	17
83	الأعمش	18
54	أبي أمامة	19
105	امرؤ القيس	20
23	أنس	21
209	أنطاطوس الرومي	22
43	البخاري	23
209	بختنصر	24

الصفحة	الاسم	ت
32	البراء بن عازب	25
149	أبا برزة الأسلمي	26
224	البرقاني	27
43	بريدة بن الحبيب	28
110	ابن بريدة	29
23	الحافظ البزار	30
140	بسر بن جحاش	31
189	بشير الغفاري	32
147	بشير بن كعب	33
28	البغوي	34
45	أبوبكر البغدادي	35
284	أبوبكرة	36
167	أبوبكر الصديق	37
182	أبوبكر الوراق	38
216	بلال	39
39	البيهقي	40
16	الترمذي	41
357	أبي تميمة	42
344	تميم الداري	43
308	ثابت البناني	44
89	أبي ثعلبة الخشني	45
233	الثعلبي	46
29	ثوبان	47
268	الثوري	48
177	جابر بن زيد	49

الصفحة	الاسم	ت
69	جابر بن سمرة	50
17	جابر الخزرجي	51
174	جدامة بنت وهب	52
164	ابن جريج	53
120	جرير	54
261	أبو جعفر الباقر	55
239	أبي جعفر المنصور	56
259	أم جميل	57
259	جندب البجلي	58
109	أبوجهل بن هشام	59
90	ابن الجوزي	60
199	الجوهري	61
43	حابس التميمي	62
323	الحاكم	63
94	الحارث بن هشام	64
34	حارثة بن وهب	65
209	أبو الحجاج المزي	66
33	حذيفة	67
35	حسان بن ثابت	68
29	الحسن البصري	69
44	الحسن بن علي	70
44	الحسين بن علي	71
237	حمزة بن عبدالمطلب	72
312	حناطة الحميري	73
23	حنظلة الأسيدي	74

الصفحة	الاسم	ت
341	أبو حنيفة الدينوري	75
281	أبي حنيفة	76
286	أبي حية البدرى الأنصاري	77
148	خالد بن معدان	78
260	خديجة	79
280	الخطابي	80
199	الخليل	81
274	الدارمي	82
66	دانيال	83
53	ابن أبي الدنيا	84
16	أبو داود	85
226	ابن أبي داود	86
24	أبو الدرداء	87
309	دوس ذو ثعلبان	88
112	أبي ذر	89
311	ذو نفر	90
209	ذونواس	91
249	ابن ذي حمامة	92
204	أبي رافع	93
204	ابن رافع	94
281	الرافعي	95
48	الربيع	96
338	ربيعة بن عباد الديلي	97
101	أبي رجاء	98
281	أبي رزين	99

الصفحة	الاسم	ت
311	أبا رغال	100
294	الزبير	101
95	ابن الزبير	102
116	الزجاج	103
107	زرارة بن أوفى	104
283	زر بن حبيش	105
252	أبي زمعة	106
288	الزهري	107
47	ابن زيد	108
251	زيد بن أرقم	109
85	زيد بن أسلم	110
167	أبو السائب	111
80	ابن أبي السائب الأنصاري	112
37	السدي	113
256	سراقة	114
89	سعد بن أبي وقاص	115
31	سعد بن هشام	116
38	سعيد بن جبير	117
40	أبي سعيد الخدري	118
179	سفيان بن عيينة	119
245	سلمان بن عامر	120
54	سلمان الفارسي	121
93	أم سلمة	122
103	أبو سلمة	123
174	سلمة بن يزيد الجعفي	124

الصفحة	الاسم	ت
131	أبي سلمان الداراني	125
180	سليمان بن موسى	126
110	أبو سنان	127
157	سهل بن سعد	128
111	السهيلي	129
316	سيف بن ذي يزن الحميري	130
121	الشافعي	131
226	شريح القاضي	132
201	الشعبي	133
332	شعيب بن محمد	134
76	شيث	135
61	أبو صالح	136
292	صعصعة بن معاوية	137
356	صفية	138
120	صهيب	139
50	الضحاك	140
262	أبو طالب	141
354	طاوس	142
18	الطبراني	143
22	الطبري	144
197	الطياليسي	145
31	عائشة بنت أبي بكر	146
351	ابن عابس الجهني	147
327	العاص بن وائل	148
80	أبو العالية	149

الصفحة	الاسم	ت
30	عبادة بن الصامت	150
17	ابن عباس	151
84	العباس بن أحمد الدمشقي	152
51	العباس بن عبدالمطلب	153
17	عبد بن حميد	154
19	عبدالرحمن بن أبي حاتم	155
34	عبدالرحمن بن غنم	156
282	عبدالله بن أنيس	157
142	أبي عبدالله الجدلي	158
317	عبدالله بن الزبيري	159
252	عبدالله بن زمعة	160
29	عبدالله بن سلام	161
300	عبدالله بن الشخير	162
52	عبدالله بن عمرو	163
233	عبدالله بن قلابة	164
262	عبدالمطلب	165
82	عبدالليل بن عمير	166
314	أبو عبيدة	167
333	عبيد الله بن عتبة	168
315	عبيد بن عمير	169
310	عتودة	170
53	أبو عثمان	171
237	عثمان بن عفان	172
113	عثمان بن مظعون	173
221	عرفجة الثقفي	174

الصفحة	الاسم	ت
260	عروة بن الزبير	175
45	ابن عساكر	176
117	عطاء	177
217	عقبة بن عامر	178
35	عكرمة البريدي	179
254	علقمة	180
197	علي بن الحسين	181
39	علي بن أبي طالب	182
216	عمار	183
48	ابن عمر	184
223	أبي عمران الجوني	185
230	عمران بن حصين	186
52	عمر بن الخطاب	187
220	عمر بن عبدالعزيز	188
176	عمرو بن حريث	189
336	عمرو بن سلمة	190
332	عمرو بن شعيب	191
117	أبو عمرو	192
305	عمرو بن العاص	193
243	عمرو بن عبسة	194
223	عمرو بن ميمون	195
90	العوفي	196
181	الغزالي	197
104	غيلان بن سلمة الثقفي	198
334	فاطمة	199

الصفحة	الاسم	ت
115	الفراء	200
329	فروة بن نوفل	201
137	أم الفضل	202
56	فضيل بن عياض	203
238	قباث بن رزين	204
18	قتادة	205
116	ابن قتيبة	206
172	القرطبي	207
175	قيس بن عاصم	208
56	كعب الأحبار	209
328	كعب بن الأشرف	210
127	كعب بن عجرة	211
131	كعب بن مالك	212
183	الكلبي	213
111	كلدة بن أسيد	214
355	لبيد بن الأعصم	215
338	أبو لهب	216
16	ابن ماجة	217
127	أبو مالك الأشعري	218
64	مالك بن أنس	219
122	المبارك	220
323	ابن المبارك	221
21	مجاهد	222
86	أبي مجلز بن حميد	223
209	محمد بن إسحاق	224

الصفحة	الاسم	ت
332	محمد بن عبدالله	225
19	محمد بن عجلان	226
63	محمد بن كعب	227
303	محمود بن الربيع	228
332	مرثد بن عبدالله	229
298	ابن مردويه	230
321	مسروق	231
316	مسروق بن أبرهة	232
41	ابن مسعود	233
29	مسلم	234
340	ابن المسيب	235
305	مسيلمة الكذاب	236
216	مصعب بن عمير	237
345	معاذ بن أنس الجهني	238
181	معاذ بن جبل	239
284	معاوية	240
346	معاوية بن معاوية الليثي	241
83	أبو معاوية	242
85	مقاتل	243
148	مقاتل بن حيان	244
188	المقداد بن الأسود	245
232	المقدام	246
162	ابن أم مكتوم	247
50	مكحول	248
45	الحافظ بن المنذر	249

الصفحة	الاسم	ت
127	أبي موسى الأشعري	250
84	ابن النجاد	251
309	النجاشي	252
243	أبي نجیح	253
16	النسائي	254
263	أبي نضرة	255
60	النضر بن الحارث	256
173	النعمان بن بشير	257
266	أبو نعيم	258
311	نفيل بن حبيب الخثعمي	259
320	هاشم بن عبد مناف	260
318	أم هانئ بنت أبي طالب	261
16	أبو هريرة	262
302	أبو الهيثم التيهان	263
244	واثلة بن الأسقع	264
313	الواقدي	265
272	ورقة بن نوفل بن أسد	266
104	الوليد بن المغيرة	267
166	وهب بن منبه	268
171	يزيد بن أبي مریم	269
90	يعقوب	270
323	الحافظ أبو يعلى الموصلي	271
316	يكسوم	272
209	يوسف ذو نواس	273
314	يونس النحوي	274

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البحر	البيت	ت
313	الرجز	أين المفر والإله الغالب * * والأشرم المغلوب غير الغالب	1
163	الوافر	وما أدع السفارة بين قومي * * وما أمشي لغش إن مشيئ	2
268	المنسرح	صبرا جميلا ما أقرب الفرجا * * من راقب الله في الأمور نجأ من صدق الله لم ينله أذى * * ومن رجاه يكون حيث رجأ	3
267	الطويل	ألم تر أن الله أرسل عبده * * برهانه والله أعلى وأمج أغر عليه للنبوة خاتم * * من الله مشهور يلوح ويشهد وضم الإله اسم النبي إلى اسمه * * إذا قال في الخمس المؤذن أشهد وشق له من اسمه ليجله * * فدو العرش محمود وهو محمد	4
234	الطويل	ألا كل شيء ما خلا الله بائد * * كما باد حي من ثقيف ومارد هم ضربوا في كل صماء صعدة * * بأيدي شداد أيدي السواعد	5
35	الطويل	وأنت زعيم نيط في آل هاشم * * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد	6
341	الرجز	وبكرة ومحور صرارا * * ومسدا من أبق مغارا	7
165	السريع	لو أسندت ميئا إلى صدرها * * عاش، ولم ينقل إلى قابر	8
177	الرجز	حتى إذا الصبح له تنفسا * * وانجاب عنها ليها وعسعسا	9
104	الطويل	إني بحمد الله لا ثوب فاجر * * لبست، ولا من غدرة أتقع	10
320	الكامل	قل للذي طلب السماحة والندی * * هلا مررت بآل عبد مناف هلا مررت بهم تريد قراهم * * يمنعوك من ضر ومن أكناف الرائشين وليس يوجد رائش * * والقائلين: هلم للأضياف والخالطين غنيهم بغيرهم * * حتى يكون فقيرهم كالكافي والقائلين بكل وعد صادق * * والراجلين برحلة الإيلاف عمرو العلى هشم التريد لقومه * * ورجال مكة مسنتون عجاج سفرين سنهما له ولقومه * * سفر الشتاء ورحلة الأضياف	11
200	الرجز	إن لنا قلائصاً حقائقاً * * مستوسقات لو يجدن سائقاً	12

الصفحة	البحر	البيت	ت
41	مجزوء الخبب	شالت الحرب عن ساق **	13
84	الطويل	قلوب براها الحب مني تعلقت ** مذاهبها في كل غرب وشارق تهيم بحب الله والله ربها ** معلقة بالله دون الخلائق	14
312	مجزوء الكامل	لاهم إن المرء يمتع رَحْله ** وحلاله فامنع حلالك لا يغلبن صليبيهم ** ومخالهم غدواً مخالك	15
35	الوافر	زنيم ليس يعرف من أبوه ** بغى الأم ذو حسب لئيم	16
105	الطويل	أفاطم مهلا بعض هذا التذلل ** وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي وإن كنت قد ساءتني مني خليقة ** فسلي ثيابي من ثيابك تتسل	17
131	الخفيف	كم قتيل لشهوة وأسير ** أف من مشتهي خلاف الجميل شهوأت الإنسان تورثه الذل ** وتلقيه في البلاء الطويل	18
105	الطويل	إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ** فكل رداء يرتديه جميل	19
108	الطويل	وقد رابني منها صُدود رأيتُه ** وإعراضها عن حاجتي وبُسورها	20
317	الكامل	تتكلموا عن بطن مكة إنها ** كانت قديماً لا يُرام حريمها لم تُخلق الشّعري ليالي حرمت ** إذ لا عزيز من الأنام يزومها سائل أمير الجيش عنها ما رأى ** فسوف ينبي الجاهلين علمها ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم ** بل لم يعش بعد الإياب سقيمها كانت بها عادٌ وجُرهم قبلهم ** والله من فوق العباد يُقيمها	21

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
1. أحكام القرآن للشافعي، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخرساني، أبو بكر البيهقي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة الخانجي، بلا: (تح)، القاهرة، ط: الثانية: (1994م).
 2. الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تح: مجمل فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: الثالثة (1989 م).
 3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا: (تح، ط).
 4. الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الفُزْبُبي، تح: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت: (2000م)، بلا: (ط).
 5. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت (463)، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت (1412 هـ).
 6. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، ت (630هـ)، تح: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1996 م)، بلا: (ط).
 7. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى: (1412 هـ).
 8. أعلام النبوة، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، (1987م).
 9. الأعلام، تأليف: خير الدين محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي، ت (1396هـ)، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر: (2002 م)، بلا: (تح).
 10. الأغاني، تأليف: أبو فرج الأصفهاني، تح: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط: الثالثة.

11. الأم، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، (1993 هـ)، بلا (تح، ط).
12. الأمالي في لغة العرب، تأليف: (أبو علي): إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت: (1978م)، بلا: (تح، ط) .
13. إنجيل برنابا.
14. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: علي بن سليمان المرادوي، أبو الحسن، تح: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث، العربي بيروت، بلا (ط).
15. البحر الزخار، مسند البزار، تأليف: أبو بكر أحمد بن عمرو البصري البزار ت (292هـ)، تح: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيرو، (1409هـ).
16. بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، تأليف: نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تح: د. محمود مطرجي، بلا: (ط)، دار الفكر، بيروت .
17. البحر المديد، تفسير ابن عجيبة، تأليف: محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، الفاسي، بلا: (تح)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية (2002م).
18. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت: (1982م)، بلا: (تح، ط).
19. البداية والنهاية، تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والقراءات بدار هجر للطباعة، الجيزة، ط: (الأولى): (1997م).
20. البصائر والذخائر، تأليف: أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، تح : د. وداد القاضي، ط : الرابعة، دار صادر، بيروت، (1999م).
21. البعث لابن أبي داود، تأليف: أبوبكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، (1987م).
22. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن

- السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، بلا: (ط).
23. البلدانيات، تأليف: الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تح: حسام بن محمد القطان، دار العطاء، السعودية: (2001م)، بلا: (ط) .
24. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد عبد الرزاق الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا: (ط).
25. تاريخ أصبهان، تأليف: (أبو نعيم) الأصبهاني، بلا: (تح، ط) .
26. تاريخ الأمم والملوك، تأليف: محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، بلا (تح)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1407هـ).
27. تاريخ داريا، تأليف: أبو علي عبد الجبار بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن داود الداراني، المعروف بابن مهنا، ت (370هـ)، مطبعة البرقي، دمشق: (1950م)، بلا: (تح، ط) .
28. التاريخ الكبير، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تح: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بلا: (ط).
29. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلها، من الأمثال، أو اجتاز بنواحيها، من واردتها، وأهلها، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، ت (571هـ)، تح: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر.
30. تأويل مشكل القرآن، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: إبراهيم شمس الدين، بلا: (ط)، دار الكتب العلمية، (2007م) .
31. تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت (748هـ)، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (1998م).
32. تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: زكريا عميرات، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: (1998م).
33. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تأليف: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
34. تفسير ابن أبي حاتم، تأليف: الإمام الحافظ أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي

- حاتم الرازي، تح: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، بلا: (ط) .
35. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت (745هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت (2001م)، بلا: (ط) .
36. تفسير السدي الكبير، للإمام إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، جمع وإعداد: د. محمد عطا أحمد يوسف، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ط: الأولى: (1993م)، بلا: (تح).
37. تفسير السراج المنير، تأليف: محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا : (تح، ط) .
38. تفسير الصنعاني، تأليف: عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تح: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض: (1410 هـ)، بلا (ط)، واللفظ للحاكم.
39. تفسير الضحاك، جمع ودراسة، تحقيق د. محمد شكري، أحمد الزاويتي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط: الأولى: (1999م).
40. تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت (774هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1999م.
41. التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي، الرازي، دار الكتب العلمية، (2000م)، بلا (تح، ط).
42. تفسير مجاهد، تأليف: مجاهد بن جبير المخزومي التابعي أبو الحجاج، تح: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت، بلا: (ط) .
43. تفسير مقاتل بن سليمان، تأليف: أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت: (2003م)، بلا: (ط) .
44. تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، ت (676هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بلا: (ط).

45. تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بلا: (تح)، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى: (1984 م).
46. تهذيب الكمال، تأليف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، تح: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى (1980 م).
47. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تأليف: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، دار المعارف، بيروت: (1965م).
48. جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي، بلا: (تح، ط).
49. جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، ت (310هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى: (2000م).
50. الجامع الصحيح المختصر صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة (1987 م)،
51. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار: إحياء التراث العربي، بيروت، بلا: (ط).
52. الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي -، تأليف: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة، بلا: (تح، ط) .
53. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ -، وسننه، وأيامه، تأليف: أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار: طوق النجاة، ط: الأولى (1422 هـ).
54. الجمع بين الصحيحين، البخاري، ومسلم، تأليف: محمد بن فتوح الحميدي، تح: علي حسن البواب، دار ابن حزم، بيروت، ط: الثانية (2002م).
55. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف: عبدالقادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، أبو محمد، بلا (تح، ط).
56. الحاوي في فقه الشافعي، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب

- البصري، الشهير بالماوردي، بلا: (تح)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1994م).
57. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، تأليف: أبو زكرياء محي الدين، يحي بن شرف النووي، تح: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، بيروت ط: الأولى، (1997).
58. خلق أفعال العباد، تأليف: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري الجعفي، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف: الرياض، بلا: (ط).
59. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، سنة 1972، بلا: (ط)
60. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمن الحلي، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بلا: (ط) .
61. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، بلا: (تح، ط)، دار الفكر، بيروت (1933 م).
62. دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تأليف: أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: عبدالمعطي قلججي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى: (1988م).
63. ديوان الأعشى.
64. ديوان حسان بن ثابت، (تح، ط).
65. ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني، تأليف: محمد بن علي الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1998م، بلا: (تح).
66. ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، تأليف: أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: زكيا عميرات، دار الكتب العلمية، بلا (ط).
67. الرد على الزنادقة، والجهمية، تأليف: أحمد بن حنبل الشيباني، تح: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة (1339هـ)، بلا: (ط) .
68. الروض الأنف، تأليف: السهيلي، بلا (تح، ط) .

69. زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بلا: (تح)، ط: الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، (1404هـ).
70. السبعة في القراءات، التأليف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط: الثالثة، (1400هـ).
71. سلسلة الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض ط: الأولى (1992م).
72. السلسلة الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني.
73. السلسلة الضعيفة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، بلا (تح، ط).
74. سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بلا: (ط).
75. سنن أبي داود، تأليف: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا: (تح، ط). تغير إلى دار الفكر، مذيّل بأحكام الألباني، تحقيق محي الدين عبدالحميد.
76. سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار البزار، مكة المكرمة (1994 م)، بلا: (ط).
77. سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي السلمي، تح: أحمد محمد شاكر (وآخرون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا: (ط).
78. سنن الدارمي، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن، أبو محمد الدارمي، والأحاديث مذيّلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، تح: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، (1407 هـ).
79. سنن النسائي الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبد القادر سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (1991م).
80. سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت (748هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، بلا: (ط).
81. السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري،

- المعافري، أبو محمد، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (1411)، بلا (ط) .
82. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت (1089)، تح: عبد القادر الأرنبوط، محمود الأرنبوط، دار ابن كثير، دمشق (1406).
83. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، والجماعة، من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، أبو القاسم، تح: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض: (1402هـ)، بلا: (ط).
84. شرح طيبة النشر في القراءات، تأليف: شمس الدين، أبو الخير، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تعليق الشيخ: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة (2000م)، بلا (تح) .
85. شرح المعلقات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي: (2002م)، بلا: (ط) .
86. شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى (1410هـ).
87. الشعر والشعراء، تأليف: ابن قتيبة الدينوري بلا: (تح، ط) .
88. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة: طحا، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة، (1987م).
89. صحيح الترغيب، والترهيب للألباني، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الرياض، ط: الخامسة.
90. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، تأليف: محمد نصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
91. طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين علي بن عبد الكافي السبكي، تح: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط: الثانية (1413 م).

92. طبقات الشافعية، تأليف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبدالحليم خان، عالم الكتب، بيروت، (1407هـ).
93. طبقات الفقهاء، تأليف إبراهيم علي بن يوسف، أبو إسحاق الشيرازي، ت (476هـ)، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى (1970 م).
94. الطبقات الكبرى لابن سعد، تأليف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله، البصري، الزهري، دار صادر، بيروت، بلا: (تح، ط).
95. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأندروي، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى: (1997م).
96. طبقات المفسرين، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت (911هـ)، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة: (1369 هـ)، بلا (ط).
97. عجائب البلدان، من خلال مخطوط خريدة العجائب، وفريدة الغرائب، تأليف: سراج الدين ابن الوردی ت (861هـ)، بلا: (تح، ط).
98. العظمة، تأليف: عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، أبو محمد، تح: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط: الأولى، (1408 هـ).
99. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تح: خليل الميس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (1403هـ).
100. الفاضل، تأليف: المبرد.
101. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الشافعي، تح: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني، بلا: (ط) دار المعرفة، بيروت، (1379هـ).
102. فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير)، تأليف: عبدالكريم بن محمد الرافعي، القزويني، وهو شرح لكتاب: الوجيز في الفقه الشافعي، لأبي حامد الغزالي ت (505هـ)، بلا: (تح، ط).
103. الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه بن شهردار شيرويه الديلمي

- الهمداني، تحقيق: السعيد بن بليون زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت: (1986م).
104. الكامل في التاريخ، تأليف: علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ)، بلا: (ط).
105. كشف الأستار عن زوائد البزار، تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت (735هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بلا: (ط).
106. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف مصطفى بن عبدلاله القسطنطيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، بلا: (تح).
107. الكشف والبيان، تفسير الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى (2002 م).
108. كشف المشكل من حديث الصحيحين، تأليف: أبو الفرج، عبدالرحمن بن الجوزي، تح: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (1997م)، بلا (ط).
109. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف: علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، ت (975هـ)، تح: بكري حياتي، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة (1981م).
110. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت، ط: الأولى، بلا: (تح) .
111. المبسوط للسرخسي، تأليف: شمس الدين محمد بن أبي سهل السرخسي، تح: خليل محي الدين الميس، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت: (2000م).
112. المجتبى من السنن، سنن النسائي، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الثالثة (1986 م).
113. مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت: (1412 هـ).
114. مجموع الفتاوى لابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (أبو العباس)، بلا: (تح، ط).

115. المحبر، تأليف: محمد بن حبيب البغدادي، بلا: (تح: ط).
116. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تأليف: يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد ت (909)، تح: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الأولى (2000م).
117. المدونة الكبرى، تأليف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بلا (ط).
118. المستدرک على الصحيحین مع تعليقات الذهبی فی التلخیص، تأليف: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
119. مسند أبي داود الطيالسي، تأليف: سليمان بن داود بن الجارود، تح: محمد بن عبدالمحسن التركي، الناشر: هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (1999م).
120. مسند أبي يعلى، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى الموصلي، التميمي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: الأولى: (1984م).
121. مسند أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط (وآخرون)، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية (1999م).
122. مسند أمير المؤمنين، أبي حفص، عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وأقواله على أبواب العلم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي، الدمشقي، تح: عبد المعطي قلججي، دار الوفاء المنصورة، ط: الأولى (1991م).
123. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (1996م).
124. مشكاة المصابيح، تأليف: محمد عبد الله الخطيب التبريزي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط: الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، (1985م).
125. معالم التنزيل، تأليف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت (516هـ)، تح:

- محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة طيبة، سليمان مسلم الحرش، دار: طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة (1997 م).
126. معاني القرآن وإعرابه، تأليف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: (الأولى): (1988م).
127. معاني القرآن للفراء، تأليف: أبو زكرياء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشبلي، دار المصرية، ط: الأولى .
128. معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت، بلا: (تح، ط).
129. المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تح: حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة الزهراء الموصل: (1983م).
130. معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، مكتبة المثني بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا: (تح، ط).
131. المعين في طبقات المحدثين، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط: (الأولى): (1404هـ).
132. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، أبو محمد، بلا: (تح)، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، (1405).
133. المنتخب من مسند عبد بن حميد، تأليف: عبد بن حميد بن نصر، أبو محمد الكسي، تح: صبحي البدري السامرائي، و محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى: (1988 م).
134. موسوعة الكتاب المقدس.
135. موطأ الإمام مالك رواية يحيى الليثي، تأليف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، بلا (ط).
136. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

- الذهبي، ت (748هـ)، تح: علي البجاوي، بلا: (ط).
137. نسب قریش، تأليف: مصعب الزبيدي، بلا: (تح، ط).
138. نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: عبدالله بن يوسف، أبو محمد الحنفي، الزيلعي، تح: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، بلا: (ط).
139. النكت والعيون، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا: (ط).
140. نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تح: مفيد قمحية، وجماعة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت (2004م).
141. الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أبيك الصدفي، تح: أحمد الأرثووط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (2000م)، بلا: (ط).
142. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، تأليف: عبد الفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي، بلا: (تح)، مكتبة السوادي للتوزيع، ط: الرابعة (1992م).
143. وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تأليف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا: (ط).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية.....	أ.....
الإهداء.....	ب.....
شكرٌ و تقديرٌ.....	ج.....
المقدمة.....	1.....
أهمية الموضوع.....	2.....
أسباب اختيار الموضوع.....	2.....
الدراسات السابقة.....	2.....
خطة البحث.....	2.....
عملي في التحقيق.....	3.....

القسم الأول: الجانب الدراسي

المطلب الأول: التعريف بأبن كثير.....	6.....
المطلب الثاني: التعريف بالكازروني.....	8.....
المطلب الثالث: التعريف بمختصر الكازروني.....	9.....
المطلب الرابع: التعريف بالمخطوط.....	12.....

القسم الثاني: تحقيق الجزء المختار من المخطوط

تفسير سورة: الملك.....	16.....
تفسير سورة: ن [القلم].....	28.....
تفسير سورة: الحاقة.....	47.....
تفسير سورة: سال سائل [المعارج].....	60.....
تفسير سورة: نوح - ﷺ.....	71.....
تفسير سورة: الجن.....	79.....
تفسير سورة: المزمل.....	92.....

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة: المدثر.....	103
تفسير سورة: القيامة.....	115
تفسير سورة: الإنسان.....	126
تفسير سورة: المرسلات.....	137
تفسير سورة: النبأ.....	144
تفسير سورة: والنازعات [النازعات].....	154
تفسير سورة: عبس.....	162
تفسير سورة: التكويد.....	170
تفسير سورة: الانفطار.....	181
تفسير سورة: المطفين.....	187
تفسير سورة: الانشقاق.....	196
تفسير سورة: البروج.....	204
تفسير سورة: الطارق.....	213
تفسير سورة: سبح اسم [الأعلى].....	216
تفسير سورة: الغاشية.....	223
تفسير سورة: الفجر.....	228
تفسير سورة: البلد.....	240
تفسير سورة: والشمس وضحيها [الشمس].....	248
تفسير سورة: والليل [الليل].....	254
تفسير سورة: الضحى.....	259
تفسير سورة: ألم نشرح [الشرح].....	265
تفسير سورة: والتين [التين].....	269
تفسير سورة: اقرأ [العلق].....	272
تفسير سورة: القدر.....	277
تفسير سورة: لم يكن [البينة].....	286

الموضوع	الصفحة
تفسير سورة: إذا زلزلت [الزلزلة]	290
تفسير سورة: العاديات	294
تفسير سورة: القارعة	297
تفسير سورة: التكاثر	300
تفسير سورة: العصر	305
تفسير سورة: ويل لكل همزة لمزة [الهمزة]	307
تفسير سورة: الفيل	309
تفسير سورة: لإيلاف [قريش]	318
تفسير سورة: الماعون	321
تفسير سورة: الكوثر	325
تفسير سورة: قل يا أيها الكافرون [الكافرون]	329
تفسير سورة: إذا جاء نصر الله والفتح [النصر]	333
تفسير سورة: تبت [المسد]	338
تفسير سورة: الإخلاص	342
تفسير سورتي: المعوذتين	350
الخاتمة	360

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية	362
فهرس الأحاديث والآثار	376
فهرس الأعلام	397
فهرس الأبيات الشعرية	408
فهرس المصادر والمراجع	410
فهرس الموضوعات	423